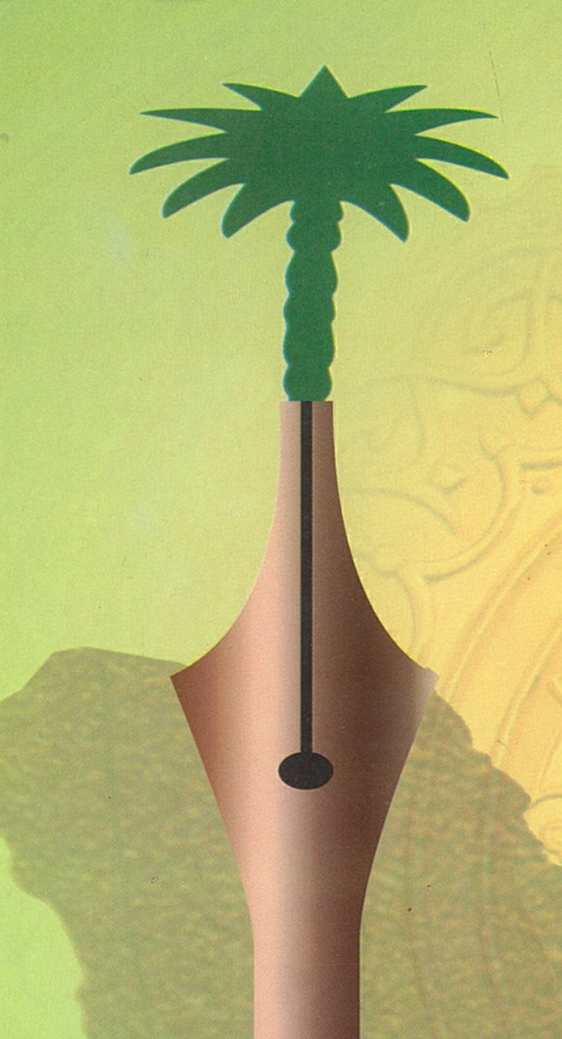
الموجز في
تاريخ الأدب العربي السعودي



د. عمر الطيب الساسي



مكتبة دار جدة

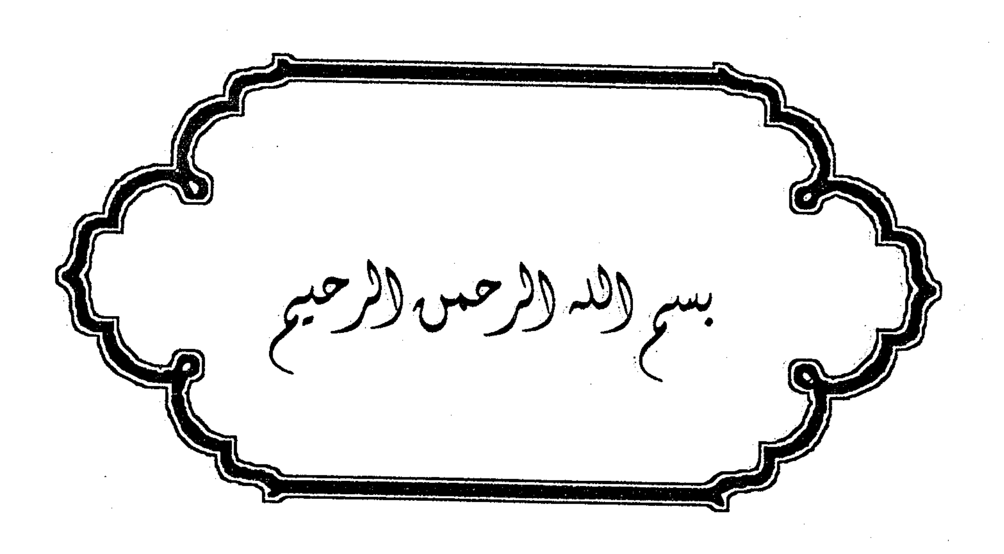


الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي

د. عمر الطيب الساسي

مكتبة دار زهران
جده

مكتبة
دار جده - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

منذ سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م وأنا أضطلع بشرف تدريس مادة الأدب العربي السعودي في جامعة الملك عبد العزيز، بقسم اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، حينما كانت تابعة لجامعة الملك عبد العزيز أولاً، ثم بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجدة. بل إنني أول من أسندت إليه هذه المادة مستقلة عن الأدب الحديث في الجامعة بمكة المكرمة، وأصبحت منذ سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م إحدى المواد الأساسية لقسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز.

ومنذ تلك البداية الأولى وأنا أشعر، مع دارسي هذه المادة، بالحاجة الماسة إلى كتاب موجز وشامل، في آنٍ واحد، يكون مرجعاً وعوناً لدارسي هذه المادة، ويغنيهم عن تشتيت الجهد والوقت بين عشرات المؤلفات الأصلية والفرعية، ويكون في الدرجة الأولى موجزاً لتاريخ أدب هذه البلاد في عهدها العربي السعودي.

ويشهد الله أنني كنت أشعر دائماً بتأنيب ضميري، على تقصيري في أداء الواجب بتأليف كتاب كهذا. ولكنني أعترف هنا بأنني كنت أتهيب كلما عزمت، لا عن ضعف أو عجز، ولكن رغبة في الإتقان والشمول، مع الإيجاز والوضوح، ومسايرة روح العصر، وأساليب التأليف العلمي

المنهجي «الأكاديمي»، في وقت نشطت فيه حركة التأليف، بكل أسلوب، فازدحمت دور عرض الكتب بالإصدارات المتعاقبة، ولكن الواجب العلمي والوطني، فرض عليَّ خوض غمار هذه التجربة، التي كنت قد سبقتها بأخرى متواضعة، تمثلت في كتابتي لبحث موجز عن الأدب السعودي ألحقته بكتاب لي بعنوان: «دراسات في الأدب العربي على مر العصور، مع بحث خاص بالأدب العربي السعودي» صدر في طبعته الأولى عن دار الشروق بجدة في سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ثم أعادت دار الشروق طبعه مرات متتالية، فشجعني ذلك الإقبال، على كتابي الأول، على الإقدام على إنجاز هذا الكتاب، الذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني فيه ومن خلاله لخدمة العلم وطلابه، وخدمة بلادي العزيزة وأداء بعض حقها الكبير، بالتاريخ لجانب مشرق من جوانبها الحضارية الإنسانية، يتصل بأصول حضارتها ورسالتها التي اصطفاها الله عز وجل لحملها، ونشرها نوراً يبدد بكلمة التوحيد ظلام الشرك، فأنزل على سيد أبنائها وسيد البشر أجمعين، سيدنا محمد ﷺ أقدس كتاب يخاطب العقول والقلوب في أعظم بيان قرآني كريم، فكانت تلك أعظم نقلة حضارية بالكلم الطيب، لا لإنسان هذه البلاد فحسب، بل لكل إنسان يشرح الله صدره للإسلام.

وهكذا، فإن الأدب العربي في هذه البلاد إنما يستمد عناصر وجوده، وقوته، من القرآن العظيم، ومن أدب النبوة ومنهلها الصافي، ومن تراث العرب والمسلمين، الذي نشأ أول ما نشأ على ثرى هذه البلاد، ونطق به إنسانها القديم، وتوارثه جيلاً بعد جيل، حتى وصل إلى جيل هذا العهد العربي السعودي الزاهر المشرق. فالأدب العربي السعودي، الذي أقدم في هذا الكتاب موجزاً لتاريخه، إنما هو امتداد لتراث الأدب العربي الإسلامي الأصيل.

وإنني أتقدم برجائي، وأنا أقدم هذا الكتاب في هذا التمهيد، إلى كل قارىء، وإلى كل دارس كريم، أن يرشدني إلى ما قد يصادفه فيه من أخطاء وتقصير، وأن يوجهني إلى ما قد يراه من ملاحظات، حتى أستعين بها في الطبعات القادمة، إن شاء الله مع شكري الجزيل وتقديري، وأقدم إعتذاري سلفاً عن كل خطأ أو نسيان، غير متعمد ولا مقصود، والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل. «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا».

د. عمر الطيب الساسي



المدخل

الأدب الإقليمي، والأدب القومي:

في غمرة الحماس القومي، أو الشعور الإنساني العام، يخلط بعض المثقفين بين حقيقة الإنتماء القومي للأمة، أو للإنسانية، وبين دراسة الأدب والتاريخ له في إقليم من الأقاليم، ظناً منهم أن ذلك يتناقض مع الوحدة القومية، ولا يتفق مع وحدة الشعور الإنساني العام. وهذا تصور فيه كثير من المغالاة، فوحدة الإنسان في تكوينه العضوي، لا تمنع من دراسة وظائف أعضائه. . عضواً. . عضواً. . وهكذا، فإن وحدة أي تكوين، لا تمنع من دراسة جزئياته، لوضع تصور عام، من خلال المعرفة التامة لكل جزئية منها على انفراد بتوسع، وبتوازن بين جميع الجزئيات بحيث لا تطغى إحداهن على الأخرى.

وفي التعميم في دراسة الأدب وتاريخه، على مستوى الأمة العربية، أهملت كثير من الأقاليم، وطغت أخبار بعض الحواضر، كبلاد الشام، والعراق، ومصر، فاشتهرت أسماء أدبائها على حساب كثير من الحواضر والأقاليم الأخرى، البعيدة عن عواصم الخلافة، أو عواصم السلطة، في بعض العصور، حتى ليكاد يظن في بعض الأحيان، أن بعض الأقاليم البعيدة عن العواصم والحواضر الكبرى، لم يكن بها أدب ولا أدباء، خلافاً لواقع الأمر، ونتائج بعض الدراسات المتأنية، التي تثبت بالبحث والتقصي الجادين، أن الأدب والأدباء في الأقاليم قد

تعرضوا للإهمال، وأن بعض الأدباء منهم ربما كانوا أكثر تفوقاً وإبداعاً من بعض أدباء الحواضر والعواصم الكبرى.

وفي إطار هذا المفهوم الواضح يتحتم علينا أن نقدم بشجاعة على دراسة أدب كل إقليم من أقاليم الأمة العربية، ونكتب تاريخ الأدب في كل بلد عربي على حدة، لأن ذلك لا يعني إنكار وحدة التاريخ والشعور، بل يساعد على ترسيخ هذه الوحدة، بإثبات وجود عناصرها في تراث كل إقليم.

فأدب هذه البلاد، في جميع عصورها، هو في الحقيقة صور من صورة الأدب العربي العام كله، والبحث في تاريخ الأدب في هذه البلاد، هو استكمال للتاريخ الشامل للأدب العربي في جانب من جوانبه الإقليمية. خصوصاً في عصرنا هذا، الذي تشعبت فيه الحياة، وقامت فيه دول عربية مستقلة كثيرة، تعتبر المملكة العربية أكثرها تجسيداً صادقاً للوحدة العربية، وحرصاً على الإنتماء الإسلامي الشامل.

وقد شغلت قضية الأدب الإقليمي، والأدب العام للأمة، أو للإنسانية، حيزاً كبيراً من اهتمام كثير من الأدباء في هذه البلاد في السنوات الأولى لقيام هذه المملكة. فكانوا يكتبون مقالات يناقشون فيها هذه القضية بين الرفض والقبول. ومن ذلك مثلاً رأي الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود رحمه الله الذي سجله بقوله: «إنه مع تقديرنا للذين يقولون إن العرب أمة واحدة فإنه لا معنى لهذا التشدد، لأن نظرية الأدب الإقليمي لا تضر قضية الوحدة العربية في قليل أو كثير»[1].

---

(١) جريدة المدينة المنورة، العدد الرابع، السنة الأولى، في ١٨ صفر ١٣٥٦هـ، مقال «الأدب الإقليمي» بقلم محمد سعيد عبد المقصود.

المسمى . . والدلالة:

إن مسمى «سعودي» الذي أصبح مصطلحاً يدل على مجتمع هذه البلاد، وعلى كل ما يتصل بهذا المجتمع، وما يصدر عنه، ومنه الأدب، هو أكثر من نسبة إلى الأسرة الملكية الحاكمة، لأنه يرتبط بتاريخ فكرة قامت عليها هذه المملكة، وهي فكرة دينية إيمانية، التزم بها الإمام محمد بن سعود، جد الأسرة الملكية الحاكمة، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي دعا إلى العودة إلى حقيقة التوحيد الخالص على نهج السلف الصالح، وتطهير الحياة الإسلامية من الخرافات والشبهات، وتعاهد الإثنان، رحمهما الله تعالى، على الإلتزام بهذه الدعوة، التي أصبحت منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري قاعدة للدولة السعودية، بكل مراحلها المتعاقبة، حتى يومنا هذا.

وقد مرت الدولة السعودية سياسياً بثلاث مراحل، هي: مرحلة الدولة السعودية الأولى من منتصف القرن الثاني عشر الهجري إلى وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في سنة ١٢٢٩هـ، ثم انتهت مرحلة الدولة السعودية الأولى بسقوطها في سنة ١٢٣٣ في عهد عبد الله بن سعود، الذي أُخرج من نجد وتوفي سنة ١٢٣٤هـ، بعد أن استولى جنود محمد علي وابنه إبراهيم باشا، من الترك والمصريين، على الدرعية وما حولها[١].

أما الدولة السعودية الثانية فقد أسسها تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، الذي اختفى في الخرج، فلم يتعرض للنفي على أيدي

(١) انظر التفاصيل في كتاب «تاريخ الدولة السعودية»، تأليف أمين سعيد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

المصريين، فلما واتته الفرصة، عاد رحمه الله، في سنة ١٢٣٨هـ إلى تجميع رجاله، وفي سنة ١٢٣٩هـ عاد إليه ابنه فيصل بن تركي، هارباً من مصر، وقد خلفه في الحكم، بعد أن قُتل غدراً من أحد أقاربه في سنة ١٢٤٩هـ، وفي عهد الإمام فيصل بن تركي بلغت الدولة السعودية الثانية أوج مجدها، فقد تحققت لها أسباب الأمن والإستقرار. ولكنها عادت إلى التضعضع، بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي في سنة ١٢٨٢هـ، بعد أن دب الخلاف في الأسرة، وانتهت الدولة السعودية الثانية بخروج الإمام عبد الرحمن بن فيصل، والد الملك عبد العزيز، رحمهم الله أجمعين، من الرياض إلى الكويت[١].

وأما الدولة السعودية الثالثة، فهي التي توجت بتأسيس أعظم وحدة كبرى في بلاد العرب، بقيام المملكة العربية السعودية. ففي سنة ١٣١٩هـ اقتحم الفتى الطموح عبد العزيز آل سعود مدينة الرياض، وأعادها عاصمة للدولة السعودية، التي أعاد تأسيسها، ثم واصل رحمه الله، كفاحه البطولي، فتحقق له النصر تلو النصر، حتى أصبح ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد وملحقاتها، ثم أقدم بعد ذلك على أعظم خطوة وحدوية في تاريخ هذه البلاد بإعلانها مملكة واحدة موحدة باسم المملكة العربية السعودية، وذلك في يوم ٢١ جمادى الأولى من سنة ١٣٥١هـ.

ومنذ ذلك اليوم أصبح اسم «عربي سعودي» مصطلحاً يدل على كل ما له صلة بهذه البلاد الموحدة ومجتمعها بكل ما يمثله ويصدر عنه، ومنه الأدب العربي السعودي، الذي نسجل في هذا الكتاب موجزاً شاملاً

(١) انظر التفاصيل في كتاب «تاريخ الدولة السعودية»، تأليف أمين سعيد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

لتاريخه، منذ إرهاصاته الأولى وبداياته البسيطة إلى عهد ازدهاره وتفتحه، وتعدد أجناسه الشعرية والنثرية.

وإذا كان كل من أرخوا للأدب العربي الحديث، قد أجمعوا على أنه بدأ في القرن التاسع عشر الميلادي، بما أحدثته، في مطلعه، حملة نابليون الفرنسية العسكرية على مصر، من هزة عنيفة في المشرق العربي، فكانت بداية تاريخ هذا الأدب العربي الحديث، فإن تاريخ الأدب في هذه البلاد لا يختلف في بداياته الزمنية، وإرهاصاته الأولى، عن تاريخ بداية الأدب العربي الحديث في تلك الفترة من القرن التاسع عشر الميلادي، الموافق للقرن الثالث عشر الهجري، إذ بدأت طلائع من أدباء هذه البلاد في ذلك القرن تظهر فيما يشبه الومضات المشرقة المضيئة وسط ظلام تلك الفترة وعتمتها القاتمة، إجتماعياً، وسياسياً، وثقافياً.

الإرهاصات الأولى

لم تكن أوضاع الحياة الإجتماعية، والأحوال السياسية، في عهد الدولة السعودية الأولى تسمح بظهور نشاط أدبي فعال، فقد كانت الفرقة، والشتات، والتنازع، عناصر اضطراب تتنازع الحياة العامة في هذه البلاد في تلك الفترة، كما كان الفقر المدقع وما نتج عنه من سوء الأحوال الإجتماعية من الأمور التي ساعدت على زيادة التخلف الثقافي آنذاك، بالإضافة إلى تردي الأوضاع العامة، وانعدام وسائل التعليم ودوره، إلا من جهود علماء الحرمين الشريفين في الحجاز، وعلماء المساجد في بقية المناطق الأخرى، كانت من أسباب التردي الواضح للنشاط الأدبي آنذاك. فلم تظهر سوى مؤلفات علماء الدين الإسلامي، مثل كتب الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبقية العلماء، رحمهم الله أجمعين.

أما في القرن الثالث عشر الهجري، فقد نعمت هذه البلاد ببعض فترات الإستقرار، التي ساعدت على ظهور نشاط علمي وأدبي محدود، كان يبشر بالخير، خصوصاً في عهد الإمام فيصل بن تركي، أعظم أئمة الدولة السعودية الثانية، و«هنالك إجماع بين مؤرخي نجد، الذين دوّنوا سيرة الإمام فيصل بن تركي، على القول: بأنه كان من الصفوة المختارة، وإنه كان يتمتع بمجموعة من المزايا والفضائل، قل أن اجتمعت لسواه، مما أكسبه مقاماً محموداً في نظر قومه، وجعلهم يندفعون في تأييده،

ويتسابقون إلى نصرته»[1] وكان من أولئك العلماء والأدباء، ومنهم شاعر ولد في الاحساء ونشأ بها، ثم اتصل بعلماء الدعوة وأئمتها، وآمن بفكرتها، فسار إلى نجد واتصل بإمامها آنذاك فيصل بن تركي، ونظم الشعر في تأييده وفي الرد على أعداء الدعوة. أما ذلك الشاعر فهو:

أحمد بن مشرف:

واسمه بالكامل هو: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف، وقد ولد في الاحساء، وربما كانت ولادته في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ونشأ بها، فتعلم على طريقة الأقدمين، ولكنه كما يبدو، أقبل بصفة خاصة على كتب الأدب وعلى شعر الأقدمين، فقد ظهرت آثار ذلك واضحة في شعره فيما بعد. ثم اتصل ابن مشرف بعلماء الدعوة، وأخذ عنهم، وأصبح من المؤمنين بفكرة الدعوة والمتحمسين للدفاع عنها، فسافر إلى نجد، واتصل بإمام الدولة السعودية الثانية في الرياض، الإمام فيصل بن تركي، وناصره بشعره، وظل وفياً له، حتى بعد وفاته، إلى أن أدركت الوفاة ابن مشرف في مسقط رأسه بالاحساء في سنة ١٢٨٥هـ، رحمه الله.

ولابن مشرف شعر كثير، جُمع وطُبع أكثر من مرة في ديوان، ضُمت إليه أشعار آخرين[2]. وبدراسة شعر ابن مشرف يمكن تصنيف موضوعاته في ثلاثة أقسام هي:

١ ـ شعر مساجلات في الدفاع عن الدعوة، والرد على أعدائها، وهو يشبه شعر المتون.

---

(١) «تاريخ الدولة السعودية»، تأليف أمين سعيد، ص ١٤٥.

(٢) ديوان أحمد بن مشرف، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

٢ ـ شعر في مدح الإمام فيصل بن تركي، وتأييده باعتباره الأمين على الدعوة، والحاكم باسمها.

٣ ـ شعر عام في موضوعات إجتماعية شتى، وفيه ملامح أصالة فنية ظاهرة.

ومن الناحية الفنية نجد في شعر ابن مشرف، (رحمه الله) كثيراً من ملامح الأصالة، ومحاولة الإبداع، كما نجد فيه ما يشير إلى مصادر ثقافته الأدبية من: القرآن، والحديث، وعيون الشعر العربي في عصوره المشرقة، قبل الإسلام، وفي صدر الإسلام، والعصرين الأموي والعباسي. إلا أن ابن مشرف، وهو ومضة مشرقة مضيئة، لم يقف عند حدود التقليد الحرفي للأقدمين، بل كان يضع بصماته الخاصة في شعره الذي يسير في نظمه على نهج الأقدمين. أي كان يضمن شعره بعض محفوظاته في بعض الأحيان، مع محاولاته الموفقة في إظهار مقدرته الشخصية، إلى درجة الإبتكار في أسلوب الأداء الفني أحياناً. وكانت لغة ابن مشرف في شعره سهلة واضحة، بعيدة عن التكلف والغريب أو الوحشي، والمهجور، مشرقة بغير إسراف في البديع وزخرف اللفظ الذي كان سائداً في شعر ذلك العصر، وصوره كانت مستلهمة من بيئة البلاد العربية وطبيعتها. إلا أنه كان في شعر الدفاع عن الدعوة ينظم بأسلوب المساجلة والمنافحة، ويقيم الدليل بطريقة تعليمية، تذكر بشعر المتون والشعر التعليمي. ومن ذلك قوله:

الشهب المرمية على المعطلة والجهمية

نفيتم صفات الله فالله أكمل ... وسبحانه عما يقول المعطل

زعمتم بأن الله ليس بمستو ... على عرشه والإستوا ليس يجهل

فقد جاء في الأخبار في غير موضع ... بلفظ «استوى» لا غير يا متأول

وقد جاء في إثباته عن نبينا ... من الخبر المأثور ما ليس يشكل
فصرح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل
يخافونه من فوقهم وعروجهم ... إليه وهذا في الكتاب مفصل[1]

وهذا الشعر من القسم الأول، من الأقسام الموضوعية الثلاثة، التي نظم فيها أحمد بن مشرف شعره. وهو يناقش في هذا الشعر قضية دينية خطيرة، ويرد على المعطِّلة والجهمية، بأدلة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، يشير إليها لتكون حجة عليهم.

أما القسم الثاني، من الأقسام الموضوعية الثلاثة لشعر أحمد بن مشرف، فهو مدح الإمام فيصل بن تركي ومناصرته، باعتباره الأمين على الدعوة والحاكم باسمها، ومنه قول ابن مشرف:

إذا أنت أزمعت المسير لتنجدا ... فلا تعد قصراً في الرياض مشيدا
بناه إمام المسلمين ولم يزل ... يؤسس ما يبني على الدين والهدى
ترى حوله الأضياف تلتمس القرى ... وقوماً يريدون المكارم والندى
فيرجع كل نائلاً ما يرومه ... من العدل والإحسان والفضل والجدا
كريم يرى للمعتفين إذا أتوا ... ومن يطلب المعروف، حقاً مؤكدا
تعود بسط الكف طبعاً وإنما ... لكل امرىء من دهره ما تعودا

ونلاحظ في مطلع هذه الأبيات تأثر ابن مشرف بأسلوب شعراء العصر الجاهلي في افتتاح قصائدهم بالحديث عن مكان وذكراه، وبذكر السفر والرحيل مثل قول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

---

(١) يعني كتاب الله عز وجل.
انظر ديوان أحمد بن مشرف..

فابن مشرف يجعل «قصراً في الرياض مشيدا»، مكان ذلك المنزل، الذي يبدأ حديث الشاعر عن السفر والترحال منه، فيخاطب نفسه، أو يوجه الخطاب لغيره، فيقول ما معناه: «إذا عزمت على السفر إلى نجد، فلا تفوتنك زيارة قصر الإمام في الرياض»، ثم يبيّن على الفور الأساس الذي يستحق الإمام المديح بسببه، وهو أساس: «الدين، والهدى»، ولأن الكرم والسخاء بالإنفاق من صفات المؤمنين المتقين، كما نص على ذلك القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: **﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾**[1]، فقد امتدح ابن مشرف الإمام فيصل على كرمه وسخائه، ولكنه اضطر، فيما يبدو إلى استخدام مترادفات وكلمات متقاربة في معناها، في تكرار، ربما قصد منه تأكيد ما يريد وصفه، ولكنه من الناحية الفنية كان يجمل به ألا يلجأ إليه، مثل تكرار المعنى الواحد في قوله: «المكارم والندى» ثم قوله: «من العدل، والإحسان، والفضل، والجدا» وفي البيت الذي قال فيه ابن مشرف عن الإمام فيصل:

تعود بسط الكف طبعاً وإنما ... لكل امرىء من دهره ما تعودا

تلمح فوراً أثر الشعر العربي في العصر العباسي في ثقافة ابن مشرف ومحفوظاته، التي استثمرها في شعره الخاص، فمزج في هذا البيت بين شاعرين من أشهر شعراء العرب في العصر العباسي، هما: أبو تمام، وأبو الطيب المتنبي، فقد ضمّن ابن مشرف في الشطر الأول من هذا البيت بعضاً من شعر أبي تمام في الخليفة العباسي المعتصم، في قول أبي تمام:

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢ و٣.

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

أما الشطر الثاني من بيت أحمد بن مشرف فهو بكامله شطر من بيت لأبي الطيب المتنبي في سيف الدولة، هو قول أبي الطيب المتنبي:

لكل امرىء من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

وفي هذا دليل على اجتهاد ابن مشرف، وحرصه على الإطلاع على عيون الشعر العربي القديم، على غير عادة أقرانه المقلدين للشعراء المتأخرين أمثال: الشاب الظريف وصفيّ الدين الحلي، والبوصيري.

وقد ظل أحمد بن مشرف وفياً للإمام فيصل بن تركي، حتى بعد وفاته، رحمهما الله، فقد رثاه معبراً عن شدة لوعته وحزنه على وفاته، فقال في رثائه:

على فيصل مجر الندى والمكارم بكينا بدمع مثل صوب الغمائم
تغمده المولى الكريم برحمة وأسكنه الفردوس مع كل ناعم

ونلاحظ تكرار الصفات التي ذكرها ابن مشرف في مدح فيصل بن تركي حياً، مثل «الندى والمكارم».

أما الغزل فقد ورد في شعر ابن مشرف في مطالع قصائده، على طريقة قدامى الشعراء العرب، وبصفة خاصة في شعر القصائد الطوال «المعلقات» في العصر الجاهلي، ومن ذلك قول ابن مشرف في مطلع قصيدة له مدح بها الإمام فيصل:

نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها بصبح جمال تحت ليل الذوائب[1]

---

(١) صبح جمال: تشبيه للوجه المنير بالصبح المشرق، أما ليل الذوائب فتشبيه لذوائب شعرها الأسود بسواد الليل، فيتلألأ الوجه الأبيض تحت ذوائب الشعر الأسود.

فتاة تفوق الغانيات بحسنها | كما فاق بدر التم زهر الكواكب[1]
فما للمعنى لا يهيم بذكرها | وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب[2]
تناءت فزارت سحرة بعد هجعة | وقد نام عنها كل واش مراقب[3]
تنم برياها الصبا حين أقبلت | تميس كغصن البان أو مثل شارب[4]
فحَيَّتْ بتسليم أحْسَنْتُ رَدَّه | وقلت لها قول المحب المعاتب
صليت بنار الهجر أحشاء مولع | فلم يطفها ماء العيون السواكب
فقالت ألم تعذر فكم حال بيننا | من المهمهة الزيزى أو بعد السباسب[5]

أما شعر أحمد بن مشرف في الموضوعات العامة، فإنه يبدو فيه أكثر تحرراً في أسلوب الأداء الفني، وأكثر ميلاً إلى الإبداع والإبتكار، ولكنه، حتى في هذا الجانب ينطلق من التراث القديم، وكأنه يتجاوب مع حركة الإحياء، التي انطلقت في بلاد الشام منذ عهد ناصيف اليازجي، وفي مصر منذ عهد الشاعر الشهير محمود سامي البارودي، وكان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، الموافق للقرن الثالث عشر الهجري.

فمن شعر أحمد بن مشرف، في هذا الجانب، مقطوعة له من

---

(١) بدر التم: القمر بدراً في تمامه، زهر الكواكب: النجوم البعيدة.
(٢) الوجد: شدة الشوق.
(٣) تناءت: بعدت: زارت سحرة، زارت وقت السحر وهو آخر الليل، بعد هجعه، بعد نومه.
(٤) تنم برياها: تفضح برائحتها، الصبا: الريح الطيبة الرائحة، غصن البان: غصن شجر رفيع يتمايل متراقصاً مع الريح، مثل شارب: مثل تمايل السكران من الشراب.
(٥) المهمهة: المهمهة وهي المفازة والصحراء البعيدة، الزيزى، أو الزيزاء، أو الزازية هي: الأرض الغليظة الصخرية، السباسب أو السبسب هي: المفازة أو الأرض القفر البعيدة. (المؤلف)

الشعر القصصي، الرمزي على ألسنة الحيوانات، تنم فوراً عن تأثر ابن مشرف بقصص «كليلة ودمنة» التي ترجمها إلى العربية في العصر العباسي الأول عبد الله بن المقفع، فقد اختار أحمد بن مشرف قصة من قصص ذلك الكتاب القديم، هي قصة «الحمامة المطوقة» وحورها ونظم معناها قصة شعرية، قال فيها من «مجزوء الرجز»:

فأبصروا على الثرى ... حبا منقى نثرا

فأحمدوا الصباحا ... واستيقنوا النجاحا

فأسرعوا إليه ... وأقبلوا عليه

حتى إذا ما اصطفوا ... حذاءه أسفوا

فصاح منهم حازم ... لنصحهم ملازم

مهلاً فكم من عجلة ... أدنت لحي أجله

تمهلوا لا تقعوا ... وأنصتوا لي واسمعوا

آليتكم بالرب ... ما نثر هذا الحب

في هذه الفلاة ... إلا لخطب عاتي

إني أرى حبالا ... قد ضمنت وبالا

وهذه الشباك ... في ضمنها هلاك

فكابدوا المجاعة ... وانتظروني ساعة

حتى أرى وأختبر ... والفوز حظ المصطبر

فأعرضوا عن قوله ... واستضحكوا من حوله

قالوا وقد خط القدر ... للسمع منه والبصر

ليس على الحق مرى ... حب معد للقرى

ألقى على التراب ... للأجر والثواب

ما فيه من محذور ... لجائع مضرور

اغدوا على الغذاء ... فالجوع شر داء

فسقطوا جميعاً للقطة سريعا
فوقعوا في الشبكة وأيقنوا بالهلكة [1]

وملخص هذه القصة، التي صاغها ابن مشرف شعراً، هو أن سرباً من الحمام، أغراه حب منثور على الأرض، لصياد من بني البشر، بالوقوع في شباكه، وتجاهلوا نصيحة «حازم» منهم، «لنصحهم ملازم» فوقعوا في الهلكة، نتيجة العجلة، ثم استعانوا بفأر، صديق لهم، قرض الشبكة، بعد أن وحدوا جهودهم، وجمعوا قوتهم فرفعوها مجتمعين، وحطوا بها عند ذلك الفأر، صديقهم الذي ساعدهم على النجاة. وربما يكون ابن مشرف قد رمز بهذه القصة إلى فرقة المسلمين، وعدم سماعهم لنصائح المخلصين من الدعاة إلى وحدتهم.

أما من الناحية الفنية، فإننا نرى كيف أن ابن مشرف لم يلتزم بقافية واحدة، رغم التزامه ببحر من بحور الشعر، هو مجزوء الرجز، ولكن بطريقة شبه مبتكرة، وفي هذا مزاوجة بين القديم ومحاولة التجديد. ونلاحظ سهولة المفردات، ووضوح الصورة، والمعاني والتراكيب اللغوية، التي استخدمها ابن مشرف في أبياته هذه، بصورة تدل على أصالته الفنية، في عفوية التعبير بلا تكلف أو تصنع يفسد عليه جماله.

ومن شعراء الإرهاصات الأولى في الحجاز، في تلك الفترة من القرن الثالث عشر الهجري، الشاعر:

إبراهيم الأسكوبي:

وهو شاعر من المدينة المنورة، واسمه إبراهيم بن حسن بن

---

(١) ديوان أحمد بن مشرف.

حسين الأسكوبي، ولد بالمدينة المنورة في سنة ١٢٦٩هـ، وتوفي بها سنة ١٣٢٢هـ رحمه الله[١].

وقد نشأ الأسكوبي، وتعلم على طريقة أقرانه، في الكُتَّاب، ثم في حلقات الدرس على أيدي المشائخ من علماء المسجد النبوي الشريف، ثم انكب على كتب الأدب العربي، ودواوين الشعر القديم، فكون من إطلاعه عليها، وتزوده منها، زاداً، فجر مواهبه الشعرية، التي تفتحت منذ صباه، ثم نمت بثقافته، واتسعت بأسفاره، حيث سافر إلى لبنان للتداوي، فاتصل بكثير من أدبائه وشعرائه، كما اطلع فيه على كثير من مستحدثات الحضارة، ووسائل الحياة الحديثة، في ذلك العصر، وأعجب بها، فوصفها في شعره، كما فعل في مزدوجة شعرية نظمها وقارن فيها بين «وابور البحر» أي السفينة البخارية، وبين «وابور البر» القطار، الذي رآه آنذاك لأول مرة.. ومما قاله الأسكوبي في تلك المزدوجة عن السفينة أو «وابور البحر» قوله:

دقلانه يخترق السحابا   وأصله وسط العباب غابا
في ذيله أذن ترى العجابا   تفهم أخفى السر والخطابا
سامعة مجيبة في آن

وفي تلك المزدوجة قال الأسكوبي عن القطار، أو «وابور البر»:

لما تقرب رأى قطارا   وأبصر المقدم الجرارا
يدوي دوي النحل حين ثارا   مدخناً ذا زفرة زآرا
وخلفه سطر من البنيان[٢]

---

(١) «الموسوعة الأدبية» تأليف عبد السلام طاهر الساسي، الجزء الأول، ص ١ وما بعدها.
(٢) «التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية»، تأليف عبد الله عبد الجبار، ص ١٣٩.

ولا شك أن قيمة هذه المزدوجة، من حيث موضوعها، أكبر من قيمتها الفنية وأسلوب نظمها، فهي دليل تأريخي، على بداية تعرف سكان المدينة، على هذه المستحدثات الحضارية، أثناء سفر بعضهم إلى خارج الحجاز، مثل الأسكوبي، الذي سافر إلى لبنان، فرأى فيه وسائل الحياة الحديثة ووصفها لأول مرة في شعر تعرف من خلاله أهل الحجاز على تلك الوسائل الحضارية الحديثة.

والقيمة التاريخية هي أهم ما يتميز به شعر إبراهيم الأسكوبي، بصفة عامة، وبصفة خاصة شعره السياسي، الذي يعتبر الأسكوبي أول من خاض غمار تجربته، من بين شعراء عصره في هذه البلاد.

فلقد استاء الأسكوبي للأوضاع المتدهورة، والأحوال السيئة، التي آلت إليها البلاد الإسلامية وشعوبها، في عهد حكامها من آل عثمان آنذاك، ورأى بثاقب نظره، وصدق إيمانه، وإخلاصه لأمته، أن يقوم بواجب النصيحة، التي رفعها في صيغة خطاب مباشر إلى «آل عثمان»، قادة الأمة آنذاك، وشرح لهم فيها أسباب التخلف الحقيقي الكامنة في البعد عن حقيقة الإيمان، وعدم التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والإنبهار بأضواء أوروبا النصرانية، ونسيان ماضيها مع السلف، وتصديق دعاويها المغرضة بأن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين، مع بيان كيف أن أوروبا، رغم كفرها بالإسلام، قد استلهمت كثيراً من تعاليمه في صنع حضارتها الحديثة «فحمدت كفراً به المسرى» كما قال، «من بحر البسيط»:

يا آل عثمان، فالمغرور من غرا	بأهل أوربة أو عهدهم طرا
أتأمنون لموتورين ديدنهم	أن لا يروا منكم فوق الثرى حرا
تمالؤا، فخذوا حذراً فإنهموا	يرون إبقاءكم بين الورى ضرا

فهذه دولة الطليان حين رأت أسطولكم ليس يفنى فاجأت غدرا

وشقت البحر بالأسطول معجبة تختال تيهاً به، مغرورة سكرى

لا تحسبوا أنهم ناسون ما فعلت أسلافكم بهم في سالف مرا

أيقظتموهم بضرب الهام فانتبهوا من نومهم ورقدتم أنتم الدهرا

فجمعوا عدداً للحرب فاتكة براً وبحراً، فجاسوا البر والبحرا

ظننتموا أن دين الله أخركم عنهم، وهم حمدوا كفراً به المسرى

لا تظلموا رحمة للعالمين أتت هدت إلى حكم عظمى، جرت نهرا

فلو عملتم بها، ما فاتكم أحد سبقا، ولا أحد يوماً بكم أزرى

تذكروا، كم خطيئات لكم سلفت بها، تأخرتموا عنهم، أبت حصرا

تالله! تالله: إن لم تسمعوا الذكرى مالوا عليكم، فلم يبقوا لكم ذكرا

نعم الشفاء بقرآن الإله إذا قبلتموه، وإلا فاسكنوا القبرا

إن تنصروا الله ينصركم، فكم فئة قليلة غلبت أضعافها كثرا[1]

وبسبب هذه الأبيات القوية في معناها، الشجاعة في توجيهها، والتي نشرها الأسكوبي في صحيفة «البلاغ» البيروتية، وقد أحدثت ضجة كبرى، استدعته الحكومة العثمانية إلى الآستانة «اسطنبول» وبعد تحقيق دقيق معه، تبينت دوافعه المخلصة وحسن نواياه، فعرض عليه منصب كبير، ولكنه رفضه، وفضل العودة إلى وطنه، في المدينة المنورة، متفرغاً للعلم والأدب، إلى أن لقي ربه، عليه رحمة الله تعالى.

وفي هذه الأبيات السياسية للأسكوبي نجد أسلوباً جديداً في إثارة قضايا، وحقائق تاريخية، من تاريخ العلاقات الإسلامية الأوروبية، وتوظيفها لخدمة موضوعه الأساسي، وكأنه بذلك يتجاوب مع الإتجاه

(١) «الموسوعة الأدبية»، تأليف عبد السلام طاهر الساسي، الجزء الأول، ص ٦ ـ ٩.

الرومانسي، الذي ظهر في الأدب الأوروبي آنذاك، وجعل فيه رواده من إثارة حقائق التاريخ في الأعمال الأدبية أسلوباً من أساليب الأداء الفني في الأدب. فالأسكوبي ذكر في أبياته هذه آل عثمان بما كان بين أسلافهم وبين أوروبا المسيحية من مواقف وحروب، استيقظت خلالها أوروبا على ضربات المسلمين، وجمعت قواها في «أحلاف مقدسة» ضد المسلمين، الذين «رقدوا» للأسف، كما أشار إلى ذلك الأسكوبي في شعره، وكان على حق فيه.

ثم هب الأسكوبي، المسلم المؤمن، يدفع عن «دين الله» القويم تهم التخلف، مذكراً آل عثمان، بصفة خاصة، والمسلمين بصفة عامة، أن أوروبا المسيحية، على كفرها بالإسلام ديناً، فإنها قد استلهمت من تعاليمه كثيراً من مقومات حضارتها الحديثة، فكان الأوروبيون المسيحيون بذلك «قد حمدوا بالإسلام مسراهم رغم كفرهم به» كما قال:

ظننتموا أن دين الله أخركم عنهم، وهم حمدوا كفراً به المسرى

وهذه الإشارة من الأسكوبي تدل على سعة إطلاعه، وإيمانه، في ذلك الوقت، حيث إن الدراسة قد أثبتت فعلاً أن كثيراً من أسس الحضارة الأوروبية الحديثة كان مستلهماً من تعاليم الإسلام وحضارته المشرقة، التي أخذها الأوروبيون عن المسلمين، واستفادوا منها، رغم كفرهم بدين الإسلام، ولذلك فإن الأسكوبي في نصيحته هذه، يؤكد أن الخطأ في تصرفات المسلمين وليس في دينهم، وأنه بالتمسك بأهداب الدين والسير على هداه يفلح المسلمون المؤمنون، ولن يسبقهم أحد في السبق الحضاري، بإذن الله.

ولا شك أن هذه المعاني، بهذا الصدق والوضوح، وبهذا الأداء، تعتبر ومضة مضيئة في فترة الإرهاصات الأولى، في أدب هذه البلاد، في القرن الثالث عشر الهجري.

أما في الجنوب، فقد كان في منطقة «المخلاف السليماني»، أي منطقة جازان، عدد كبير من الأدباء في تلك الفترة، تحدث عنهم، بتفصيل وشمول، الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، في الجزء الأول من كتاب «الأدب والأدباء في منطقة جازان»، ومن أبرز أدباء الإرهاصات الأولى في جنوب البلاد، الشاعر:

حسن بن خالد الحازمي[1]:

وقد ولد في ضمد، بالمخلاف السليماني، وهي منطقة جازان الحالية في جنوب المملكة العربية السعودية، وكانت ولادته في سنة ١١٨٨هـ، وهو من عشيرة الحوازمة، من بيت علم وسيادة وأدب، نشأ في موطنه، وتعلم مبادىء القراءة والكتابة، وحفظ بعض سور القرآن الكريم، ثم التحق بعد ذلك بحلقة دروس عالم المخلاف السليماني، في عصره، الشيخ أحمد عبد الله الضمدي، فتلقى عنه علوم الفقه، والقراءات، والحديث، والنحو والصرف، وأقبل بصفة خاصة على علوم القرآن واستزاد منها.

وفي سنة ١٢١٤هـ، حينما كان حسن بن خالد الحازمي في السادسة والعشرين من عمره، كانت أجزاء كبيرة من منطقة جازان خاضعة للدولة السعودية، بعد أن انتشرت الدعوة السلفية بين معظم سكان تلك المنطقة، وبدأ حسن بن خالد الحازمي يشارك في الحياة السياسية والمعارك العسكرية، ثم تولى الوزارة في منطقته فيما بعد، وواجه الأتراك مواجهة عسكرية شجاعة، مات في نهايتها قتيلاً في سنة ١٢٣٤هـ، رحمه الله، بعد صبر وثبات وإقدام، وقيل إنه قتل في سنة ١٢٢٥هـ.

---

(١) انظر ترجمته الوافية في كتاب: «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان»، تأليف محمد بن أحمد العقيلي، الجزء الأول، ص ٨٦ وما بعدها.

وكما كان حسن بن خالد رجلاً من رجال السياسة والشجاعة العسكرية في الجنوب، فقد كان كذلك من أدباء تلك المنطقة، بل ومن الومضات الأدبية المشرقة في الإرهاصات الأولى للأدب في هذه البلاد، في القرن الثالث عشر الهجري. ومن آثاره في التآليف التي ذكرها محمد بن أحمد العقيلي:

١ ـ شرح على أرجوزة عمدة الأحكام لعبد الله بن محمد الأمير، لم يكمل.

٢ ـ شرح أرجوزة علامة المدينة المنورة الشيخ محمد سعيد سفر.

٣ ـ رسالة في حكم البسملة.

٤ ـ رسالة «قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب».

٥ ـ رسالة في وجوب هدم المشاهد والأضرحة.

وكما نلاحظ فإن هذه المؤلفات ليست أعمالاً أدبية فنية، بل هي دراسات دينية في الدرجة الأولى.

أما شعر حسن بن خالد الحازمي، فقد ذكر له أحمد بن محمد العقيلي، في مدح أمير منطقته في عصره، قوله، من «التشجير» أي «التفويف»[١].

هل الروض معمور بأسنى المطالب ... وهل زرت سلعاً في بدور صواحب
وهل آض روض الحي من بعدما ذوى ... فأصبح مجاجاً سليم المعاطب

(١) التفويف: أسلوب من أساليب الأداء الشعري، يأتي فيه الشاعر بمعان مختلفة، من المديح أو غيره، في جمل منفصلة عن بعضها، مع ما يساوي الجمل في الوزن. (المؤلف).

وهل بت ترقى في المعارج مصعدا   إلى نحو بدر التم محمي الجوانب

فغرتها أبهى من الشمس إذ بدت   بنور مضيء لا كشمس المغارب

ويبدو أن انشغال حسن بن خالد الحازمي بالأمور السياسية والعسكرية في منطقته، لم يمكنه من بلوغ منزلة ابن مشرف، أو الأسكوبي، في الشعر.

كما ذكر العقيلي أسماء آخرين في منطقة جازان، في تلك الفترة، التي اعتبرناها فترة الإرهاصات الأولى، منهم أدباء من آل الحكمي، وآخرون من آل البهكلي، من الأسر المعروفة في منطقة جازان[١] ولكن العقيلي، أطلق على شاعر واحد هو الشاعر خيري زمار، دون سواه، لقب شاعر جازان وأديبها في القرن الثالث عشر الهجري، بيد أن العقيلي لم يذكر ترجمة لهذا الشاعر، كما أن النموذجين الوحيدين، اللذين سجلهما له من شعره لا يدعمان اللقب الذي أطلقه العقيلي عليه[٢].

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتاب: «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان»، تأليف محمد بن أحمد العقيلي، الجزء الأول، ص ١٠٣ وما بعدها، وص ١١٠ وما بعدها.

(٢) «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان»، تأليف محمد بن أحمد العقيلي، الجزء الأول، ص ١٣٦.

المخضرمون

المخضرمون، صفة، نطلقها هنا، مجازاً، على أولئك الذين عاشوا في هذه البلاد فترتي: التخلف، في عهد الفرقة، والتمزق، والشتات، ثم: النهضة، في عهد التأسيس، والتوحيد، والسنوات الأولى لإعلان جميع أقطار هذه البلاد دولة واحدة موحدة، هي: المملكة العربية السعودية. ولأهمية تلك الفترة المزدوجة، التي عاشها أولئك المخضرمون، فإن التعرف على الأدباء منهم، والبحث عن تراثهم الأدبي، الشعري والنثري، ودراسة جميع ما يؤثر عنهم من إنتاج فكري، يعتبر من واجبات استكمال تاريخ هذه البلاد، في مرحلة الإنتقال الحضاري العظيم، من عهد التخلف، والجهل، والظلام، إلى عهد التقدم، والعلم، والنور، بعد جهاد شاق، تكلل بفضل الله وحسن توفيقه عز وجل بالنصر، وتحقيق أعظم وحدة عربية في العصر الحديث، في هذه البلاد.

ولأن كثيراً من أولئك المخضرمين كانوا يتنقلون في أطراف بلاد العرب، شرقاً، وجنوباً، فإن دراسة تراثهم الأدبيَ، تكشف عن كثير من الحقائق، المتصلة بوحدة أبناء شبه جزيرة العرب، في أقطار هذه المملكة، من جهة، وفي أقطار دول الخليج العربي، شرقاً، واليمن، وجنوب اليمن، جنوباً، من جهة أخرى.

وبالإضافة إلى أهمية البعد التاريخي، في تراث أولئك

المخضرمين، فإن التعرف على أسلوب الأداء الفني في تراثهم، سوف يكشف لنا عن مصادر ثقافتهم، وعن التيارات الأدبية، الفكرية والفنية، التي مرت بهم، أو تعرفوا عليها، وعن مدى تجاوبهم معها، وتأثيرها فيهم، أو تأثيرهم فيها، وعن نتيجة ذلك التفاعل في التطور الفني والموضوعي للأدب في هذه البلاد، في عهد تحولها التاريخي الحاسم.

ولعل أهم الفوارق الجوهرية بين أدباء الإرهاصات الأولى، وبين الأدباء المخضرمين، تظهر في أن الممارسة الأدبية الحقيقية لأدباء الإرهاصات الأولى كانت في نظم الشعر، وتخلفهم في الأجناس النثرية، أو التأليف في موضوعات أدبية خالصة، بينما تميز المخضرمون من أدباء هذه البلاد بالتأليف الجاد في موضوعات الدراسات الأدبية والتحقيق، خصوصاً بعد أن احتك هؤلاء المخضرمون بكثير من أدباء البلدان العربية الأخرى، إما مباشرة، أو بالإطلاع على كتاباتهم، ومن مشاهير أولئك الأدباء المخضرمين:

محمد بن عبد الله بن بليهد:

وهو أديب من كبار المؤلفين المحققين، وشاعر من شعراء نجد المخضرمين، ورجل دولة من رجال الملك عبد العزيز، وعاش إلى سنة ١٣٧٧هـ حين وافته المنية، رحمه الله. وابن بليهد من أبناء إقليم الوشم بنجد، ولد بقرية «غسلة» ولا يُعرف تاريخ مولده، على وجه التحديد، ولكنه ربما كان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، أو في مطلع القرن الرابع عشر، ونشأ هناك، فتعلم على طريقة الأقدمين، ثم اتصل بعلماء نجد، فأخذ عنهم، ولكنه انكب على كتب الأدب والشعر، فتزود منها بزاد علمي ثقافي، نمى مواهبه، فنظم الشعر، في اللغة العربية الفصحى، وفي لهجة أهل نجد الدارجة فيما يعرف باسم «الشعر النبطي»، ومع

أهمية ما تركه ابن بليهد من شعر، إلا أن قيمة مؤلفاته في الدراسات الأدبية والتحقيق، تفوق بكثير قيمة شعره، الفصيح والنبطي على حد سواء.

فقد عكف الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، رحمه الله. على التأليف في تحقيق الأماكن، التي ورد ذكرها في الشعر العربي القديم، فأصدر كتاباً ضخماً فيه من الجهد، والدقة، والوضوح، ما يذكر بكبار محققي الأماكن في التراث القديم، مثل: ياقوت الحموي، والبكري، بل إن بليهد صحح أخطاء كثيرة وقع فيها المحققون القدامى، وذلك في كتاب ألفه بتوجيه من الملك فيصل بن عبد العزيز، الذي كان آنذاك (رحمه الله) أميراً ونائباً لوالده على الحجاز، وعنوان ذلك الكتاب هو: «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» وقد أشار ابن بليهد في مقدمته، إلى أن الذي أشار عليه بتأليفه هو الملك فيصل، الأمير ونائب الملك آنذاك، رحمهم الله أجمعين، ويبدو أن الأستاذ حمد الجاسر، كان على خلاف علمي في ذلك التحقيق، مع مؤلفه الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، الذي ألمح إلى ذلك الخلاف، في أكثر من موضع في ذلك الكتاب، الذي بدأه بدراسة القصائد الجاهلية، ثم أتمه بتتبع الأماكن الواقعة على الطريق بين نجد والحجاز في الشعر القديم، والحديث، مستعيناً في بعض الأحيان أيضاً بشواهد من الشعر النبطي.

وكان ابن بليهد، رحمه الله، أول من عنى، في عهده، بتحقيق موقع سوق عكاظ الشهيرة في الأدب العربي القديم، كما حقق الشيخ محمد بن بليهد كتاباً من كتب تراث بلاد العرب، هو كتاب «تحقيق صفة جزيرة العرب» للهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩هـ.

أما شاعرية ابن بليهد، فقد تفتحت وهو في الثانية عشرة من عمره،

ولكنه بدأ بنظم الشعر النبطي باللهجة النجدية الدارجة ثم اتجه بعد ذلك إلى نظم الشعر العربي الفصيح.

وقد جمع شعر ابن بليهد، وطبع، وصدر في ديوان، بعنوان: «إبتسامات الأيام في انتصارات الإمام» ولكن شعره، كما أسلفنا، ليس في مستوى دراساته وتحقيقاته، فهو في الأغلب الأعم شعر تقليدي، كان يعني فيه ابن بليهد بالشكل، والتلاعب بالحروف والألفاظ، في زخرف لغوي، على حساب المعنى، في كثير من الأحيان، على طريقة شعراء تلك الفترة، وما سبقها، في العصرين العثماني والمملوكي. ومن أساليب ذلك التلاعب بالحروف، من أجل الزخرف اللغوي للشكل، أن يمدح الشاعر من يمدح، ملتزماً في بداية كل بيت بحرف من حروف اسم الممدوح، كما فعل محمد بن بليهد في قصيدة مدح بها الملك فيصل، حينما عينه والده نائباً له على الحجاز في سنة ١٣٤٥هـ، إذ جعل كل بيت من أبيات تلك القصيدة يبدأ بحرف من حروف اسم الملك فيصل، إذ قال ابن بليهد:

فتى السعد باد والعيون تراقبه	ولاحت على أفق الحجاز كواكبه
يبارين من نال المكارم والعلا	وقد عرفت في العالمين مناقبه
صبا نجد هبى في الحجاز فإنه	على أهله أمن وطابت مشاربه
لعمري لقد نال الحجاز بفيصل	ومقدمه أنساً تتم مآربه[1]

ونلاحظ أن كلمات «فتى» و«يبارين» و«صبا»، و«لعمري» يشكل مجموع حروفها الأولى اسم: «فيصل». ومع حرص ابن بليهد على هذا

(١) ديوان «إبتسامات الأيام في إنتصارات الإمام»، ص ١٢٨، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٠هـ.

الأسلوب الشكلي، قل تركيزه على المعاني، التي جاءت باهتة، لم ترق إلى درجة حدث عظيم، هو توحيد نجد والحجاز، وتعيين الملك عبد العزيز ابنه فيصل نائباً له في الحجاز، رحمهم الله أجمعين. وديوان ابن بليهد افتتحه الشاعر بمقدمة نثرية جميلة رصينة، تؤكد مرة أخرى، ما سبق أن قلناه، بأن نثر ابن بليهد أرفع درجة من شعره، من الناحيتين، الفنية، في الصياغة والأسلوب، الموضوعية، في تناول القضايا الفكرية والأدبية، والتراثية.

وكما كان الشيخ محمد بن بليهد من رجال الدولة في عهد الملك عبد العزيز، فإنه، رحمه الله، قد خصص معظم شعره لمدح الملك عبد العزيز، وابنيه: سعود، وفيصل. وضم ابن بليهد إلى ديوانه شعره النبطي، ومختارات من عيون هذا الشعر في لهجة نجد الدارجة. ولأن الشيخ محمد بن بليهد كان في حياته كثير السفر والتنقل، تارة للعمل، وأخرى للبحث والتحقيق، وثالثة للعلاج، فإن لأسفاره ورحلاته تلك آثارها التي سجلها في شعره. فقد كتب شعراً في وصف الممرضات، اللاتي أشرفن على علاجه في مصر، وتغنى بجمالهن. كما أشاد بالمستوى العلمي، الذي كانت قد بلغته مصر آنذاك، خصوصاً وأنه كان قد زارها، طلباً للعلاج على أيدي أطبائها المهرة، وفي مستشفياتها الحديثة في تجهيزاتها الفنية، آنذاك. ومن شعر ابن بليهد في الإشادة بالمستوى العلمي الرفيع، الذي بلغته مصر في عهده، قوله:

العلم ألقى بوادي النيل أرحله   حتى تسنم فيه أرفع السور[1]

---

(١) ديوان «إبتسامات الأيام في إنتصارات الإمام»، لابن بليهد، ص ٢٧٠، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٠هـ.

أما نثر الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، فنقتطف منه هنا بعض ما كتبه في مقدمة كتابه، الذي أسماه: «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار»، إذ كتب يقول:

«ومن النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى مجهولة تلك الأماكن، التي انطلقت فيها قرائح أولئك الشعراء، وأن تظل مغمورة هذه الأجواء، التي سبحت فيها أخيلتهم، وسلس لهم فيها قياد القول، وتفجرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم، هذه الأماكن، التي تكون البيئة الطبيعية التي درج فيها العربي الأول، يناغم كثبانها، ويضرب في صحاريها الفسيحة، ويستظل بسمائها الصافية، ويهتدي بنجومها الزاهرة، راضياً بذلك، قرير العين به، صابراً على ما يكابد من شظف العيش، وقلة وجوه الإكتساب، مكتفياً بأنه يعيش في منازل آبائه وأجداده، وفيها مجالس أنسهم، ومسارح لهوهم، ومعترك حروبهم، وفيها نواديهم، التي كانوا يتنافرون فيها ويتفاخرون.

ومن النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى تلك الأماكن مجهولة، وما فيها مكان إلا له ذكريات تهز مشاعر العربي الصميم، وتبعث في نفسه ألواناً من البطولة والمغامرة والإقدام، لأنها تقترن بمجد العرب، وحضارتهم، ولغتهم، وآدابهم، والعرب هم أولئك الذين نزل كتاب الله تعالى بلغتهم، وبعث أشرف الخلق ﷺ من أنفسهم، فطافوا بأرجاء العالم المعروف لهم يومئذ، يحملون مشاعل النور للإنسانية، وزعماء للإصلاح في مختلف نواحي الحياة، بما أوحى إليهم دينهم، وما حباهم الله من فطرة صافية، ومنطق عذب، وقوة دائبة، يباركها الإخلاص في نشر ذلك المبدأ السامي العظيم، حتى دانت لهم المشارق والمغارب، وأحدثوا ذلك التطور الخطير المفاجىء: في العقيدة، والتفكير،

والإجتماع، قال عطاء بن أبي رباح فقيه الحجاز، لما وفد على سليمان بن عبد الملك: «يا أمير المؤمنين، إن أهل الحجاز ونجد هم أصل العرب، ومادة الإسلام، دوخوا الجبابرة، وفتحوا الأمصار، وأعز الله بهم الإسلام، وأحب أن تضع صدقاتهم في فقرائهم» فأعطاه ذلك.

وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد ناطقة على ما وصلت إليه الأمم من تقدم، في الصناعة، والذوق، ومقاييس الحياة، فيجدر بنا أن ننقب عن البيئات الطبيعية ـ بقدر الإمكان ـ بل نشاهدها عياناً ـ إذا استطعنا ذلك ـ لنقف على مدى ما أثر في الفكر العربي في تلك العصور، ولنكشف تلك المساتير المغلقة، فلا تظل مطوية على تعاقب الأجيال، فقد نجد في دراسة تلك البيئات ومشاهدتها واستيحائها ثروة فكرية لا يقدر قدرها، ومثل علماء الفكر، كمثل علماء الطبيعة، والإقتصاد، يجد كل واحد منهم بغيته في البحث، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها، في العصر الحاضر، وقد اكتشف في أحشائها، من معادن مطمورة، لفتت إليها الأنظار، بعد أن كانت لا تثير من الناحية الإقتصادية أدنى اهتمام»[1]. رحم الله الشيخ محمد بن عبد الله بليهد، فقد كان أديباً بحاثة وعالماً فذاً في الدراسات الأدبية.

ومن أبرز أولئك الأدباء المخضرمين الشاعر الشيخ:

محمد بن عبد الله بن عثيمين[2]:

وهو شاعر تمثلت في جياته (رحمه الله) وحدة الخليج العربي،

---

(١) «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار»، تأليف محمد بن عبد الله بن بليهد، الجزء الأول، ص ٣٠٢، (ط ٢)، الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٢) انظر تفاصيل ترجمته في ديوانه، ص ٩ وما بعدها.

الذي عاش متنقلاً بين أقطاره، قبل أن يستقر به المقام في وطنه في حمى الملك عبد العزيز (رحمه الله).

ولد محمد بن عبد الله بن عثيمين سنة ١٢٧٠هـ في بلدة «السلمية» من أعمال «الخرج» جنوبي مدينة «الرياض»، وانتقل إلى جوار ربه سنة ١٣٦٣هـ. وكانت نشأته الأولى يتيماً عند أخواله في «الخرج» أما موطن آبائه فهو «حوطة بني تميم» وقد نشأ ابن عثيمين في مسقط رأسه «السلمية»، وتعلم، على طريقة أقرانه، في كتاب القرية، وحفظ القرآن الكريم، فكان أساس ثروته اللغوية والأدبية. ثم اتصل ابن عثيمين بعلماء الدعوة السلفية، وتتلمذ عليهم في التوحيد والفقه. ثم رحل محمد بن عبد الله بن عثيمين بعد ذلك إلى «أم القوين» على الخليج، واتصل بعالمها الشيخ أحمد الرجباني وتتلمذ عليه، وانتقل بعد ذلك إلى «قطر» وتتلمذ فيها على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، ثم عاد ابن عثيمين إلى نجد، وتتلمذ فيها على بعض علمائها، ومنهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق. وهكذا كان محمد بن عبد الله بن عثيمين في تكوينه العلمي يجمع وحدة أقطار الخليج العربي في ثقافته، منذ عهد مبكر. ويبدو أنه كان قد اطلع على كتب الأدب العربي والشعر في أزهى عصوره، وتزود منها، كما يدل على ذلك شعره، الذي نظمه منذ مطلع شبابه، وكان في بداية نظمه للشعر يعيش في كنف آل ثاني، حكام قطر، ويتبادل نظم الشعر «النبطي» مع أحد أفراد تلك الأسرة من أنداده. ثم نظم الشعر في آل ثاني الذين أكرموا وفادته، وعاملوه كأنه واحد منهم. ثم اشتغل ابن عثيمين بتجارة اللؤلؤ، وسافر إلى البحرين مراراً، فاتصل بآل خليفة، حكام البحرين، ونال الحظوة عندهم، ونظم الشعر فيهم.

ولكن محمد بن عبد الله بن عثيمين كان يتشوق دائماً لوطنه،

ويتمنى كغيره من المخلصين، أن يوفق الله سبحانه وتعالى لهذه البلاد، من يقضي على التخلف فيها، ويحول فرقتها وشتاتها إلى وحدة وتماسك، ليستتب الأمن في ربوعها، ولينصرف بنوها للبناء والعلم.

فلما رأى ابن عثيمين حلمه يتحقق على يدي الملك الباني والمؤسس عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) عاد ابن عثيمين إلى وطنه، وعاش في حمى مليكه، وقد بدأ اتصاله به، بعد أن تحقق له النصر المؤزر في معارك الاحساء والقطيف، في شهر جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ، ذلك النصر، الذي رأى فيه الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين فاتحة خير وبركة على هذه البلاد وأهلها، فقال مهنئاً الملك عبد العزيز رحمه الله:

العز والمجد في الهندية القضب ... لا في الرسائل والتنميق للخطب[١]
تقضي المواضي فيمضي حكمها أمما ... إن خالج الشك رأى الحاذق الأرب[٢]
وليس يبني العلا إلا ندى ووغى ... هما المعارج للأسنى من الرتب[٣]
ومشمعل أخو عزم يشيعه ... قلب صروم إذا هم لم يهب[٤]
لله طلاب أوتار أعد لها ... سيراً حثيثاً بعزم غير مؤتشب[٥]
ذاك الإمام الذي كادت عزائمه ... تسمو به فوق هام النسر والقطب[٦]

---

(١) الهندية: صفة لنوع قديم معروف من السيوف، كان يصنع في الهند، القضب: جمع قضيب، وهو السيف القاطع، التنميق: التذويق والتحسين.

(٢) المواضي: جمع ماض، أي قاطع، أمماً: إلى الأمام، أي قدماً، خالج: خالط، الحاذق: الذي يحذق الشيء ويجيده، الأرب: الأريب، أي الذكي والماهر.

(٣) ندى: كرم، وغى: حرب، المعارج: المدارج، السلالم للرقي، الأسنى: الأرفع والأعلى.

(٤) مشمعل: الجاد والحازم، يشيعة: يصاحبه، صروم، صادق العزم، لم يخف، صارم.

(٥) طلاب: دائم الطلب، أوتار: جمع وتر، وهو الثأر، حثيثاً: سريعاً، مؤتشب: مختلط.

(٦) عزائمه: جمع عزيمة، أي همته وتصميمه، النسر، والقطب: اسمان عربيان لنجمين من نجوم السماء العالية البعيدة.

عبد العزيز الذي ذلت لسطوته شوس الجبابر من عجم ومن عرب[1]

وإننا نلاحظ في هذه الأبيات، منذ البيت الأول منها، أن الشاعر يسير في ركاب الأقدمين، من شعراء العرب في العصر العباسي. فهذا البيت لا يعدو أن يكون إعادة صياغة لبيت أبي تمام في تهنئته المعتصم بفتح عمورية، وهو قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وكأن ابن عثيمين، في تقليده هذا ينم عن مصادر ثقافته الشعرية من جهة، ويجعل من الحكمة المعروفة أساساً لموضوعه في قصيدته هذه من جهة ثانية. وهذه الحكمة هي في التأكيد على صدق العزيمة في العمل، لكي لا تكون الأفعال مناقضة للأقوال «المنمقة» و«الخطب» الرنانة، وهي حكمة مستلهمة من القرآن العظيم، في قول الله الحق تبارك وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾[2].

وهذه الحكمة هي بالفعل التي سار عليها الملك عبد العزيز، رحمه الله، في جهاده وتأسيسه لهذه المملكة الكبرى الموحدة.

وقد تابع الشاعر في أبياته التالية التأكيد على معاني هذه الحكمة،

---

(١) ذلت لسطوته: خضعت لسلطته، شوس، وأشاوس، جمع أشوس: شجاع، الجبابر: الجبابرة.
انظر هذه الأبيات وبقية القصيدة في ديوان «العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين» ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) سورة الصف، آية ٢ ـ ٤.

فيما يشبه التكرار، في الإشارة إلى قضاء حكم السيوف «المواضي» الذي يدفع حكمها الصارم إلى الأمام «إن خالج الشك رأي الحاذق الأرب»، «فالعلا» والأمجاد يبنيها الأبطال، بالموازنة الدقيقة بين «الندى» أي الكرم واللطف والسماحة، وبين «الوغى»، وهي الحرب، بكل ما تتطلبه من حسم جدي للأمور وحزم وعزم، في الأفعال والأقوال. ويمضي الشاعر في مواصلة التأكيد على معنى العزم والحزم في أبياته التالية مع الدعوة إلى التوازن، وهي سياسة الملك عبد العزيز رحمه الله. ولا يخلو هذا الشعر بطبيعة الحال من صور فنية، فيها بعض المبالغات أحياناً.

أما مفردات هذه الأبيات، فإنها تنم عن الثروة اللغوية التي كان يتمتع بها ابن عثيمين، وهي ثروة عظيمة، ولكنها دفعته إلى استعمال الغريب، والمهجور، مثل: «مشمعل» «ومؤتشب»، ولا شك أن لحياته العربية الخالصة، في بلاد العرب دورها الفعال في ذلك الإتجاه، بالإضافة إلى محفوظاته القديمة. وهو في كل شعره، يميل إلى استعمال الألفاظ الضخمة، والمفردات القديمة والمهجورة في بعض الأحيان. وقد أشار سعد بن عبد العزيز بن رويشد، جامع ديوان «العقد الثمين» وشارحه إلى هذه الحقيقة في شعر محمد بن عثيمين، إذ كتب عنها في حديثه عن الشاعر وحياته يقول «لغة الشاعر ترتفع عن إدراك القارىء غير المتعمق في اللغة، ولهذا فكثير من ألفاظه تحتاج إلى إيضاح»[1]. وقد قسم سعد بن رويشد ديوان ابن عثيمين ستة أقسام، هي:

القسم الأول: في مديح الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله).

القسم الثاني: في مديح الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله).

---

(١) ديوان: «العقد الثمين» من شعر محمد بن عثيمين، ص ٢١.

القسم الثالث: في مديح الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة، أمير البحرين آنذاك (رحمه الله).

القسم الرابع: في مديح الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني، حاكم قطر آنذاك (رحمة الله).

القسم الخامس: شعره في موضوعات عامة وأغراض مختلفة، وهو قسم يضم قصيدة واحدة فقط.

القسم السادس: في المراثي.

وكان ابن عثيمين، رحمه الله، يضع لمعظم قصائده مقدمات نثرية، يبين الغرض منها، ومناسبتها، كما تولى ابن عثيمين، شرح بعض قصائده، لعلمه، هو شخصياً، بما كانت تتضمنه قصائده من غريب المفردات ومهجورها. ولم يكن شرح ابن عثيمين لبعض قصائده شرحاً سطحياً، بل كان دراسة أدبية، تاريخية، نقدية، شاملة، تبين مصادر ثقافته، وتدل على سعة إطلاعه، سار فيها على نهج مؤلفي كتب الأدب القدامى، من أمثال ابن قتيبة، والمبرد، وأبي الفرج الأصفهاني، مبيناً معاني مفرداته، وتراكيبه، مشيراً إلى استعمالاتها في شعر الأقدمين، وأوجه البلاغة فيها، كما فعل رحمه الله، في شرح قصيدة له مطلعها:

عج بي على الربع حيث الرند والبان   وإن نـأى عـنـه أحـبـاب وجـيـران

والشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين كان يستقي من الشعر العربي في العصر الجاهلي، مثلما كان يسير في ركاب الشعراء الكبار في العصر العباسي، فكان يقلد شعراء العصر الجاهلي في وقوفهم على الأطلال والمنازل والديار، وكان يقلدهم في وصف الراحلة، ويجعل من ذلك مدخلاً لموضوعاته. ومن أمثلة ذلك ما سار عليه في قصيدة نظمها

في سنة ١٣٢٠هـ في مديح الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة، أمير البحرين آنذاك، وقال فيها:

ضمان على أن الغرام طويل ... إذا شحطت دار وبان خليل[١]
أقول لنفسي حين جد بها الأسى ... نهيتك عن ذا والفريق حلول[٢]
فأما وقد جازوا الغميم ولعلعا ... وحالت حزون دونهم وسهول[٣]
فبرد جوى قلب أطيل عليله ... بفيض دموع في الجفون تجول[٤]

وثانياً: في وصف الناقة والمدخل للموضوع:

وموارة الضبعين محكمة القرا ... أمون السرى عبر الهجير ذمول[٥]
بعيدة ما بين الترائب جسرة ... تلاحظ ظل السوط أين يميل[٦]
جشمت عليها الهول أما نهارها ... فوخد وأما ليلها فذميل[٧]

---

(١) شحطت: بعدت، بان: ارتحل وفارق، ومنه: البين، وهو الفراق، خليل: حبيب.

(٢) الأسى: الحزن، الفريق: الحي من الناس، أي مجموعة من الناس، حلول: مقيمون.

(٣) جازوا: تعدوا وتجاوزوا، الغميم: موضع معروف بنجد، وكذلك لعلع. حزون: جمع حزن، وهي الأرض الصلبة اليابسة، سهول: جمع سهل: وهي الأرض السهلة اللينة.

(٤) برد: فعل أمر بمعنى أدخل البرد والسلام على قلب، أطيل عليله: طال مرضه، جوى: حرقة وحرارة، الفيض: الغزير، الكثير، الفائض، تجول: تتجول، أي تدور بين حدقات العيون.

(٥) موارة: كثيرة الحركة خفيفة السرعة، الضبعين: العضدين، محكمة القرا: محكمة عظام الظهر بلا ضعف ولا اعوجاج، أمون: مأمونة، السرى: السير ليلاً، عبر الهجير: أثناء قطع الهاجرة، وهي وقت اشتداد الحرارة في ساعات الظهر، ذمول: لينة السير، غير متعبة لراكبها.

(٦) الترائب: عظام الصدر، وبعيدة ما بين الترائب: أي ضلوعها عريضة، جسرة: طويلة ضخمة، تلاحظ ظل السوط.. أي أنها تفهم بحركة السوط وظله من غير أن تضرب به.

(٧) جشمت: تجشمت، أي تحملت عليها ركوب الهول، وخد: سريع، ذميل: لين، مريح.

خلا ساعة أقضى عجالة راحل إذا حان من شمس النهار أفول[١]
فسيرتها ما بين بصري وأبين ومن كابل حتى أشاح طفيل[٢]
فما نظرت عيني ولا مر مسمعي بحل ولا حيث استقل رحيل[٣]
كمثل بني عيسى حفاظاً ونائلا إذا عم أقطار البلاد محول[٤]

وفي هذه المقتطفات من قصيدة ابن عثيمين في مديح أمير البحرين. نلاحظ تقليده لشعراء العصر الجاهلي في ترتيب قصائدهم الطوال «المعلقات» بدءاً بذكر الأماكن التي لها ذكرى معينة، والرحيل وما يصاحبه، وينتج عنه من فراق، وأشواق، وحنين، ثم وصف الناقة، على طريقة الشاعر الجاهلي الشهير طرفة بن العبد، ثم الوصول من ذلك التدرج إلى بيت القصيد، وهو مدح أمير البحرين.

ومن الأدباء المخضرمين في الحجاز الشاعر الشيخ:

أحمد بن إبراهيم الغزاوي[٥]:

وهو شاعر لقّب بشاعر الملك عبد العزيز، لملازمته لمديحه، كما

---

(١) خلا ساعة قضى عجالة راحل: يقصد أنه لا يتوقف عن السير على ظهر هذه الناقة، لا ليلاً ولا نهاراً، سوى ساعة، أي بعض الوقت لقضاء حاجته وهو مسافر عاجل، وهي مبالغة قصد بها الفخر بناقته وبنفسه على قوة التحمل والصبر على مشاق السفر ليلاً ونهاراً، أفول: غروب الشمس.

(٢) بصرى، بضم الباء: اسم بلد بالشام، أبين: بلدة في اليمن، كابل: عاصمة أفغانستان شرقاً، طفيل: جبل في تهامة، ويقصد أنه جاب كل البلدان شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً.

(٣) حل ورحيل: مقام وسفر وترحال.

(٤) بني عيسى: حكام البحرين، حفاظاً ونافلاً: محافظين على الكرامة ونائلين بالعطاء والبذل، محول: القحط والجفاف. وانظر الأبيات وبقية القصيدة في ديوان «العقد الثمين»، ص ٣٧١-٣٧٩.

(٥) وردت ترجمته في مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٧١٤. وفي «وحي الصحراء»، ص ٣٥ (ط-١).

تابع، بعد وفاته، مديح أبنائه من بعده، إلى أن لقي ربه، رحمهم الله أجمعين.

ولد أحمد بن إبراهيم الغزاوي في مكة المكرمة سنة ١٣١٨هـ، وامتدت به الحياة إلى منتصف سنة ١٤٠١هـ حيث وافته المنية في تلك السنة بمكة في ٢٢/٦/١٤٠١هـ، رحمه الله.

نشأ الغزاوي بمكة، والتحق بمدرسة أهلية، من المدارس الرائدة التي تخرج منها كثير من العلماء والأدباء في مكة، وهي المدرسة الصولتية، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة رائدة أخرى شهيرة، وهي مدرسة الفلاح بمكة، ومنها تخرج، واشتغل في حكومة الشريف حسين بن علي، قبل وصول الملك عبد العزيز إلى الحجاز، وتقلب في مناصب عدة، وبعد وصول الملك عبد العزيز، أصبح الشيخ أحمد الغزاوي شاعره، بعد أن نظم فيه شعره، ولعله من المناسب، أن نتعرف على أولى القصائد التي نظمها الغزاوي في مديح الملك عبد العزيز، والتي مهدت له السبيل، لكي يصبح فيما بعد، شاعر الملك، وهي قصيدة نظمها الغزاوي، ونشرها في سنة ١٣٤٥هـ[1]، وفيها يقول:

ألا لا تلمني اليوم أن أتكلما	فإن فؤادي بالأسى قد تكلما[2]
لعلي، إذا بثثت ما بي من ضنى	أفرج عن قلبي الذي قد تجهما[3]
فإني امرؤ قد أخلق الدهر جدتي	وثقفني حتى غدوت مقوما[4]

---

(١) هذه القصيدة نشرت في جريدة «أم القرى»، عدد ٨٩، في ١٨ صفر ١٣٤٥هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٩٢٦م.

(٢) في هذا البيت جناس في: أتكلما: أتحدث، وقد تكلما: قد تجرح وأصبح مكلوماً وكليما.

(٣) بثثت: شكوت وأفصحت، ضنى: ألم، تجهما: اغتم.

(٤) أخلق: جعله قديماً (خلقاً)، ثقف: هنا بمعنى قوم وعدل.

وكيف أصد الهم تفري رماحه حشاي وقد غودرت نهباً مقسما[1]

إمام الهدى لا زلت للدين موئلا يعز بك الإسلام، والعرب، والحمى

وإنك في أرض الجزيرة مالك من الأمر ما أولاك ربك منعما

أقمتم صروح العدل والفضل والتقى وأعليتمو بنيان شرع تهدما

وأطلقتمو ما قيد البغي والهوى وقيدتمو ما أطلقاه تحكما

أجاب بنو الإسلام طراً نداءكم «لمؤتمر الشورى» فكان مجسما[2]

وخاضوا عباب البحر كيما يشاهدوا حقائق كانت في ذراهم توهما

فلما رأوا ما يملأ العين قرة تولوا، بحمد، أفعم القلب والفما

وموضوع «وحدة هذه البلاد»، والشكوى من أحوال فرقتها وتمزقها، هو موضوع هذه القصيدة التي نظمها الغزاوي في مديح الملك عبد العزيز، بعد أن أصبح ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد، في سنة ١٣٤٥هـ، وبعد أن دعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي شامل للتضامن والتشاور بين المسلمين أشار إليه الغزاوي في قصيدته، وهي بداية نظمه الشعر في مديح الملك عبد العزيز، الذي أصبح شاعره، وشاعر أبنائه الملوك من بعده، رحمهم الله أجمعين.

وموضوع وحدة هذه البلاد، والشكوى من تمزقها قبل توحيد الملك عبد العزيز لها، هو موضوع مشترك بين جميع الشعراء المخضرمين، الذين عاشوا عهد التمزق والفرقة من قبل، ثم سعدوا برؤية أملهم يتحقق في دولة موحدة، قوية أسسها الملك عبد العزيز (رحمه الله).

---

(١) تفرى: تمزق، وهو هنا يشير إلى تمزق هذه البلاد قبل توحيد الملك عبد العزيز لها، وكأنه يتحدث باسمها.

(٢) دعا الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، إلى عقد أول مؤتمر إسلامي للتشاور والتضامن في مكة المكرمة، في تلك السنة، وهنا إشارة إليه.

أما من الناحية الفنية، وأسلوب النظم والأداء، فإن أحمد بن إبراهيم الغزاوي (رحمه الله) لا يختلف عن غيره من جيل المخضرمين، في السير في ركاب الأقدمين، واستعمال الألفاظ الجزلة والفخمة، والإهتمام بالبديع والمحسنات في تقديم الصور الشعرية.

وظل الغزاوي (رحمه الله) يكتب بعنفوان، حتى شيخوخته، بل وإلى أن أدركته الوفاة.

وكما كان الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعراً مجيداً، فإنه كان باحثاً، يكتب بأسلوب شيق، وهو في نثره أكثر تحرراً من شعره. وقد ظل يكتب بحوثاً أدبية، ولغوية، وتاريخية، جامعة تحت عنوان «شذرات الذهب» كان ينشرها في جريدة «البلاد السعودية» التي كانت تصدر بمكة المكرمة، ثم في مجلة «المنهل» في إبان صدورها في جدة. ونسأل الله أن يوفق باحثاً مخلصاً لجمع تلك الشذرات، وترتيبها، وإصدارها في كتاب، فهي عظيمة الفائدة، بكل تأكيد.

وكان الشيخ الغزاوي يضع لكل شذرة من تلك الشذرات رقماً متسلسلاً خاصاً، وكان يعني فيها بصفة خاصة، بربط الإستعمالات اللغوية الحديثة بأصولها العربية القديمة، ومن شذرات الغزاوي الذهبية تلك شذرة رقمها ١٨٢٢ وهي بعنوان: «لا تردن» وهي كلمة شائعة الإستعمال في لهجة أهل مكة في عهد الغزاوي، ومعناها: لا تسترسل في الكلام بلا وضوح ولا أناة، ونص هذه الشذرة هو: «إذا تحدث أحد إلى صاحبه، فأجابه في سرعة وعجلة وانفعال، قال له: يا أخي، مهلاً! لا تردن!.. ويعني بذلك الإنطلاق، والإنفراط في الكلام، بدون أناة، ولا ترو، ولا إبانة، وهو يقابل، أو يرادف قولهم: (لا تبربر)، وغالباً ما يكون ذلك تحت تأثير الإنفعال، والغضب، وقرأت في (الحلة السيراء)،

لابن الأبار ٦٥٨/٥٩٥هـ، قصيدة تنسب للحكم بن هشام، المعروف بالربضي، جاء في مطلعها قوله:

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن   من اللحن بالأوتار، واللهو والردن

وشرح الردن ـ بفتح الراء هنا ـ صوت وقع السلاح، بعضه على بعض، أما الردن بضمها، فإنه الكم، وطرفه الواسر، كما في اللسان.

قلت: فهذا الذي يستعمله العامة حتى اليوم، يرجع بذلك إلى أصل صحيح.، فإن لوقع السلاح، بعضه على بعض، صدى لا يكاد يتميز فيه غير القعقعة في المعمعة!! وليس ذلك سبيل التفاهم، بل الإدراك السليم، والمنطق المستقيم، وإلا كانت (ردنا)[١].

والغزاوي، الأديب المخضرم، كان يكتب مقالات نثرية، وينشر قصائد شعرية، وكان يواكب المناسبات، ويسجل الأحداث، وهذه الحقيقة تكسب شعر الغزاوي أهمية تاريخية خاصة، ومن شعر الغزاوي هذا، ما نظمه في مناسبة سفر وفد من أعيان الحجاز إلى (الرياض) في نجد في سنة ١٣٥٢هـ، لمبايعة ألأمير سعود، نجل الملك عبد العزيز، ولياً للعهد، في المملكة العربية السعودية، التي تم إعلانها رسمياً في سنة ١٣٥١هـ، وفي تلك القصيدة قال الغزاوي:

أجل هذه نجد فهل شاقك الرند   وهبت صباها فاستقر بك الوجد[٢]

---

(١) مجلة «المنهل»، الجزء التاسع، المجلد ٣٩، ذو القعدة ١٣٩٨هـ، اكتوبر ١٩٧٨م، ص ٧٤٦، ٧٤٧.

(٢) الرند: نبات طيب الرائحة.

بلاد أباة الضيم هذي رياضها ... وهذا ولي العهد يسمو له الوفد[1]

وثمة من حور الأماني وعينها ... مباهج لا يدنو إلى حصرها العد

أطلت فما الطل المرقرق في الضحى ... يحاكي صفاها في الغصون إذا تبدو

ولا الزهر في أكمامه متفتقا ... كمثل الرجاء الغض يبعثه الود

فكم حدثتني عن هواها وطيبه ... خرائد رقت فاسترقت بها الأسد

وكم قاصرات الطرف في جنباتها ... أراشت سهام اللحظ إذ دأبها العمد

وكم ساجعات الأيك في عذباتها ... أثارت شجوني فهي في إثرها تشدو

وكم في رباها من كماة أشاوس ... تصول بهم بيض وتعدو بهم جرد

ألا إنما يهفو إليها أخو جوى ... يهيم بها منذ استقل به المهد

وما ولهتني في هواها ظباؤها ... ولا الخفرات البيض والفاحم الجعد

ولكنني قد همت فيها لأنها ... مباءة شرع الله والكوكب الفرد

تمثلت فيها عزة الدين والتقى ... وما فرض القرآن أو أبرم المجد

قدمنا فأفضينا إلى متطول ... مطالعهُ نور وأعماله رشد

وناهيك من (عبد العزيز) (سعوده) ... فذاك لنا فخر وهذا لنا سعد

أتيناك من قلب الحجاز ببيعة ... توطد فيها الأمر واستحكم العهد[2]

ومن الشعراء المخضرمين في جنوب المملكة، الشاعر الشيخ:

علي بن محمد السنوسي[3]:

وهو أديب مكي المولد، جازاني النشأةِ والإنتماء، فقد ولد

---

(١) الوفد: هو وفد أعيان الحجاز لمبايعة ولي العهد في سنة ١٣٥٢هـ.

(٢) كتاب «وحي الصحراء»، جمع محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير، ص ٧١، ٧٢ (ط١).

(٣) «المنهل» لشهر ذي الحجة ١٣٥٩هـ.

علي بن محمد السنوسي في مكة المكرمة في سنة ١٣١٥هـ، ثم رحل إلى جازان في سنة ١٣٢٨هـ، وتلقى تعليمه في اليمن، ثم عاد إلى جيزان واستقر مقامه بها، إلى أن وافته المنية في سنة ١٣٦٣هـ، رحمه الله، وكان علي بن محمد السنوسي أحد رجال الدولة في العهد الإدريسي، الذي سبق العهد السعودي في جازان، إذ تولى مناصب القضاء هناك، وحينما ضم الملك عبد العزيز جيزان إلى بقية الأقطار التي وحدها، ظل الشيخ علي السنوسي قاضياً لجيزان إلى عام ١٣٥٤هـ. وكان علي السنوسي ينظم الشعر على طريقة الأقدمين، ولكنه كان من أشد المخضرمين بعداً عن محاولات الإبتكار والإبداع، وكان في شعره يشبه شعراء المتون، في نظم قواعد النحو، واللغة، حتى في المدح. . فمن شعره قصيدة نظمها وألقاها في الإحتفال بالعيد أمام أمير جازان، ثم نشرها في مجلة «المنهل»[١]. وأعيد نشرها بعد ذلك في كتاب «شعراء الجنوب»[٢]، وهي في مديح الملك عبد العزيز، رحمه الله، وقال في مطلعها:

هذا المقام وهذا المحفل النضر ... يزهو برونقه الباهي ويزدهر

وقلت من عجب هذي الجنود لمن؟ ... تصطف قائمة والبدو والحضر

---

(١) «شعراء الجنوب»، جمع وإعداد محمد بن أحمد عيسى العقيلي، محمد بن علي السنوسي، ص ٧٠٤.

(٢) «شعراء الجنوب»، جمع وإعداد محمد بن أحمد عيسى العقيلي، محمد بن علي السنوسي، ص ٧٠٤.

ثم قال:

(عبد العزيز) أدام الله دولته — في المشرقين إلى أن تنقضي الدهر
ولم يدع من خصال المجد منقبة — لناشىء من بني الأيام تعتبر
وأخمل الذكْر من كل الملوك فما — يحلو الحديث بهم يوماً وإن ذكروا
ومفرد بالمعالي جاء منحصرا — في نعته المبتدأ المرفوع والخبر
وجازم الفعل والماضي بظاهره — ومن سواه ضمير جاء يستتر
والحذف والنقص من صرف البناء إذا — ما جاء فهو على ثانيه ينحصر

إن الناقد ليعجب للشاعر، كيف تحول في قصيدته هذه عن المديح إلى الإعراب، أو كيف حول موضوعه الشعري من المديح إلى هذه الشروح النحوية في: «المفرد» و«النعت»، و«المبتدأ المرفوع»، و«الخبر»، و«جازم الفعل»، «الماضي» و«ضمير المستتر» و«الحذف»، و«النقص» و«صرف البناء». إن كل هذا التعسف، بحشو هذه المصطلحات النحوية، الخارجة عن موضوع الشعر، إنما لجأ إليه الشاعر في قصيدته هذه لغرض واحد، هو المبالغة والإطلاق، بصورة لا تزين الشعر كما توهم، ولا تليق بمقام الممدوح، الذي له من الصفات الحميدة ما يغني عن كل هذه المبالغة، التي حولت شعر المديح، إلى ما يشبه شعر المتون والشروح العلمية والتعليمية.

لقد كان الشاعر علي السنوسي شاعراً تقليدياً، تمكن من نظام قرض الشعر، ولكنه لم يخرج على الناس بما اختلج في نفسه، بل بما خزنه في ذاكرة محفوظاته الشعرية، والنحوية، ومع ذلك كانت له بعض اللمحات، التي لو ترك لها العنان، لملك زمام المبادرة في الإبداع، رحمه الله.

ومن أبرز أولئك الأدباء المخضرمين الشاعر:

خالد بن محمد الفرج[1]:

وهو أديب كويتي المولد، نجدي الأصل، سعودي الوطن والإنتماء، رحمه الله.

فقد ولد خالد بن محمد الفرج في الكويت في سنة ١٣١٦هـ وتوفي في ربيع الثاني سنة ١٣٧٤هـ بالاحساء.

ونشأ خالد الفرج في الكويت، وتلقى فيها علومه الأولية، ثم أخذ يتنقل في منطقة الخليج العربي، ثم رحل إلى بومباي في الهند، ثم عاد إلى البحرين، وعاد بعد ذلك إلى موطنه، واستقر به المقام في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وكان يتزعم فيها الحركة الأدبية، وكانت له جهود تعليمية، إذ ألف في «علاج الأمية» وكتب في «تيسير الطباعة». لقد كان خالد الفرج، رحمه الله، أكثر الأدباء المخضرمين قرباً إلى الأصالة، بمحاولاته الجادة والناجحة في الإبتكار والإبداع، فكان أول من نظم ملحمة شعرية كاملة، في سيرة الملك عبد العزيز، وسيرة أسرته، وجهادهم في سبيل الدعوة والتوحيد، وله ديوان شعر كامل بعنوان: «أحسن القصص، أو سيرة جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها»، وقد طبعت هذه المنظومة (الملحمة) في المطبعة العربية بمصر في سنة ١٣٥٠هـ.

أما طريقة نظم خالد الفرج لملحمته تلك في سيرة الملك

---

(١) انظر تفاصيل ترجمة خالد الفرج في مجلة «المنهل»، الجزء السابع، المجلد ٢٧ لشهر رجب ١٣٨٦هـ، نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٧٨٩.

عبد العزيز، فإنه نظمها جميعها من بحر واحد هو «بحر الخفيف»، ولكنه لم يلتزم فيها بقافية واحدة، بل جعل قافيتها متنوعة حسب الإقتضاء، وجعلها سباعية الأشطار، وجعل كل سباعية من الأشطار تستقل بوحدة موضوعية خاصة، في الإطار العام للقصة «الملحمة» في سيرة الملك عبد العزيز وأسرته، رحمهم الله أجمعين.

وقد افتتح خالد الفرج القصة (الملحمة) كما تفتح الكتب (الأسفار) فقال في مطلعها، وفي السباعية الأولى منها:

هو ذا الدهر أكبر الأسفار
فيه أسمى العظات والإعتبار
ما الليالي فيه سوى أسطار
في طروس من نسج ضوء النهار
ملأت من تصادم الأعصار
صفحات ملئن بالأخبار   لذوي الإتعاظ والإبصار

فالشاعر خالد الفرج يفتتح الملحمة من كتاب الدهر، وهو (أكبر الأسفار)، وفيه تكون الليالي سطوراً مسجلة بنسيج من ضوء النهار، فتملأ «من تصادم الأعصار» والأحداث المتعاقبة صفحات الأخبار، لمن يتعظ من ذوي الأبصار، ومن تلك الصفحات المشرقة، في سفر الدهر العظيم، صفحات سيرة الملك الباني عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، والذي قال عنه في سباعية أخرى:

هو «عبد العزيز آل سعود»
كامن سره بعين الوجود
ومخبا ليومه الموعود
مثل سيف في غمده مغمود

أو كـنـار الـزنـاد فـي الـجـلـمـود

أو كـعـرف الـشـذا بـرنـد الـعـود والـلآلـي فـي غـامـض الـمـحـار

وهكذا جعل قافية نهاية كل سباعية من قافية السباعية الأولى الإفتاحية.

رحم الله خالد الفرج، وغيره الشعراء المخضرمين، الذين مثلوا حقبة هامة من حقب تاريخ الأدب العربي الحديث وتطوره في هذه البلاد، باعتبارهم جسر الوصل، والعبور من الماضي إلى الحاضر، الذي انبثق منه نور المستقبل المشرق. لقد كانوا أمناء على تراث أسلافهم، استلهموا منه أساليبهم، وتمسكوا به مصدراً لثقافتهم، فنقلوا الأمانة لمن جاء بعدهم، لتظل شعلة الأدب وهاجة بالنور والضياء في هذه البلاد على مر السنين وتعاقب الأجيال، على الدوام، فلولا حملهم لأمانتهم لما استمر مشعل الأدب في الضياء، ولما بزغ فجر النهضة الحديثة من بعدهم، بكل ما في النهضة من حيوية وتجديد.

حينئذ بالصبغة السياسية، كما ذكر من قبل، ولكن كان بعض الكتاب يطلقون لميولهم الأدبية العنان، أثناء تناول هذه الموضوعات السياسية والإجتماعية، ويوشون ما يكتبونه بفقرات تأملية تخيلية ومن هؤلاء الكاتب المكي محمد بن سعيد الفتة، الذي نشر في جريدة «القبلة» مقالة إصلاحية قصيرة بعنوان «نظرات»[١]. وحيث إنه لم يوهب مثل ما وهبه فؤاد الخطيب، من مهارة أدبية، وحصافة تحد من فيض اللغة وجموح الخيال، فقد اتسمت مقدمته التخيلية التي أتى بها في مقالته هذه بالضعف والفتور»[٢] وقد واصل الفتة كتابة سلسلة من تلك المقالات الإصلاحية، في أعداد تالية بعد ذلك في جريدة «القبلة»، وكانت مقالته التالية في تلك السلسلة بعنوان «القدوة والتربية»[٣].

وكان أثر التفاعل مع الأحداث السياسية المضطربة، والحماس والتطلع للإستقلال الوطني التام، يظهر في مراحل التكوين الأولى تلك، في بداية عصر النهضة، في كل أسلوب من أساليب الكتابة الشعرية والنثرية، وفي كل جنس من الأجناس الأدبية. فعلى سبيل المثال، ورغم أن الكتابة القصصية تكاد تكون غير موجودة في هذه الفترة، فإن المحاولة الساذجة، التي قام كاتب، اسمه عثمان حسن، بنشرها في جريدة «القبلة» عن محاكمة تخيلية للجنرال الفرنسي غورو، حاكم سوريا آنذاك، حيث تخيل أن سوريا «بنت قحطان» أي العربية، رفعت دعوى ضد ذلك الجنرال الفرنسي، وجعل تلك المحاكمة تنتهي بالحكم على الجنرال الفرنسي بالطرد من سوريا[٤]. ومهما يكن من الأسلوب الذي كتبت به

---

(١) جريدة «القبلة»، عدد ٣ في ٢٢ شوال ١٣٣٤هـ، الموافق ٢٢ أغسطس ١٩١٦م.

(٢) «النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ ـ ١٩٤٥»، ص ٦٨.

(٣) جريدة «القبلة»، عدد ٦ في ٣/١١/١٣٣٤هـ ـ ٢/٩/١٩١٦م.

(٤) جريدة «القبلة»، عدد ٤٩٨، في ١/١١/١٩٣٩م.

تلك المحاكمة، فإنها مثال هام، على أسلوب تفاعل الأحداث السياسة مع أفكار ناشئة الأدباء في هذه البلاد، في بداية تكوينهم الأدبي الحديث، في كل محاولة مارسوها في الكتابة الأدبية بكل أجناسها.

كما نشرت جريدة «القبلة» كثيراً من شعر الأدباء العرب المهجريين، الذين تعاطفوا في بداية ثورة الحسين بن علي مع أفكار الوطنية، وكان لأساليب أولئك المهجريين أعظم الأثر في بداية تكوينهم الأدبي الحديث. «وقد بلغ من رضا جريدة «القبلة» عن المهجريين، أن فضلت ما قاله جبران، وعدد من مواطنيه، بمناسبة المولد النبوي على شعر زملائهم المسلمين»[١]. لقد كان التفاعل في بداية النهضة تفاعلاً عربياً عاماً، سيطرت عليه بصفة خاصة روح الثورة العربية والحماس السياسي، وأفكار الوطنية والإستقلال. ولم يختلف أدباء هذه البلاد، في بداية تكوينهم في نهضتهم الأدبية الحديثة، عن غيرهم، من أدباء الأقطار العربية الأخرى، في ظروفهم المشابهة، إلا أن الأوضاع الإجتماعية، والعادات والتقاليد العربية الإسلامية الخاصة، كانت تحد من جموح ناشئة أدباء هذه البلاد في بداية عصر النهضة، أكثر من غيرهم، وبصفة خاصة في تفاعلهم مع أفكار أدباء المهجر، «وفي الحقيقة أن محرري جريدة (القبلة) لم يكونوا ممن تروقهم دعوة التجديد المهجرية، ذلك لأن روحهم الأدبية روح تميل إلى التمسك بالتقاليد الأدبية العريقة والمحافظة عليها»[٢] ولكن هذه الحقيقة، رغم ذلك، لم تقيد حماسهم للنهضة الحديثة الشاملة، وبصفة خاصة للنهضة الأدبية.

(١) «النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ ـ ١٩٤٥» ص ٧٠، وجريدة «القبلة» عدد ٥٢، في ١٩/٤/١٣٣٥هـ ـ ١٢/٢/١٩١٧م.

(٢) «النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ ـ ١٩٤٥»، ص ٧١.

كيف كانت البداية؟

من فضل الله سبحانه وتعالى وحسن توفيقه، أن هذا السؤال كان قد تم طرحه على بعض أعلام رواد النهضة الأدبية من أبناء هذه البلاد في حياتهم، فأصبحت إجابتهم عليه بمثابة الوثيقة التاريخية، التي لا يمكن الطعن فيها، لأنها حجة أصلية. ومن تلك الوثائق الأصلية المسجلة بصوت واحد من أولئك الرواد الأوائل، الذين عايشوا فترة البداية، في مرحلة التفاعل والتكوين في عصر النهضة الحديثة في هذه البلاد، حديث حواري، تم إجراؤه مع الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) مؤسس مجلة «المنهل» ونشره، بعده وفاته، ابنه الأستاذ نبيه الأنصاري، في العدد الذي صدر بمناسبة مرور خمسين سنة على صدور أول عدد من المنهل، وهو عدد ٤٣٠ من المجلد ٤٦ للسنة الواحدة والخمسين، لشهري محرم وصفر لسنة ١٤٠٥هـ/ اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٤م، على الصفحات من ٦٦-٧٧ وللأهمية التاريخية، والموضوعية، لذلك الحديث الوثائقي. فإنني أورد هنا نصه كاملاً، وهو كما نشر بعنوان «نشأة الأدب السعودي»: «يتضمن هذا الحديث الحواري وضع النقاط على الحروف فيما يتصل بالحركة الأدبية الحديثة في هذه المملكة وفي لمحات تسجيلية سريعة تعبر عن الحقيقة والواقع. وفيه قال:

«عن تاريخ الحركة الأدبية منذ البداية إلى ما بعد ذلك أقول: إن للحركة الأدبية جذوراً وقواعد: الجذور بدأت في العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري في مكة المكرمة ثم كان التأسيس عام ١٣٣٥هـ قام به نفر من شباب مكة المتطلعين دفعهم إلى هذا الإتجاه ما كان في ذلك الوقت من توافد الكثير من الكتاب والشعراء من الشام ومن مصر إلى مكة واختلاطهم بهم.. وأنشئت جريدة القبلة وكان هؤلاء الشعراء والكتاب

من الأقطار العربية المجاورة يلقون قصائدهم وكلماتهم وينشرونها في القبلة، واتصل بهم بعض الشباب وتعلموا منهم وتآلفوا بهم وساروا يكتبون وينشرون ما كتبوه ومن هنا بدأت الحركة الأدبية أساساً. . ثم بعد ذلك بطريقة ما انتقلت الحركة من مكة إلى المدينة المنورة ولا بد في هذا أن أنوه بشيء مهم عن مفارقات ذلك الإنتقال واتفاقاته وغرابته وطرافته فأقول:

لقد كانت المدينتان منفصلتين تمام الإنفصال عن بعضهما البعض. . لا تعرف إحداهما ماذا تقوم به الأخرى. وليس هناك مناسبات إلا كما يتصل الإنسان بالفضاء الأعلى. . كانت الطرق مقطوعة. وكانت البادية تتسلط على من يسلك هذه الطرق سواء كان حاجاً أو غير حاج. . إما أن يسرقوه أو يقتلوه، ومن هذا السبب كانت المدينة المنورة منفصلة تماماً عن مكة كأنهما في قارتين لا علاقة بينهما مع بعض.

السبب الذي أوجد الحركة الأدبية في المدينة يتفق كثيراً مع البدايات المتناولة والمعهودة آنذاك سواء كان ذلك في المجلات أو الكتب القليلة المتقطعة التي ترد في البريد مما كان يصل من ينبع البحر إلى المدينة منقولاً على الجمال ـ فمثلاً ـ تأتي بعض الجرائد وبعض المجلات وبعض الكتب الحديثة إلى بعض الكتبية في المدينة أذكر منهم الشيخ حسن أودي والشيخ يوسف قراري، وعبد اللطيف بشناق، والشيخ حسن أودي من المدينة له مكتبة كبيرة بباب السلام تحتوي على الكتب القديمة من شعر ونثر وأدب قديم. . وفقه وتوحيد وتفسير. . وطلبة العلم يقصدون هذه المكتبة ليأخذوا منها ما يهمهم من الكتب وكذلك كان يوسف قراري إذ كان متخصصاً في استيراد الكتب والمجلات الحديثة والجرائد الحديثة يستوردها بطريقة شخصية وليست

بطريقة رسمية، لأنه في ذلك الوقت كان لا يسمح بدخول الجرائد ولا المجلات ولا الكتب المماثلة وكنا ثلاثة نأتي إليه ونأخذ منه بعض هذا وذاك بصورة خفية.. وكان هذا بدء انتشار الأدب من هذه الناحية. وأخذنا نقرأ أكثر ما نقرأ كتب طه حسين ومحمد حسين هيكل والرافعي وما كتبه العقاد والمازني وأشباههم وقد تصل إلينا في بعض الأحيان كتب وصحف ومجلات من سوريا، وقد تصل كتب ومجلات من لبنان يأتي بها القادمون من تلك البلاد وتوزع أو تنتشر بطريقة الإعارة بين الشباب وغير الشباب.. وكان الذين يهتمون بها قبل كل شيء من الشباب.

تصاعدت فيما بعد أمور الحرب العالمية الأولى وبعدها أصبحت هذه الكتب والجرائد والمجلات تصلنا ونحن نشتريها ونقتنيها وندخرها ونتدارس ما فيها من معلومات ومن كلمات ومن عبارات لأن العبارات والكلمات التي عرفناها أو ألفناها في دراساتنا غير هذه العبارات والكلمات.. وكان أول من بدأ بهذه الحركة المرحوم السيد عبيد مدني (رحمه الله) لقد كان من أثرياء المدينة وكانت له هواية طيبة في هذه الناحية وكانت لديه دائرة المعارف لفريد وجدي وأمثالها من الكتب القيمة.. وكنت أنا من حتمية الصداقة القائمة بيني وبينه من الصغر نجتمع دائماً عندنا أو عنده أو في البساتين ونتداول قراءة هذه الكتب ونتدارسها ويستفسر بعضنا بعضاً عن حقائق ما يقصده الكاتب أو الشاعر أو المؤلف من هذه الكلمة أو في هذه الجملة لأن هذه الجمل كلها بعيدة عن مخيلتنا.. مشينا في هذا سنين عدداً ـ قرابة تسع سنين ـ وأصبحنا بعد ذلك نفهم ما يقال وما ينشر في هذه الصحف وهذه المجلات وهذه الكتب على حسب ما عندنا من إمكانات.

بدأنا بعدئذ في حركة انتقالية أخرى تتمثل في محاولاتنا أن نتعمق

ما كتب في تلك الصحف وتلك الكتب ونطلع بعضنا بعضاً على ما يخبره الآخر. . ثم تقدمنا في هذا المضمار فعرفنا وأدركنا أننا مشينا خطوات طيبة فيه. . وانتقلنا إلى نظم الشعر وكتابة النثر على هذا الأسلوب في موضوعات خفيفة إخوانية لا تتصل بالسياسة ولا بالأدب العام حتى تمكنا من ناحية هذا الأدب نوعاً ما وصرنا نتكاتب عن هذا الموضوع أو ذاك. فعلم بعض الأخوان في المدينة بهذه الحركة وقلدونا ومشوا معنا فانتشر الأدب.

وبانتهاء الحكومة السابقة ودخول الملك عبد العزيز رحمه الله إلى البلاد واستتباب الأمن وارتياح النفوس زاد الإتصال بيننا في المدينة، فكنا في سنة ١٣٤٦هـ نجتمع إجتماعات مغلقة لا يعلم بأمرها إلا الخواص منا، وكنا إذا مررنا في السوق نسمع التهامس من العوام وأشباه العوام ومن الكبار أيضاً يقولون (هذا فلان «الفرمسوني» ومعناه الملحد). . إعتقاداً منهم بأن هؤلاء المتأدبين خرجوا عن رفقة الإسلام نوعاً ما بسبب ممارستهم لهذا الأدب الحديث الذي لا يفهمه أحد في المدينة المنورة في ذلك الوقت إلا قلة قليلة جداً مارسته منهم مثلاً الشيخ أبو بكر الدغستاني وكان معنا قلباً وقالباً. ثم كانت سنة ١٣٤٦هـ تطورنا في هذا المجال في اجتماعات خاصة كنا نقيم ندوات ليلية أو أسماراً تستمر إلى الهزيع الأخير من الليل وننصرف عن بعضنا وكل واحد متكتم على ما كان فيه في تلك الليلة. . ولما زاد «العيار» كما يقولون أردنا أن نكون حركة تنشر نوعاً ما من هذا الأدب، أو قل كتبت أسأل عن الكيفية التي يمكن أن نكون بها أدباً حديثاً ينهض بالإصلاحات اللازمة وبالتفكير القيم وكتبت بخط يدي حوالي عشرين نسخة وأرسلتها في مظاريف خاصة مغلقة إلى بعض الإخوان: فأجابوا عنها. ثم تكاثرت الإستفتاءات والإفتاءات في المدينة وتداولناها جميعاً حتى تكون منها كتاب سميته «أول أثر ظهر» يعني في

الحركة الأدبية ولم يشأ له أن يظهر حتى الآن لأن القطار قد فاته بعد ذلك وبقيت المسودة مخطوطة لوقتنا هذا. . وهذا الكتاب جعلته مرتباً على النحو الآتي: ترجمة الكاتب أو الشاعر الأوليات في حياتي وسنعرف بعضاً منها:. ثم بعد هذه الترجمة الوجيزة كتبت شيئاً من شعري وشيئاً من نثري أقدم في النثر هذا الجواب الذي وردني.

بعد هذا جاء بعض الأخوان من مكة سنة ١٣٤٨هـ أو ١٣٤٩هـ كان منهم الأستاذ عابد قزاز الأخ الأكبر للأستاذ حسن قزاز فسمع نوعاً ما أن هنا حركة بدائية في المدينة المنورة يتناولها بعض الناشئة فوفد إلينا في منزل المرحوم ضياء الدين رجب واجتمعنا وحدثنا عما يتحرك في مخيلة الأدباء هناك من أفكار وآراء. . فإذا هم قد سبقونا بأشياء كثيرة لا نعرف عنها شيئاً. . قال لي إن الإستفتاء الذي كتبته للأخوان هنا أريد منك أن ترسله إلى أدباء مكة. وأعطاني أسماء بعضهم مثل الأستاذ محمد سرور الصبان والأستاذ عبد الوهاب آشي والأستاذ محمد سعيد العامودي. . الخ.

كتبت هذا السؤال فعلاً وأعطيته إياه وأخذه معه. . وبدأ الإتصال بين مكة والمدينة في ذلك العام وفرحنا وسعدنا بالإتصال الذي ما فتىء يتزايد ويتعمق لما تكاثرت السيارات وبدأت المواصلات الحديثة، وإن كانت الطرق غير معبدة ولا مسفلتة، ولكن الإتصال بدأ ولما اتحدت المملكة من الحجاز ومن النواحي الأخرى المتعددة وتضاعفت الحركة وتأصلت، بدأ التركيز يستولي علينا في أن ننشىء صحافة في المدينة المنورة. . قال السيد عبيد مدني: ماذا تريد أن تسمي المجلة التي تنشؤها - مع إحاطة علمكم الكريم بأنه لم يكن هناك طباعة ولا صحافة ولا كتاب - قلت أنا إذا أراد الله عز وجل وأنشأت المجلة أسميها «المنهل». .

قلت له وأنت: قال أنا أسميها «الفاتحة» قلت له نعم الاسم، وبقينا على هذا واستمررنا في الدراسة حتى جاء عام ١٣٥٠هـ قال لي مدير مدرسة العلوم الشرعية السيد أحمد الفيض أبادي (رحمه الله)، وكذلك أستاذنا الأكبر الشيخ محمد الطيب الأنصاري (رحمه الله) قال: نحن كرئيس مدرسة العلوم الشرعية التي أنشأها السيد أحمد الفيض أبادي نحن والسيد محمود أحمد مهتمون إذا تقدمت بهذا الطلب.. والزمن مواكب الآن فالحكومة متفتحة والأمير ابن إبراهيم إذا أمر بشيء لا يمانعه أحد ولا يمانع.. فكتبت الطلب وذهبت به إلى الأمير الهمام عبد العزيز بن إبراهيم رحمه الله فاستقبله استقبالاً جيداً وكتب عليه كتابة جيدة إلى النيابة العامة برئاسة سمو الأمير فيصل.. ورحب سموه الكريم به وأحال الكتاب إلى مجلس الشورى، ومن مجلس الشورى جاءت أشياء كتبت أخيراً وانتهت بهذه المسائلة:

هذا الشاب ما حقيقة دراسته؟..

ما أخلاقه؟.. ما الذي كتب؟..

هل كتب شيئاً في الصحافة.. أم لا؟... جاءت هذه الأسئلة في المدينة «إلى أمير المدينة» وقال: هذا السؤال سنحوله إلى الشرطة حتى تجيب عليه.. فذهبت إلى (الخالدية) - الشرطة - وكان هناك الأخ حسني العلي مدير الشرطة.. قلت له: هذا طلب إصدار مجلة.. قال: اكتب ما تريد. فلما علمت أنه من الأسئلة أن أشفع بالمكاتبة ما كتبته في الصحف وفي المجلات أراد الله سبحانه وتعالى قبل هذا إنني كنت أكاتب الأهرام والمقتطف والسياسة الأسبوعية والمرشد العربي ومجلة العالم الإسلامي في أندونيسيا، أكاتبهم وأكتب إليهم، وينشر بعضهم ما أكتبه وكان من أكبر المشجعين لي الدكتور محمد حسين هيكل فقد ألفنا نادياً أدبياً سميناه

لأول مرة في التاريخ «الحفل الأدبي للشباب العربي السعودي المتعلم» السعودي هنا هو أول وصف أدخل هذه الكلمة في الفكر آنذاك.. والمتعلم هذا شيء آخر..

كان هذا النادي يضم الفقراء، ولكنا استأجرنا له داراً في المناخ «دار الياس» وأسسناها بالحصير الرخيص والكراسي المهلهلة ودفاتر وغيرها، وكان الزائرون إلى المدينة من الحجاج أو غيرهم ندعوهم إلى هذا النادي المتواضع وكان ممن دعوناه الأستاذ «الرفاعي» خليل الرفاعي صاحب الكتاب المعروف عن الأدب، والأستاذ محمد حسين هيكل، والحاج أمين الحسيني، وألزمنا كل من يحضر إلى النادي أن يقدم حديثاً أو محاضرة أو كلمة توجيهية ليستفيد منها الحاضرون وجهزنا ملفاً للمحاضرات والأحاديث التي يلقيها الوافدون أو الزائرون، أو يلقيها بعضنا، وكثير من هذه الأشياء التي كتبناها كنت أرسلها إلى السياسة الأسبوعية وتنشرها وتنشر أسماءنا وصور أعضاء النادي ورئيس النادي، وأرسلناها مرة أخرى إلى أمين سعيد في مجلته «الرائد» التي كانت تصدر في القاهرة أسبوعياً فنشرتها أيضاً، وكتبت كتاباً لي يفيد بأن جميع ما أكتبه أرسله إليها، وكنت أكتب لهم مقالات عن الشعراء القدامى وبعد نشرها أجمعها وأحفظها فمن عادتي أن أجمع كل شيء وأحفظه. وكانت هناك فكرة مارقة يقوم بها عبد العزيز المصري وهي القضاء على اللغة العربية والكتابة العربية.. وكنت أنا أقاومه في هذا وأكتب في مجلة المرشد العربي التي كانت تصدر في حلب في سوريا. كتبت مقالاً عن اللغة العربية وكان هناك مصري أخذ ينشر في الهلال مقالات كلها ضد اللغة العربية فقمت بالرد عليه في مقال متسلسل نشر أيضاً في نفس مجلة الرائد العربية بالصورة الشخصية، فجمعت كل هذه الكتابات وربطت معها

المعاملة التي وردت إلينا من مجلس الشورى، وذهبت المعاملة وكتب عليها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم كتابة جيدة ووقعها بختمه.

وقد كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم شخصية بارزة في الدولة في ذلك الوقت، وكان الملك عبد العزيز يقدره كل التقدير ويأخذ بآرائه كل الأخذ. . ظلت المعاملة في مجلس الشورى شهرين وقرر مجلس الشورى الموافقة على منحي الرخصة لإصدار مجلة المنهل. . وانتقلت المعاملة إلى الشعبة السياسية، أيامها كان يوسف ياسين هو رئيس الشعبة السياسية وكانت له آراء لا تتفق مع آراء الشباب في ذلك الوقت فحفظ المعاملة خمس سنوات في الشعبة السياسية. . وكنا نرسل الكتب التعقيبية ولا جواب. . وفي عام ١٣٥٥هـ وفي رمضان منه جاء فؤاد حمزة (رحمه الله) «وكيل وزارة الخارجية» ذلك الرجل الماجد وبلغت أنه نزل في بيت الأنصاري المقابل لباب السلام في المدينة المنورة ليقيم ثلاثة أيام ويعود إلى الرياض، فقلت في نفسي أزور هذه الشخصية الكريمة كما نسمع عنها. . وبعد الإفطار وكان بيتي قريباً من بيته ذهبت وسلمت عليه وتحادثنا في الأدب وفي كل شيء. . كان رجلاً زكي النفس كريم السجايا.

قلت له في هذه الأثناء أنا طلبت الرخصة لمجلة اسمها «المنهل» وحدث كذا وكذا وبقيت هذه الرخصة في الشعبة السياسية خمس سنوات.

فقال: كيف يكون هذا؟

قلت له: هذا كان. .

قال: الله يهديه. .

ثم قال: نحن الآن في غرة رمضان ١٣٥٥هـ وفي يوم ١٥ من هذا الشهر الكريم تأتيك الرخصة من ديوان الإمارة.

وأيامها كنت أنا موظفاً في ديوان الإمارة وقد صدق وعده ففي يوم ١٥ رمضان صباحاً ورئيس الديوان يفتح الظروف التي وردت من النيابة العامة وإذا فيها معاملة المنهل بإرادة من جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) أن يتقيد بهذه القيود، وإذا اختلف أي شيء من هذه القيود فسينال عقاباً صارماً.

ما هو العقاب الصارم؟

قالوا: أن لا تذكر شؤون المستعمر بخير..

قلت: هذه متضمنة في الكتاب الرسمي.

وجاءت الأسئلة: أين المطبعة التي تطبع هذه المجلة؟ أين الكتّاب الذي يكتبون فيها؟ أين القراء الذين يقرأونهم؟ أين الكفيل الذي يكفل المجلة في خمسمائة جنيه ذهباً؟ كما كان القانون في ذلك الوقت.. الخ.

أراد الله أن يكون هناك صديق عزيز له دار في الشونة اسمه الأستاذ الشيخ أحمد الخياري ابن الشيخ ياسين الخياري اجتمعنا في داره وحدثته.

فقال: أنا أكفلكِ.. أنا أكفل المنهل.. أنا أرهن بيتي هذا الذي في الشونة لدى الحكومة إلى أن تصدر المنهل.. وفعلاً ذهب إلى المالية أيامها وكان الأخ «طارق توفيق» هو مدير المالية، وسجل هذه الكفالة للمنهل.. وجاء الصك عن طريق المالية من كاتب العدل وصدقت المالية عليه بالترخيص للمنهل بالصدور. وانتهى الأمر وما كان عليّ في ذلك الوقت إلا أن أبحث عن المطبعة، وعن الكتّاب الذين يكتبون، والقراء

الذين يقرأون . . كانت هناك ماكينة صغيرة جلبها الصديقان السيد علي والسيد عثمان حافظ من مصر، مطبعة تعمل باليد يديرانها ويعملان بها وهما لا يعرفان الطباعة ولا شيئاً من ذلك، كانا مغامرين أيضاً . . كان السيد علي والسيد عثمان يقولان أكتب أنت ونحن نطبع . . وهات ما كتبته واستكتب بعض الأخوان . . وشرعا في الصف، صف مهلهل وترتيب غير معقول أبداً . . وصدر المنهل في ذي الحجة عام ١٣٥٥هـ في ورق «مخربش» وطبع منه مائة وخمسون نسخة، وكان فتحاً لا يقاس عليه .

كان عندي خمسون ريالاً سلمتها للأخ السيد علي حافظ وبقي له خمسون لم تكن عندي . . فأزمعت أن أوقف المجلة «ما عاد معي فلوس» . والورق سيء، والطباعة سيئة، والجزء الأول من المنهل يشهد بهذا، والحالة لا يمكن احتمالها . . قلت للسيد علي حافظ هذا الكلام . . كان الشيخ عباس قطان يزور المدينة المنورة فسمع بهذا وجمعنا نحن الاثنين وقال : تساعدوا وتعاونوا على إصدار المجلة .

وجاءت فكرة السيد علي حافظ أيضاً أن يصدر جريدة «المدينة المنورة» بعد صدور المنهل، وأصدرت ثلاثة أعداد طبعت في مطبعة طيبة التي طلبها في الأساس الأستاذ عبد الحق النقشبندي واشتراها منه السادة علي وعثمان حافظ . . سمع الصديق العزيز الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود خوجة من مكة بهذه الحالة والعسر، وكان التعارف بيني وبينه في المدينة المنورة، فكتب لي كتاباً وكان مديراً لمطابع أم القرى التي تصدر جريدة أم القرى بمكة المكرمة وله كلمته في الحكومة وعند الملك عبد العزيز رحمه الله وكانت له صلة بي، كتب لي كتاباً قال لي فيه : المجلة التي أصدرتها ووصل لي عدد منها هدية منك، مطبعة أم

القرى الحكومية مستعدة لأن تطبعها في مكة وما عليك إلا أن ترسل المواد مصححة منقحة وأنا أطبعها لك في ظرف خمسة عشر يوماً لكل عدد، وكان الشيخ محمد سعيد عبد المقصود رجلاً نظامياً متحكماً مقتدراً لا يسمح بتأجيل الأوراق أو العدد. . وأرسلت له المواد وبعد خمسة عشر يوماً جاءت مطبوعة أحسن طباعة في ذلك الوقت بكمية محددة هي ثلاثمائة نسخة، واستمرت الأعداد تصدر وتصدر حتى الآن. لا أدري كيف صدرت «فتح الله» دين نتحمله. أشياء نقبلها ولا نتحملها إلى الآن.

هذه هي قصة الحركة الأدبية التي نشأت في مكة المكرمة والمدينة المنورة التي كانت المجمع الأول والأساس الأول للحياة الأدبية في المملكة.

فالأدب تنقّل من مكة إلى المدينة لا بصفة مكة هي الركيزة ولا بصفة أخرى أن المدينة تقف تجاهها ولكن من حقي أن أضيف جديداً آخر. لقد كان هنا شخص لا زال على قيد الحياة هو الأستاذ محمد علي ثروت، كان في المدينة وتعارفنا وتصادقنا ثم ذهب إلى جازان وأقام هناك فلما عرف بصدور المنهل كتب كتاباً لي قال فيه: أريد أن أكون وكيل المنهل في جازان، وكان خير الوكيل، وكان الأساتذة (محمد علي السنوسي ومحمود عارف ومحمد زارع عقيل) هؤلاء الثلاثة شباب يحبون الأدب، فلما وجدوا هذه المجلة أعجبتهم وصاروا يكتبون فيها قصائدهم وشعرهم دائماً. . ومن هنا نشأ الأدب في جازان. . لا بطريقة الإنتقال المتسلسل ولكن بطريقة المقادير والهمم. . وسمعنا بعد ذلك عن أدباء تكوّنوا في المنطقة الشرقية: عبد الله مسلم ومحمد يعقوب وخلافهما. . وكان هناك أشخاص آخرون من ديار أخرى. جاءتنا كتبهم وأصدروا

المجلة هناك. . فتعارفنا بهم وعرفنا أن الأدب كأن لم يكن في المنطقة الشرقية وعرفنا آنذاك أن أدبهم لم يكن أدباً صادراً عن أدب تلك الحقبة للأسف وإنما يستوحي أدب العراق لأن لهم صلات أدبية وإجتماعية وثيقة مع العراقيين وهم بطبيعة الحال كانوا متقدمين في الأدب.

ونحمد الله على أنه منذ أن ازدادت الواردات في الدولة السعودية واتصل الجانبان أو الجناحان اللذان يكوّنان أكبر مساحة وأعظم هيئة في شعب المملكة العربية السعودية (الحجاز. . ونجد) اتصلا اتصالاً وثيقاً طيباً، عرفنا في أيام مضت الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف أنه كتب واستصدر أوامر بتأسيس المدارس في نجد وفي الرياض بالذات وفي عام ١٣٦٧هـ كانت توجد مدرسة واحدة هي مدرسة «وادي السليل» فطور هذه المدارس وأكثرها وأجزى الطلبة والمدرسين واتصلت نجد بالحجاز والحجاز بنجد. وتفاعل الأدب ودرس كثيرون الرياضيات وعلوم الأحياء وغيرها في الحجاز وفي غير الحجاز. . وجاءت البعثات فكان من ذلك حصاد الأدباء المعروفين الآن في نجد. . ومن هذا ومن بعده تكاثرت المدارس واتسع نطاق الأدب وتكامل وامتزج بعضه ببعض.

لم يكن أدب مكة سارياً على النهج الذي سار عليه أدب المدينة كان أدب مكة ينتمي إلى الأدب المهجري في شعره ونثره ولا يخفى عليكم أن الأدب المهجري لم يكن مثل الأدب العربي القديم، لم يكن يتحلل من الإسقاط اللغوي ولا يبالي كثيراً بما يقول أو يكتب. . فقد كان رهين الفكرة التي يرى أنه يحسن أن تموج في بلاد العرب وبلاد المهجر معاً. . ذلك كان أدب المهجر وكان الأساس، ولكن بعد ما اتصلت المدن واندمجت كانت هناك اختلافات واجتهادات في الآراء حتى أنني كتبت في السنة الثانية من المنهل «أدبنا بين التصوير وبين العلم».

أدب مكة تصويري وأدب المدينة علمي. الأدب العلمي لم يكن نابعاً من المدينة كثيراً، ذلك لأن المدرسين كانوا يدرسون الأدب العربي القديم، وبعضهم أتى من مصر، ومنهم بعض الزائرين الشعراء والأدباء المبرزين فتكوّن من هذا خط الأدب العلمي المشوب بطعم الأدب الحديث على المنهج الذي أخذه الكتاب والشعراء في مصر.

وأدب مكة كان مهجرياً كما كنا نطّلع عليه ونراه.. ومن يراجع الكتب المؤلفة في ذلك الوقت في الأعوام ١٣٤٥، ٤٦، ٤٧، ١٣٤٨هـ يتبين له هذا من ناحية المبادىء الأولى التي هي في الحقيقة تكاد تكون مجهولة لكثير من الناس ولكنها معروفة.. ولم تدوّن كما يجب.

أيضاً هنا بحث يتصل بجذور الحركة الأدبية الأولى بعد الحرب العالمية الأولى ثم بعد الحرب العالمية الثانية والحركة في هذا البحث متصلة فهي بعد الحرب العالمية الأولى كانت ضعيفة تصدر من أصداء ضعيفة تصل من بعيد ويلتقطها أشخاص معينون قليلو العدد ممن انتحلوا نحلة الأدب ويعتنون به ولا صدى لهم ولا عبرة ولا اعتبار ولكنهم صمدوا.. وبعد الحرب العالمية الثانية تفجرت ينابيع الأدب نوعاً ما لما دخل جلالة الملك عبد العزيز إلى الحجاز وأقام فيه نظام الأمن العام.. ونظام تقدير العلم ورجاله.. وحشد الكتاب الصغار الذين يتجهون نحو الأدب وعينهم في الوظائف الكثيرة لترشدهم إلى الحياة الإصلاحية ولتمكنهم نوعاً ما من تحقيق بعض ما يهدفون إليه في آدابهم.

المحاور المهمة في المجالات الأدبية عبر تنقلها من بلد إلى آخر.. تشكل ملامح التكوين الثاني المتطور وملامح التميز والإستهداء إلى الأدب السعودي في إطار هذا التكوين.. الدور الطموح إلى انتشار الأدب السعودي خارج المملكة ثم الدور الطموح إلى التجديد.. هذه المسائل ألخصها تلخيصاً وجيزاً لكي لا يطول المقال.

بعدما رسخت قواعد الدولة السعودية وجد الشباب مجالاً واسعاً في الكلام وإبداء الآراء، واستهدفوا قبل كل شيء أن ينشروا أدبهم السعودي الحديث في جميع أنحاء المملكة أما بالدعاية أو بالدعوة إليه، أو بالكتابة أو بالنشر، ولقد تكونت في ذلك الوقت صحف كان أولها صحيفة أم القرى الرسمية ومع أنها كانت رسمية لم تتورع أن تكتب وتنشر في الإصلاح على نهج الصحافة نوعاً ما، فكان الكتّاب الذين ينشرون في أم القرى وعلى رأسهم الأستاذ المرحوم محمد سعيد عبد المقصود كان فاتحة الثورة الإصلاحية.. وكان للكتاب شيء من الصلابة والشجاعة لأن يكتبوا ما يرون وكان الملك عبد العزيز شخصية كبيرة مصلحة أكبر من أن ينتقد أو يلومه أحد ما وكان يسهل لهم الطريق ويفتح لهم أبواباً عدة.. لقد طلبوا منه أن يؤسس مدارس جديدة وعلى رأسها مدرسة تحضير البعثات التي ستكون على رأس المدارس الأولية الإبتدائية كمدرسة ثانوية ووافق جلالته على ذلك.. وكذلك كنا نكتب كثيراً مما نراه ونحن نعلم أنه لا يخلو من النقد البنّاء الهادف فلا يصادر رأي أحد وهؤلاء الكتّاب كان أكثرهم موظفين في دواوين الحكومة الرسمية العالية ولكن إذا تعدى بعضهم وتجاوز حده فينال بعضاً من العقاب الخفيف وكما كتب جلالته آنذاك «فإذا تعدى ذلك فسينال العقاب الصارم».

هذا الطموح الذي كان يركب رؤوس الشباب وهذه الرأفة والحكمة وسداد الرأي وبعد النظر من قبل المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود أدى إلى تطوير الأدب، ودعا الأدباء والمتأدبين إلى أن يتكاتبوا وينشروا مقالات مسلسلة مطولة تدعو إلى تصدير الأدب إلى الخارج.. كيف يكون وكيف يتم؟ وكانت صحافة أم القرى وصوت الحجاز والمنهل والمدينة تنشر هذه المقالات وتلك الآراء تباعاً ورأوا أن هذه فكرة من دلائل نهضة الحكومة واعتنائها بالأدب وبعد ذلك اتفقوا جميعاً على

الشكل الذي يمكن به تصدير أدبنا وهو الشكل الذي نفذ فيما بعد تدريجياً حتى وصلنا إلى مؤسسة تهامة التي تنشر الكثير والكثير مما ينشره ويكتبه الأدباء بشكلٍ رائع جميل.. وحتى وصلنا أيضاً إلى جامعة الرياض «جامعة الملك سعود» بما تنشره من كتب.. وجامعة الملك عبد العزيز فيما تنشره من كتب ثمينة في كل علم وفن.

إذن لقد تحقق التصدير وفي زمن أقل من الزمن الذي كنا نقدره لهذا التصدير العام الشامل.. وإذا كان الأدب يشمل العلم.. والعلم يشمل الأدب فما نتوصل الآن إليه من كتب نجده مشحوناً بالأدب. والأدب معناه الأسلوب القوي المتين وهذا هو الذي يصلح في أي علم وفي أي فن.

نشأ بعد ذلك الطموح إلى التأليف.. المؤلفات.. كيف تؤلف الكتب؟ وكيف نطبعها؟ طبع الكتب كان يعتبر معضلة لأن المطابع نشأت محصورة بين مكة وجدة ليس غيرهما.. ولكن بعدما تطاول البنيان وتقدم الأدب وكثرت المطابع كان لها ـ حقاً ـ أثر كبير في تصدير الأدب وتأصيل الحركة الأدبية في الداخل والخارج.

العناصر التي ساهمت في تكوين النواة الأولى للأدب وأثرها الإيجابي والسلبي على الحركة الأدبية بدأت من هنا.. ثم كان انتقالها إلى الربط بين أطراف الأدب تهيئة لاندماجها مع بعضها الآخر.

هذا الموضوع سبق أن شرح ولكننا لا بد أن نبحث عن العناصر الأدبية غير السعودية التي أثرت وأثّرت في إجلاء دور التكوين.. هذا الموضوع معروف ولكني أزيد عليه ما يعززه.

توجد هناك عناصر أدبية من خارج الحجاز ونجد أثرت في هذا

الأدب سواء في معاركها أو في الدعاية القائمة لها في صحف وكتب كثيرة منها مصر وسوريا.. هذان البلدان هما أكثر من أثّر في الأدب الحديث فيما بعد.. ونضيف إليهما أيضاً الأدب المهجري الذي نشأ وترعرع في عدد ممن هاجروا إلى أمريكا وبقوا فيها وتلقفوا آراءها وأفكارها ومناهجها في الحياة، وأسلوبها في الأدب، سواء كان نثراً أو شعراً ومنهم «ايليا أبو ماضي».

إن المؤرخ الحقيقي لتاريخ الحركة الأدبية في هذه المملكة لا بد أن يلاحظ أثناء دراسته وتأملاته أن الحركة الأدبية المهجرية كان لها أصداء واسعة في جزء كبير من الشباب المواطن وأخص في ذلك مكة وجدة، ولم تكن المدينة على ذلك المنهاج، وهذا الأدب له انفعالاته وتفاعلاته وتفريعاته واتجاهاته التي ربما تحض من يلتزم به إلى آخر الشوط، وتتعارض كثيراً مع التقاليد التي نحن سائرون عليها وعن الأدب الذي نرتضيه ومنها على سبيل المثال عدم المبالاة بالعقائد.. أو عدم المبالاة بأشياء كثيرة. ولكن الذي حدث أنه في الستينات لما تلاقت المدن مع بعضها البعض في المملكة واتصلت بوسائل المواصلات من سيارات وطائرات.. الخ. بدأ من يلتزمون بالأدب المهجري وأحبوه واعتنقوه يحسون نفسياً بقصر طوله وتقلص انتشاره وأصبحوا يبتعدون عنه قليلاً قليلاً وأذكر منهم الكثيرين الذين تخلوا عن منهج هذا الأدب بخيالاته الجوفاء التي لا تتفق كثيراً مع الأدب الإسلامي.. تخلوا عنه أخيراً في كل شيء ورجعوا إلى الخطوط العلمية كما كان أدب المدينة يحب.. وكما كانت العرب تحبه.. ورجعوا أيضاً إلى التحقيق.. وكان من أسوأ السيئات التي نالت الأدب في ذلك الظرف المضطرب «النقد الذاتي» فكان الأدباء الذين تشبعوا بالأدب المهجري كثيراً ما يوجهون النقد الذاتي لبعض الأشخاص من الأدباء أنفسهم وتنشط معارك شديدة إلى أن

يكتشف الإنسان أنها لا شيء. عبارة عن بالون مجوف يصعد ثم يهبط بفعل الهواء وينتهي. . وهكذا انتهى الأدب المهجري من هذه البلاد في تلك السنوات الستينات. . وبقيت منهم بواق قليلة جداً وضئيلة ليس لها قيمة خاصة وإن طبيعة الأشياء تفرض وتمسك جادتها.

ثم لا نستثني في هذا وذاك «المؤتمر الأدبي السعودي» الذي عقد في مكة المكرمة والذي احتضنته جامعة الملك عبد العزيز إذ كان من نقط الإنطلاق وتأكيد المبدأ الحميد في تجمع أكبر عدد من الأدباء الذين ساهموا في إثراء الأدب وركزوا على أن له مكانة. وأن مكانته ستتقدم أيضاً في المستقبل. فقد كان جلالة الملك فيصل كريماً وعظيماً حينما أذن ووافق على قيام هذا المؤتمر العظيم الذي جمع مائة وستين أديباً من أدباء المملكة مما كنا نظن أنه لا يوجد هذا المقدار ممن يحبون الأدب أو يمارسونه. . واجتمعنا كلنا في ذلك الوقت مع جميع مناطق المملكة في مقر الحفل الزاهر وتناقش الأدباء مع الرؤساء مع العلماء. . الخ ونتج عن هذا عطاء الريادة لبعضهم وتقدير بعضهم للميداليات الذهبية. . الخ ونشر هذا في كتاب رسمي (المؤتمر الأدبي السعودي الأول في المملكة العربية السعودية)، فإن ذلك له وقعه وأثره الجيد في إبراز الحركة الأدبية. ونضيف إلى هذه المؤتمرات التي تعقدها الجامعات التي كانت ثلاثاً وصارت الآن سبعاً هذه المؤتمرات الأدبية الفكرية كان لها الأثر الكبير - أيضاً - في دعم الأدب وتقرير مساره وتخطيط هذا المسار وتطويره حتى يصل إلى المستوى الملائم المرموق إن شاء الله.

أما عن موقف الأدب العربي الخارجي من الحركة الأدبية السعودية المتصاعدة فهو موقف يتأرجح بين موقفين: سلبي لا يبالي بهذا الأدب ولا يذكر له شيئاً ولا يدعو له. والموقف الآخر: إيجابي على

العكس من سابقه. ولقد تلاحم الموقفان، ويبدو لي أخيراً أن الموقف الإيجابي بدأ يتغلب على الموقف السلبي لما بادرت به حكومتنا الرشيدة من التخطيطات العلمية والأدبية والعمرانية والإقتصادية حتى كان فتحها ثم سار غزوها الذي له مكانته المرموقة في المعمورة.. هذه المكانة دعمت الحركة الأدبية نوعاً ما وأقامت لها أعمدة مضيئة في كثير من بلاد العالم.. وكثيراً ما كان يصل إلى مجلة المنهل ممن لا يعرفهم من الناس وفي بريدها الأسبوعي قرابة مائة وخمسين كتاباً أو مائة وستين كتاباً ترد من مشارق الأرض ومغاربها دعماً للحركة الأدبية وثناءً عليها.

وكان لتشجيع الحكومة للأدب وثماره المنشودة والمنقولة أثر بالغ في تقدم هذه الحركة، وهذه حقيقة لا ينكرها أحد لأننا نعرف أن الأدباء كانوا يكرّمون وما زالوا يكرّمون في ظل الحكومة السعودية ابتداء من الملك عبد العزيز (رحمه الله) ووصولاً إلى جلالة الملك فهد (حفظه الله) يكرّمون بنشر تآليفهم وشرائها وتقدير كتّابهم الكبار وتعيينهم في الوظائف القيادية والأخذ بيدهم.. إذا احتاجوا إلى مساعدة وهذه حقيقة لا تنكر.

ومن جامعات السعودية بدءاً من الجامعة الأم «جامعة الملك سعود» دور بارز متميز في توسعة دائرة الأدب الحديث في كل أشكاله وأهدافه وألوانه وهذه الحقيقة لا تنكر (وشهد شاهد من أهلها) كما يقول القرآن الكريم فإثراء الدكاترة والأساتذة الأجلاء للحركة الأدبية والفكرية والعلمية في البلاد شيء مهم ويدلل بجلاء على أن التطور سائر في سبيله على أحسن ما يكون.. وإن شاء الله سيكون المستقبل أزهى وأبهى.

لقد أعجبت إعجاباً خاصاً حينما ذهبت إلى المعرض في حفلة إفتتاح جامعة الملك سعود بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على

تأسيس الجامعة.. ذهبت مع الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ليلاً فأذهلني ما رأيته أمامي في بناية المعرض.. ما هو هذا الشيء المذهل؟ سيارة تسير بالطاقة الشمسية.. ينشأ هذا المشروع ويثبت ويدعم من المملكة العربية السعودية التي لها سنوات قليلة ومعدودة في الدخول في هذه الحركة العلمية الباهرة.. ثم بعد ذلك رأيت بيتاً كاملاً مكيفاً هواؤه من مصادر الطاقة الشمسية.. أيضاً إن هذا الشيء عجيب.. إن هذا الشيء يلفت الأنظار ويدل على مدى التقدم الذي نحن سائرون فيه.. لقد قلت في هذا التقدم: «إن الذي يركب الطائرة السريعة النفاثة لا يدرك مدى سرعتها وهو في داخلها وإنما الذين يدركون سرعتها هم من يرونها من الخارج» وكذلك نحن في هذا الزمن (ولله الحمد) لا نستطيع أن ندرك مدى سرعة تطورنا وتقدمنا في مراكب الحياة المختلفة المتوسطة والعالية إلا بعد أن نقنن الإنطلاقات وننصف النهايات.

أما عن الحلقات التدريسية للمسجدين الشريفين المكي والمدني فلا يمكن بحال طمس معالمهما خلال نشأة الأدب الحديث تحت أجنحتهما إبان حركة التكوين الأولى المبدئية، وهذه حقيقة أيضاً، لأننا نحن أكثرنا من المعاصرين المعايشين حتى الآن وكلنا مارس الأدب على أساتيذنا المشائخ سواء في الحرم المكي أو الحرم المدني.. هذا هو النتاج الأول وهذه هي الثمرة الباكورة كلها نشأت من المسجدين.. ثم سعي تلاميذهم وأخوانهم ومريدوهم فوسعوا هذه الحركة وكل يوم يأتي تتفاعل به دوامة الحركة وتنفعل وتتسع رقعتها بفضل الله وتوفيقه»[1].

---

(١) مجلة «المنهل»، مجلد ٤٦، عدد ٤٣٠، محرم، صفر ١٤٠٥هـ - أكتوبر، نوفمبر ١٩٨٤م، ص٦٦-٧٧.

«القبلة» ودورها:

تجمع جميع المصادر، والمراجع، والقرائن، على أن بدايا التفاعل والتكوين للنهضة الأدبية الحديثة في هذه البلاد ترجع في جذوره الأولى إلى بداية ظهور الصحيفة العربية الأولى في مكة المكرمة، وهي جريدة «القبلة» التي أصدرها الملك حسين بن علي، وأسند رئاسة تحريرها لبعض كبار الأدباء العرب من الأقطار المجاورة، مثل الشاعر العربي الكبير، فؤاد الخطيب، اللبناني الأصل.

أما أول من تولى رئاسة تحرير جريدة القبلة من أبناء هذه البلاد، بل والوحيد الذي بلغ هذا المستوى آنذاك، فهو الطيب الساسي (رحمه الله) الذي كان آخر رئيس تحرير لجريدة «القبلة» في مكة المكرمة، ثم تولى بعدها رئاسة تحرير جريدة «بريد الحجاز» في جدة، وكان من بين الشبان الذين تولى الطيب الساسي تدريبهم على التحرير في جريدة «بريد الحجاز» بجدة محمد حسن عواد (رحمه الله).

والطيب الساسي ولد في المدينة المنورة في سنة ١٣١٠هـ، وتلقى العلم في حلقات الدرس بالمسجد النبوي الشريف، كما مارس هو تدريس العلوم في المسجد النبوي الشريف، ومارس نظم الشعر في سن مبكرة، وكان يراسل «القبلة» من المدينة المنورة، أولاً، ونشرت له قصائد في موضوعات وطنية، مثل قضية النضال العربي في سوريا ضد الإحتلال الفرنسي[1].

وبعد ذلك غادر الطيب الساسي (رحمه الله) المدينة المنورة، إلى

---

(١) «القبلة»، عدد ٥٦ في ٤ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ، وكتاب «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية»، تأليف بكري شيخ أمين، ص٣٢٢.

مكة المكرمة، منطلق الثورة العربية، التي كان من أشد المتحمسين لها، فاتصل بالملك حسين بن علي، الذي وثق فيه وقرّبه، وكلّفه بتأسيس أولى المدارس العالية في هذه البلاد على الإطلاق، وهي المدرسة الراقية الهاشمية، التي تولى إدارتها، ووضع مناهجها، بالإضافة إلى رئاسته لتحرير جريدة «القبلة» التي كان الوحيد من أبناء هذه البلاد، على الإطلاق، الذي أسندت إليه رئاسة تحريرها.

وارتبط الطيب الساسي بزمالة وصداقة خاصة مع كبار الساسة والأدباء العرب الذين جاوروا بمكة آنذاك، مثل خير الدين الزركلي، وفؤاد الخطيب، الذي خلد ذكرى صداقته بالطيب الساسي واحترامه وحبه له في قصائد كثيرة، ضمها ديوانه، وخصه بواحدة منها نظمها كاملة فيه، أورد هنا نصها كاملاً، وهو:

الصديق العالم الجليل
الأستاذ/ الطيب الساسي

دعوتك أيها الخدن المفدى	إليَّ فكنت أسرع من أجابا
وقمت موفقاً في كل أمر	بما اكتسح المشاكل والصعابا
وأنت (الطيب الساسي) طابت	بك الدنيا وصفو الود طابا
وكم من خطة خالفتَ فيها	فكان سدادك العجب العجابا
كما نضدت (حروف الطبع)[1] عكساً	فكانت عندما قرئت صوابا[2]

---

(١) إشارة إلى مهنة الصحافة والطباعة، وكيف كانت معارضة الطيب الساسي في كثير من أمور هي عين الصواب، في رأي الشاعر فؤاد الخطيب، رحمهما الله.

(٢) «ديوان الخطيب»، نظم شاعر النهضة العربية فؤاد الخطيب، ص٦٤٢.

وكان الطيب الساسي أول من وقف موقف الند للند من أبناء هذه البلاد في مطلع عصر النهضة الحديثة مع كبار رجالات السياسة والأدب من أبناء الأقطار العربية المجاورة، الذين تولوا رئاسة تحرير «القبلة»، حينما «أصبحت مكة المنارة السياسية والأدبية للشرق العربي، كما غدت جريدة «القبلة» المرآة التي تعكس هذه الآمال كلها، وانصهروا كلهم في بوتقة واحدة، تفيض بشعار الوحدة، والحرية، والمساواة.

«ويبدو أن حماسة الحجازيين كانت أشد من حماسة غيرهم، فقد خيّل إليهم، أنهم بالتفافهم حول الثورة يستطيعون أن يجعلوا بلدهم المقدس قائداً للعالمين، الإسلامي، والعربي، كما كان في عهد الرسول ﷺ وخلفائه، إلا أن الآمال قد تهاوت واحداً بعد آخر. وانهارت الثورة، ونفي قائدها الحسين، وهكذا طويت هذه الصفحة، وصارت حديثاً للدارسين»[1].

وبعد انهيار الدولة الهاشمية في الحجاز، هاجر الطيب الساسي بعائلته، إلى اليمن، وعدن، وحضرموت، ثم إلى الهند، وأندونيسيا، وسنغافورة، وواصل نضاله في كل مكان، في نشر العلم واللغة العربية والدفاع عن الإسلام والمسلمين، غير مبال بقسوة الغربة وعدم الإستقرار.

وبعد أن استتبت الأمور في هذه البلاد للملك عبد العزيز (رحمه الله) عاد الطيب الساسي، وأعلن ولاءه، فلقى من عطف الملك عبد العزيز وتشجيعه ما أعانه على مواصلة جهاده في خدمة الإسلام والعلم والأدب، فأعاده الملك عبد العزيز إلى رئاسة جريدة «أم القرى»

---

(١) «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية»، تأليف د. بكري شيخ أمين، ص٣٢٢.

التي خلفت جريدة «القبلة»، كما أصبح الطيب الساسي (رحمه الله) عضواً في مجلس المعارف، وفي مجلس الشورى، ومديراً لجمعية الإسعاف الخيري، وظل يجاهد في خدمة دينه، وبلاده، وأمته، في العلم، والأدب، والأعمال الخيرية الإنسانية إلى أن وافته المنية فمات في ٢ شوال سنة ١٣٧٨هـ في حادث سيارة بطريق مكة/ جدة، مخلفاً بنتين، وولدين، أحدهما هو مؤلف هذا الكتاب.

وفي المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز، وعقد بمكة المكرمة في الفترة من ١ إلى ٥ ربيع الأول ١٣٩٤هـ تم اعتبار الطيب الساسي (رحمه الله) رائداً من رواد الأدب الأوائل في هذه البلاد، مع ثمانية آخرين ممن كانوا قد انتقلوا إلى رحمة الله، قبل عقد ذلك المؤتمر[1]. وفي هذا أيضاً تأكيد، ضمني، على الإعتراف بدور جريدة «القبلة» في إشعال شعلة النهضة في بداياتها الأولى في هذه البلاد، وبصفة خاصة في الأدب، والوعي الأدبي، وتذوق الأدب وفهمه.

---

(١) كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، المجلد الأول، ص٣٦٣، ومجلة «المنهل»، المجلد ٣٥، الجزء ٣، ٤، السنة ٤٠، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٩٤هـ - ابريل، مايو ١٩٧٤م، ص٢٦٥.

بداية عهد التوحيد

١٣٤٤ ـ ١٣٥١ هـ

في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٤م أتم الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) جهاده العسكري، الذي تكلل بالتوحيد التام لأقطار هذه البلاد، التي أصبحت تعرف منذ تلك السنة باسم: «مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها»(١). وفي إطار هذا التوحيد استتب الأمن، فسعدت النفوس باستشعار الإطمئنان، وانصرف الناس إلى العمل الجاد المثمر، في كل ميدان من ميادين الحياة الواسعة.

وفي يوم الجمعة ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٢٤م صدر العدد الأول من جريدة «أم القرى» الرسمية، التي خلفت في مكة المكرمة جريدة «القبلة».

وقد أولت جريدة «أم القرى» في بداية عهدها اهتماماً خاصاً بالأدب وآثار الأدباء الشعرية والنثرية.

وفي دولة التوحيد والأمن والإطمئنان، التي أسسها بجهاده، ورعاها بعدله الملك عبد العزيز (رحمه الله) أخذت معالم النهضة الحديثة

---

(١) راجع التفاصيل التاريخية في كتاب «صقر الجزيرة»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، وكتاب «نجد وملحقاته»، تأليف أمين الريحاني وغيرهما من كتب التاريخ.

الشاملة، والنهضة الأدبية خاصة تبرز وتتنامى. فبرز شعراء وكتّاب من شبيبة هذه البلاد، مارسوا الكتابة والتعبير عن شعورهم الوطني الصادق بالسعادة لما حققه الله لهم على يدي مؤسسة دولة التوحيد في بلادهم، معبرين عن طموحهم وآمالهم في نهضة كبرى، خاضوا غمار تجربة تحقيقها بفكرهم وعواطفهم وبثمرات عقولهم وأفئدتهم وأقلامهم.

الإصدارات الأولى:

منذ أن اطمأن الناس وهدأت النفوس وسعدت بتوحيد أقطار هذه البلاد وتثبيت الأمن في ربوعها، اتجه الجميع إلى العمل المثمر، كل في ميدانه. فوحّدت مجموعة من شداة الأدب جهودها، واشتركت في تجميع آثارها الشعرية والنثرية، وإصدارها في كتاب. فكان ذلك هو أول إصدار أدبي طبع ونشر بعد توحيد هذه البلاد، وحمل ذلك الكتاب عنوان «أدب الحجاز».

وأصدره محمد سرور الصبان في شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ حاملاً آثاراً شعرية ونثرية لمجموعة مؤلفة من خمسة عشر أديباً شاباً، آنذاك. ووصفه ناشره، محمد سرور الصبان (رحمه الله) بأنه: «صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية»، كما كتب في تقديم الكتاب يقول: «أقدم بين يدي القارىء الكريم صفحة فكرية وجيزة من أدب الشبيبة الحجازية، شعرها ونثرها لهذا العهد، ولأول مرة في التاريخ الأدبي لهذه البلاد، بعد فترة طويلة، وقرون كثيرة، قضى بها سوء الطالع، أن يكون علم الأدب فيها غريباً، والأدب مبتذلاً»(١).

ولم تكن ثقة أولئك الأدباء الشبان في أنفسهم وآثارهم الأدبية قد

---

(١) كتاب «أدب الحجاز»، جمع ونشر محمد سرور الصبان، المقدمة ص٥، ٦.

بلغت درجة النضج الكافي، لذلك آثروا الظهور في كتاب مشترك، وعلى استحياء شديد، عبر عنه جامع ذلك الكتاب وناشره، محمد سرور الصبان (رحمه الله) بقوله: «إني أصدر هذه المجموعة الشعرية والنثرية من عمل شبيبة اليوم، وأنا شاعر بما فيها من قصور، وأنا شاعر أن قيمتها الأدبية ربما لا تساوي شيئاً في سوق الأدب، بل ربما تكون محل سخرية من البعض، كما تكون محل عطف وتشجيع من الآخرين»[١].

ولعل هذا هو السبب، الذي جعل أدباء ذلك الجيل ينشرون معظم إصداراتهم الأدبية الأولى في صورة جماعية مشتركة. ولكن آثارهم تلك كانت تحمل تصويراً لحماسهم المتقد، وطموحهم الكبير، وتصميمهم على بناء نهضة، والوصول إلى غد مشرق.

ففي ذلك الكتاب الأول «أدب الحجاز» قصيدة للشاعر محمد عمر عرب، عبر فيها عن طموح ذلك الجيل ونظرته إلى المستقبل، فقال:

لكن سينقلب الزمان	ونجتني النصر المنيع
ونهب من هذا الرقا	د ونبلغ الشأو الرفيع
ونعيد للشرق العزيز	تراثه السامي العظيم
ونشيد ركن علائه	من فوق هامات النجوم[٢]

وفي قصيدة محمد عمر عرب (رحمه الله) التي نشرها في كتاب «أدب الحجاز»، لا يتجلى طموحه في التعبير الموضوعي المباشر عنه فقط، بل وفي أسلوب النظم والأداء الفني، فهو لم يلتزم بروي ولا قافية، مع محافظته على البحر والإطار الشعري العام. وفي هذا نزوع إلى

---

(١) كتاب «أدب الحجاز»، جمع ونشر محمد سرور الصبان، المقدمة ص٥، ٦.

(٢) كتاب «أدب الحجاز»، ص٤٠-٤٢.

الإستقلال الفني، بالإضافة إلى الطموح الموضوعي في نظرة التفاؤل إلى المستقبل، بثقة وتصميم.

أما الروح العامة التي تميزت بها تلك الآثار الأولى في كتاب «أدب الحجاز» فإنها كانت تتميز في ثلاثة أمور، هي:

أولاً: ذم الماضي القريب، والشكوى من آثاره الباقية، بعد التمزق والشتات.

ثانياً: التمسك بالوحدة، والتأكيد على أنها سبيل الوصول لنهضة شاملة.

ثالثاً: الطموح بتفاؤل وثقة وصدق تصميم.

وفي شعر جامع مواد كتاب «أدب الحجاز»، الشيخ محمد سرور الصبان (رحمه الله) مثال واضح على تلك الروح، إذ قال:

ويحي أيعترض القنوط عزيمتي   والحزم من طبعي ومن عاداتي
ولقد تمر بي الحوادث خشعا   ويصيبها خور حيال ثباتي

ثم قال:

إن البلاد بأهلها، فبجهلهم   تشقى وتلقى أعظم النكبات
وإذا توحدت الجهود لخيرها   سعدت ونالت أرفع الدرجات[1]

وتصديقاً للإشارات التي وردت قبل هذا، بأن الأدب الحجازي في مكة كان في بداياته الأولى شديد التأثر بأدب المهجريين العرب في أميركا، فإن بعض من أسهموا بالكتابة في «أدب الحجاز» قد اعترفوا

(١) «أدب الحجاز»، محمد سرور الصبان.

صراحة بتأثرهم بالأدب المهجري، بل وبمحاكاته، كما قال محمد عمر عرب (رحمه الله) عن قصيدته بأنه نظمها «مجاراة لميخائيل نعيمة في قصيدته يا نهر»[1]، كما ظهر تأثير جبران خليل جبران واضحاً في نثر محمد عمر عرب كذلك. ويظهر أثر المهجريين واضحاً في كتابات عدد آخر من الذين اشتركوا في كتابة مواد «أدب الحجاز»، مثل عبد الوهاب آشي[2]، ومحمد علي رضا[3]، وعبد الوهاب نشار[4]، وعبد الله فدا[5]، ومحمد بياري[6]. وكانت الأجواء الرومانسية طابعاً مميزاً لتلك الكتابات، التي تجلى فيها الأثر المهجري في كتاب «أدب الحجاز»[7].

ومهما يكن من أمر كتاب «أدب الحجاز» فإنه يظل معلماً بارزاً في تاريخ الأدب في هذه البلاد، باعتباره الإصدار الأول، على الإطلاق، بعد إتمام الملك عبد العزيز (رحمه الله) عملية توحيد أقطار هذه البلاد، وفي السنة الأولى لهذا العهد الجديد، قبل إعلان دولة «المملكة العربية السعودية».

ولعل كتاب «أدب الحجاز» قد أثار في نفوس الشباب آنذاك مزيداً من الحماس للتأليف ونشر الكتب، فنادوا بتأسيس جهة تتولى النشر وتنشيط إخراج آثارهم الأدبية في كتب مطبوعة للقراء. وتولى زعيمهم آنذاك، الشيخ محمد سرور الصبان، تأسيس تلك الجهة وإدارتها، وهي

---

(١) «أدب الحجاز»، ص٤٠، ٤٢.

(٢) «أدب الحجاز»، ص٩٩، ١٠٣.

(٣) «أدب الحجاز»، ص١٢٢، ١٢٤.

(٤) «أدب الحجاز»، ص١٢٩، ١٣٤.

(٥) «أدب الحجاز»، ص١٣٥، ١٣٧.

(٦) «أدب الحجاز»، ص١١٨، ١١٩.

(٧) «النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠-١٩٤٥»، ص١٠١-١٠٤.

«المكتبة الحجازية» التي يمكن اعتبارها أول دار للنشر في هذه البلاد، في بداية عهد التوحيد. وعن «المكتبة الحجازية» التي تأسست لتنشيط التأليف والنشر، صدر في سنة ١٣٤٥هـ الإصدار الثاني لأدباء ذلك العهد في الحجاز، وهو كتاب «المعرض» الذي تم تأليفه بمبادرة من مدير المكتبة الحجازية، زعيم أولئك الأدباء، محمد سرور الصبان (رحمه الله) و«المعرض» كان القصد منه، كما يوحي عنوانه، أن يكون معرضاً فكرياً أدبياً لأولئك الأدباء الشبان، آنذاك، في هذه البلاد، في موضوع واحد، أثاره ناشر ذلك الكتاب محمد سرور الصبان في صورة استفتاء وجهه في سؤال إلى زملائه وأقرانه الأدباء وطلب منهم الإجابة عليه، ثم جمع تلك الإجابات، وأصدرها في كتاب «المعرض»[1]، أما السؤال موضوع الإستفتاء فهو: «هل من مصلحة الأمة العربية أن يحافظ كتابها، وخطباؤها على أساليب اللغة العربية الفصحى، أو يجنحوا إلى التطور الحديث، ويأخذوا برأي العصريين في تحطيم قيود اللغة، ويسيروا على طريقة حديثة عامة مطلقة»؟.

ونلاحظ في صيغة هذا السؤال روح الإستفزاز، والتحدي، في عبارة «أو يجنحوا إلى التطور الحديث، ويأخذوا برأي العصريين في تحطيم قيود اللغة» وربما كان ذلك تعبيراً عن نقمة أولئك الأدباء على أساليب التقليد الركيكة التي كانت سائدة قبلهم.

وقد حملت بعض الإجابات ما أكد حصافة رأي بعض أولئك الشبان، ومقدرتهم على موازنة الأمور، في شجاعة، وصدق، ووضوح رؤية في توضيح منهجهم وتطلعاتهم، وأجمل مثال على تلك الإجابات،

---

(١) أشار إلى ذلك أيضاً محمد حسن عواد ـ رحمه الله ـ في كتابه «خواطر مصرحة»، ص٥٨.

المتميزة بحصافة الرأي، والجدية الموضوعية، ووضوح الرؤية في شجاعة وصدق، إجابة الأستاذ محمد حسن عواد (رحمه الله) وقد أعاد نشرها في كتاب «خواطر مصرحة»[1] الذي صدر في تلك السنة أيضاً. وكانت نتيجة رأي العواد كما لخصها هو، بقوله: «من مصلحة اللغة العربية أن يحافظ كتّابها وخطباؤها، سياسيين، ودينيين، على الألفاظ العربية المصقولة، وأن يجري أسلوب الكتابة، والخطابة، على الطريقة العصرية المرتكن إليها، بدون تقليد كل تطور حدث، تقليداً أعمى، وذلك لا بد منه لكي تحفظ كرامة اللغة من الدخيل المعيب، ولكي تتحد الأفكار في التفاهم تقريباً، أو تتقارب على الأقل، ولكي تمشي اللغة على ناموس دائمي حي متحد، ولكي تكسي اللغة رشاقة فوق رشاقتها الطبيعية، وعلى الجرائد العربية أن تفتح صدورها لنشر كل مقالة أو قصيدة أو قصة تكون على هذا النمط، وبذلك يحفظ للغة العربية مستقبل مجيد»[2].

وكتاب «خواطر مصرحة» للأستاذ محمد حسن عواد (رحمه الله) هو الإصدار الثالث، في سلسلة الإصدارات الأدبية الأولى، في بداية عهد توحيد الملك عبد العزيز (رحمه الله)، لهذه البلاد. فقد صدر كتاب «خواطر مصرحة» في سنة ١٣٤٥هـ، عن «المكتبة الحجازية» في مكة المكرمة، لصاحبها ومديرها محمد سرور الصبان الذي كتب (رحمه الله)، كلمة الناشر لهذا الكتاب، فوصف مادته بقوله: «وهذه الخواطر، إنما هو العنوان البارز لهذه اليقظة، هي إنجيل الثورة الفكرية في هذه

(١) «خواطر مصرحة»، تأليف محمد حسن عواد، ص٥٨-٦٣.

(٢) كتاب «المعرض» جمع ونشر محمد سرور الصبان، وكتاب «خواطر مصرحة»، تأليف محمد حسن عواد، ص٦٢، ٦٣.

البلاد، لقد اطلعت على مقالاتها، فأعجبت بها، ولمست فيها الفكر القائد، والوعي الموجه، والفنّ الرفيع»[1].

أما محمد حسن عواد (رحمه الله)، فقد وصف كتابه شعراً، في «الإهداء» فقال: إلى بلادي:

نفثات حر هذه	لك من فؤادي يا بلادي
أنا لا أقول لك اقرئيهـ	ـا في المجامع والنوادي
وترنمي بنظيمها	ونشيرها ترنيم شادي
لكن أقول لك اذكري	أني أذبت بها فؤادي
كيما ألبي داعيا	في النفس قام بها ينادي[2]

وقد كان العواد (رحمه الله)، صادقاً أميناً، في وصفه الشعري هذا لمادة كتابه الأول «خواطر مصرحة». فهي بالفعل مجموعة خواطر حملت ذوب فؤاده في حماس ملتهب، واندفاع في بعض الأحيان، ولكنها كانت، كلها، تشع بالإخلاص الوطني الصادق، وبالإخلاص للدين، واللغة، والأدب. كتبها (رحمه الله)، في ثنايا أيام سنة ١٣٤٤هـ، ١٩٢٦م، ونشرها في أوائل سنة ١٣٤٥هـ، وكان وقتذاك يستقبل السنة العشرين من سني حياته[3].

وبعد مرور خمس وثلاثين سنة على إصدار تلك الخواطر، أعاد العواد (رحمه الله) طبعها، في سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م فوصف أسلوبه فيها بأنه كان: «أسلوب المتعلم الثائر على منهج تعليمه، عندما يدرك بعقله

(١) «خواطر مصرحة»، ص٤.
(٢) «خواطر مصرحة»، ص٣.
(٣) «خواطر مصرحة»، الطبعة الثانية، ص: ج، د، هـ.

الباطن، وبفطرته، أن هذا المنهج، وما يواكبه من مناهج أخرى، إنما هي محاولات يصحبها الفشل في بعث «الإنسان» النائم في طبيعة الطفل»[١] ثم قال: «وهكذا ولد هذا الكتاب.. ومشى.. ونادى.. وانطلق العملاق في مكمنه، انطلق الفكر الواقعي، فأشاع سقوط الإتباعية، والتقليد، والإرتزاق بالأدب الذليل، والزلفى بالميوعة والإستخذاء، وصدع برسالة الفن، وبروح النقد، وسما بالقيم، وأيقظ الوعي الإجتماعي العام»[٢].

كان العواد الشاب، آنذاك، غير راض عن الأوضاع العامة في بلاده في تلك الفترة وكان طموحه أكبر من سنه، وتطلعاته نحو المستقبل هي التي أملت عليه خواطره تلك. ولكي نأخذ فكرة أكثر وضوحاً عن خواطر العواد في ذلك الكتاب الذي كان الإصدار الأدبي الثالث، في سلسلة الإصدارات الأدبية الأولى، في بداية عهد التوحيد في هذه البلاد، وهو كتاب «خواطر مصرحة» فإنني أورد هنا خاطرة خصصها العواد لتصوير حالة الأدب في مجتمعه ونقده له وتطلعاته لما يجب أن يكون عليه، فكتب تحت عنوان «الأدب في الحجاز» يقول: «بعض من شبابنا الأدباء، وبعض من قراء الكتب الدارجة يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة - ناصعة والحق يقال - ولكن ماذا يضمنها من أفكار؟

ينظمها في الخمريات، حتى يسابق أبا نواس.

وفي الغزل، حتى يغلب الشاب الظريف.

وفي المديح، حتى يفوق البحتري.

---

(١) «خواطر مصرحة»، الطبعة الثانية، ص: ج، د، هـ.

(٢) «خواطر مصرحة»، الطبعة الثانية، ص: ج، د، هـ.

وفي الحماسة، حتى ينسينا ذكر عنترة.

وفي الحكمة، حتى لا يضاهيه أبو العتاهية.

وكل هذه ـ من الأفكار المائتة التي دفنت مع عصور أبي نواس، والشاب الظريف، والبحتري، وعنترة، وأبي العتاهية، فلا تصلح لنا، أما إذا لم نستطع أن نأتي بفكر جديد ـ ولدينا من الأفكار، والمقاصد، والأغراض الشعرية ما يكمم أفواهنا عجزاً وقصوراً عن استيعابه ـ فأحرى بنا أن نحطم أقلامنا ونسكت.

أمامنا الوطن بحاجاته المادية والمعنوية، وما يتطلبه الشعر فيها!

أمامنا العادات، والأخلاق بما فيها من فساد يتطلب النقد!

أمامنا الحرية بأنواعها، وما يجب من تمكينها في النفوس!

أمامنا الشرق الكسول الخامل وما يجب من تنشيطه.

أمامنا الطبيعة بظاهرها وباطنها ووحيها للعقل والقلب.

أمامنا العرب بحالتهم السياسية، وواجب الشعر في هذا المجال.

أمامنا الغرب باختراعاته ومدهشاته وأعماله، وما يتطلبه المقام في ذلك من تمثيله والحث على منافسته.

أمامنا الحياة كلها بما فيها من خير وشر.

إذاً فلماذا نرجع إلى الوراء حتى في الأدب، والأدب هو أول الطريق؟

جناية جناها على أفكارنا وأقلامنا الأقدمون، فطأطأنا لها الرؤوس.. كفى يا أدباء الحجاز! ألا نزال مقلدين حجريين إلى الممات؟

وأقسم، لولا حركة عصرية في الأدب تقوم الآن في الحجاز بهمة لفيف من أحرار الأدب العصري الحديث، لما عرف العالم شيئاً في الحجاز يدعى الأدب الصحيح»[1].

ونلاحظ أن العواد يحدد في هذه الخاطرة اتجاهه الأدبي، بكل وضوح، فهو يرفض التقليد إلى درجة المقت والإزدراء، حتى ولو كان لفحول الشعراء القدامى، كما يدعو إلى أدب الطبع، والإبتكار، وإلى توظيف الأدب في شؤون الحياة والأحياء، بكل ما فيها.

هذه هي الإصدارات الأولى في بداية عهد التوحيد في هذه البلاد، في سنتي ١٣٤٤هـ و١٣٤٥هـ، وهي حسب ترتيبها في الصدور: «أدب الحجاز» و«المعرض»، و«خواطر مصرحة».

أما الأدباء الذين ظهروا واشتهروا في تلك الفترة الأولى من هذا العهد المشرق الزاهر فليسوا بالقليل. وفي مقدمتهم أولئك الذين اشتركوا بآثارهم الشعرية والنثرية في تلك الإصدارات الأولى. ومنهم من لم يعمر طويلاً ومنهم من امتدت به الحياة إلى مشارف هذا القرن الهجري الخامس عشر، مثل الأستاذ محمد حسن عواد (رحمه الله).

ولكي يكتمل تصورنا لتلك المرحلة الأولى من مراحل الأدب الحديث في هذه البلاد، فإننا نختار ثلاثة من الأدباء الذين اشتهروا في تلك الفترة ونتحدث عنهم بالتفصيل باعتبارهم من أبرز أدباء تلك المرحلة من مراحل تأريخ الأدب العربي السعودي الحديث، وهم:

أولاً: محمد سرور الصبان:

وهو الرائد، والزعيم الأول لأدباء تلك الفترة، وما تلاها. ولد

---

(١) «خواطر مصرحة»، ص٥٠، ٥١.

محمد سرور الصبان بالقنفذة في سنة ١٣١٦هـ، ثم انتقل في طفولته، مع أسرته إلى جدة، والتحق بمدارسها، وكان والده يعمل في التجارة، فالتحق محمد سرور الصبان (رحمه الله)، بمحل والده بمكة، بعد انتقال أسرته إليها من جدة. وفي نهاية حكم الحسين بن علي كان محمد سرور الصبان أحد الرجال البارزين، وهو الذي تولى إبلاغ الحسين قرار أعيان الحجاز بأن يتنازل عن ملك الحجاز[١].

وحينما اكتمل الجهاد العسكري الذي قام به الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، بتوحيد هذه البلاد، ثم تثبيت محمد سرور الصبان في وظيفة إدارية مرموقة في البلدية. وكانت همته عالية جداً، فقد تدرج في المناصب القيادية، حتى أصبح ثاني وزير مالية وإقتصاد في المملكة العربية السعودية، ثم أصبح أول أمين عام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ووافته المنية في سنة ١٣٩٢هـ وهو يضطلع بأعباء هذا المنصب القيادي الهام (رحمه الله).

وكان محمد سرور الصبان من أوائل المشتغلين بالأدب في هذه البلاد في عهدها الحديث، وهو أول من تولى إصدار أول كتاب أدبي، وهو أول من أسس مكتبة للطبع والنشر في البلاد، ورعى مالياً وإدارياً وأدبياً أولى الصحف الشعبية ـ غير الرسمية ـ في هذه البلاد وهي جريدة «صوت الحجاز» التي تحول مسماها إلى «البلاد السعودية»، ثم أخيراً إلى «البلاد».

---

(١) كتب محمد سرور الصبان بقلمه تفاصيل تلك الحادثة في مجلة «المنهل»، العدد (الخاص بتراجم وأدب وأدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين)، الجزء السابع، المجلد ٢٧، رجب ١٣٨٦هـ ـ نوفمبر ١٩٦٦م، ص٧١١ـ٧١٣.

ولئن شغلت المناصب القيادية الخطيرة محمد سرور الصبان عن النشاط الأدبي المباشر، فإنه برعايته الخاصة لمعظم أقرانه، ومن تلاهم من أدباء هذه البلاد، ودعمه وتشجيعه لهم، كان من أبرز من ساهموا في تنشيط العمل الأدبي، تفكيراً، وممارسة، وتأليفاً، ونشراً، سراً وعلانية[1].

وفي مطلع حياته كان محمد سرور الصبان يمارس نظم الشعر والكتابة الأدبية بصفة عامة، والمنشور له من شعر ونثر، يدل على تمكّنه من الشعر والنثر بأساليب عصرية مشرقة في إطار عربي سليم، في وضوح أفكار، وحيوية موضوعات، وصدق تعبير.

ومن شعر محمد سرور الصبان الذي استعمل فيه الرمز للتعبير عن الإخلاص الوطني، بالنقمة على أوضاع التخلف قبل توحيد هذه البلاد، قصيدة نشرت في كتاب «أدب الحجاز» ولم تنسب إليه صراحة، ثم أعاد نشرها عبد السلام الساسي (رحمه الله)، في سنة ١٣٧٠هـ، في كتاب «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ونسبها إليه، بل وجعلها أول ما نشر له، وافتتح به كتابه ذلك، الذي أعاد النادي الأدبي بالطائف طباعته ونشره في سنة ١٤٠٢هـ وتلك القصيدة الرمزية لمحمد سرور الصبان (رحمه الله)، بعنوان «يا ليل» وقال فيها:

يـا لـيـل صـمـتـك راحـة   لـلـمـوجـعـيـن أسـى وكـربـا

---

(١) راجع ترجمة محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ في «شعراء الحجاز في العصر الحديث» تأليف عبد السلام الساسي، ص١١، ١٢ (ط. أولى)، وص٢٣ (ط. ثانية)، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث» تأليف أحمد قبش، ص٤٢٨، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب» تأليف عبد الكريم بن حمد الحقيل، ص١٦٢، وفي مجلة «المنهل»، الجزء السابع، المجلد ٢٧، رجب ١٣٨٦هـ ـ نوفمبر ١٩٦٦م، ص٧١٠.

خففت من آلامهم ووسعتهم رفقاً وحبا
أو ما ترى حدث الزما ن أمضهم عسفاً وغلبا

إلى أن قال:

يا ليل حزنك دائم أدعوك للسلوى فتأبى
يا ليل هل لك موطن مثلي، قضى قتلاً ونهبا
يا ليل مالك مطرق أبداً، فقد أمضيت حقبا
يا ليل هل ذقت الغرا م ولوعه أو كنت صبا
سري وسرك غامض فدع الخلائق منك غضبى[1]

ومن شعر محمد سرور الصبان في الإخلاص الوطني، وصدق العزيمة والثبات والطموح، وعلو الهمة، قوله:

ويحي أيعترض القنوط عزيمتي والحزم من طبعي ومن عاداتي
والدهر طوعي والزمان مصادقي والصبر درعي والثبات قناتي
فلقد أكر على الخطوب فتنثني جزعاً أمام مهندي وشباتي
وتمر بي شتى الحوادث خشعا ويصيبها خور حيال ثباتي

* * *

لكنني فرد ولست بأمة من لي بمن يصغي لصوت شكاتي
من لي بشعب نابغ متيقظ يسعى لهدم رذائل العادات
من لي بشعب عالم متنور ثبت الجنان وصادق العزمات
من لي بشعب باسل متحمس حتى نقوم بأعظم النهضات

(١) كتاب «أدب الحجاز»، وكتاب «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١٣، ١٤ (ط١,)، ص٢٤، ٢٥ (ط٢,).

من لي بشعب لا يكل ولا يني يسعى إلى العليا بكل ثبات

* * *

إن البلاد بأهلها، فبجهلهم تشقى وتلقى أعظم النكبات
وإذا توحدت الجهود لخيرها سعدت ونالت أعظم الدرجات(١)

كما كان محمد سرور الصبان يجيد الكتابة الأدبية النثرية، وكان يكتب في مطلع حياته كثيراً، ولكن مناصبه القيادية العليا أبعدته عن ممارسة نظم الشعر والكتابة الأدبية، ولكنه ظل دائماً وفياً للأدب، بتشجيع الأدباء ودعمهم (رحمه الله)، وأسكنه فسيح جناته.

ثانياً: محمد عمر عرب(٢):

وهو من أبرز الأدباء الذين اشتركوا بآثارهم الشعرية والنثرية في أول كتاب أدبي صدر في هذه البلاد في بداية عهد التوحيد.

وقد ولد محمد عمر عرب في مكة المكرمة في سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م وتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بمكة، ثم اشتغل بالتدريس، وانتقل إلى العمل في الوظائف الحكومية، إلى أن وصل إلى منصب مدير عام الإدارة بوزارة الصحة.

---

(١) «أدب الحجاز» و«شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١٦، ١٧.

(٢) وردت ترجمته في «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١٢٣، و«الموسوعة الأدبية» تأليف عبد السلام الساسي، الجزء الثالث، ص٢٥٠، و«تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٤٢٩، و«شعراء العصر الحديث في جزير العرب»، ج١، ص١٩٤، ومجلة «المنهل» الجزء السابع، المجلد ٢٧، رجب ١٣٨٦هـ - نوفمبر ١٩٦٦م، ص٧١٧، وكتاب «الشجرة ذات السياج الشوكي»، تأليف رشاد سروجي، نشرته مكتبة المعارف بالطائف، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

وانتقل إلى رحمة الله تعالى في مكة المكرمة في ١٣٧٥/٦/٦هـ-٢٠/١٢/١٩٥٥م. وقد تتلمذ على يديه كثير من كبار أدباء الحجاز الأوائل وتأثروا به[١].

وكان محمد عمر عرب ينظم الشعر، كما كان من أوائل من كتبوا المقالة النثرية الذاتية، وكان في شعره ونثره شديد التأثر بأدباء العرب في المهاجر الأمريكية، بل كان يقلدهم تقليداً صريحاً، ويعترف بذلك. فقد نظم محمد عمر عرب قصيدة بعنوان «يا شرق» نشرها في أوّل كتاب أدبي صدر في هذه البلاد في بداية عهد التوحيد، واعترف بأنه نظمها على غرار قصيدة «النهر المتجمد» لميخائيل نعيمة[٢]، التي كان قد قال فيها:

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير

وعلى نمط شعر ميخائيل نعيمة هذا قال محمد عمر عرب:

يا شرق هل نفدت قواك وهدك الخطب الكبير
أم قد جبنت عن النضال وهالك الرزء الخطير
بالأمس كنت مناضلاً تبغي الصدور أو القبور
تسعى إلى العلياء لا تخشى مناوءة الدهور
واليوم فل مضاءك الحدثان هلا تستفيق[٣]

وتكاد تكون هذه القصيدة إعادة صياغة لقصيدة ميخائيل نعيمة

---

(١) مقال: «الثمرة المحرمة» بقلم محمد سعيد العامودي، في كتاب «الشجرة ذات السياج الشوكي»، ص٤٢.
(٢) كتاب «أدب الحجاز»، ص٤٠-٤٢.
(٣) «أدب الحجاز»، ص٤٠-٤٢، و«الموسوعة الأدبية»، الجزء الثالث، ص٢٥١، ٢٥٢.

بتغيير المفردات، كما كان محمد عمر عرب مغرماً بتشطير قصائد ايليا أبي ماضي[1]، وبشارة الخوري، الذي شطر قصيدته «الصبا والجمال» فقال:

(الصبا والجمال ملك يديك)	أشرقا بالفتون في برديك
واستباحا القلوب أسرا حبيبا	(أي تاج أعز من تاجيك)
(نصب الحسن عرشه فسألنا)	أترى أمره تناهى إليك؟
وسألنا وقد رأينا عجيبا	(من تراءى له فدل عليك)
(والفراشات ملت الزهر لما)	ذاع أن الحياة من مرشفيك[2]

وهكذا، فمع أن محمد عمر عرب كان من المتحمسين للأدب الحديث، وللتجديد في الأدب، فقد وقع في تقليد المجددين، حتى كان في بعض شعره نسخة تحمل تكراراً، أو إعادة صياغة لشعرهم، رغم ما كان يصدر عنه من ومضات مثل قصيدة له بعنوان «قلب المحب» قال فيها:

يا بلبل الروضة حي الصباح
مقبلاً عني ثغور الأقاح
واصدح فإني موله مولع   تيمه   الحب
واعزف فإني قد دهتني الشجون
ومضني الوجد ولا من معين
فبت دامي القلب لا أهجع   وعقني   المحب
أساهر النجم وأهمى الدموع

(١) «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١٢٣ (ط. أولى)، وص١٢٩ (ط. ثانية).
(٢) «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١٢٤ (ط. أولى)، وص١٣٠ (ط. ثانية).

وأذكر الحب بقلب هلوع
وقد تناءى الحب والمربع وأقلع الركب
فصرت من وجد حليف الشجن
وبت من شوق أليف الحزن
وشفني السقم ولا مطمع وهكذا الصب[1]

أما في نثره فكان محمد عمر عرب كذلك تلميذاً من تلاميذ المدرسة المهجرية[2]، وكان يحاكي جبران خليل في مقالاته الذاتية.

ثالثاً: محمد حسن عواد:

وهو (رحمه الله)، أكثر أدباء تلك الفترة اعتداداً بأدبه، وثقة بنفسه، فهو الوحيد من بينهم، الذي تشجع وأصدر كتاباً أدبياً من تأليفه وحده، لم يشاركه فيه أحد، هو كتاب «خواطر مصرحة» ثالث الكتب في سلسلة الإصدارات الأولى في بداية عهد التوحيد في هذه البلاد، في سنة ١٣٤٥هـ، والذي سبق الحديث عنه.

ولد محمد حسن عواد في مدينة جدة في سنة ١٣٢٤هـ، وقد أكد هو شخصياً أن ولادته كانت في هذه السنة، ونفى كل ما ذكر غير ذلك في حياته[3]، وتلقى العواد تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة، وكان شديد الذكاء، سريع البديهة، بز أقرانه في سرعة الفهم والإدراك، وعاش حياة

---

(١) «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١٢٧ (طـ. أولى)، وص١٣٤، ١٣٥ (طـ. ثانية).
(٢) «النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ـ١٩٤٥»، ص١٠٣.
(٣) جريدة «المدينة» عدد (٨٥٩١) في ٩ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ، وكتاب «العواد قمة وموقف» جمع ونشر عبد الحميد مشخص ومحمد سعيد الباعشن، ص٥٤.

حافلة بالنشاط، والعطاء، والإنتاج المثمر. عمل في الوظائف الحكوم والعامة في مكة وجدة، ولكنه كان شديد الإخلاص للأدب، شعر ونثره، فكان أول رئيس للنادي الأدبي بجدة، وتوفي، وهو في منص ذلك، في يوم الجمعة ٢ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ الموافق ١٨ أبري ١٩٨٠م (رحمه الله)[1].

والعواد كان رجل مبادىء عنيد لا يخاف ولا يجامل في الحق أبداً كان نصيراً للمرأة، دعا لتعليمها وإعطائها فرص الحياة الحرة الكريمة. وكان يسمى جنسها النسائي «الجنس العطوف» وربما كان لابنته «نجاة». التي لم يرزق سواها، أعظم الأثر في موقفه ذلك.

والعواد (رحمه الله)، مثّل بلاده في كثير من المؤتمرات الأدبية على مستوى العالم العربي، فكان أحد أبرز أدباء هذه البلاد على المستوى الخارجي، وفي سنة ١٩٤٥م اشترك في مسابقة عالمية للشعر، نظمته هيئة الإذاعة البريطانية في لندن، وفاز بجائزتها.

وللعواد رأي خاص في الشعر، وله مواقفه من الحداثة والتقليد، وله دراسات حاول فيها تبسيط علم (العروض) وشرح نظام موسيقى الشعر بأسلوب سهل، ونشر دراساته تلك في كتاب بعنوان: «الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية». وكان مع تمكنه من نظام الشعر المتوارث، يناصر الشعر الحديث، بل وينظمه، وابتدع له اسم «شنر»[2] وهي كلمة

---

(١) راجع ترجمة محمد حسن عواد ـ رحمه الله ـ في «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص٢١ـ٢٥ (طـ. أولى)، وص٣١ـ٣٣ (طـ. ثانية)، وكتاب «الشعراء الثلاثة في الحجاز» جمع وترتيب عبد السلام الساسي، ص١٠ـ١٢، و«تاريخ الشعر العربي الحديث» ص٥٨٤، ومجلة «المنهل» الجزء السابع، مجلد ٢٧، رجب ١٣٨٦هـ، نوفمبر ١٩٦٦م، ص٧١٩.

(٢) كتاب «العواد قمة وموقف»، ص٦٧.

صاغها على طريقة «النحت» في اللغة العربية، وأراد بها إيجاد حل وسط في «المصطلح» يجمع بين بعض خصائص الشعر، وبعض خصائص النثر ويوفق بينها، ليجعل القيمة الحقيقية للنموذج القوي مهما كانت صيغة نظمه[١]. وقد نظم العواد شعراً مرسلاً في شبابه، ومنه قصيدة بعنوان «ثورة محب» نشرها في ديوانه «آماس وأطلاس»، وقال فيها:

فاجعي في الآباء كيف تصور … ت فؤادي يطيق ذاك يغضي
نشوة هذه أم العتب والأد … لال أم تلك كبرياء التجني
لا ترعني في عزة النفس يوماً … فقوام الحياة ذا هو عندي
أيما قيمة لحبك في نفس … إذا بددت كرامة نفسي
عزة النفس مظهر الخلق الحي … فحاذر مساسها عند حي
وإذا ما رأيت في الناس يوما … من يرى حفظ نفسه غير حق
فارمه إن أردت بالنظر الشز … ر تجد وجهه كقطعة نعل
لا تحاول عند الذليل غراما … ساميا فهو واطىء النفس معشي
وانأ عني فإنني بعد أخشى … ثورة النفس أن تنالك مني
أنا إن لم أجد حياتي ملأى … بالسمو الحري بي كل وقت
فعفاء على الحياة وما فيها … وتعساً لشأنها أي تعس[٢]

وقد نبه العواد إلى أسلوبه المرسل في نظم هذه القصيدة، فكتب في حاشيتها يقول: «لم نراع في هذه القصيدة قافية واحدة، فجاءت شاذة عن مألوف النظم، متعددة القوافي، وهذا، وإن كان نادراً جداً، إلا أنه

---

(١) «العواد قمة وموقف»، ص٧٢.

(٢) ديوان «آماس وأطلاس»، شعر محمد حسن عواد، ص٣٧.

سبق أن نظم به بعض شعراء الجاهلية»[1] وقد لاحظ ذلك عبد الرحيم أبو بكر (رحمه الله)[2].

وكما نظم العواد شعراً مرسل الروي والقافية، فيما يشبه «المسمطات»، فقد نظم شعراً حراً، تمرد فيه على نظام الشطرين المتوارث، وسار على نظام السطر المفرد، الذي لم يلتزم فيه بطول متساو، وإن كان قد التزم فيه بتفعيلات بحر المتقارب، ولكن بتصرف خاص. وقد كان العواد في هذا الأسلوب الفني، في العصر الحديث، أسبق من نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، لأن العواد نظم على هذا الأسلوب في سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م قصيدة بعنوان «خطوة إلى الإتحاد العربي»[3]، عبر فيها عن سعادته وسعادة زملائه وأبناء جيله، وتفاؤلهم، بتوحيد الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، لهذه البلاد ومعلوم أن نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، قاما بنظم هذا النمط من الشعر في سنة ١٩٤٧م[4]، أي بعد محاولة محمد حسن عواد (رحمه الله)، بأكثر من عشرين سنة، كما سبق أن لاحظ ذلك عبد الرحيم أبو بكر[5].

---

(١) ديوان «آماس وأطلاس» شعر محمد حسن عواد، ص٣٧.

(٢) كتاب «الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦-١٩٤٨م»، تأليف عبد الرحيم أبو بكر، ص٢٠٩.

(٣) «البراعم أو بقايا الآماس»، تأليف محمد حسن عواد، ص٣٧.

(٤) «قضايا الشعر المعاصر»، تأليف نازك الملائكة، ص٣١. و«قضية الشعر الجديد»، تأليف الدكتور محمد النويهي، ص١٠٥.

(٥) «الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦-١٩٤٨م»، تأليف عبد الرحيم أبو بكر، ص٢١٦-٢٢١.

ولتوضيح أسلوب العواد في هذا الشعر، أورد هنا نص قصيدة «خطوة إلى الإتحاد العربي»، وهي:

لقد آن أن تستحيل المدامع يا موطني
إلى بسمات وضاء
وأشياء لم تعلن
وأن تتقوى بعزم
كرهت له أن يني
وتدفع شبانك الطامحين إلى المعليات
لتنعش روح الأمل
أفق واستمع
ثم ألق بها نظرة للنجوم
تريك أشعة نجم
يضيء بليل بهيم
بدا كالسهام
وسيسري
كبدر يشق الغيوم
يقود مسيرك حتما
إلى عزة في الحياة
متوجة بالعمل
أفق واستمع:
ما تقول البحار على شاطئيك
تآلف بعد الجفاء
بنوك على ضفتيك
فهلل لهذا الإخاء

وأيده في جانبيك
فكم ذا أرى من رجاء، وكائن أرى السائحات
تباعد عنك الفشل
لقد كنت فيما مضى
كياناً صغيراً فحسب
وها أنت ذا الآن تمضي
إلى مظهر يشرئب
فكن مطهراً للحياة
وكن جنة للبناة
وكن شامخاً كالجبل.. إلى آخر القصيدة[1].

لقد كان محمد حسن عواد (رحمه الله)، يؤمن أنه يحمل رسالة في الأدب، ومن هذا المنطلق كان يطمح إلى الإبداع والإبتكار، كما كان يحرص على العمق، والدراسة الجادة المتأنية، فقد ألَّف كتاباً عن سليمان بن عبد الملك، أسماه «محرر الرقيق، سليمان بن عبد الملك الأموي، إكتشاف وتحليل لشخصية إنسانية ثائرة»[2]، ولخص فكرته في مقدمته بقوله: «وقد حببت إليَّ هذه الشخصية لما وجدت بها من ذخيرة الإنسانية المثالية، وأجلها أنه حرر الرقيق قبل «أبراهام لنكولن» كما فصلت ذلك»[3].

ولأن العواد كان يؤمن بأنه صاحب رسالة في الأدب، وأن عليه أن

---

(١) «البراعم أو بقايا الآماس»، تأليف محمد حسن عواد، ص٣٧-٣٩.
(٢) «محرر الرقيق»، تأليف محمد حسن عواد، صدر في سلسلة أدبية عن جريدة «الأضواء» بجدة في شهر محرم ١٣٧٨هـ-يوليو ١٩٥٨م.
(٣) كتاب «محرر الرقيق»، ص١١.

يدعو إلى الإبداع والإبتكار، كما يسعى هو شخصياً لتحقيق الإبداع والإبتكار، فإنه قد خاض معارك أدبية كبرى، في سبيل رفض بعض الأعمال، أو تصحيح بعض المفاهيم والأفكار. فعندما أصدر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله)، روايتيه: «التوأمان» و«مرهم التناسي» وهما أولى المحاولات القصصية لأدباء هذه البلاد في عصرها الحديث، تصدى له العواد بالنقد اللاذع العنيف، الذي تطور إلى معارك كلامية جارحة فيما بعد، أما الأسباب التي دفعت العواد إلى مهاجمة الأنصاري في محاولتيه القصصيتين، فمنها كما ذكر العواد:

١ ـ انعدام الجو الفني اللازم للقصة.

٢ ـ قصر النظر فيها على حالة النفس الإنسانية بترك تحليل الأخلاق والعواطف، الأمر الذي لا يجوز إهماله مهما قصرت الرواية.

٣ ـ خلوها من الخيال، وغير ذلك من الملاحظات[١].

ومن أشهر المعارك الأدبية الكبرى التي خاضها العواد بقلمه وفكره وشعره على صفحات جريدة «صوت الحجاز» معركته مع حمزة شحاته (رحمه الله)، والتي ختمها العواد بقصيدة نشرها في ديوانه الذي سماه «نحو كيان جديد» ووضع للقصيدة عنوان «عتاب»[٢] وضمنها بيتاً من أبيات شعر الحكمة للشاعر الشهير بشار بن برد، فقال العواد مخاطباً حمزة شحاته:

أخي «حمزة» كيف الوشاة تغلبوا؟	وكيف تحرانا السخيف المذبذب؟
أما منك إن زادت عليك حماقتي	تحمل من إن شاء يرضى ويغضب

---

(١) كتاب «تأملات في الأدب والحياة»، بقلم محمد حسن عواد، ص١٠٢ـ١١٩.

(٢) ديوان «نحو كيان جديد»، شعر محمد حسن عواد، ص٢٠١.

وهبني أسأت القول نحوك مرة | وذاك بمرأى منك ما كان يحجب؟
فهل ليس في الود عندك شافع | وإني ذاك الصادق المتأدب؟
وإني إذا ما غبت ركن محصن | أدافع عنكم بالتي هي أصلب؟
«ولست بمستبق أخاً لا تلمه | على شعث أي الرجال المهذب؟»[1]
لك الحب موفوراً بنفسي كامناً | تباعده أسبابه وتقرب
ومهما تدجى ذلك الجو بيننا | فقلبي للود البناء المطنب
فلا تشدد الحبل الذي مد بيننا | ولا تعتبرني في الصداقة أكذب
وسامح وأنت المرتجى من تواصلت | أواصره وأصفح فإني مذنب

والعواد الذي نظم شعراً مرسل القافية والروي، ونظم شعر التفعيلة المتمرد على البيت ونظام التشطير، نظم كذلك شعراً منثوراً، وأطلق عليه بكل شجاعة اسم «شعر منثور» فقد نشر العواد (رحمه الله)، في شهر محرم سنة ١٣٥١هـ، «شعراً منثوراً» خاطب فيه الموت، فقال بعنوان «أيها الموت»[2]:

أيها الموت!
أي بلاء أنت! تدع النفوس منسحقة كذرات الهباء؟
أية داهية خرساء! تنزل بالأرواح فإذا هي لا شيء!؟
يا موت!

ها أنذا الآن، أحس وأفكر، وأكتب وأنظم الشعر، وأتأمل الحياة، وأتمرد على نظمها عندما أشاء، ثم أعانقها، أتغلغل في ملابستها، ثم أعيد الكرة عليها دواليك.

---

(١) هذا البيت للشاعر بشار بن برد.

(٢) جريدة «صوت الحجاز»، العدد الثامن، في ٢٤ محرم ١٣٥١هـ.

ولكن يا موت!... أين أغدو بعد خمسين سنة، أو أربعين، أو ثلاثين، أو عشرين، أو ربما بعد عشر سنوات، وربما بعد أقل، وقد يكون هذا الأقل ساعات، أو لحظات؟.

وأين يكون مصير هذا الغدو ومستقره بعد مائة عام أو مائتين..؟

أصحيح عند ذاك أن جسماً بشرياً «كان» في هذه الحياة؟

كان إنساناً يفكر ويحس، ويكتب ويشعر بالحياة، وتلابسه ويلابسها، ويتعمق في نظرياتها، ويطعنها في صميمها مرة، ويقدسها مرة أخرى؟

«كان!»

««كان» هي الكلمة الغارقة بين بلاء الموت ونعمة الحياة»...

إلى أن ختم مخاطبته للموت، في شعره المنثور ذلك، بقوله:

«ألا ما أروعك أيها الموت، وما أعمق أسرارك، وما أشد ما يصدر عنك المفكرون، كما وردوا، غير واقعين على المقصد المنشود من هجماتك ولمساتك، أيها الكائن الكبير»[١].

رحم الله محمد حسن عواد، فقد كان شاعراً مبدعاً، ومفكراً عظيماً، وأديباً رائداً، فذا، وإنساناً نبيلاً، مات وهو في عنفوان التفكير السليم، رغم كبر السن وتعاقب السنين، فظل أدبه وفكره مشعلاً يضيء في سماء الأدب الحي على الدوام.

والعواد متأثر بالمذهب الإنساني في الأدب. وهو ممازج في شعره

---

(١) كتاب «تأملات في الأدب والحياة»، بقلم محمد حسن عواد، ص٩٦، ٩٧.

كثيراً بين الواقعية والرومانسية. ولكنه يشارك الرأي عباس محمود العقاد (رحمه الله)، وجماعته في الإتجاه الذي عرف بمدرسة الديوان، أن الشعر يجب أن يحمل، في الدرجة الأولى، فكراً واضحاً، في أسلوب مباشر، وأن الشاعر-الحالم يجب أن يخوض غمار الحياة بتجارب عملية، وأن يحمل مسؤولياتها بهمة وجد ونشاط، تماماً كما يحمل بين جنبيه أحلام الفنان، وكما يهيم بخياله في عوالم الرؤى الخاصة.

وللعواد (رحمه الله)، قصيدة طويلة، أسماها «ذكرى أو في أعقاب الهوى» تخيل فيها طيفاً يناجيه، ويعلن في تلك المناجاة عن رأيه وخطه الفني في فهم الشعر وتحديد رسالة الشاعر في الحياة. ومهد العواد لتلك القصيدة تمهيداً نثرياً طويلاً شرح فيه رأيه، وقال: «وقد يتلاعب الشاعر الإبتداعي الحديث بأمر هذه الشيطنة، فيداعبها مداعبة ساخرة.. كأن يجعل منها موضوعاً قصصياً، أو يجسم الخيال والباعث ويعطيها صورة روح، أو صورة طيف، وعلى هذا الأساس نظمت قصيدتي (ذكرى أو في أعقاب الهوى)»[1].

وقال العواد في مطلع تلك القصيدة:

يا صفي الأمس يا باعث أطيافك في جنح الليالي
زمراً تحشدها الذكرى بأحلامي، فما تترك بالي
واصلتني في صباحي، ومسائي، نعماً أحيت خيالي
كلما مثلها الحب المولي همست، سكرى قبالي
أنا من تعرف - صدقاً ووفاء - في الهدى أو في الضلال[2]

---

(١) كتاب «رؤى أبو لون»، تأليف محمد حسن عواد، ص٢٣.
(٢) كتاب «رؤى أبو لون»، ص٣٩.

ثم يقدم العواد مقاطع من حوار شعري طويل مع الطيف، يحدد من خلاله فكره الواضح وخطه الفني والفلسفي في فهم الشعر فيقول في مقطعين من مقاطع ذلك الحوار الشعري الطويل:

قلتُ للطيف.. وقال الطيف ما قال.. وأجملنا الكلاما
ومضى ينساب.. والأفكار تستهدف نوراً وقتاما
وتجلى الصبح للحالم، يلويه عن النوم، فقاما
ها هي الدنيا، تناديه.. لأعمال يناسبن القياما
تصرف الفكر عن الشعر، إذا لم يلتمس فيه الضراما

* * *

ركز الشاعر أعمال الضحى في العيش فاعتاض الهموما
ورأى الدنيا جحيماً، بعد أن مارس في الليل النعيما
فانبرى يستنجد الشعر، فأولاه طريقاً مستقيما
فالهدى في الشعر، أن يلمس في الدنيا حياة لا وهوما
كذب الزاعم أن الشعر أقوال.. يخالفن الفهوما[1]

ويختتم العواد (رحمه الله)، ذلك الحوار الشعري مع الطيف بمقطعين تزداد فيهما نظرته إلى الشعر وضوحاً.. فيقول:

أيها الشعر! كما تبعث في الليل شعوراً، وخيالا
ولحوناً، ورؤى، يبصرها الشاعر طيفاً، أو جمالا
أنت في الصبح شعاع يكسب الفكر نشاطاً وجلالا
أنت مفتاح إلى العالم، يعطي النفس بالنور اتصالا

---

(١) كتاب «رؤى أبو لون»، ص٤٦-٤٩.

كذب الزاعم أن الشعر أقوال.. يحاولن المحالا
هكذا قلت.. وقد غادرني الطيف، ووافي الواقع
فإذا الواقع، في فلسفة الشعر عصى، طائع
وإذا الشعر حياة ثرة، يرتع فيها الراتع
إن يغم في ظلمات العيش للعالم هم قابع
لا ينر للعيش إلا شاعر حي، وشعر ساطع[1]

رحم الله الأديب الرائد والمفكر الفذ محمد حسن عواد (رحمه الله)، وأسكنه فسيح جناته.

وفي أواخر «عهد بداية التوحيد» في هذه البلاد، الذي امتد من سنة ١٣٤٤هـ إلى سنة ١٣٥١هـ، حين أعلن الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، قيام المملكة العربية السعودية، وقبل نحو سنة من إعلان قيام هذه المملكة، صدرت في سنة ١٣٥٠هـ أولى الصحف الشعبية ـ غير الرسمية ـ في هذه البلاد، وكان صدورها إيذاناً ببداية عهد نهضة حيوية حقيقية في الأدب، وبصفة خاصة لأنها كانت في بداية صدورها تقوم على جهود الأدباء، وتحمل إنتاجهم، وتعنى بالأدب أكثر من غيره. وكان صدور العدد الأول من جريدة «صوت الحجاز» في يوم ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ الموافق ٤ ابريل ١٩٣٢م، وفي ذلك العدد، بشر أول رئيس تحرير لجريدة «صوت الحجاز» الأستاذ عبد الوهاب آشي بأنها ستكون: «رابطة أدبية بيننا ـ نحن أدباء هذه البلاد ـ توحد بين آرائنا وميولنا وثقافتنا»[2]، كما قال عن جريدة «صوت الحجاز»، أولى الصحف الشعبية ـ غير الرسمية ـ في هذه البلاد صاحبها ومؤسسها

(١) كتاب «رؤى أبو لون»، ص٤٦ـ٤٩.
(٢) جريدة «صوت الحجاز»، العدد الأول، في ٢٧/١١/١٣٥٠هـ ـ ٤/٤/١٩٣٢م.

الأستاذ محمد صالح نصيف (رحمه الله)، أنها: «لسان حال النهضة الأدبية الحجازية»[١] وكتب عنها الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ، في كتاب «الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ ـ ١٩٤١» يقول إنها: «كانت من أهم العوامل في إنعاش الحركة الأدبية، التي بدأت في آخر العقد الثالث من القرن (الميلادي) العشرين، على أيدي كتاب المملكة الناشئين»[٢]. «وإن ظهور» «صوت الحجاز» يعتبر من أبرز المعالم في تاريخ الأدب الحديث في المملكة»[٣].

وكما أن جريدة «صوت الحجاز» قد استمدت أسباب ظهورها من أدباء هذه البلاد الشبان، آنذاك، فإنها قد كانت صاحبة فضل كبير عليهم فقد أصبحت، منذ صدورها، ملتقى أفكار أولئك الأدباء، ومنتداهم، والميدان الذي تدربت فيه أقلامهم، في كل جنس من أجناس الكتابة الأدبية، شعراً ونثراً، وبصفة خاصة في مجال تبادل النقد وإبداء الرأي وإصدار الأحكام النقدية على كتابات بعضهم بعضاً، فعلى صفحات «صوت الحجاز» خاضت أقلام أولئك الأدباء معاركها الضارية، التي اشتكى المحرر مرة من «وطأة تأثيرها»[٤]. ونجحت تلك الجريدة في إذكاء روح التنافس الشريف بين أدباء الناشئة آنذاك، وجعلهم يتعلقون بالأدب تعلقاً كبيراً[٥].

---

(١) جريدة «صوت الحجاز»، عدد ١٣٢، ١٣٥٣/٧/٢٦هـ ـ ١٩٣٤/١١/٥م.

(٢) كتاب الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ ـ ١٩٤١م، دراسة ونصوص، تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ، ص١٣٩ـ١٤٠.

(٣) كتاب الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ ـ ١٩٤١م، دراسة ونصوص، تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ، ص١٣٩ـ١٤٠.

(٤) «صوت الحجاز»، عدد ٩٦، في ١٣٥٢/١١/٥هـ ـ ١٩٣٤/٢/١٩م.

(٥) «صوت الحجاز»، عدد ٩٦، في ١٣٥٢/١١/٥هـ ـ ١٩٣٤/٢/١٩م.

إن أي مؤرخ، ودارس، وباحث في أدب هذه البلاد في تلك الفترة لا يجوز له بحال من الأحوال أن يغفل دور جريدة «صوت الحجاز» في نشأة الأدب الحديث في هذه البلاد، وتنشيط الأفكار، وتحريك الأقلام. فقد كانت تلك الجريدة تقوم بدورين متوازيين، هما: أولاً النشر، فيما يشبه أسواق الأدب القديمة، أو المجلات الأدبية المتخصصة الحديثة، وثانياً؛ توثيق الروابط الإنسانية بين الأدباء، فيما يشبه الرابطة، أو النادي. وهي بذلك تعتبر مدرسة لكثير من كبار أدباء هذه البلاد في عهدها الحديث، وباباً من أبواب انفتاحهم على بعضهم بعضاً، وعلى جيرانهم في الأقطار المجاورة، في بعض الأحيان، كما أن جريدة «صوت الحجاز» تعتبر مصدراً بالغ الأهمية من مصادر تاريخ الأدب الحديث في هذه البلاد، ووثيقة من أهم وثائقه الأصلية.

وقبل أن أختم الحديث عن حقبة بداية توحيد هذه البلاد التي كانت من سنة ١٣٤٤هـ إلى سنة ١٣٥١هـ، أرى أن الواجب يحتّم عليَّ أن أتحدث عن أول رئيس تحرير لجريدة «صوت الحجاز» أولى الصحف الشعبية التي صدرت في تلك الحقبة، فحركت الأدب وجمعت بين الأدباء، فأصبحت جزءاً، ووثيقة من هذا التاريخ الأدبي.

أما أول من تولى رئاسة تحرير جريدة «صوت الحجاز» فهو الأستاذ:

عبد الوهاب آشي[1]:

وهو أديب من أبناء مكة المكرمة، ولد بها سنة ١٣٢٣هـ، وتلقى

---

(١) انظر ترجمة الأستاذ عبد الوهاب آشي في كتاب «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص١١٥ (ط. أولى)، ص١١٧ (ط. ثانية).

تعليمه في مدرسة الفلاح بمكة، التي تخرج منها، فاشتغل بالتدريس، إلى أن اختاره صاحب جريدة «صوت الحجاز» ليرأس تحريرها منذ أول عدد صدر منها في يوم ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ، ولكنه تركها بعد حين فانخرط في سلك الوظائف الحكومية. . . ووافته المنية في القاهرة يوم الجمعة ١٧/ ٦/ ١٤٠٥هـ الموافق ٨/ ٣/ ١٩٨٥م (رحمه الله).

وعبد الوهاب آشي كاتب قدير، كان يحرر إفتتاحيات جريدة «صوت الحجاز» وله شعر، فيه بعض النماذج القوية، ولكن شعر عبد الوهاب آشي، المنشور، لا يرقى إلى مستوى شعر أقرانه: العواد، وحمزة شحاته، وأحمد قنديل، ومحمد حسن فقي، وحسين سرحان، وحسين عرب.

ومن أجمل ما قرأته من شعر عبد الوهاب آشي، هذه الأبيات التي ضمها كتاب «شعراء الحجاز في العصر الحديث» وهي بعنوان: «ساعة لقاء وفراق»:

حسرت يوم قابلتني قناعا	عن محيا يشع نوراً جميلا
ثم عند الفراق مدت يديها	لوداعي ومعصماً معقولا
معصم رق كالضياء صفاء	كاد لولا سواره أن يسيلا
برهة للنعيم مرت سراعا	وتلتها التي تضل العقولا[1]

وأما أسلوب الآشي في كتابة إفتتاحيات «صوت الحجاز» وفي كتابة مقالاته في الصحف، فإنني أختار منه هذه الفقرة، من إفتتاحية العدد

(١) «شعراء الحجاز في الغصر الحديث»، ص١١٨ (ط. أولى) وص١٢٠ (ط. ثانية).

الأول من جريدة «صوت الحجاز» وفيها كتب الأستاذ عبد الوهاب آشي، يقول:

«ولما أحسسنا به من وجوب إيجاد رابطة أدبية بيننا، نحن أبناء هذه البلاد، توحد بين أفكارنا وميولنا وثقافتنا، لنسعى متكاتفين ومتعاضدين نحو منفعتنا ورقينا، ولما علمناه من تشوق أدبائنا الفضلاء، ومواطنينا النبلاء إلى وجود صحيفة وطنية تجول فيها أقلامهم بالأفكار القيمة، والآراء السديدة في مصالح بلادنا وأمتنا، وللإهابة بالهمم الراكدة، والعزائم المسترخية إلى طرق أبواب الحياة العملية، التي تنشلنا من وهدة هذا التأخر الفاضح والجمود المشين.

لذلك كله يدفعنا الواجب الوطني المقدس إلى أن نرفع صوتنا بهذه الصحيفة جهورياً، كي نحدث العالم عن حياتنا، نحن الأمة الحجازية، وعن حياة بلادنا، ولنعرض على بساط البحث آلامنا وآمالنا، لنستأصل جذور الأولى، ونتعهد غراس الأخرى حتى تثمر لنا ثمراً جنياً من السعادة، ولننفي أيضاً ما تلصقه بنا المزاعم، ونثبت للناس أننا أمة ما زالت دماؤها زكية، ونفوسها شريفة، وخصالها كريمة، وأن بلادنا كما شرفها الله بمركزها الديني، كذلك شرفها طيلة الأعصر الخالية والحاضرة باستقلالها وطهارتها من كل شوائب الإستعباد والإستعمار، وأن تلك الشعلة التي برزت من جبالها وصحاريها وسهولها، فأضاءت العالم. . . لا تزال جمرتها كامنة، ولسوف تعود، إن شاء الله، أشد ما كانت ضوءاً وإشعاعاً»[1]. . إلى أن قال: «وبعد: فليس لرجالنا اليوم عذر، ولا لأدبائنا مندوحة عن أداء الواجب الوطني بإبراز ما تكنه ضمائرهم من حب

---

(١) جريدة «صوت الحجاز» العدد الأول في ٢٧/ ١١/ ١٣٥٠هـ ـ ٤/ ٤/ ١٩٣٢م.

الخير والمنفعة لهذه البلاد، وبذل النصيحة والإرشاد، وإظهار وجوه الحق والصواب، والدعوة إلى الفضيلة والمكارم، والأخذ بيد الأمة إلى ما يرفع مستواها العلمي والأدبي والسياسي»[1].

(١) جريدة «صوت الحجاز» العدد الأول في ٢٧/١١/١٣٥٠هـ ـ ٤/٤/١٩٣٢م.

عهد التوحيد الشامل
في المملكة العربية السعودية

إعلان قيام المملكة:

بعد تجربة الوحدة الناجحة في عهد بداية توحيد هذه البلاد، كان من الطبيعي أن تتأكد هذه الوحدة، القائمة فعلاً، في دولة لها مسمى جامع واحد.

وعلى هذا الأساس صدر في يوم ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ، الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٣٢م مرسوم ملكي، أعلن فيه تحويل اسم المملكة القديم إلى اسمها الجديد، وهو: «المملكة العربية السعودية» ابتداء من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ[1]، بعد أن نجحت تجربتها السابقة، وبدأ النمو الحضاري الشامل يتكامل في هذا الإطار الجديد، في كل ميدان بصفة عامة، وفي ميادين العلوم والآداب والفنون بصفة خاصة.

وبعد نحو ثلاث سنوات من إعلان التوحيد الشامل في اسم

---

(١) انظر التفاصيل التاريخية في كتاب «صقر الجزيرة»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، الجزء الخامس، ص١٠٦٦ وما بعدها (ط٣).

المملكة العربية السعودية صدرت أولى المجلات الأدبية السعودية وهي:

مجلة (المنهل):

صدر العدد الأول من مجلة (المنهل) في المدينة المنورة في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ/ فبراير ١٩٣٧م وحملت منذ أول عدد صدر منها شعارها الذي سارت عليه حتى اليوم وهو أنها: «مجلة تخدم الأدب والثقافة والعلم»، وحرص الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة (المنهل) ومؤسسها ورئيس تحريرها، على إبعادها عن جو المهاترات الأدبية، والسمو بها فوق إسفاف السباب، فكتب (رحمه الله)، يوضح ذلك الخط الذي انتهجه، يقول في أول عدد من أعداد مجلة (المنهل): «وسنبذل قصارى الجهد في سبيل إحاطة هذا (المنهل) بسياج متين من أسباب الوقاية، حتى لا يتلوث معينه، ولا يتعكر صفوه بجراثيم التراشق والإسفاف»[1]. وقد وفّى الأنصاري (رحمه الله)، بوعده والتزم بتعهده، فاستمرت مجلة (المنهل) في جميع أعدادها محافظة على ذلك النهج، ترحب بالحوار الهادف، وتفتح صدر أعدادها وصفحاتها له، ولكنها لا تسمح له بالإنحراف عن الإحترام المتبادل في موضوعية وترفع، فلم تهمل مجلة (المنهل) جانب النقد، ولا الحوار الموضوعي الحر، بل حافظت على نقاء أساليبها في إطار منهجها الواضح، الذي استوحاه صاحب (المنهل) ومؤسسه من مفهومه للأدب، ودور الأديب في الحياة، والذي لخصه (رحمه الله)، في العدد الأول من (النمنهل)، أيضاً، بقوله: «ليس الأدب أداة تسلية، أو فن لهو وتمضية للوقت، بل إنه من أسمى الفنون الحية، التي تنهض الأمم وتنعشها، وكم للأديب المخلص من أثر

---

(١) مجلة «المنهل»، العدد الأول، شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ - فبراير ١٩٣٧م.

فعال في ترقية مستوى الأمة الإجتماعي والإقتصادي والثقافي والعمراني معاً، والواقع أن الأدب في أسمى أوصافه، وأصدق ألوانه، هو المحرك الكهربائي، الذي يبعث روح الإصلاح في الشعوب، ويوقظ فيها الفتوة والشعور بالكرامة، ويحفزها إلى المضي في طريق التقدم، ويصقلها صقلاً جيداً، ويهذب من حواشيها، ويوصل بين حاضرها وماضيها وصلاً محكماً مثمراً لشتى المنافع. والأدب هو الذي ينمي مواهب الأمة الفكرية، ويحوك كيانها حوكاً جيداً متقناً، وهو الذي يوحي أسمى الخيالات إلى الأذهان الخاملة، ويثير الحماسة في الصدور إلى اعتناق المثل من الكمال، ويحميها من أن تظل راسبة في مستنقعات الإنحطاط الوبيئة، ويجعلها تسعى سعياً حثيثاً منظماً لتكون في طليعة الأمم الراقية، وهو الحادي الجذاب، الذي يولد بها روح النشاط الدؤوب، كلما أخلدت، أو أوشكت أن تخلد إلى الراحة المضنية، والفتور الموبق، والتقاعس الوبيل»[1].

أما الظروف التي صاحبت صدور مجلة (المنهل) فقد تحدث عنها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله)، بالتفصيل، كما مر بنا من قبل في الوثيقة التي نقلناها عنه، في حوار أجري معه في حياته في جامعة الملك سعود بالرياض، وأعيد نشره في مجلة (المنهل) في بداية الخمسين الثانية من سنوات عمرها المديد، (إن شاء الله).

وظلت (المنهل) طوال سنوات صدورها وفيّة لذلك المبدأ، محافظة على مستواها الأدبي الرفيع، كما كانت تشجع هواة الأدب من

---

(١) «المنهل»، العدد الأول، شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ، فبراير ١٩٣٧م، (الإفتتاحية).

الناشئة، وتأخذ بأيديهم، ولكن نحو الرصانة والإتزان. لقد أسهمت مجلة (المنهل) بنجاح في تحقيق النضج الأدبي في هذه البلاد، في كل جنس وميدان من أجناس الأدب وميادينه، شعراً ونثراً، وكان صاحب مجلة (المنهل) يحرص على تحريك الأدب وتنشيط الأدباء في ديمومة مستمرة، فكان يقوم بإجراء استفتاءات عن الأدب السعودي وأهليته (للتصدير) أي للإنتشار خارج الإطار الإقليمي للمملكة العربية السعودية، كما فعل حينما عادت مجلة (المنهل) للصدور بعد أن توقفت نحو أربع سنوات خلال الحرب العالمية الثانية، ففي العدد الأول من معاودة الصدور، في سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، نشرت مجلة (المنهل) صيغة ذلك الإستفتاء مع إجابتين من إجابات الأدباء السعوديين عليه، هما: الأستاذان: أحمد عبد الجبار، وحسين سرحان. وجاء في تقديم ذلك الإستفتاء، ونص صيغته: «نشأ الأدب الحديث في هذه البلاد قبل عشرين عاماً، مزيجاً من تقليد لأدب المصريين، وأدب المهجريين، ولا يزال هذا الأدب مبحوح الصوت، ضئيل الصدى، غير معترف له بوجود لدى أدباء الأقطار العربية المجاورة. وقد شحذت الحرب العالمية الثانية قرائح الأدباء هنا، بما حصل لهم خلالها من استجمام، وبما دعتهم إليه من تحول في مجرى التفكير، وتصحيح في الإتجاه والمقاييس والأهداف، فكان ذلك داعياً للمنهل لأن تبادر، في عهدها الجديد، باستطلاع آراء فريق من بناة الأدب وشداته في مسلكهم الجديد حيال النهضة المرتقبة منهم بالأدب العربي السعودي، حتى تشع أنواره، ويمتد رواقه في الآفاق. وقد وجهت إليهم الإستفتاء التالي في ذلك:

يزخر العالم العربي اليوم بطاقة عظيمة من الإنتاج الأدبي القيّم الواسع الإنتشار والتصدير. وفي بلادنا لم تتجاوز أصداؤه آفاق هذه

البلاد. فهل كان خفوت صوت الأدب عندنا ناشئاً عن أسباب داخلية فيه؟ أم عن بواعث أخرى؟ وأياً ما كان الأمر، فما هو رأيكم نحو هذا الأدب: هل يصلح للتصدير؟ وإذا كان لا يصلح له، فكيف يصلح؟

نرجو الإجابة بما يميط اللثام عن الداء والدواء»[1].

وكانت أولى الإجابات التي نشرتها مجلة المنهل على سؤال ذلك الإستفتاء، رأي الأستاذ أحمد عبد الجبار، الذي كتب يقول: «إن صيغة سؤال المنهل تستدعي إلى أن يسأل المرء نفسه: هل الأدب بضاعة، يجري عليه نظام البيع والشراء «والتصدير» والتوريد؟ وهل أن أدبنا لا يصلح حقاً للتصدير، فنسأل عن الطرق المجدية للوصول إلى هذه الغاية»؟!

الحقيقة أن الأدب الحي لا توزن قيمته بالأرطال، ولا يباع بزيادة الفرق في الإسترليني أو الذهب! وإنما هو الذي يفرض إرادته على سوق القراء فرضاً، ويتحكم بالعقول تحكماً، وأن الإنتاج الذي يستهدف صاحبه من ورائه المادة الفانية، لا ينال إلا إياها.

والأدب عندنا على نوعين: أدب الحاضرة، وأدب البادية، ولا أظن أن صاحب المنهل يود أن يصدر أية كمية من الشعر النبطي، أو الشعر «الحميني» إلى الأقطار العربية، بالرغم من أن البداة في هذه الأقطار يفهمون، على الغالب، هذا النوع من الشعر البدوي. وإنني إذ أفكر الآن في أدب الحاضرة أجد أن الأدباء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يتبع منهج القدماء، ويسلك مسلكهم، سواء في الموضوع، أم الأسلوب.

---

(١) «المنهل»، مجلد ٦، عدد١، محرم ١٣٦٥هـ ـ ديسمبر ١٩٤٥م، ص١١.

٢ ـ قسم وسط، اتخذ أفراده مكانة لهم بين القديم والجديد، معتمدين على أدب المصريين، والسوريين.

٣ ـ قسم جمح إلى المهجر، فأخذ علومه على يد جبران، ونعيمة، وعريضة، وغيرهم.

ونستنتج مما تقدم أن أدبنا «أدب تقليدي»، وهذا راجع بالنسبة إلى الظروف التاريخية، التي أحاطت بنا. وليس هناك ما يمنع أن نبلور ما اقتبسناه في شيء يبرز شخصيتنا وما لنا من خصائص ومميزات في أدب حي يستطيع أن يثبت له وزناً ثقافياً في الأقطار العربية الشقيقة!

والطرق المؤدية إلى مثل هذا تنحصر أولاً: في تثقيف الأديب. وثانياً: في تأمين الوسائل لنشر أدبه.

وتثقيف الأديب أهم شيء في نظري، فليس كل من قرأ كتاباً، أو كتابين في الأدب، وتصفح المعلقات، وحفظ شيئاً من الشعر، ووهب ملكة النظم، أو سلامة التعبير، وتيسر له أن ينشر، أصبح أديباً، لا يشار إليه بالبنان فحسب، وإنما بالأصابع كلها، ويكون له حق رفع الرأس عالياً، حتى يكاد يعلق عينيه، بأهداب النجوم.

كلا، إن الأديب عندنا يحتاج إلى التخصص، لكي لا يهيم في كل واد، ويتخبط ما بين الأدب، والشعر، والحكمة، والتاريخ، دون أن يعرف حدود كل فن من هذه الفنون، وما يتطلبه من إدراك، وفهم، وتمعن، وفيما لو فرضنا أن الأديب عندنا أصبحت له ثقافة كافية، وفرض نفسه على محيطه، كرجل له قيمة علمية، ووزن ثقافي ثابت في هذا البلد، فكيف يتاح له أن يفرض نفسه على الأقطار العربية، ويمكن أن يقف في صف عمالقة الأدب فيها؟ يحتاج الأمر إلى توفر الشرط الثاني، الذي ذكرته آنفاً، وهو تأمين الوسائل لنشر الأدب، والدعاية له، وهذه لا

تخفى على القارىء، وأهمها الصحافة القوية، والتأليف القيم النافع، وفيما لو فرضنا، مرة أخرى، وجود هذه الوسائل، لا بد لنا من ابتكار المواضيع، والتفنن، والخروج من الدائرة الضيقة، التي رسمتها لنا مدرسة الأدب القديمة، ويجب أن نسمو بأدبنا من المادة إلى الروح، ومن التصوير الحسي إلى الخيالي المعنوي. وأن نلاحظ دائماً متانة وحلاوة المبنى والمعنى في التركيب.

وإذا تم لنا هذا، فعندئذ يثبت أدبنا في ميزان النقد العلمي، وينتشر من دائرته الضيقة، إلى أوسع وأبعد مدى[1].

أما الإجابة الثانية، التي نشرت رداً على سؤال استفتاء (المنهل) في ذلك العدد الأول بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فكانت رأي الأستاذ حسين سرحان، الذي كتب يقول: «هل يصلح أدبنا للتصدير؟».

أجل، يصلح، ويصلح. وفي عين الحسود عود، وأرجو أن لا يكون الأستاذ صاحب المنهل هو الحسود، فإنه إذاً لا يحسد إلا نفسه!

إن أدباءنا ينتظمون أوسع المجالات في إنشاء المقالات، وإنهم لأرباب القصائد الجيائد، ذوات المعاني الفرائد، وإنهم يبحثون فيوغلون، ويكتبون فيبدعون. فلماذا لا يصلح هذا الأدب للتصدير؟ وإن الأستاذ نفسه صاحب المنهل ليعلم هذا ـ أو بعض هذا ـ تماماً، ولكنه يستمرىء مغالطة نفسه، وأحسب أنه بهذه المغالطة المبتكرة لا يريد إلا أن يستزيد ويستفيد!

إذا كان زيدان، وضياء، وقنديل، والعامودي، والكتبي، وتوفيق،

---

(١) «المنهل»، مجلد ٦، عدد١، محرم ١٣٦٥هـ ـ ديسمبر ١٩٤٥م، ص١٣، ١٤.

وشحاته، وعواد، والفقي، والآشي، والعطار، والغزاوي، والعريف، والمغربي، إذا كان هؤلاء الجمهرة لا يستطيعون أن يصدروا أدبهم المونق الجميل. فنصيحتي إليهم أن يحطموا أقلامهم، ويئدوا بنات أفكارهم، ويركنوا إلى الراحة، ويخلدوا إلى الصمت! فذلك ـ لعمري ـ خير ما يمكن أن يفعلوه للتواري والإنزواء.

إن الشعر، والنثر، والأقصوصة، والرواية، قد نضجت عندنا، وآتت أكلها أضعافاً مضاعفة، فما بغريب أن لا تجد الطريق إلى الظهور، أو تحتجب وأخواتها في تبرج وسفور. ذلك لأن الأدب العربي الحديث وجد الأداة والوسيلة، والجو، والتشجيع، والتقدير في البلاد التي قدر لها أن تسبقنا في الطباعة والصحافة والتعليم، فانتشر أدبها، طيبه ورديئه، وراج علمها خبيثه ومريئه، واشتهرت أقلام ما كانت لتشتهر، لولا الميادين الفسيحة، والمطابع الفاخرة، والصحافة الرفيعة، والإقبال الهائل، وشيوع التعليم بين طبقات الأمة، مما كان (كاد؟)[1] يمحو الفوارق ويلغيها إلغاء تاماً، وصدر إلينا أدب العراق، ومصر، والشام، وحتى أدب السودان، وأفريقيا، والهند، فلو وجد أدبنا من التنظيم، والحث، والوسائل، ما وجدته تلك الآداب ـ أو قل بعضها ـ لكان الأدب الطنان الرنان، ولكان له شأن أيما شأن.

وقد اجتهد بعض الأدباء أن يكتبوا لكبريات الصحف الأدبية بمصر، كالهلال، والثقافة، والرسالة، ولكن الصحف المصرية ـ على تقديرنا لها ـ تنظر إلى الأسماء، فإن وجدتها زنانة كالذبابة، طنانة كالنحلة، نشرت، وزادتها هي زنيناً وطنيناً، وإلا فهي ملقاة مع الأكوام.

---

(١) في الأصل المطبوع في «المنهل» (كان) وأعتقد أنه خطأ مطبعي، وتصحيف لكلمة (كاد) إذ لا يستقيم المعنى إلا هكذا.

وقد اعتذرت الرسالة عن ذلك، ونفته، ولكن نفي الأمر الواقع، لا يزيده إلا وقوعاً وتأكيداً.

أفكل ما تنشره الرسالة، والثقافة، والهلال رفيع، أو جيد، أو بديع؟؟ إن الأدب جسم وروح، فأما الجسم فهو الأسلوب، وأما الروح فهو ما يحتويه ذلك الأسلوب. من معان، وآراء، وأفكار.

أما الأسلوب في أدبنا فهو يختلف بين المتانة والسلاسة، ولا يهبط عن هذين إلا في أدب بعض الناشئين والشداة، على أنه في طريقه إلى القوة والتمكين، وأما الروح فهي تتفاوت بين اللطافة والعمق، وبين السداد في الرأي، أو المقاربة إليه، وليس بحتم على الأديب أن يحتفظ - دائماً - بمستوى واحد لا يعدوه، ولا يسف عنه، فطالما قرأنا لأعلام الأدباء، كالمازني، والعقاد، وطه، وغيرهم أشياء، لولا تواقيعهم عليها، لشككنا في أن ينزلوا بعد تحليق، ويخطئوا بعد توفيق، إلى ذلك الحد العجيب.

ارسموا للأدب نهجه، ووفروا وسائله وشجعوه وصدروه بعد ذلك، فإن جاءكم نقد أو ملام، فبادروني بالكلام»[١].

لقد أوردت هنا، متعمداً، النص الكامل لصيغة ذلك الإستفتاء الذي أجرته مجلة (المنهل)، والنص الكامل للإجابتين اللتين كانتا أول ما نشر في الرد على ذلك السؤال، لأننا نستخلص منهما نموذجين لنمطين من أنماط التفكير الأدبي في تلك المرحلة من مراحل تاريخ الأدب السعودي.

---

(١) المرجع السابق.

أما النمط الأول، فهو الذي كان أولى ثمرات الدراسة المنهجية المتخصصة، فقد تجلت في إجابة أحمد عبد الجبار آثار دراسته الجامعية التي تدرب عليها في «الجامعة الأمريكية» في بيروت بلبنان، فقد كان من أوائل من تخرج من تلك الجامعة من أبناء هذه البلاد في تلك الفترة.

وأما النمط الثاني، فهو أسلوب الحماس التقليدي، والإندفاع وراء العاطفة، وكأن الإستفتاء موضوع شخصي، أراد به منظمه استفزاز أدباء تلك الفترة في هذه البلاد، ومنهم حسين سرحان، الذي ظهر في إجابته وكأنه يتحدى كل «حسود»، كما قال.

فقد أقام أحمد عبد الجبار رأيه على الحجة والإستنتاج. فبعد أن حصر الموضوع الذي ناقشه في شقين: بدوي (نبطي أو حميني) وفصيح، استبعد الأول منهما، ثم وصف الثاني بتصنيفه في ثلاثة أقسام، قرر أن كل واحد منها تقليدي، واستنتج بعد ذلك الأسباب التي يرى أن توفيرها يحقق المطلوب في صيغة الإستفتاء، وهو الخروج من الإقليمية، أو «التصدير» كما سماه واضع السؤال.

أما حسين سرحان فإنه بدا مبارزاً في تحد «كل حسود» لا يعجبه «تصدير» أدبهم، أو لا يوافق عليه، وعدد أسماء أدباء بعضها ثبت وأثبت جدارته، وبعضها اختفى، رغم تأكيدات حسين سرحان بأهلية أدبهم للثبات والتصدير. ووقع حسين سرحان في عدة أخطاء، بالإضافة إلى أسلوب المبارزة والتحدي، التقليدي آنذاك، والذي صاغ فيه إجابته، إذ أكد أن كثيراً من الأجناس الأدبية، التي مارس كتابتها أقرانه، قد نضجت «وآتت أكلها أضعافاً مضاعفة، وخص بالذكر والتأكيد «الأقصوصة والرواية»، مع أن وثائق تلك الحقبة المطبوعة تؤكد على أن الكتابة القصصية لم تخرج عن طور المحاولات الأولى مثل روايتي «التوأمان»

و«مرهم التناسي» للأنصاري، واللتين رفضهما معاصره العواد، فنيا وموضوعياً بأدلة واضحة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. كما حمل حسين سرحان على الصحف الأدبية المصرية، كالرسالة، والثقافة، والهلال، واتهمها بالتحيز، فحملها، ضمناً، الجزء الأكبر من مسؤولية عدم انتشار الأدب السعودي أو «تصديره». وبعد أن حصر المسؤولية في الوسائل، وبرأ الأدباء، عاد في خاتمة إجابته يدعو إلى رسم (منهج للأدب)، بالإضافة إلى تهيئة الوسائل للإنتشار أو «التصدير».

وفي بقية أعداد تلك السنة من مجلة (المنهل) إجابات أخرى، ولكنها لا تخرج في مجموعها، تقريباً عن هذين النمطين، في مناقشة هذا الموضوع.

لقد كان القصد من ذلك كما يبدو هو التعبير عن الثقة بالذات، بعد بلوغ مرحلة أفضل من ذي قبل في النضج الأدبي، كما عبر عن ذلك، فيما بعد، بوضوح (عبد القدوس الأنصاري) الذي كتب مبشراً بانتقال الأدباء السعوديين «من أدب المران إلى أدب التثقيف» فقال: «فإن لنا أن نتفاءل بميلاد (أدب جديد)، نرجو أن نكون موفقين حينما ندعوه (بأدب التثقيف والتقويم) ونرجو أن يكون موفقاً في مطابقة الإسم للمسمى»[1].

وفي تلك المرحلة التاريخية من أدب هذه البلاد، بعد إعلانها مملكة واحدة، باسم جامع واحد، صدرت في المدينة المنورة جريدة شعبية ـ غير رسمية ـ أخرى، كانت لها، في بداية صدورها ميول أدبية قوية، ولا يمكن تجاهل دورها في التطور التاريخي للأدب السعودي، وهي:

---

(١) «المنهل»، مجلد ٦، عدد ٨، شعبان ١٣٦٥هـ ـ يوليو ١٩٤٦م (الإفتتاحية).

جريدة المدينة المنورة:

صدر العدد الأول من «المدينة المنورة» في يوم ٢٦ محرم ١٣٥٦هـ/ ٨ ابريل ١٩٣٧م وكانت في بداية صدورها أسبوعية، وكانت تحمل شعارَ المملكة العربية السعودية الموحدة، بأنها «صحيفة الشعب العربي السعودي».

ورغم أن جريدة «المدينة المنورة» صدرت لتكون جريدة عامة بالمفهوم الصحفي الحديث، إلا أن ميولها الأدبية كانت واضحة، منذ أول عدد صدر منها فالهيئة التي أشرفت على تحريرها، في بداية صدورها، كانت مكونة من مجموعة من خيرة الأدباء، هم: أمين مدني، وضياء الدين رجب، ومحمد حسين زيدان، أما صاحبا تلك الجريدة ومؤسساها فهما عثمان وعلي حافظ.

وقد أرخ الأستاذ عثمان حافظ لهذه الجريدة، ولدورها في الأدب بالتفصيل في كتاب ضخم من جزئين، أفرد الجزء الثاني منه، بكامله لقصة جريدة المدينة المنورة[1]. وكانت رئاسة تحرير تلك الجريدة حتى العدد الخامس منها للسيد أمين مدني (رحمه الله).

وفي العدد الأول من جريدة المدينة المنورة كتب الأستاذ محمد حسين زيدان، أحد أعضاء هيئة تحرير الجريدة كلمة بعنوان «كياننا الأدبي ـ لماذا لا نكتب»، فكان ذلك فاتحة الكتابات الأدبية الخالصة في تلك الجريدة، التي مرت بأدوار تاريخية متقلبة، إلى أن استقرت على وضعها الذي لا زالت تصدر عليه في جدة عن مؤسسة «المدينة المنورة للصحافة».

---

(١) كتاب «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية»، ج١، ص١٥٨ـ١٨١، وص٤٠٣ـ٤٠٥، والجزء الثاني بالكامل «قصة جريدة المدينة».

وقد أسهمت هذه الجريدة في تاريخها الطويل، العريق، إسهاماً إيجابياً فعالاً في دعم ثقة الأدباء السعوديين بأنفسهم، وفي تحريك الأدب في شقيه الموضوعي، والنقدي، وقد تدرب على صفحاتها كثير من الأدباء الذين أصبحوا من الأسماء البارزة في الأدب السعودي فيما بعد.

وقد توقفت جريدة «المدينة المنورة» كما توقفت جميع الصحف السعودية الأخرى، خلال الحرب العالمية الثانية، فيما استمرت «أم القرى» الرسمية وحدها في الصدور.

وبعد أن عادت الصحف للصدور مرة ثانية بعد انتهاء تلك الحرب العظمى، عادت جريدة «صوت الحجاز» للصدور مرة ثانية، ولكن باسم جديد، وهو:

جريدة «البلاد السعودية»:

وقد صدر العدد الأول منها في ١ ربيع الثاني ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، وكان ذلك العدد يحمل رقم (٥٩٣)، إمتداداً لإصدارات الجريدة في مسماها القديم وهو «صوت الحجاز».

وتولى رئاسة تحريرها أحد ألمع الصحفيين في هذه البلاد، وهو الأديب عبد الله عريف (رحمه الله)، الذي أعطاها من روحه ونشاطه حيوية تميزت بها، فكانت ميداناً من أنجح ميادين الأدب، بالإضافة إلى كونها صحيفة عامة جامعة. ومعظم أدباء الأجيال اللاحقة يدينون في انطلاقتهم الأدبية لبداياتهم الأولى على صفحات جريدة «البلاد السعودية» في سنوات عنفوانها العشر الأولى من سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، إلى سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، وهي فترة رئاسة عبد الله عريف لجهاز تحريرها.

وبعد تطورات كثيرة، وانتقال الجريدة من مكة إلى جدة، أصبحت

منذ سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م تحمل اسم «البلاد» ولا زالت تصدر عن «مؤسسة البلاد» بجدة، ولكن مستواها الحالي لا يرقى أبداً إلى ذلك المستوى القديم القوي، وبصفة خاصة في اتجاهها الأدبي.

وبالإضافة إلى تلك الصحف، ظل الأسلوب القديم، في الظهور بإصدارات أدبية جامعة، مثل «أدب الحجاز» سائداً، حتى في بداية عهد المملكة العربية السعودية.

ففي سنة ١٣٥٥هـ/ ٣٧ ـ ١٩٣٦م، صدر كتابان يحملان مجموعتين من الآثار الأدبية، وتراجم الأدباء. كان الأول منهما هو «وحي الصحراء» جمعه محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بلخير، وكان الثاني هو «نفثات من أقلام الشباب الحجازي» جمعه هاشم يوسف الزواوي، وعلى حسن فدعق، وعبد السلام طاهر الساسي، وكتب مقدمة «نفثات من أقلام الشباب الحجازي» زعيم الأدباء السعوديين، آنذاك، محمد سرور الصبان.

ويبدو أن مجموعة «وحي الصحراء» كانت من الأكبر سناً، والأكثر تمرساً في الكتابة الأدبية آنذاك، ويبدو أن هيئة التحكيم[1]، التي شكلتها لاختيار موضوعات الكتاب لم تسمح لأحد من مجموعة كتاب «النفثات» بالإشتراك في كتابة موضوعات «وحي الصحراء» فأصدر أولئك الشبان، الأصغر سناً آنذاك، كتاب «النفثات»، تأكيداً لذواتهم أمام مجموعة «وحي الصحراء».

وأراد كتاب «وحي الصحراء» الخروج بدعم قوي من أحد أعلام

(١) أشار إلى هذه الهيئة الجامعان في تقديمهما للكتاب، «وحي الصحراء»، ص: أ، ب (ط١)، ص١٩، ٢٠ (ط٢).

الأدباء العرب المعاصرين، فاختاروا الدكتور محمد حسين هيكل، رحمه الله، لتقديم كتابهم، وقد لاحظ عليهم أن أدبهم كان متأثراً بأدب النهضة الحديثة في البلاد العربية المجاورة، «فالأسلوب، والصور، وطرائق التفكير والتعبير تجري كلها مجرى ما تقرؤه في أدب مصر، وسوريا، والعراق، وغيرها من البلاد العربية، في هذا العصر الأخير، بل تجري مجرى الصور الأخيرة لهذا الأدب الحديث في تلك البلاد، فأنت ترى شعراً منثوراً، وترى أوزاناً في الشعر من أوزان المدرسة الحديثة، وترى تفكير هؤلاء الأدباء مصوراً في قوالب تكاد تردها إلى مصادرها في تفكير العصر الحاضر وأدبه، ثم إنك ترى أساليب يحتذي فيها أصحابها الكتّاب المعروفين اليوم في مصر، وغير مصر»[١].

كما لاحظ هيكل (رحمه الله)، طموح أولئك الشبان، آنذاك، الذين لم يكن قد جاوز منهم سن الأربعين أحد، فكتب يقول: «ومرجع حرصهم على معرفة آثار الحياة الحديثة تشوقهم لبلوغ بلادهم ما بلغت غيرها في أقصر زمن تستطيع فيه أن تدرك هذه الغاية»[٢].

ضم كتاب «وحي الصحراء» تراجم وآثار اثنين وعشرين أديباً، بعضهم صمد مع الزمن، وأثبت جدارته الأدبية، وبعضهم اختفى بعد حين، ولم يسجل اسمه في ذاكرة تاريخ المبدعين. والغريب أن أبرز أديبين من أدباء تلك الفترة، شعراً ونثراً، وهما: حمزة شحاته، ومحمد حسن عواد، لم يكونا من بين الأدباء الذين نشروا آثارهم الشعرية والنثرية في كتاب «وحي الصحراء» وقد أعادت مؤسسة تهامة طباعة هذا الكتاب، على صورته القديمة، فصدر عنها في طبعته الثانية في سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

---

(١) «وحي الصحراء»، ص: د. (ط١)، ص٢٢ (ط٢).
(٢) «وحي الصحراء»، ص: هـ. (ط١)، ص٢٣ (ط٢).

أما الكتاب الثاني، الذي صدر في سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م، متزامناً مع «وحي الصحراء» وحمل مثله مجموعة من آثار أدباء شبان، ولكن أصغر سناً، وأقل دربة وتمرساً في الكتابة، آنذاك، فهو كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي». وقد كتب محمد سرور الصبان ملاحظاً على بعض ما حمله ذلك الكتاب من آثار، فقال: «وفي الكتاب بعض أفكار، وبعض قطع شعرية ونثرية، ما كنا لنوافق على نشرها، لو كان من حقنا أن نقترح عليهم إغفالها، ولكن ليس لنا هذا الحق»[١].

ورغم تلك الملاحظة الواعية الصادقة على مادة الكتاب، فإن بعض الآثار التي حملها كانت تبشر بمستقبل مشرق لكاتبيها، وقد أثبت بعضهم بالفعل جدارة عظيمة، فأصبحوا من كبار الأدباء والعلماء المحققين، أو الشعراء المبدعين وفي مقدمة أولئك: أحمد عبد الغفور عطار[٢]، وحمد الجاسر[٣]، وهما قد أصبحا من كبار أعلام الأدباء العلماء، لا على مستوى الأدب السعودي فقط، بل على مستوى الأدب العربي والعالمي، وبصفة خاصة في مجال التحقيق، والدراسات الأدبية العلمية، أما من الشعراء، الذين اشتركوا في كتابة موضوعات كتاب «النفثات» فقد أصبح حسين عرب[٤] أحد كبار الشعراء العرب المبدعين من أبناء هذه البلاد. كذلك أصبح عبد الله عريف[٥] أشهر كاتب صحفي في عهد جريدة «البلاد السعودية» التي رأس تحريرها في أزهى عصورها وأكثرها حيوية.

---

(١) كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ص٦.

(٢) «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ص١٢٥ـ١٢٩.

(٣) «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ص٨٦ـ٩٨.

(٤) «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ص١٠٨ـ١٢١.

(٥) «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ص٣١ـ٤٩.

وبعد كتابي «وحي الصحراء» و«نفثات من أقلام الشباب الحجازي» بثلاثة عشر عاماً أصدر عبد السلام الساسي (رحمه الله)، كتاباً من نوع جديد في الإصدارات الأدبية الجماعية، التي تميزت بها حركة الإصدار الأولى في الأدب السعودي. فقد أصدر عبد السلام الساسي كتاباً لثلاثة شعراء فقط، أسماهم «العباقرة الخالدين»[1]، وأسمى أدبهم «أدب الزعامة الخالد الممتاز»[2]، أما أولئك الثلاثة فهم: محمد حسن عواد، وحمزة شحاته، وأحمد قنديل. واسم الكتاب الذي أصدره عبد السلام الساسي عنهم، في سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، هو «الشعراء الثلاثة في الحجاز».

ولأنه قد سبق الحديث بشيء من التفصيل عن أول هؤلاء الشعراء الثلاثة، فإنني أرى أنه من الواجب الحديث عن الشاعرين حمزة شحاته، وأحمد قنديل، وأبدأ بالشاعر:

حمزة شحاته[3]:

ولد الأديب حمزة شحاته في مكة المكرمة سنة ١٣٢٨هـ، ونزحت أسرته وهو طفل صغير إلى جدة، وفيها نشأ، فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة، وظهرت مواهبه الشعرية، وذكاؤه الفذ وهو تلميذ صغير بالمدرسة... وكان يميل إلى الرياضيات والعلوم العقلية والمنطقية، ولكنه كان عالي النفس عزيزها، بعيداً عن حب الشهرة، فكان يعزف عن

---

(١) كتاب «الشعراء الثلاثة في الحجاز: محمد حسن عواد ـ حمزة شحاته ـ أحمد قنديل»، ص٥.

(٢) «الشعراء الثلاثة»، ص٨.

(٣) انظر ترجمة حمزة شحاته في «الشعراء الثلاثة»، ص٣٠، ٣١. وفي كتاب «إلى ابنتي شيرين» الغلاف الأخير.

النشر. كما كان فناناً يهوى العزف على آلة العود، فكان الشعر، كما كانت الموسيقى متنفسه في حسه المرهف ووجدانه الحي وفكره الثاقب، كما هي حال كبار عباقرة الفنانين من الأدباء العالميين.. وكانت وفاته في القاهرة بمصر في ١٢/ ١٢/ ١٣٩٠هـ.

وفي فترة من فترات شبابه، انتدب حمزة شحاته (رحمه الله)، من إحدى المؤسسات التجارية إلى الهند لتولي بعض المهام المتعلقة بها، وهناك أتيحت له الفرصة لتوسيع آفاقه الأدبية بالإطلاع على الآداب الشرقية، والغربية، فقد كانت الهند، آنذاك، تخضع لحكم بريطانيا، فازداد رصيده الثقافي بروافد عالمية.

وأكثر ما تميز به أدب حمزة شحاته دعوته الصريحة إلى نبذ العادات السيئة وإلى السير في طريق السمو الأخلاقي الشريف، بلا زيف ولا خداع، وقد تجلى ذلك في محاضرته التي ألقاها في الموسم الثقافي لجمعية الإسعاف الخيري بمكة المكرمة في سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، بعنوان «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، وهي محاضرة عظيمة الشأن كانت لها أصداؤها الواسعة في المجتمع. وقد أعادت مؤسسة تهامة بجدة نشرها مطبوعة في سلسلة «الكتاب العربي السعودي» في سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، وفي تلك المحاضرة بيَّن حمزة شحاته فكره الواضح في فلسفة الأخلاق الفاضلة على أسس الحياء النابع من الإيمان الصادق، الذي زرعه الإسلام في النفوس سراً وعلانية. فهو يستبعد الضرورة كأساس للخلق الفاضل، لأن الضرورة (أمر طارىء)، والأصل في الخلق الفاضل أن يكون ثابت الجذور، بلا رياء، أو «اضطرار آني موقوت تفرضه أسباب الضرورة». لقد وضع حمزة شحاته في محاضرته تلك قواعد فلسفية واضحة للخلق الفاضل، استمد أصولها، من تعاليم القرآن الكريم، وسيرة الرسول العظيم سيدنا محمد ﷺ، ولم يجعلها مجموعة مواعظ

وتوجيهات. وقد سار حمزة شحاته في استنباطه للأصول الصحيحة للخلق الفاضل على منهج التجريد، الذي شرحه في تمهيده، لمحاضرته بقوله: «والتجريد، في مرحلته الأولى، رد للمسائل إلى أصولها المفروضة،.وإلى أساساتها العارية، فهو يمس العقائد الفكرية ـ لا شك ـ ويهدم منها شيئاً، ليقيم شيئاً محله.

وما زالت النفوس أضعف استعداداً لقبول المفاجآت التي تحاول أن تنتزع من معتقداتها ومشاعرها، شيئاً له قيمته وقداسته، وله صلابته العنيدة»[١] ثم قال: «والفكر المؤمن، بنظرته إلى شيء نظرة خاصة، لا يسعه إلا أن يؤدي الأمانة.. لهذا ستكون نظرتنا إلى الفضائل ـ على أساسها التجريدي القاسي ـ نظرة من يريد أن ينطلق بها من حدودها الضيقة المتصلبة، إلى حدود رحيبة من الشك والوسواس، خاضعاً لسعة إدراكه لأطرافها، وخفاياها ورموزها، وعلاقتها بأشباهها، وهو لا يفعل بها هذا ليضعفها، بل ليبلغ بها أبعد حدود القوة والإحتمال»[٢].

وبعد تجريد صريح، وصل حمزة شحاته (رحمه الله)، إلى تقرير حقيقة، آمن بها، وهي: أن الحياء هو قوام الفضائل، أو قوام جماعها[٣]، ولكنه يضع للحياء تعريفاً سامياً، فيقول «الحياء صفة طبيعية مظهرها الترفع الأدبي المتطرف عن الإستجابة لرغائب النفس، إذا شعرت بأن في هذه الإستجابة ما يشينها، ولو كان مباحاً يأتيه الناس.

والمعروف أيضاً أنها دلالة الحس المرهف، ووضوح الشعور

---

(١) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٢٣، ٢٤.

(٢) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٢٣، ٢٤.

(٣) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٨٥.

بالنقص، أو ضعف الجهاز العصبي، هذا، أو ما يقرب منه في الطب»[1] ولكنه عاد فشرح بأسلوب (التجريدي) نظرة الناس إلى (الحياء)، فبين أوجه الحق، وأوجه الباطل، كما يراها.

لقد تجلّت في تلك المحاضرة الطويلة مقدرة حمزة شحاته على التنظير الفلسفي الإجتماعي في موضوع الأخلاق، بأسلوب الأستاذ القدير المتمكن، والباحث الحصيف الواعي، بأدق المقاييس العلمية الرفيعة في العالم المتحضر. وهذه المحاضرة، في رأيي، دراسة فلسفية إجتماعية من الدراسات الرائدة في العالم العربي كله في العصر الحديث.

وقد بدا حمزة شحاته في نتيجة دراسته الرائدة تلك متأثراً بفلسفة القوة، التي يعبر عنها ويمثلها الحياء في رأيه[2].

وقد لخص تلك النتيجة، التي آمن بها، وأراد بثها، بقوله: «هذا هو الحياء الذي هو القوة».

افتحوا عليه بصائركم، تفتحوها على القوة، التي هي من قوة الله.. من قوة شريعته.. ومن قوة فطرته.

ومن قوة الأنانية الفاضلة، ومن قوة الضمير الذي هو النفس اللوامة.. التي أقسم بها الله في كتابه!

هذا هو الحياء الذي تنطوي فيه الرحمة، وتنطوي فيه العدالة.

هذه هي القوة، التي لم تكن رسالة الدين الإسلامي إلا محاولة حكيمة جادة لتربيتها في نفوس المسلمين.

---

(١) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٨٦.

(٢) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٨٤، ٨٥.

أرادتها تربية، ولم تردها فرضاً.

كانت في حياة محمد ﷺ، تضحية صادقة إلى آخر حدود طاقة النفس الإنسانية واحتمالها.

كانت حياء يدفع الناس ألا ينهزموا في مواطن الجهاد.. أمام الكثرة، وأمام الموت المحقق.

كانت حياء لا يترك الغنى يأكل حتى يشبع الضعيف»[١].

وعلى هذا المنوال استطرد حمزة شحاته في تعداد أمثلة من تاريخ المسلمين وسيرة الرسول ﷺ، ومدللاً بها على نظريته الفلسفية الإجتماعية في إثبات أن «حياء الأقوياء»[٢] هو «أصل الفضائل»[٣] في «البناء الأخلاقي»[٤] كما يراه.

ورغم وضوح البناء الأسلوبي لهذا التفكير الفلسفي الإجتماعي الذي قدمه حمزة شحاته (رحمه الله)، في محاضرته، إلا أن صديقه عزيز ضياء، عندما كتب عنه مشيداً به، ووصفه بأنه «قمة لم تكتشف»، وقف عند جماليات أسلوب حمزة شحاته في محاضرته فقط، ولم يوضح، أو ربما لم تتضح له، الأسباب الفلسفية (المنطقية) التي دعت حمزة شحاته إلى تغيير عنوان المحاضرة التي طلب إليه إلقاؤها من «الخلق الكامل عنوان الرجولة» إلى عنوان أراده هو، فكان «الرجولة عماد الخلق الفاضل» وكان بذلك يعبر عن اتجاهه الفلسفي الموضوعي، في اعتماد

---

(١) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٩٩.

(٢) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٩٠، ٩٩.

(٣) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٨٤، ٨٥.

(٤) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٨٤، ٨٥.

القوة المتأصلة في الحياء الذي يسمو بكل خلق أساساً للخلق الفاضل، فجعل (الرجولة) رمزاً لتلك القوة التي هي (عماد) الفضائل و«قوامها» و«جماعها»، كما وضح ذلك توضيحاً لا يحتاج إلى اجتهاد الشراح والمفسرين، فلم يكن تغيير حمزة شحاته للعنوان لغرض تحقيق التناغم في الوزن الصوتي لجرس الكلمات، كما فهم عزيز ضياء، الذي كتب شارحاً فهمه السطحي لذلك التغيير بقوله: «وهنا لا بد من وقفة قصيرة، نلتمس بها نوعاً من وزن الأسلوب الذي كتب به حمزة هذه المحاضرة وتمعن مستوى الأستاذية في اللغة، نحواً وصرفاً.. ومفردات، وقدرة على المعنى وانتقاء الألفاظ، التي يراعي فيها دقة الجرس الموسيقي في اللفظ بالنسبة للجملة، ثم منهج التحليل للموضوع الذي عالجه، وهو كما أراده، لا كما أقترح عليه، وكما نشرت عنه جريدة أم القرى.. فقد عدل عن (الخلق الكامل عنوان الرجولة) واختار (الرجولة عماد الخلق الفاضل)[1].

ويصر عزيز ضياء على رد سبب تغيير حمزة شحاته لعنوان المحاضرة إلى حرصه على تناغم الألفاظ في الوزن، فيقول عزيز ضياء مؤكداً: «والتماس الوزن هنا يعود بنا إلى ما قلته من أن حمزة يبدو وكأنه قد ولد ودرج على تراب هذه الأرض قمة شامخة»[2].

ورغم ذلك فقد كتب الأستاذ عزيز ضياء ذكريات عن صديقه حمزة

---

(١) مقدمة كتاب «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، بقلم الأستاذ عزيز ضياء، ص١٢، وكتاب «حمزة شحاته، قمة عرفت ولم تكتشف»، تأليف عزيز ضياء، سلسلة المكتبة الصغيرة، كتاب ٢١، ص٦١، ٦٢.

(٢) مقدمة كتاب «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، بقلم الأستاذ عزيز ضياء، ص١٢، وكتاب «حمزة شحاته، قمة عرفت ولم تكتشف»، تأليف عزيز ضياء، سلسلة المكتبة الصغيرة، كتاب ٢١، ص٦١، ٦٢.

شحاته (رحمه الله)، تلقي ضوءاً على مكونات نظريته الفلسفية تلك، القائمة على إيمانه بأن القوة هي أصل الفضائل وعمادها، وأنها في الإسلام تتركز في الحياء، أو في حياء المسلم القوي بإيمانه، فقد سجل عزيز ضياء في ذكرياته عن حمزة شحاته أنه قرأ معه قراءة درس ومذاكرة واعية كتاب السياسة لأرسطو ومقدمة مترجمه إلى الفرنسية «بارتي سانتيهلير» بعد أن ترجم ذلك الكتاب ومقدمته تلك إلى العربية لطفي السيد ونشره عام ١٩٤٧[١]. وهذه المعلومة تلقي الضوء، على الأقل، على مصادر أسلوب التفكير الفلسفي عند حمزة شحاته.

أما فلسفة القوة، فربما يكون حمزة شحاته قد قرأ عن نظرية نيتشه فيها، خصوصاً وأن حمزة شحاته، كما عرف عنه معاصروه، كان مولعاً بالفلسفة والمنطق من ناحية، كما أنه قرأ كثيراً من أعمال تولستوي مثل «الحرب والسلام»[٢] وكان ذلك من المؤشرات في تكوين فكرة القوة باعتبارها عماد الخلق الفاضل في فكرها الفلسفي الإجتماعي، كما شرح تصوره لها شرحاً وافياً في محاضرته التي نشرتها أخيراً مؤسسة تهامة، والتي ذكر عزيز ضياء، بلا توثيق يمكن الرجوع إليه، أنه قرأ للأستاذ محمد حسين زيدان ما يشير إلى: «أن حمزة قد ارتكز واستمد عناصر محاضرته من كتاب (علم الإجتماع) لنقولا حداد[٣] وقد رفض عزيز ضياء ما نسبه إلى محمد حسين زيدان وقال مؤكداً: «إن حمزة كان من القلائل - في العالم العربي - الذين لا يرضون لأنفسهم أو لأعمالهم أن تلمع فيها بارقة اقتباس أو تأثر أو تقليد.. كانت أبرز خصائصه - وهي في نفس الوقت سبب الكثير من المتاعب التي واجهها في حياته - ذلك التعشق

(١) «حمزة شحاته، قمة عرفت ولم تكتشف»، ص٢٦، ٢٧.

(٢) «حمزة شحاته، قمة عرفت ولم تكتشف»، ص٣٠، ٣١.

(٣) «حمزة شحاته، قمة عرفت ولم تكتشف»، ص٤٦، ٤٧.

الملهوف للإستقلال الفكري، والحرص الممض على الإبتداع، والترفع عن الإتباع»[1].

إن حب عزيز ضياء لحمزة شحاته أنساه، في غمرة حماسه، أن التأثر بعوامل الإنتشار الثقافي، التي أثبتتها دراسات علم الأدب المقارن الحديث أمر لا يتعارض مع الإستقلال أبداً، لأن وحدة الشعور ووحدة الإحساس تقوم على أساس التأثر والتأثير، وقد كان حمزة شحاته (رحمه الله)، أكثر يقظة وإدراكاً لهذه الحقيقة، وكأنه كان يتوقع في محاضرته تلك ما قاله عزيز ضياء دفاعاً عنه بعد وفاته، فرد عليه حمزة شحاته بإحساسه المبكر، وفطنته المبنية، بلا شك، على ثقافته الواسعة - فرد - أو كأنه رد عليه بقوله: «إنما ندعي الإستقلال، وإنما نقول إن الأساسات المدرسية والفكرية القديمة، والأساسات الفكرية الجديدة، وشيوعها، جعلت بين الأفكار العامة روابط صلات، ما ينكر أثرها في إزالة الفوارق وتقريب الأفكار وتشابه السمات.

وحسبكم أن تقرأوا اليوم في أدب الحجاز أساليب من الشعر، وأساليب من الكتابة، لا يختلف بعضها عما تعرفون لخيرة الكتاب والشعراء في مصر، فمن يعد هذا تقليداً أو سرقة؟ إنما هو أثر الإشتراك العام في مؤشرات فكرية متشابهة، أو أثر انتشار الثقافة، وتهيؤ أسباب العلم لمستحدثات العقل والفكر والصناعة والفنون، وتوثق الصلات الفكرية والأدبية، وتوحد اللغة والدين، وتقارب الطباع والأمزجة وتأثير الإختلاط والإمتزاج الإجتماعي والفكري.

وفي شعراء مصر من نجد على شعره سمات شاعر عربي قديم، وطابع صياغته. في كتّابها من نجد في آثاره ما يعلنَ عن صلته الصريحة

(١) «حمزة شحاته، قمة عرفت ولم تكتشف»، ص٤٧، ٤٨.

بأديب من كبار أدبائها، وفي كبار أدبائها من تطالعنا آثاره بأفكار أديب، أو نظريات عالم، أو مذاهب فيلسوف من الغرب. فماذا نحن قائلون؟

غير أن مجال الفكر اليوم قد اتسع، وتحرر من القيود التي أقامتها العزلة القديمة بين الشعوب؟ وإن آثار حرية الفكر وشيوع مذاهب التفكير وأساليبها في أنحاء العالم، وتقدم المواصلات والصلات الإقتصادية والفكرية والسياسية قد خلقت طائفة من القرابات الذهنية والأدبية بين الناس؟ وكانت سبباً في القضاء على كثير من أسباب التباين الفكري والأدبي بين الشعوب المتباينة؟[١].

لقد كان حمزة شحاته (رحمه الله)، بالفعل قمة فكرية عظيمة، وقدم في محاضرته تلك دراسة فكرية فريدة في جيله. ولن يعيبه، أبداً، وبأرقى المقاييس العلمية، أن يكتشف دارس أو باحث، أثراً من آثار قراءاته في محاضرته تلك، أو في أي أثر آخر من آثاره الشعرية أو النثرية، ويكفي ما سجله هو في محاضرته رداً على ذلك، وتوضيحاً له. وكل كبار المفكرين، والأدباء، والفنانين، لا ينطلقون من فراغ، وتبادل التأثر والتأثير بينهم بالإنتشار الثقافي لا ينتقص من حقيقة إبداعهم في الصياغة والبلورة، بل وفي الإبتكار الذي هو دائماً امتداد في التطور وفي حركة التاريخ، كما أشار إلى ذلك بحق الأديب والفيلسوف الألماني الكبير جوتفريد هردر، الذي كان من أوائل من نبهوا إلى أثر الإنتشار في امتداد حركة الفكر والفلسفة والفن[٢]، في تاريخ النهضة الأدبية الحديثة في ألمانيا بصفة خاصة، وفي الفكر الأوروبي بصفة عامة.

---

(١) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، ص٣٢.

(٢) انظر باللغة الألمانية كتاب الأعمال الكاملة ليوهان جوتفريد هردر، الجزء الأول، ص٨٣٩.

«Johann Gottfried Herder, Werke in Bdn:, Hrg. K.G. Gerold, München, 1953, Bd. 1,S. 839».

وحمزة شحاته (رحمه الله)، جعل من أصالة الحياء وقوته، التي هي عماد الخلق الفاضل، محوراً للتعبير، والبوح، في نثره وشعره. فهو في إحدى روائعه الشعرية يقول بعنوان «الليل والشاعر»[1]:

يا شاعر الكون وفنانه	وعبقرياً صاغ ألحانه
وعاشقاً أوطأه قلبه	مخاطر الحب ونيرانه
جافى الهوى لا خائباً عنده	وإنما أنكر ميزانه
لم يسأم الحسن ولا وحيه	ولا اجتوى الحب وأشجانه
لكنه ـ والطهر مأموله ـ	عاف دناياه وأدرانه

إلى أن يقول:

يا ليل يا رمز الغنى والجوى	يا ظامئاً جانب غدرانه
موردك الحافل يطفي الظما	يغبط ورادك، جيرانه
وأنت تأباه؟ فيا للغني	يختار من دنياه قنعانه
يا فيلسوفاً أصغرت نفسه	مناعم العيش وألوانه

ورغم غلالة «الرومانسية» الحالمة، التي تبدو لأول وهلة وكأنها تغلف هذا الشعر الرمزي، إلا أن معاودة النظر والتأمل فيه تكشف عن أصالة الفكرة الفلسفية المحورية عند حمزة شحاته، وهي فكرة «قوة الحياء»، والخلق الفاضل للقوي في إيمانه وترفعه. وهي الفكرة التي دارت حولها محاضرته الشهيرة، والتي ظلت تبرز في كل أعماله الشعرية، والنثرية، إما بصورة عفوية تلقائية، أو بطريقة التنظير الواضح.

يناجي حمزة شحاته، في أبياته هذه، نفسه في الليل، كما يناجي

---

(١) «الشعراء الثلاثة»، ص٣٢، و«شجون لا تنتهي»، مجموعة شعرية من شعر حمزة شحاته عن: مطبوعات الشعب بالقاهرة سنة ١٩٧٥، ص٣٢.

الليل ممثلاً لروح سامية تتجسد فيها كل قيم الفضيلة. وفي مناجاته الشعرية يفضي حمزة شحاته (رحمه الله)، بمفهومه الفلسفي لأصل الفضيلة في قوة الحياء، سراً وعلانية بالقدرة الفعلية على الترفع عن دنايا شهوات «النفس اللوامة»، حتى في ستر الليل، فإن قويَّ النفس، بالحياء المتأصل فيها، يظل كالظامىء أمام غدير الماء، لا يقربه ترفعاً، لأنه «يختار من دنياه قنعانه» بعد أن «أصغرت نفسه مناعم العيش وألوانه»، وهذا هو «الغنى» الحقيقي عند الأقوياء بحيائهم النابع من إيمانهم، الذين تنكر عليهم نفوسهم الكبيرة بقوة حيائهم، ميزان الهوى الذي يرتكز على إشباع الشهوات، فيظل عند (القوي) (الطهر مأموله) الدائم، فهو يعاف دنايا الهوى وأدرانه.

ومن فلسفة القوة التي تنبع منها الفضائل وتعتمد عليها قال حمزة شحاته في بيتين من قصيدة طويلة له بعنوان «ملحمة»[1].

حدث الليل، قال: ما أكرم العا ... صف ما أكرم القويّ الرحيما
آثر العفو، والكريم صفوح ... إن تولى عدوه مهزوما[2]

وفي تلك القصيدة أيضاً تتجلى فكرة القوة أساس الفضيلة عند حمزة شحاته في قوله:

ذل من خاف، فالحياة غلاب ... فاز فيه الأسد ناباً وظفرا[3]

وتتجلى فكرة القوة الفاعلة هذه أكثر فأكثر في شعر حمزة شحاته (رحمه الله)، في قوله، في قصيدته تلك أيضاً، عن القوة المحركة:

هل يطيق النهوض! هل يملك السـ ... ـعي جناح واه، وروح أسير!

---

(١) «الشعراء الثلاثة»، ص٥٠-٥٤.
(٢) «الشعراء الثلاثة»، ص٥٢.
(٣) «الشعراء الثلاثة»، ص٥٣.

القوانين للعناصر يا بحر، نظام عن قصده ما يحور
والأماني للكسالى تعلا ت عزاء، والعيش وهم وزور
وحدود الحياة تفسح للأقو ى مجالاً لكنها لا تجير
إن مللت الظلام فالتمس النو ر، وهل يهتدي إليه ضرير؟[1]

رحم الله حمزة شحاته، فقد كان أديباً فيلسوفاً فذاً، إعتزل الحياة والأحياء في أواخر حياته، ولكنه لم يعتزل همومهم، ولا آمالهم، بل كان يستحضرها في وجدانه، ويتفاعل معها في صبحه ومسائه، تدل على ذلك رسائله الخاصة، التي كتبها بأسلوب أدبي فذ فريد، وكان يبعثها من القاهرة بمصر إلى كبرى بناته (شيرين) في جدة، وقد نشرتها مؤسسة «تهامة» مطبوعة في كتاب[2]، فأحسنت بذلك صنعاً، لأنها مصدر نادر من مصادر دراسة فكر حمزة شحاته في حياته الخاصة (رحمه الله).

أما ثالث الشعراء الثلاثة، الذين ضمهم كتاب عبد السلام طاهر الساسي في سنة ١٣٦٨هـ فهو الأديب الأستاذ:

أحمد قنديل[3]:

ولد أحمد قنديل في مدينة جدة في سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، وبها نشأ فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة، التي تخرج منها وعمل بها

---

(١) «الشعراء الثلاثة»، ص٥٤.

(٢) «إلى ابنتي شيرين»، حمزة شحاته، الكتاب العربي السعودي رقم ١٢، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) انظر ترجمة أحمد قنديل في كتاب «الشعراء الثلاثة»، ص٥٨، ٥٩، وفي كتاب «الجبل الذي صار سهلاً» الكتاب العربي السعودي، رقم١، الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وفي كتاب «الشعراء الثلاثة» ذكر أن مولده كان في سنة ١٣٣٠هـ، بينما ذكر في ترجمته على غلاف كتابه «الجبل الذي صار سهلاً» أن مولده كان في سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م.

مدرساً لعدة أعوام. . . وكان أحمد قنديل (رحمه الله)، منذ صباه ميالاً للأدب، الذي عكف على دراسة أمهات الكتب ودواوين الشعر فيه. كما اطلع على أعمال كبار أدباء اللغات الأوروبية وفلاسفتها، أمثال: شكسبير، وبايرون، وجوته، ومولبير، ونيتشه.

ونظم أحمد قنديل الشعر في سن مبكرة، وظل ينظمه، فصيحاً، وبلهجة مدن الحجاز الدارجة، في حيوية وتدفق وبلا انقطاع، إلى أن أدركته الوفاة في صباح يوم الجمعة ١٢ شعبان ١٣٩٩هـ، ٦ يوليو ١٩٧٩م، (رحمه الله)، رحمة واسعة.

وانتقل أحمد قنديل في شبابه من جدة إلى مكة، وفيها تولى رئاسة تحرير جريدة «صوت الحجاز» فترة من الزمن، ثم تركها وانخرط في سلك الوظائف الحكومية إلى أن أصبح مديراً عاماً للحج لمدة ثلاثة عشر عاماً، ترك بعدها الوظائف الحكومية، متفرغاً للأدب، والإنتاج الأدبي الفني من خلال مشاركاته الذاتية، ومن خلال مؤسسة أنشأها للإنتاج الفني الأدبي بجدة وكانت تمد الإذاعتين، المسموعة والمرئية، بأعمال من إنتاجها،-وهي من المؤسسات الرائدة في مجالها في المملكة العربية السعودية.

كان أحمد قنديل شاعراً متعدد الجوانب، نظم الشعر الفصيح على النظام القديم وأجاد فيه، ونظم شعراً حديثاً، ونظم في لهجة مدن الحجاز الذي عرف باسم (الشعر الحلمنتيشي)، وكان يهدف من ورائه إلى تخليد صور الحياة في مدن الحجاز، وبصفة خاصة في مكة وجدة.

وبعد أن أخذت الإذاعة تتوسع في برامجها، كان أحمد قنديل من أوائل من كتبوا لها التمثيليات الشعبية، والبرامج الثابتة، التي تصور حياة الناس بعفوية وصدق مثل برنامج «زقزوق وظريفة» الذي ظل يكتبه

سنوات طويلة وكانت له شعبية كبيرة. كما كان يقدم يومياً صوراً شعرية في اللهجة الدارجة بعنوان (قناديل) تنشرها الصحف، ويذيعها في بعض الأحيان، وليتها تجمع وتنشر، فهي مصدر من مصادر التعرف على الحياة في مكة وجدة، وأساليب العيش والتعامل والتفكير عند جميع الطبقات، وعند البسطاء من عامة الناس على وجه الخصوص.

ولأحمد قنديل (رحمه الله)، كتب مطبوعة كثيرة، منها، ولعله آخرها كتاب «الجبل الذي صار سهلاً»، الذي افتتحت به مؤسسة تهامة نشرها للكتب الذي تطور في شكل مسلسلات كثيرة متنوعة. وفي هذا الكتاب قدّم أحمد قنديل ما يشبه السيرة الذاتية، ولكن بدون ارتباط بتسلسل زمني، بل في استطراد من الذكريات، في أسلوب رشيق، كعادته في كل كتاباته، (رحمه الله)، ويبدو أنه كان يشعر بإحساس داخلي أن كتابه ذلك كان آخر ما يسجله بقلمه عن حياته، كما كتب يقول عن كتابه هذا: «بأنه أوراق خريف تتحات.. وتتساقط من شجرة عمر مكتوب»[1]. وفي مقدمة كتاب «الجبل الذي صار سهلاً» كتب محمد عمر توفيق، عن صديقه أحمد قنديل، الشاعر والكاتب، يقول إنه: كاتب «بلدي» بكل معنى الإخلاص التلقائي للبلد، لغة وتاريخياً، وروحاً، وفكاهة يغلب عليها ـ وعلى الأدب والفن عموماً فيه ـ مزاج «الكاريكاتير» وهو مزاج يسخر، ويضحك، ويستعرض المفارقات.. بلدي بمعنى الكلمة ومقوماتها على ما تتمتع به من إطلاع واسع في دنيا الأدب وسواه، ولقد كان قارئاً لا يكاد يمل القراءة، في أي جو كان، ومع أي كان أحياناً»[2].

---

(١) «الجبل الذي صار سهلاً»، تأليف أحمد قنديل، ص٢٣.

(٢) «الجبل الذي صار سهلاً»، المقدمة، بقلم محمد عمر توفيق، ص١٥.

وكان أحمد قنديل يسعى منذ شبابه إلى الخروج بشعره من إطار الإقليمية إلى آفاق الإنتشار الواسع، ففي سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م إشترك (رحمه الله)، في مسابقة نظمتها إذاعة لندن بين الشعراء، ففاز على المستويين المحلي، والعربي العام، وكانت مشاركته في تلك المسابقة بقصيدة عنوانها «البلبل» فيها تجديد في أسلوب النظم التقليدي، وفيها من المعاني الجديدة ما يؤكد اعتماده على تجربة شعورية حية وحس صادق، وفي تلك القصيدة خاطب «البلبل»، الذي ربما كان يرمز به إلى الشاعر الغريد الصدّاح، كالبلبل، ممثلاً في شخصه، فقال:

الروض ما معناه يا بلبل ... إن لم تغرد فيه أو تمرح؟
والزهر من يسكب في ثغره ... سحر الهوى إن أنت لم تصدح؟
والجدول الرقراق ما حاله ... إن غبت عنه جانباً تنتحي؟
والفجر من يلقاه، إن لم تطر ... في ضوئه الساجي، ولم تسح؟
والوردة الحسناء من ذا الذي ... يثير فيها غيرة المستحي!

إن لم تغازلها، تبث الهوى
للروض بساما، وتشكو الجوى
للفجر، والزهرة، الجدول..

يا باعث الفتنة زخارة ... بالحسن مطبوعاً على ما به
وناثر الفرحة رفرافة ... في لحنه المسكوب من قلبه
الشاعر الفنان فيما شدا ... منك استمد الوحي في غيبه
واللاعب اللاهي وأترابه ... منك استعار الصدق في حبه
والغادة النجلاء في خدرها ... والعاشق المضنك في كربه

مدا إليك السمع، حتى ارتوى
قلباهما: قلب يخاف النوى
هجراً - وقلب حنّ للأول

وأنت لم تصمت ولم تحفل ... بالباعث الوجد، وبالموجد
أغرودة تناسب في كونها ... يصب منها كل قلب صدي
وتستضيء النفس من نورها ... سعيدة في جوك المسعد
ويستعير الحسن من خمرها ... روح الهوى تسمو إلى الفرقد
كأنما أنت بليل الدنا ... نجم، وفي الليلات صبح الغد

منك استحى اليأس، وفيك انطوى
معنى الأماني ناضراً، ما ذوي
في النفس لم تهزم ولم تجفل.. [1]

إلى آخر القصيدة الطويلة، التي صاغها على شكل مقاطع مختلفة الروي، متحدة في الفكرة والموضوع الذي وزع جزئياته على المقاطع.

وعندما وجهت إليه الدعوة لحضور المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز، وعقد في مكة المكرمة في مطلع شهر ربيع الأول ١٣٩٤هـ/ مارس ١٩٧٤م كان الأستاذ أحمد قنديل (رحمه الله)، من أوائل من استجابوا لتلك الدعوة، ولعله كان أحد القلائل الذين نظروا إلى رسالة ذلك المؤتمر بجدية قصوى، فقد قدم له عملاً شعرياً كبيراً، بذل فيه جهداً يليق بجلال الموقف الذي استشعره، وكان ذلك العمل الشعري كما أسماه هو: «ملحمة الزهراء»[2]، التي طبعت ونشرت في المجلد الأول من كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، وهو عمل شعري طويل من سبعة أقسام، أرخ فيه أحمد قنديل لهذه البلاد، شعراً، في نور الإسلام الذي شرفها الله به، مهبطاً

(١) «الشعراء الثلاثة»، ص٦٦، ٦٧.

(٢) كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، المجلد الأول، ص٨١-٢١٥.

لوحيه، واصطفاه لسيد أبنائها وسيد البشر أجمعين رسولاً وخاتماً للأنبياء والمرسلين.

ورغم التخطيط العلمي الواضح لهذا العمل الشعري فإن روح الشاعر وأحلامه ورؤاه، وحبه لوطنه، واعتداده واعتزازه بدينه، وصفاء نفسه قد أضفت على هذا العمل جواً شعرياً أخاذاً في كثير من مقاطعه، وقد استرسل فيه إلى الوقت الذي نظم فيه هذا الشعر مسجلاً أهم الأحداث التاريخية، القديمة، والحديثة، والمعاصرة، بعقل مفكر، وذاكرة تسجيلية، وروح شاعر فنان. وختم كل قسم بشروح ضافية، لكل ما رأى أنه في حاجة إلى شرح وتوضيح من مفردات، وأسماء، وأحداث، وقضايا ومسائل، كما يفعل العالم المتخصص الأمين بمنتهى الحرص والدقة. والتزم أحمد قنديل في ذلك العمل الطويل كله بقافية واحدة وروي واحد، وفي هذا ما يؤكد سعة ثروته اللغوية ونفسه الطويل.

وفي القسم السادس من «ملحمة الزهراء»، وهو القسم الذي خصصه أحمد قنديل لتسجيل أحداث الهجرة النبوية الشريفة، قال، تحت عنوان «من هنا يبدأ»:

ها هنا.. من هنا سيبدأ يوم   صاغ تاريخه الحياة.. ابتداها
فاتل آياتها الحسان.. توالت   في سجل الخلود.. أنى تلاها
إنها الهجرة الكبيرة باللّـ   ـه فباللّه عزمها.. ومضاها
إنها الهجرة.. استقام بها الحـ   ـق.. مقيماً بالنصر صرح علاها
لم يزل أمسها وضيئاً... كما اليوم   عزيزاً.. تحفه ذكراها
فتوقف يا صاحب الدرب بالـ   ـدرب فقد حان للقطوف جناها
وتذكر مستعرضاً بعض ما لاح..   .. مليحاً يمناه في يمناها
واذكر الغار.. والرفيق به الرحـ   ـلة.. طابت.. في سيرها.. مسراها

وقريش تلوب.. كالثور قد هـ ـاج.. كالذئب.. عاوياً.. بفلاها
تتقرى مكانه.. ترصد الجعـ ـل لمن دلها.. إليه هداها[1]

وختم أحمد قنديل «ملحمة الزهراء» في قسمها السابع والأخير، بمقطع بعنوان: «الجزيرة.. والزهراء» فقال:

أيها الشعر.. والجزيرة مرقـ ـاك.. ومهواك.. في طويل مداها
حسبك اليوم: إن بلغت.. فبلـ ـغت بصوت من ابنها.. أبناها
هذه نفحة الجزيرة.. منها وإليـ ـها، الزهراء.. أو زهراها[2]

❊ ❊ ❊

أيها الشاعر الحفي.. محباً وحبيباً.. زدها علا.. ورفاها
وبإسلامها: كياناً.. وكوناً وبآماسها.. أطل ضحاها
قف على الدوحة العلية فيها وترنم باليوم: عزاً.. وجاها[3]

ومن المقاطع التي تجلت فيها روح الشاعر الشفافة، ونفسه الصافية، في تعبير شعري وجداني خالص، مقطع بعنوان «دنيا الشاعر» وهو من مقاطع القسم السادس من «ملحمة الزهراء» وفيه قال:

فاستعيذي بالله.. أيتها النفـ ـس.. إلى الله أمرها.. عقباها
وأنيري جوانب الروح بالمشـ ـرق منها.. مهما أدلهم دجاها
وعلى الشاطىء الوضيء من النهـ ـر شفيف الأمواج.. رق صفاها
سامتي الدوحة الوريفة لاحت بين روضاتها.. وخضر رباها

---

(١) كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، المجلد الأول، ص١٧١.
(٢) كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، المجلد الأول، ص٢٠٦.
(٣) كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، المجلد الأول، ص٢٠٦.

يانعات الأثمار طلعاً.. وزهرا ... ووروداً.. في العين.. ما أحلاها
تتناجى أطيارها.. قد تغنت ... بالمثاني.. فريدة في لغاها
لا القوافي.. قد صفدتها.. ولا الـ ... ـوزن قيوداً.. غلت بها شفتاها
قد روته: شعر الطبيعة حرا ... حالي الوقع.. جرسه أشجاها
سكبته في مسمع النهر: شدوا ... في فم الورد.. والزهور: رفاها
وترنت به إلى الكون.. تعليه: ... وجوداً معطراً بشذاها
حرة في الوجود.. لم تعرف العـ ... ـرف قيوداً.. إنسانه سواها
حرستها من نهرها.. ضفتاه ... وحمتها دنياه عما سواها
تتراءى كالحلم.. طاف به الشاعر: ... دنيا يحوم حول حماها[1]

لقد كان أحمد قنديل شاعراً ملأ دنياه غناء ونشيداً، وتغنى بحب بلاده كثيراً، فنظم شعره في مدنها، وروابيها، وفي نهضتها، وكتب نثراً كتابات رشيقة فيها روح الدعابة، ولكنها لا تفقد أصالة الفكر، وصدق الشعور والإحساس، وأمانة التصوير للحياة في مدن الحجاز في النصف الأول من القرن الهجري الرابع عشر.. ومن كتاباته تلك أنقل هنا صورة رسمها بأسلوبه الرشيق عن أدب القصة والحكاية في البيوت، ودور ذلك الأدب الشعبي في تنمية الخيال عند الصغار، وعن دور الراوية في تلك المرحلة.. كتب أحمد قنديل في كتاب «الجبل الذي صار سهلاً» تحت عنوان «حكاية عمتي» يقول:

«فقد حدث ذات ليلة في بيتنا بجدة.. وعلى ضوء خافت من الفانوس الصغير أن اتكأت عمتي في فراشها وأن انسدحت بجوارها مبحلقاً فيها وكلي أذن صاغية لما ترويه من حكايات مسلية طريفة لمن كان في مثل سني..

(١) كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، المجلد الأول، ص٢٠٣.

وهنا لا بد قبل الحكاية من وقفة صغيرة جداً فيما أخمن أن تكون، فقد كانت العادة في بيوتنا أن تتعهد إحدى سيدات العائلة الكبيرات في السن في حواديت روايات قصيرة مثيرة مغرية توسع في الأطفال دائرة الخيال وتربي ملكاته فيهم.

وهن غالباً ما يعمدن، زيادة في التشويق، إلى جعل الجان والمردة والغيلان عناصر رئيسية ثابتة في أقاصيصهم، فتجد الأطفال مسمرين حولها وكأنهم تماثيل جامدة أو دمى مبحلقة أعيانها.. متسلطة على فم الرّاوية الشعبية.

بل إنني أذكر، حينما كانت تقتضي بعض المناسبات أن يبيت قسم من عائلتنا لذي بعض أقاربنا، تحرص العائلة المضيفة لنا أن تتولى السيدة الكبيرة بها مهمة السيدة الكبيرة في بيتنا، وإن كانت لا تصل سيدة البيت المضيف غالباً في المكانة لما تصل إلينا عمتنا أو خالتنا، وتلك إحدى خبايا الألفة للصوت المعتاد وللطريقة الرتيبة مهما كانت ميزاتها.. وأخال تلك العادة المنقرضة من بيوتنا، عادة قيام الست الكبيرة بسرد الحكايات للأطفال، راجعة في الدرجة الأولى إلى الشيطنة، كما كانوا يسمونها، احتراماً لرب البيت وتوفيراً لراحته وهدوئه، وهي ولا شك، خطوة ماكرة لجذبه وقضاء وقته، بدلاً من قضائه إياه بالمقهى أو خارجه.. أياً كان»[1].

ولقد استطاع أحمد قنديل، في هذا السرد العفوي لواحدة من ذكريات طفولته، أن ينقل القارىء إلى بيت من بيوت جدة القديمة، وأن

(١) «الجبل الذي صار سهلاً»، ص٨١.

يطلعه بكل أمانة على أسلوب من أساليب الحياة في بيوت جدة آنذاك، وأن يصور الدور التربوي للسيدات الكبار في بيوت جدة القديمة، وأسلوبهن في الحفاظ على الترابط الأسري بالتشويق الأدبي، الذي كان يربي الخيال وينمي ملكته عند الصغار. وقد فعل أحمد قنديل ذلك بلمسة الفنان الذي يتدفق عطاؤه، ليجعل القارىء يعايشه، حتى بعد رحيله، وكأنه يستمع إليه وإلى من يتحدث عنهم، في أسلوب سهل واضح مشرق.

لقد كان أحمد قنديل «الكاتب البلدي» ـ كما وصفه صديقه محمد عمر توفيق ـ عاشقاً لبلاده، يخفق قلبه بحبه لها، ولكل شيء فيها، ويلهج لسانه بذكرها وأحاديث ذكرياتها التي خلدها في شعره ونثره، وفي تمثيلياته الإذاعية، التي أتمنى أن تجمع وتطبع.

وستظل آثار أحمد قنديل الشعرية والنثرية مصدراً من أهم مصادر تأريخ الحياة الصافية في مدن الحجاز وأصدقها، ففي آثاره: الصور الحية للناس، وطرق حياتهم ومعاشهم وتعاملهم، وفيها الأمثال والحكم الشعبية والأساطير التي كانت تجري على ألسنة الناس، وفيها أساليبهم في النكتة والضحك، وأساليبهم في التربية وشغل أوقات الفراغ، فيها التسلية والأدب والثقافة. إنه كاتب وشاعر «بلدي» بلغ مستويات عالية جداً من النضج الفكري والإستعداد الفطري والموهبة. ومات (رحمه الله) وهو في قمة عطائه وتدفقه، وبقي أدبه في آثاره الكثيرة، ما نشر منها وما لم ينشر، مخلداً لذكراه، وشاهداً له وعلى عصره، تجسيداً لكل ما فيه، نقله بأمانة الأديب الفنان للأجيال اللاحقة.

ومن أدباء تلك الفترة الذين شغفوا بتصوير الحياة وتسجيل صور الأحياء على بساطتهم في ذلك العهد، مع الدعوة إلى الإصلاح والتنور،

أديب امتدت به الحياة إلى مطلع هذا القرن، فكرمته الدولة بجائزتها التقديرية قبل وفاته وهو الشيخ:

أحمد سباعي[1]:

ولد في مكة المكرمة في سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، وانتقل إلى رحمة الله في يوم الثلاثاء ١٦/١٢/١٤٠٤هـ الموافق ١١/٩/١٩٨٤م. وتلقى تعليمه في المدرسة الراقية الهاشمية بمكة، في عهد حكومة الملك الحسين بن علي. وفقد أباه وهو في سن مبكرة[2]، فتحمل مسؤوليات أسرته، ولكن طموحه ساعده على الإلتحاق بسلك التعليم، فكان أستاذاً لكثير من الأدباء المشهورين. وهو أول من ألّف كتباً تعليمية في المقررات المدرسية من أبناء هذه البلاد بكتابه «سلم القراءة» الذي أصدره في ستة أجزاء.

وحينما صدرت جريدة «صوت الحجاز» كان الأستاذ أحمد سباعي (رحمه الله)، من أوائل من نشروا فيها نتاجهم الأدبي، ثم تولى رئاسة تحريرها، وإدارتها فترة من الزمن.

واشتغل الأستاذ أحمد سباعي بالوظائف الحكومية في وزارة المالية، ولكنه تركها متفرغاً للصحافة والأدب، فأسس مطبعة خاصة به في مكة، أسماها أولاً مطبعة الحرم، ولكنه غير اسمها مرتين بعد ذلك. فقد أعطى تصريحاً بإصدار جريدة اسمها «الندوة» فأصبحت مطبعته

---

(١) وردت ترجمته في كثير من الطبعات الأولى من كتابه، وفي كتاب «وحي الصحراء»، ص٥٧ (ط١,)، ص٩١ (ط٢,)، وفي كتاب «خالتي كدرجان»، ص الغلاف (ط٢,) عن تهامة.

(٢) كتاب «أبو زامل»، ص٧٨ (ط٢,)، وكتاب «أيامي»، ص٥٨ (ط٢,) عن تهامة.

تحمل ذلك الاسم إلى أن انتقلت ملكية «الندوة» إلى الأستاذ صالح محمد جمال بعد دمج الصحف. ثم حصل الأستاذ أحمد سباعي على تصريح آخر بإصدار مجلة باسم «قريش» فحملت مطبعته هذا الاسم كذلك. وفي سنة ١٣٨٣هـ توقفت مجلة «قريش» عن الصدور بعد تأسيس المؤسسات الصحفية بموجب نظامها الخاص الذي حول كل الصحف الأهلية إلى صحف مؤسسات. وفي أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات من القرن الهجري الرابع عشر الماضي حصل الأستاذ أحمد سباعي على تصريح بإنشاء أول مسرح في البلاد، ولكن الفكرة لم تتحقق، فقد سحب التصريح منه بعد حين، وأوقف مشروعه قبل افتتاحه.

وأحمد سباعي، مثل أحمد قنديل، «ابن بلد» أحب وطنه كله، ومكة مسقط رأسه بصفة خاصة، فأرخ لها في كتاب عظيم صدر في طبعات عدة باسم «تاريخ مكة» و كان في تأليفه شاملاً في البحث في جميع جوانب الحياة، ولم يقتصر على التطورات السياسية فحسب، كما كان أحمد سباعي ممن ألفوا في السيرة الذاتية بكتابه الذي أصدره في صورته الأولى رمزياً بعنوان «أبو زامل»، ثم جعله صريحاً بعنوان «أيامي»[١]. وهو في سيرته الذاتية هذه يظهر براعته القصصية في أسلوب شيق، قدم به صورة أمينة للحياة التي عاشها مع جيله في مكة، وهذا يجعل كتابه هذا وثيقة هامة لتاريخ الحياة العامة في مكة في القرن الماضي، وهي وثيقة تحمل من التفاصيل الحياتية أدقها، في أحوال الناس ومعاشهم، وفي خرافاتهم، وفي أساليب التعليم، وفي أسلوب الإختبار، والألعاب، وفي نظام المحلات «الحوائر» وفي كل صغيرة

---

(١) «أيامي» تأليف أحمد سباعي، الكتاب رقم ٧٨ في سلسلة «الكتاب العربي السعودي»، عن مؤسسة تهامة، جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

وكبيرة، بأسلوب أدبي رائع يشد القارىء للمتابعة، كما لو كانت هذه السيرة قصة مشحونة بالمفاجآت، وفي بساطة لا تكلف فيها، ولا يتحرج السباعي من استعمال عبارات مكية دارجة إن اضطره الموقف إلى ذلك، إمعاناً في الأمانة، وفي البساطة، التي زادت من عناصر التشويق في السرد الفني. ولكنه كان يوقظ القارىء بوقفة صارمة يدعو فيها إلى تحسين وضع ما، أو نبذ عادة، أو نقد أسلوب، أو غير ذلك بطريقة وعظية خطابية مباشرة، ولم يخف أحمد سباعي في سيرته شيئاً من عيوبه، أو عيوب أقرب الناس إليه في صراحة متناهية، بلا تكلف ولا ادعاء.

وعن أول قرار حاسم يتخذه والده بالتشاور مع إحدى معارفهم لتقرير مصيره، ويستمع هو إليه ويعيه، كتب أحمد سباعي قائلاً: «وقيل لنا: إن دراستكم التحضيرية قد انتهت، وإن الحكومة ستنقلكم إلى المدرسة الراقية في قلعة جبل هندي، لتدرسوا العلوم العالية، فلم أفهم جميع ما قيل لي، ولكني عرفت أن المدرسة فيها حركة، وأن (سيدنا) ينوي زيادة تعليمنا. وكلمة (سيدنا) أصبحنا لا نطلقها في هذا السن على فقيه الكُتَّاب الذي عرفناه فيما سبق، بل هي لقب أصبحنا اليوم، في فتوتنا الجديدة، نطلقه على الحسين بن علي ملك البلاد.

وسمعت أبي في البيت يناقش (خالتي حسينة) فقيهتنا القديمة، بعد أن أرسل في طلبها مستعجلاً، ويقول لها: (وجاءني مرسول من الشيخ غزالي رئيس مدرسة «الواد» يسألني هل أوافق على نقل «الواد» في القلعة يقرأ علوم، وإلا يخلوه في مدرسته يحفظ القرآن بالغيب؟!

(والله يا حسينة الواحد يحفظ القرآن بالغيب ينفع نفسه، بكرة أموت يقدر يقرا على روحي، يكون الولد في محلّ ما فيه (ختمة) ايش يسوي، يقدر يتلي من القرآن اللي في صدره زي ما يبغي. وإلا أيش تقولي يا حسينة؟).

وترى خالتي حسينة أن المسألة لها أهميتها فتطرق برأسها ملياً ثم ترفعه، وهي تقول:

ما فش أحسن من حفظ القرآن بالغيب.. بكرة لو احتاج هذا الولد، بعدما ت غمض عينك، يقدر يسوي كتاب ويقري الأولاد يجيب فلوس. روح يا عم محمد، اتوكل على الله، وخلي الواد يحفظ بالغيب.. وإلا مقصودك يسوي عالم؟!).

ويعتدل أبي في جلسته، وينفث دخان سيجارته، ويقول: (يا ستي على مهله يسوي عالم!!.. هو إذا حفظ اليوم (الختمة) وجوّدها يسير بكرة أحسن من العالم.. اتوكلنا على الله).

وهكذا بُتَّ في مصيري، وأنا على كثب من البرلمان المعقود. دون أن أسأل في شيء.. والواقع أنني لو سُئلت لعجزت عن فهم ما يسألون، ولو فهمت لرجوتهما تأجيل المناقشة، وإعطائي فرصة واسعة أتمتع فيها في برحة المروة وأروي حرماني الطويل بالجري والنط ومضاربة (العيال)»[1].

وفي سيرته الذاتية التي أسماها أولاً «أبو زامل» ثم «أيامي» سجل أحمد سباعي بقلمه (رحمه الله)، كيفية اتصاله بالأدب وأولى قراءاته فيه، قائلاً: «ولازمني شغف القراءة وحب التدريس.. فقرأت قصص أبي زيد الهلالي، وعشرات أمثالها مما لا يختلف كثيراً عن أسلوب العوام ثم تقدمت قراءتي، فدرست سيرة ابن هشام، وتاريخ ابن الأثير.. فشعرت أنني أتلذذ بأسلوب أرقى مما كنت أقرأ، وأحسست أنني أمازج المؤلفين

---

(١) «أيامي»، ص٤٢، ٤٣.

فيما يكتبون، وأسايرهم فيما يعجبني من آراء، وأحنق عليهم فيما لا يعجبني، وأناقشهم في كل ما يحتمل المناقشة والجدل.

واجتمعت مصادفة بالشيخ محمود ملياني فجاء ذكر المؤلفات والمؤلفين، وسألني عن الأدب الحديث ورجال القلم فيه. فلم أحر جواباً، لأن معرفتي بمعاني الأدب هو تهذيب الطبع. أما الأدب كدراسة في علوم اللغة، فذلك معنى لم يصادفني بعد. فليس لي أن أفهمه. وكنا نسميه إنشاء، كما علمتنا المدرسة.

ولم يفارقني الشيخ الملياني حتى كنت قد ألممت بالمعنى الجديد لكلمة الأدب، دون أن يشعرني بجهلي. وكان قد وعدني بأن يبعث لي كتاباً أدبياً فرغ منه بالأمس، وأعجب بأسلوبه الجذاب.

وتناولت الكتاب، فإذا هو «الريحانيات» للأستاذ أمين الريحاني، فشرعت في قراءته، في دهشة الرائد الذي امتطى أول طيارة تمخر به عباب الهواء، وتسلك به سبيلاً ليس فيه مكان لما تعودت قدماه على الأرض.

شاقني هذا النوع من الكتابة، وراقتني فيه عذوبة الألفاظ وطرافة الخيال. وتمنيت لو أجد من أمثال هذه المطالعات ما يملأ أوقاتي جمالاً.

وعثرت بعد أيام على (حديث القمر) للأستاذ الرافعي. . فلذت لي مناجاته الرائعة، وترك أسلوبه الأخاذ في نفسي أثراً. فرحت أنسج على منواله تقليداً ومحاكاة وأضيف إلى دفاتري صفحات من لون جديد.

وقرأت بعدها مؤلفات لجبران خليل جبران. . فاستطاع أن يستحوذ على مقدراتي في الحياة، وأن يترك أثره في توجيهي، ويعلمني كثيراً من شذوذه على القواعد العامة، وما تعارف الناس عليه من أوضاع

واصطلاحات، وصاغني صياغة عاتية لا تقر المبادىء التي لا يقرها عقل أو منطق، ولا أنكر ما حييت أن شكيمة جبران وقوته فيما يكتب أزاحت عن نفس أرتالاً ورثتها من بيئتي في البيت، والكُتَّاب، والشارع، وفتحت عيني على كثير من حقائق ما تلقيته من (سني!!) وحلت غير قليل من العقد التي كانت تنتاب نفسيتي، وأعدتني لتربية جديدة لا تمت إلى كل ما صادف حياتي الماضية.

فليت أصحاب الأقلام يدركون في كل وقت مبلغ ما تتركه نفثاتهم الحية في تنشئة الأجيال، وليت المرتزقة منهم يخشون الله في ما تدبجه أقلامهم، ولا يسيئون بمنهم، وما يزيفون، إلى مقدرات بلادهم في أشخاص من يوجهون من جمهرة قرائهم»[1].

وكما اعترف أحمد سباعي صراحة بتأثره الكبير بكتابات الأديب المهجري اللبناني الأصل جبران خليل جبران، فإن أثر جبران يظهر واضحاً في كل الكتابات الأدبية الخالصة للسباعي، وبصفة خاصة في كتاباته ومؤلفاته التي دعا فيها إلى الإصلاح الإجتماعي والتخلص من العادات السيئة والموروثات الخاطئة، أما بصورة مباشرة مثلما فعل في كتاب «دعونا نمش» أو بصورة رمزية غير مباشرة مثلما فعل في كتابه «فلسفة الجن» و«يوميات مجنون».

وظل أحمد سباعي (رحمه الله)، في كل كتاباته ومؤلفاته، وفيًا لبلاده، صوَّر حياة جيله في أسلوب قصصي فني رائع متقن، لكنه كان يقطعه في أحيان كثيرة بمواقف خطابية مباشرة مثلما فعل في سيرته في كتاب «أبو زامل» ثم «أيامي»، وكما فعل في بعض قصص مجموعته

(١) «أيامي»، ص ٩٥، ٩٦.

القصصية «خالتي كدرجان» فهو - مثلاً - في قصة «اليتيم المعذب» يقدم عرضاً قصصياً محكماً بالغ الدقة في الأداء الفني الجميل بأسلوب مشوق، ثم لا يلبث أن يقطع على القارىء استرساله في معايشة الأحداث في جو قصصي فني شيق ممتع، بمفاجأة تقريرية خطابية مباشرة، بأسلوب المؤرخ الصارم، مفسراً أهم أسباب انحراف بطل قصته إلى الجريمة بقوله: «ولعلي لا أبعد كثيراً إذا عللت أهم أسباب العبث والفوضى بتوزيع المسؤوليات في البلاد بين حاكمين، كانا يتنازعان الإختصاص في أوضاع غير محدودة، ومسؤوليات غير مركزة.

فالدولة العثمانية كانت تُولي أمر الحجاز أحد أشراف مكة من البيت القديم الحاكم فيها.. ومع هذا كانت لا توليه ثقتها الكاملة.. بل تندب إلى جانبه من يمثل سلطتها من الأتراك في وظيفة (والي) ليشرف على شؤون المال والإدارة والأمن.. فيرتبك شأن الإمارة، وتضيع الحدود بين صاحب الإمارة وصاحب الولاية، ويتعذر معرفة المسؤول الأول عن شؤونها. ولو وكلت أمر أحدهما إلى الآخر، لتركزت المسؤولية وتحددت الإختصاصات.

لم يوكل أمر أحدهما إلى الآخر.. فأباحت لهما تنازع الإختصاص.. لذلك كانت أمور الرعاية تتراوح بين السلطتين، وكان في استطاعة القوي منهما أن يوسع دائرة نفوذه على حساب الآخر، وأن يفرض شكيمته في البلاد دونه.. فلا غرابة أن يعبث العابثون في بحبوحة هذه الفوضى، وأن يستغلوا فرصة تنازع الإختصاص لصالحهم»[(١)].

---

(١) «خالتي كدرجان»، مجموعة قصصية، تأليف أحمد سباعي، الكتاب ١٨ في سلسلة الكتاب العربي السعودي، عن مؤسسة تهامة، (ط٢)، جدة ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، ص٤٩، ٥٠.

ويسترسل أحمد سباعي في هذا التقرير التاريخي قاطعاً على القارىء استمتاعه بالجو القصصي في نحو أربع صفحات، ثم عاد بعدها إلى متابعة التحليق الفني في أجواء القصة، وهو تحليق متقن الأداء لولا التداخل التقريري الذي يهزه بصورة مفاجئة. ولعل اشتغال السباعي بكتابة التاريخ التقريري، وتأليفه كتاب «تاريخ مكة» هو السبب في هذا التداخل بين الأدب الفني الجميل وبين الأدب العلمي التقريري.

وأحمد سباعي (رحمه الله)، كان من أوائل أدباء هذه البلاد الذين طالبوا بإعطاء الفتاة حقها في التعلم والتعليم، واستعمل في ذلك أسلوباً فريداً لم يسبقه إليه أحد فيه، وصفه في كتاب «أيامي» بقوله: «وكنت متحمساً لتعليم الفتاة بشكل حاد فأنشأت أكتب في إسهاب محبذاً تعليمها بشكل أثار عليَّ حفيظة الكثير وعرضني للنقد اللاذع، فرأيتني أتحايل على الفكرة.

شرعت أكتب بتوقيع (فتاة) فصولاً متسلسلة، جعلت الفتاة فيها تصف نشأتها التعليمية وما نالها من عناية أبيها وأخيها حتى تذوقت معنى الحياة وبدأت تنمو بأفكارها إلى مستويات باتت محسودة عليها.

كتبت هذا في بحوث مستفيضة، فلم ألبث أن وافاني تعليق لفتاة لها شخصيتها المعروفة بين بيوتات مكة، فتركت المجال يتسع بينها وبين الشخصية الخيالية، حتى طال، وحتى ظن القراء أنه نقاش جاد بين شخصيتين لا يشك مرتاب في جهودهما»[١].

وعن بداية اتصاله بالصحافة والكتابة والنشر في الصحف كتب الأستاذ أحمد سباعي في كتاب «أيامي» يقول: «حاولت في هذه الأثناء أن

(١) «أيامي»، ص ١١٠.

أنشر بعض ما أكتب. . ولكن رئيس تحرير (صوت الحجاز) يومها الشيخ عبد الوهاب آشي رفض أن ينشر لي أول مقال أرسلته، فازداد كسوفي، دون أن أحرك ساكناً، أو أذيع سراً، لا كما يفعل بعض ناشئتنا اليوم!

ولما خلف بعده السيد محمد حسن فقي في رئاسة التحرير، كان فيما يبدو محتاجاً لما يملأ به الجريدة في أول يوم من أيام عمله، فالتجأ إلى درج المهملات، ليعثر على مقالي المهمل وينشره. . كان يوماً مشهوداً، أقفلت فيه الباب على نفسي ورحت أرقص على نغمات المقال، وأنا أقرأ، وأردد ما أقرأ بترنيم نشوان»[1].

رحم الله الأستاذ أحمد سباعي، فقد كان أديباً فذاً، صادق التعبير، أحب بلاده، وأحب الخير للإنسانية، وظل وفياً لمبادئه حتى لقي ربه، وكان أحد أول ثلاثة كرمتهم الدولة بأولى جوائزها التقديرية في الأدب، قبل وفاته بنحو سنة.

ومن أوائل أدباء هذه البلاد الأفذاذ، الذين اشتغلوا في الصحافة، وكتابة المقال الأدبي في الصحف، وتفوقوا في نظم الشعر، الأستاذ:

محمد حسن فقي[2]:

ولد محمد حسن فقي بمكة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، وانتقلت

---

(١) «أيامي»، ص ١٠٣.

(٢) وردت ترجمته في كتاب «وحي الصحراء»، ص٣٤١ (ط١)، ص٤١٧ (ط٢)، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٥٨٧، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٤٧. وجعلت تلك المراجع سنة ١٣٣٠هـ سنة مولده، ولكنه كتب بخط يده أنه ولد في مكة في ١٧ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٢هـ، وذلك في صورة خطية لترجمته على الغلاف الأخير من كتاب «فيلسوف» الذي صدر في سلسلة المكتبة الصغيرة، الكتاب رقم٣٢، في شهر شعبان ١٤٠٠هـ ـ يوليو ١٩٨٠م.

أسرته إلى جدة فبدأ في تلقي علومه بها في مدرسة الفلاح، ثم عاد إلى مكة وأتم دراسته بمدرسة الفلاح فيها. وعمل فترة من الزمن بالتدريس في مدرسة الفلاح بمكة بعد تخرجه منها. وفي سنة ١٣٥١هـ تولى رئاسة تحرير جريدة «صوت الحجاز»، ثم تركها بعد التحاقه بالعمل الحكومي في وزارة المالية، ولكنه عاد فتولى رئاسة تحرير جريدة «صوت الحجاز» مرة أخرى لمدة سنة إلى جانب عمله في وزارة المالية في سنة ١٣٥٤هـ.

وقد تدرج في تلك الوظائف الحكومية إلى أن وصل إلى أعلى المراتب، ثم تركها، متفرغاً للأدب والنظم والكتابة.

ومحمد حسن فقي شاعر عظيم، مرهف الحس، عميق التجربة، متمكن من أساليب اللغة، وجماليات التعبير، يزاوج في شعره بمهارة فائقة بين القديم الموروث (الكلاسيكي)، وبين الرومانسية الحالمة. وبين الفكر الفلسفي الرصين، والخيال المجنح، والأحلام الراقصة، وتتجلى في شعره كثير من خصائص الرومانسية، في تناقض الشعور، بين اليأس والقنوط، والأمل الذي لا حدود له، بين حب الحياة والغناء لها، وبين السأم منها والنقمة على الشريرين من الأحياء فيها. فهو في لحظة واحدة قد يجمع بين قمة الشعور بالخيبة والحزن، وبين السعادة المفرطة، تماماً كما يفعل كل الرومانسيين في الآداب الحية.

ومحمد حسن فقي، لا يختلف عن أنداده من شعراء جيله، من أبناء الحجاز ومكة بصفة خاصة، في التأثر بشعراء المهجر، وعلى وجه الخصوص بإيليا أبي ماضي في شعره الفلسفي، وفي تساؤله عن سر وجوده مثل قوله:

من أنا؟! هل أنا غير طيف شاهدته أحلام هذا الوجود؟!
شف عنه الكرى.. وضيعه الصحو.. وأخفاه عن عيون الشهود!

أنا مثل الألوف في هذه الأرض.. رسيف ما بين شتى القيود!
أيهذي السدود.. هل نصرم العمر هباء.. ونحن خلف السدود؟[1]

فالشاعر محمد حسن فقي في تأمله الذاتي وتساؤله الفلسفي، الشعري عن سر وجوده يذكرنا بطلاسم إيليا أبي ماضي، وبتأمله الذاتي، وفي تساؤله الشعري عن سر وجوده وهو في بداية غربته في ولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية، بعنوان: «لست أدري». وفي الدراسة التحليلية التي كتبها الأستاذ عبد العزيز الربيع (رحمه الله)، لديوان «قدر ورجل» للأستاذ محمد حسن فقي، والتي صدر بها ذلك الديوان، لاحظ الربيع تأثر الفقي بطلاسم إيليا أبي ماضي في قصيدة «عذاب الحيرة»[2] التي قال فيها محمد حسن فقي:

ماذا أريد؟ فقد برمت بما أريد، ولا أريد؟
إني لأهدم.. ثم أبني.. ثم أهدم من جديد
وأرى الحصى دراً.. فأنظم منه كالعقد النضيد[3]

وكتب الربيع عن هذه القصيدة يقول: «القصيدة في مجموعها تذكرنا بقصيدة «الطلاسم» لإيليا أبي ماضي، مع الفارق بين القصيدتين في الإستيعاب والشمول، وتعدد الصور، والنسق الذي تنتهي به كل من القصيدتين»[4].

وتتجلى أدق خصائص الرومانسية في شعر محمد حسن فقي،

---

(١) ديوان «قدر ورجل»، شعر محمد حسن فقي، ص ١١٠.
(٢) «قدر ورجل»، ص ٢٧١ ـ ٢٧٥.
(٣) «قدر ورجل»، ص ٢٧٢.
(٤) «قدر ورجل»، ص ٧١.

وبصفة خاصة في الشعور بالقلق والغربة الدائمة في هذه الحياة، وعدم الإستقرار في مكان، لأن الشوق يتجدد في كل حين إلى المجهول، وإلى الكلف بالذات كما يعبر محمد حسن فقي في معظم شعره، وفي رباعياته التي ينشرها في الصحف، وفي قصائد ديوانه «قدر ورجل» قصيدة تعبر عن هذا الشعور بالغربة الدائمة، وهي بعنوان: «عذاب الحيرة»، التي سبقت الإشارة إليها، والتي أشار الأستاذ عبد العزيز الربيع إلى أوجه الشبه بينها وبين «الطلاسم» لأبي ماضي. وفي «عذاب الحيرة».

قال الفقي:

ويشوقني الحرمان ثم أضيق بالحرمان من كلفي بذاتي
ويحي فما أشكو سوى.. أني أعيش بلا ثبات[1]

وفي شعر محمد حسن فقي يتجلى شعور الرومانسيين المتناقض بالنقمة على الأحياء لشرورهم، وبالرضا بالحياة في سجنها تعاطفاً مع الراسفين في أغلالها، كما قال في إحدى رباعياته:

تكبلني القيود ولست أقوى	على تحطيمها.. وبراح سجني!
سأرسف في غياهبه وأرضى	لأجل الماكثين به.. بغبني!
فخارج وجنه رهط عتي	يكيد لكل موهبة وفن!
يحول حبهم ضغناً طموح	يفوز بجده.. لا بالتمني![2]

(١) «قدر ورجل»، ص ٢٧١.

(٢) جريدة «الرياض»، عدد رقم ٦٠٠٩، السنة الحادية والعشرون، الأربعاء ١٣/٣/١٤٠٥هـ - ٥/١٢/١٩٨٤م.

ومحمد حسن فقي إنسان عزيز النفس، يأبى الهوان، ويرفض المسكنة والذل، لأي سبب كان، وهذه إحدى الأفكار المحورية التي تتجلى في شعره، وفي نثره، ويرددها فيما يشبه الحكمة، في عزة المؤمن، وكبرياء الشريف. فهذه الفكرة النابعة من شعور أصيل في أعماقه، عبر عنها في معظم شعره، ورباعياته على وجه الخصوص، ومنها قوله:

أسعادتي إني رأيتك في العلا — مترفعاً، لا خاضعاً متسفلا
منذ الصبا وأنا أهيم بموقفي — وأصف خطوي نحوه متعللا
فإذا نجحت فلن أكون مباهياً — وإذا فشلت فلن أكون مكبلا
لشقيت بالنعماء إن لم تهدني — بالحق لن يخزى ولن يتبذلا[1]

والفقي، في عزة نفسه، يرى بشفافية المؤمن، أن القدرة الحقيقية لا تقاس بالشهرة والمجد، وهذه الفكرة يسجلها محمد حسن فقي في نثره، كما يسجلها في شعره، وهذه دليل على تأصلها في ضميره.. فهو في كتاب «فيلسوف» الذي جمع فيه مقالات حوارية، يشرح عدالة الله عز وجل، التي يعطي الإيمان بها ثقة في أن كل فرد سوف يأخذ من التقدير ما يستحقه عند من يعرف قدره، حتى وإن تقدم الجاهل على العالم بوجاهته، أو بطرق غير سوية، فالمؤمن العاقل لا يجزع حينما يرى الجاهل يبلغ ما لم يبلغه هو بعلمه، لأن حظوظ الحياة لا تقسم دائماً حسب الجدارة والقدرة والكفاءة والفهم، وقد شرح محمد حسن فقي هذه الفكرة في كتاب «فيلسوف» بقوله: «فإني لأود أن أسأل شيخي عن القدرة والشهرة، فلقد أعياني حل لغزهما المحير، فهناك قدرة فائقة، ما

(١) جريدة «الرياض»، العدد رقم ٥٧٠٨، السنة العشرون، الأربعاء ٧/ ٥/ ١٤٠٤هـ ـ ٨/ ٢/ ١٩٨٤م.

يرتاب أحد في أن صاحبها جدير باحتلال أرفع مكانة، والإستحواذ على أبعد صيت.. ولكننا نجده برغم هذا مغموراً، حتى ليحسبه الجاهل خاملاً، وهو أبعد ما يكون عن الخمول فندهش لما نراه.. وتتضاعف دهشتنا حينما نرى إلى جانبه آخر، يحتل المكانة المرموقة، ويتمتع بالصيت البعيد، ويحظى بالشهرة المستفيضة، وما هو من كل ذلك بمستحق، فهو ضيق العطن، سطحي الخبرة، قليل العلم، ولقد يكون إلى جانب هذا سيء الخلق، فظ الطباع.. وصاحبه منه على النقيض.. فما هو سر هذا.. وما تعليله عند شيخي؟! قال له الشيخ، وهو يرى مريديه يصيخون السمع إليه باهتمام عظيم، ويرتقبون إجابته بشوق متلهف: إنك - يا بني - لتضع يدك على سر من أسرار هذا الكون العجيب، وكأني بك تتمثل قول القائل:

كم عالم عالم أعيت مذاهبه   وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا!

غير أني أود أن أقول لك: إن لله في خلقه أسراراً، قد تستغلق على أفهامنا القاصرة، فما نفقه لها تفسيراً.. ولكن المؤمن المستسلم لقضاء الله وقدره، لن يستعصي عليه الحل، فهو يعلم علم اليقين أنه - سبحانه - لا يسأل عما يفعل.. ويعلم، إلى جانب علمه هذا، أن الله عادل إلى أقصى حدود العدل، فما يفعل شيئاً عبثاً.

إن القادر المغمور واجد، ولا شك، خاصة من الناس تؤمن بقدرته، وتعجب بها، وتحلها وإياه من نفوسها مكاناً علياً.. وما عليها من تلك الشهرة والمكانة.. ولا ذلك الصيت المدوي.. فإنها لتراها أشبه بالفقاقيع، التي سرعان ما تتلاشى ولا تترك وراءها إلا الفراغ. وهي لا تحفل بها، ولا بأولئك المنخدعين بها من العامة.. وهي إلى ذلك، تعرف أنه سيأتي اليوم الذي تأخذ فيه هذه القدرة حقها الأوفى من المكانة

والإعتبار، والذي تتوارى فيه تلك الأضواء الكاذبة التي غمرت من لا يستحقها، وتتلاشى وتتقلص المكانة والتقدير، وينفض الناس من حول مخلوق هو أشبه بالتمثال منه بالإنسان الذي كرّمه الله بالعقل والخلق والعلم.. وهناك إحساس خفي يحس به كلاهما. فأما الأول فهو يعرف أنه قد نال ما لا يستحق، وأنه إذا لم يبادر إلى شكر الله على نعمائه بالسماح والبذل والتواضع وإنكار الذات، ونسبة الحق إلى أهله.. فإن الله سينتزع منه هذه النعماء.. وإذا لم ينتزعها منه ـ سبحانه ـ في هذه الحياة الدنيا، فإنه سيحاسبه حساباً عليها يوم لقائه.

وأما الثاني، فإنه يحس عكس إحساس صاحبه، فإنه ليحس الطمأنينة والرضا عن النفس التي حباها الله بهذه القدرة، وإن أحس بمرارة الغمط والحرمان.

ألا ترى ـ يا بني ـ أنه توزيع عادل من الله. هنا القدرة المطيقة. وهنا الشهرة البراقة.. هناك غمط وحرمان.. وهنا رفد وإغداق.. ولو أنك خيرت صاحب هذه القدرة ما بينها وبين هذه الشهرة والمكانة مع الضعف والفراغ.. لما تردد لحظة واحدة في اختيار حالته، على سوئها الظاهر.

ثق ـ يا بني ـ أن العاقبة للمتقين.. وأن القدرة ستلقى حظها إن عاجلاً وإن آجلاً.. وحتى أنها إذا لم تلق هذا الحق، فإن لها من قدرتها ما يعزيها عن الجهل المشين والعجز الفاضح يتستران بستار شفاف، لا يلبث أن تخترقه أعين الناس، فإذا بالتقدير ينقلب إلى سخرية، وإذا بالمكانة تنحط في نفوسهم إلى أسفل درك، وإذا بصاحبها بينهم كالدمية التي يتلهى بها الأطفال ثم يجعلونها بعد ذلك جذاذاً ـ أما القدرة فلها الله، ما أعز مكانها وأرفعه، وما أكرم صاحبها وأعلاه.. «نحن قسمنا بينهم

معيشتهم»[1]. هذا ما يقوله لنا الله، فيجب علينا أن نرضى كل الرضا بهذه القسمة العادلة، وأن نعرف أن مقابل كل عطاء حرماناً، ومقابل كل حرمان عطاء. ولقد يكون الحرمان أحياناً أحفل بالعطاء وأجدى على المرء من كل إغداق مادي زائل ـ ذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد»[2].

إنها الحكمة الصائبة يستلهمها شاعر الحكمة الفذ محمد حسن فقي من كتاب الله المجيد، ثم من تجاربه ومعاناته ومن ثقافته الواسعة ثم يصبها في شعره، وفي نثره، في رشاقة، وإقناع، في قوالب فنية غاية في الجمال الفني، شعراً، ونثراً. وقد لاحظ بعض دارسي أدبه تردد الحكمة في شعره ونثره، فيما يمكن أن يكون أفكاراً محورية. ففي دراسة نقدية قصيرة بعنوان «مواقف نقدية» نشرها عن محمد حسن فقي في جريدة «الرياض» الدكتر منصور الحازمي كتب عنه يقول: «ونرى الفقي في جميع آثاره النثرية ـ قديمها وحديثها ـ رشيق الأسلوب، قوي العبارة، واضح الفكرة عميقها، واسع الثقافة. فهو يجمع بين «الصناعتين» ـ الشعر والنثر ـ بكفاءة نادرة. ومن الخسارة الكبيرة لأدبنا ألا تجمع آثاره النثرية حتى الآن، فهي في نظري لا تقل أهمية عن آثاره الشعرية.

وإذا جاز لنا أن نستدل بنثر الفقي على شعره ـ أو أن نستأنس به على الأقل ـ مع إيماننا باستقلالية القصيدة في فكرها وعالمها، فإن مقالات (فيلسوف) تؤكد لنا تلك السمات العريضة التي نعرفها في شعر الفقي، لا سيما في الرباعيات. إنها تبرز لنا شخصية الشاعر المؤمن،

(١) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

(٢) كتاب «فيلسوف»، تأليف محمد حسن فقي، كتاب رقم ٣٢ في سلسلة المكتبة الصغيرة، ص٦٦ـ٧٠.

المفكر، الإنسان، الذي يشمخ في عزة وكبرياء، ويتطلع إلى عالم مثالي يسوده الحق والخير والجمال»[1].

واستشهد الحازمي بجملة من المثال الذي سبق ذكره من كتاب «فيلسوف»، ثم بهذه الرباعية من شعر الفقي، في قوله:

جذبته إلى الحضيض المقادير فما عاف في الحضيض المقاما

ليس كل الحضيض يخزي، فقد يرفع بعض الحضيض للناس هاما

إنما الخزي في السنام إذا كان اتضاعي يهدي إلى السناما

ما أحط الأنام حين يهونون، ولو أنهم تخطوا الغماما

ثم عقب الحازمي ملاحظاً بقوله: «نحسب أن هذه الفكرة هي من الأفكار المحورية في شعر الفقي فالحياة لا تقسم الحظوظ بين الناس حسب قدراتهم ومؤهلاتهم، بل كثيراً ما تجحف، فتعطي من لا يستحق العطاء، وتبخس من يستحقه. وليس الفقي بدعاً بين الشعراء والأدباء الذين طالما شكوا حظوظهم وتألموا لمفارقات الزمان. ولكن رباعيته تضفي على الموقف معنى بطولياً يثير في الإنسان مشاعر الترفع والنخوة، وقد تحولت أبياتها إلى حكم متوالية ترسم السلوك في قسوة وسخرية، بينما نرى «فيلسوف» الفقي يستطيع أن يتحدث بهدوء، موصياً صاحب المظلمة بالقناعة بما قسم الله[2].

إن محمد حسن فقي أديب متألق في شعره وفي نثره. وفي

---

(١) مقال «مواقف نقدية»، بقلم د. مصور الحازمي، جريدة «الرياض»، عدد رقم٦٠١٠، السنة الحادية والعشرون، الخميس ١٤/ ٣/ ١٤٠٥هـ - ٦/ ١٢/ ١٩٨٤م، ص١٣.

(٢) مقال «مواقف نقدية»، بقلم د. مصور الحازمي، جريدة «الرياض»، عدد رقم٦٠١٠، السنة الحادية والعشرون، الخميس ١٤/ ٣/ ١٤٠٥هـ - ٦/ ١٢/ ١٩٨٤م، ص١٣.

أسلوب الأداء يحرص على المحافظة على اللغة الفصحى، وأوزان الشعر العربي، ولكنه يسير على طريقة المعتدلين من المجددين في بناء القصيدة - الطويلة أو القصيرة - على أساس موضوعي، فوحدة الموضوع واضحة في كل شعره. كما أنه يسير في نظم قصائده الطويلة على أسلوب المجددين من المهجريين وغيرهم في تنويع الروي والقافية، وتجزئة الموضوع إلى مقاطع تكمل بعضها بعضاً. وهو مغرم بنظم الرباعيات. ولعله أحد أكثر الشعراء نظماً ونشراً لشعره في الصحف بصورة منتظمة، دون أن يضعف ذلك من أدائه، وإن كانت بعض أفكاره تتردد في تكرار يؤكدها، ويؤكد أصالتها في ضميره الحي. وهو من أوائل من اشتغلوا بالصحافة من أدباء هذه البلاد، وكتب ولا زال في الأدب، وموضوعات الحياة العامة، وفي التأمل الذاتي، ولا زال في عنفوان عطائه الأدبي، الشعري والنثري. أمد الله في عمره.

ومن أوائل الأدباء الذين مارسوا الكتابة والنشر في الصحف وتفوقوا في الشعر والنثر من أبناء هذه البلاد الأستاذ:

حسين سرحان[1]:

واسمه بالكامل هو حسين بن علي بن صويلح بن سرحان، ولد بمكة سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، وهو ينتمي إلى قبيلة عتيبة من هوازن. وقد نشأ في مكة، وتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح فيها، وتخرج منها في سنة

(١) وردت ترجمته على الغلاف الأخير من ديوانه الأول المطبوع «أجنحة بلا ريش»، كما وردت في كتاب «وحي الصحراء»، ص١٤٥ (ط١)، ص١٩٣ (ط٢)، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث» ص٥٨٨، وفي كتاب «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٨١، ولكن سنة مولده ذكرت فيها ١٣٣٢هـ، بينما ذكر هو عن نفسه في ديوانه الأول «أجنحة بلا ريش» أنها سنة ١٣٣٤هـ، وكذلك جاء في كتاب «وحي الصحراء» أنها سنة ١٣٣٤هـ.

١٣٤٩هـ فاشتغل بالوظائف الحكومية. ومنذ أن صدرت صحيفة «صوت الحجاز» كان من أوائل من مارس الكتابة الأدبية على صفحاتها، كما نشر مقالاته في كل الصحف الأخرى بدءاً بـ«أم القرى» وهو شاعر مبدع، عميق الفكرة، واضح الأسلوب، تجري الحكمة على لسانه من منابع تجربة واعية. وهو ناثر فنان، يميل إلى أسلوب السخرية في كتاباته، على طريقة إبراهيم عبد القادر المازني، مارس الكتابة في أجناس أدبية عدة منها القصة، ولكنه تفوق في كتابة المقال. كما تبادل النقد مع أدباء كثيرين بلهجة حادة في بعض الأحيان، كما حدث بينه وبين أحمد عبد الغفور عطار، بعد صدور ديوان العطار بعنوان «الهوى والشباب» ونقد حسين سرحان له، واستمرار الجدل بينهما في جريدة «البلاد السعودية» في سنة ١٣٦٦هـ.

وحسين سرحان واسع الإطلاع والثقافة، كما يتضح ذلك من شعره ونثره. وفي شعره: «ومضات تتصل من النفس في أعماقها، قل أن يدرك القارىء لها مثيلاً إلا في شعر «المعري» وأضرابه، ممن عمدوا إلى مخاطبة العقل مخاطبة نجدها في حياتنا التي ألفناها، وعشناها قاسية وشاقة، وبعيدة عن مألوفنا، بعد هذا المألوف عن واقع الحياة.

وقد نجد في ذلك الشعر ما نراه ألصق وأقرب إلى (الخيام) وأضرابه»[١] كما وصف بهذه الكلمات الأستاذ حمد الجاسر شعر حسين سرحان في تقديمه لديوانه الأول بعنوان «كلمة حول هذا الديوان». ومن الملاحظات الأخرى التي أشار إليها حمد الجاسر حول شعر حسين سرحان، في تلك الكلمة التي كتبها عنه، قوله: «فبدت سمات تلك

---

(١) «كلمة حول هذا الديوان» بقلم حمد الجاسر، في ديوان «أجنحة بلا ريش»، شعر حسين سرحان، ص٨، ٩.

الصحراء بارزة في شعره، في جزالته، وفي صدق تعبيره، وفي أسلوبه، وفي استعماله كلمات يظنها قارىء شعره مما تعمق الشاعر في البحث عنها في معجمات اللغة، بل من عويص تلك الكلمات، وما هي - والحق يقال - سوى ما أوحت به الفطرة، ووعته الذاكرة، وحفظته، بعد أن تلقته مشافهة، لا دراسة، ولا التقاطاً - بغية الإغراب - من معجمات اللغة، مما يضطر قارىء شعره إلى الإستعانة بالقواميس من كتب اللغة لفهم كثير من الكلمات الواردة في شعره، مع أنه أبعد الشعراء عن الإغراب، وأكرههم لمحاولة إيهام القارىء، أو مضايقته بما لا يكاد يفهمه إلا بمشقة وجهد، وهذا ما ينبغي لقارىء هذا الشعر إدراكه»[1].

وحسين سرحان يعبر في شعره عن زهده في الحياة وبريقها الزائف، بسخرية من كل من يلهث وراء بهرجها، معبراً عن إيمانه بزيف هذه الحياة الفانية الخداعة، فهو يقول:

وخدعة العيش طبيعية	لكنها تذهل عما يرام
أعشت ألفاً؟ أم ثلاثاً؟ فما	بعد سوى تركك تحت الرجام[2]

كما يقول:

ما الفرق بين الحرب عند الأنام	والحرب عند الدود فوق الرغام؟!
من كان ذا نفس ضنيناً بها	فلن يبالي في هواها الصدام[3]

---

(١) «كلمة حول هذا الديوان» بقلم حمد الجاسر، في ديوان «أجنحة بلا ريش»، شعر حسين سرحان، ص٨، ٩.

(٢) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ٢٠ ـ ٢٤.

(٣) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ٢٠ ـ ٢٤.

وهذه الأبيات نظمها حسين سرحان في قصيدة طويلة[1] ثنائية الأبيات في الروي والقافية، قدم فيها صورة شعرية لما يؤول إليه حال الجسد، حينما يصبح جثة تحت التراب، وكيف يتجمع الدود عليه بالملايين، حتى إذا أتى على كل تلك الجثة، التهم بعضه بعضاً، ثم لم يبق من الدود سوى دودتين كبيرتين، تصارعتا حتى انتصرت أقواهما على أضعفهما، فيما يشبه الصراع بين الأحياء تماماً. وقد استخدم حسين سرحان الرمز بمهارة فائقة في التعبير الشعري في هذه القصة الشعرية، فعبر فيها عن عزوفه عن بهرج الدنيا مذكراً بحكمة أبي العلاء المعري في قوله:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك، ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي، إذا قيـ ... ـس بصوت البشير في كل ناد

وفكرة افتراس الدود للجمال الظاهري للإنسان، فكرة محورية، رددها حسين سرحان في كثير من شعره، فهو في قصيدة بعنوان «وهم الخلود»[2] يقول:

الدود يخلع عنك حسن غلالة ... كانت تروق الناظرين وتسحر
شوهاء، أفجع في العيون من العمى ... روعاً، وأعصف بالنفوس وأنكر[3]

---

(١) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ٢٠ ـ ٢٤.

(٢) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ١٦٣ ـ ١٦٥. وانظر كذلك قصيدة «مصارع» في ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص١٢٥، وفيها يقول:

رعى الدود أجساماً ما كان أديمها ... نسيم الأماني لو شممنا نسيمها

(٣) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ١٦٣ ـ ١٦٥. وانظر كذلك قصيدة «مصارع» في ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص١٢٥، وفيها يقول:

رعى الدود أجساماً ما كان أديمها ... نسيم الأماني لو شممنا نسيمها

وحسين سرحان في سخريته من متع الحياة وبهرجها، إلى درجة إثارة الإشمئزاز منها، بتصوير ما تؤول إليه الأجساد الفانية بعد الموت، يؤكد أنه يصدر في ذلك عن إيمان فهو يقول:

أنا لو شئت لكنت الموسرا ... في نعيم ليس يحكيه نعيم
أقتني التبر، وأحوي الدررا ... غير أن المال لا يمحو الشقاء
أنا لو شئت.. ولكن لا أشاء!!
أنا لو شئت علا أو رفعة ... ساحباً فيها ذيول الخيلاء
لتمتعت بها، وانطلقت ... خطواتي في ركاب العظماء
أنا لو شئت.. ولكن لا أشاء!![1]

ثم يعود حسين سرحان، في نهاية هذه القصيدة، ويؤكد إيمانه بالقضاء، معلناً أن قدره هو في عزوفه عن بريق الدنيا وبهرجها، فيقول:

وإذا شئت، فهل في طاقتي ... أن أرد الأمر أو أنفي القضاء؟
ليس لي حكم، ولا من حيلة ... أدجى الدهر ظلاماً، أم أضاء
أنا لو شئت.. وهل لي أن أشاء؟![2]

وحسين سرحان، رغم عزوفه، وزهده، وعزلته، تمتلىء جوانبه بالعاطفة الصادقة، حباً، وفرحاً، وحزناً، وأسى.. فقد هزته وفاة كبرى بناته (مزنه) في منتصف عام ١٣٧٦هـ، وهي في ريعان شبابها في العشرين ربيعاً، فبكاها بلوعة، وحرارة عاطفة أبوية متأججة، وظلت ذكرى لوعة فراقها تدمي قلبه، فقال:

أراك، وربما أبصرت نفسي ... خلالك عبر أودية الغيوب

---

(١) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٢) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

أراك ـ رأتك عين اللّه ـ خلداً ... تضوع بالمباهج والطيوب
أراك، بكل متجه. بشرق ... وغرب.. في شمال، أو جنوب
عليك ـ على ضريحك كل (مزن) ... تهب به الرياح مع الهبوب
تمج الغيث في مسك شذي ... له أرج كتمزيق الجيوب
أراه إذا استطار بكل أفق ... ودف بوبل هاطلة سكوب
يؤم ثراك ـ مزنة ـ إن قلبي ... تحمل كل أحزان القلوب[1]

وفي سنة ١٣٦٠هـ، نظم قصيدة، في مرض عزيزة عليه، بعنوان «مرض الحبيبة» تجلت فيها رقة إحساسه، وحرارة عواطفه، في تعبير شعري صادق لخلجات نفسه، قال فيه:

تبيت توالي آهة بعد آهة ... فيرفض مني دمع لهفان شيق
تئن على رسل كأن أنينها ... له في فؤادي وقع سهم مفوق
تحس بداء ما أحس بمثله ... على أنني في لاعج منه محرق
فيا لجفاف الثغر بعد ارتوائه ... ويا لكلوح الوجه، بعد التألق
ويا لسكون القد بعد تأود ... ويا لذبول الخد بعد تفتق
عدمت جفوني، بل عدمت حشاشتي ... إذا لم أبت كالمستهام المؤرق
ألقى الأسى، لا أستريح، ولا أني ... أقيد من الهامة كل مطلق[2]

إن حسين سرحان شاعر إنسان يفيض قلبه رقة، وهو عزيز نفس، يضحي ببريق الدنيا صوناً لكرامته أن تهان، كما عبر عن ذلك في كثير من شعره، وهو شاعر قدير، بدأ ينظم الشعر وينشره منذ فجر شبابه، فكان ينشر شعره منذ سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٢٠م في جريدة (أم القرى) في قصائد

---

(١) ديوان «الطائر الغريب»، شعر حسين سرحان، ص ٤٠.
(٢) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ٨١.

خماسية الأبيات، تجلت فيها منذ ذلك الحين فلسفته في الحياة، مثل قوله في «الأقدار» في ١٥ رجب ١٣٤٩هـ:

ما أدرك العالم من مطلب ... مثل الذي يدركه الجاهل

سيان: عند القدر، الفاسق الـ ... أعمى هو، والمرشد الفاضل

قد يدرك النائم آماله ... إذ يحرم المستيقظ الآمل

كم عز في أقطارنا أحمق ... خرق، وذل الجهبذ العاقل

والمرء سر في الورى راحل ... لا يلحق المستعجل الراحل[1]

وحسين سرحان الشاعر مثقف واسع الإطلاع على آداب اللغات الأخرى، قرأ كثيراً من روائعها مترجمة، وأعاد صياغة ترجمة بعض ما أعجبه في شعر عربي عمودي فصيح[2].

وهو ناثر كتب عشرات المقالات، وكتب في أجناس أدبية عدة، بأسلوب ساخر مرح، يذكر بأسلوب المازني، كما خاض معارك نقدية كثيرة على صفحات الصحف، وهو يعالج فيها كثيراً من أمور الحياة والتقاليد الإجتماعية بطريقة غير مباشرة، تشبه في بعض الأحيان طريقة كتَّاب «المقامات». وقد جمع النادي الأدبي في الرياض مجموعة كبيرة من مقالات حسين سرحان ونشرها في كتاب في سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

وفي مقال أعيد نشره في هذا الكتاب، وسبق أن نشره حسين

---

(١) ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص ٧١، وجريدة «أم القرى»، عدد٣١٣، في ١٥ رجب ١٣٤٩هـ.

(٢) انظر مثلاً: قصيدة (ساعة رضا أو على وتر «أورفيروس») في ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص٦٢-٦٣، وقصيدة: «شعر من رومانيا بتصرف عن الشاعرة الرومانية هيلانة فاكارسكو» في ديوان «أجنحة بلا ريش»، ص١٠٤-١٠٥.

سرحان في جريدة (صوت الحجاز) في سنة ١٣٥٤هـ، كتب عن الأدب ومفهومه له يقول: «وما الأدب؟ إن لم يكن مفتاح مغاليق الحياة، يكشف لنا عما وراء الخيال من عوالم سحرية تطوف بالأطياف الرفافة، وتزخر بالصور الرائعة. ولكم نأت تلك العوالم عن الوهم، ودقت على التصور، فجاء الأدب الفني القوي، فأسلس من قيادها، وحسر عنها الحجب المسدولة، فأصبحت، من بعد ما كانت وراء الخيال، كأنها من قوة التعبير الأدبي عنها ترفل في عالم الحقيقة الملموسة، مرآة لكل نفس حساسة، ومتعة كل طرف مرتاد، وراحة لكل قلب نابض»[1].

إن حسين سرحان أديب فنان، ومفكر مثقف، صادق التعبير، عميق التجربة، مرهف الحس، طاهر القلب والوجدان، جدير بكل احترام وتقدير.

ومن أدباء هذه البلاد الفنانين في تلك الفترة الشاعر الأستاذ:

حسين عبدالله سراج[2]:

وهو من مواليد مدينة الطائف سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م. وهو من

---

(١) جريدة «صوت الحجاز» عدد ١٥٥، الثلاثاء ٤ صفر ١٣٥٤هـ، وكتاب «من مقالات حسين سرحان»، وفي سلسلة «كتاب الشهر»، عن النادي الأدبي في الرياض، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص١٤، ١٥.

(٢) وردت ترجمته على الغلاف الأخير من مسرحية «الشوق إليك»، الكتاب العربي السعودي رقم٥٧، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، وفي «الموسوعة الأدبية» ج٢، ص٧٨، ولكن سنة مولده ذكرت فيها أنها سنة ١٣٣١هـ، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٥٨٨، ولكن سنة مولده ذكرت هناك أنها سنة ١٩١٢م، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ص١١٩، ولكن سنة مولده ذكرت هناك أنها سنة ١٣٣١هـ، وفي كتاب «وحي الصحراء»، ص١٥٥ (ط١)، ص٢٠٥ (ط٢) وقد ذكر هناك أن سنة مولده كانت سنة ١٩١٢م.

بيت علم وأدب، فقد كان والده (رحمه الله) من كبار قضاة الحجاز، وأصبح رئيس القضاة في عهد الملك عبدالله بن الحسين في الأردن، وهو الشيخ الجليل عبد الله سراج (رحمه الله).

نشأ حسين سراج في مكة المكرمة، وتلقى تعليمه في المدرسة الراقية الهاشمية ومدرسة الفلاح بمكة، ثم أكمل تعليمه في الجامعة الأمريكية في بيروت، وتخرج من كلية الآداب بها في سنة ١٩٣٦م، فكان بذلك أحد أوائل من وصلوا إلى هذا المستوى من التعليم من أقرانه من أدباء هذه البلاد.

وعاش حسين سراج، مع والده وأسرته، فترة طويلة من شبابه في الأردن، وتولى في حكومتها عدداً من أرفع المناصب القيادية العليا.

ثم عاد حسين سراج بعد ذلك إلى وطنه، فعمل في رابطة العالم الإسلامي، وتفرغ أخيراً للأدب.

وحسين سراج أديب فنان يفوق معظم أقرانه، إلا أن حياته خارج وطنه في شبابه جعلته أقل حظاً من الشهرة في بلاده. وهو يكاد يكون الوحيد الذي أجاد نظم جنس المسرحية الشعرية، وله في هذا الجنس أكثر من تجربة ناضجة ناجحة، مكتملة البناء شكلاً وموضوعاً، ولعل أولاها مسرحية «غرام ولاّدة» التي صدرت مطبوعة للمرة الأولى سنة ١٩٥٢م ثم أعادت «تهامة» بجدة طباعتها مرة ثانية فصدرت عنها في سلسلة الكتاب العربي السعودي[١]. وقد استوحى مادة مسرحية «غرام ولاّدة» على طريقة الرومانسيين، من التاريخ، من قصة الحب الشهيرة في

(١) «غرام ولادة ـ مسرحية شعرية»، الكتاب العربي السعودي رقم٦٦، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (ط٢).

الأدب العربي في أواخر العصر الأموي في الأندلس، بين الوزير الأديب ابن زيدون، والأميرة الشاعرة ولاّدة، ابنة المستكفي آخر من حكم الأندلس من بني أمية.

وقد أدار حسين سراج أحداث قصة الحب الخالدة بين ابن زيدون وولاّدة في حوار حركي (درامي) شعري، غاية في الإتقان والمهارة، في تسلسل الأحداث، وتصاعدها، ثم انفراجها، في حبكة فنية، لم تؤثر على شاعريته في نفس طويل من الشعر العربي الفصيح المقفى، حلل فيه قصة الحب الخالد بطريقة جمالية فنية، ضمنها كثيراً من الفكر العميق، رغم غلالة الرومانسية التي غلفت ذلك الفكر. وإنه مؤسف حقاً ألا ترى هذه المسرحية النور تمثيلاً وأداء حركياً حياً، رغم ما فيها من جمال، وفكر وحسن أداء متقن، فلا يستمتع بها إلا من يطالعها مكتوبة، وهذا وحده لا يكفي لإظهار روعة مثل هذا الجنس الأدبي، ولعل أحد المخرجين الكبار في العالم العربي يقدم هذا العمل الأدبي المتقن، في أداء حي، ولو على شاشة المذياع المرئي (التليفزيون)، على الأقل، فهي عمل متكامل من أرقى أعمال المسرح الحركي الغنائي (الأوبرا، أو الأوبريت الدرامي)، وحرام أن تظل حبيسة كتاب وحروف مكتوبة فقط. كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمود تيمور في تقديمه للكتاب الذي حمل النص الشعري لهذه المسرحية العظيمة، وكما قال عنها: «فإن فيها ذلك العبق الذي يجب أن يفعم جو المسرح الغنائي، وأن الموسيقى لواجدة كل الطواعية في هذا الشعر الرقيق»[1].

«ومما حليت به هذه المسرحية في نسقها الشعري، أن الأوزان

---

(١) «تقديم المسرحية» بقلم الأستاذ محمود تيمور «في مقدمة كتاب» غرام ولادة، ص١٢-١٤.

تتباين فيها، تبايناً تقتضيه الملابسات التي تتألف منها المشاهد.. ففي هذه الأوزان تفنن يزيدها قوة أداء، ورقة عرض.. وفي هذا التفنن ما يعين على التغني بالمقاطع الشعرية في يسر»(١).

وليست مسرحية «غرام ولاّدة» هي المسرحية الوحيدة التي كتبها الأديب الفنان الأستاذ حسين سراج، بل صدرت له قبلها بسنوات مسرحيتان هما: «الظالم نفسه» و«جميل بثينة»، ثم أصدرت له تهامة في سلسلة الكتاب العربي السعودي، مسرحية شعرية، لا تقل في جودة التكامل المتقن عن (غرام ولاّدة)، وقد أسماها (الشوق إليك)(٢)، وهي ثمرة شعور خيبة الأمل، ورغبة في العطاء الفني العظيم بعد أن تجاهله المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز، كما كتب موضحاً ذلك في تقديم هذه المسرحية، فقال: «وحضرت مؤتمر الأدباء السعوديين الذي عقدرته جامعة الملك عبد العزيز بجدة ـ (المؤتمر عقد بمكة) ـ عام ١٣٩٤هـ، وخرجت تلفني غلالة النسيان، وتعتصرني مرارة الحرمان، ألا أرى إنتاجي بين إنتاج الأدباء السعوديين».

«وصممت أن أكتب مسرحية جديدة، إن لم تكن في مستوى مسرحية «غرام ولاّدة» فلن تقل عنها شأناً، وقلت في نفسي يجب أن أنحو فيها منحى لم يتطرق إليه من سبقوني من أساتذتي مؤلفي المسرحيات الشعرية.

وكان أول ما فكرت فيه: هو أن أنطق شخوص مسرحيتي الجديدة بلغة البيئة التي يعيشون فيها، فشيخ القبيلة في سكنه بالصحراء، والخادم

---

(١) «تقديم المسرحية» بقلم الأستاذ محمود تيمور «في مقدمة كتاب» غرام ولادة، ص١٢ـ١٤.

(٢) كتاب «الشوق إليك ـ مسرحية شعرية» نظم حسين عبد الله سراج، الكتاب العربي السعودي رقم٥٧، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٩، ١٠.

بمنزل سيدها، وابن الذوات في المدينة، والحشاش في إحدى علب الليل.. عندما يستشعرون، تحس في شعرهم بجو المكان الذي يقطنونه، وأنه مستمد من البيئة التي هم فيها.. وأن شعر الخادم لا يرتفع إلى مستوى شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي، كما جرى عليه كتاب المسرحيات الشعرية السابقون»(١).

وحسين سراج شاعر يفيض شعره رقة وعذوبة في صدق العاطفة، وجمالاً ورونقاً في التصوير الفني الرائع على طريقة (الرومانسيين) وهو على جلال قدره في الشعر وتمكنه منه، يتواضع وهو يقدم ديوانه الرائع بعنوان (إليها)، بصورة تؤكد سمو الأصالة في ضميره الحي(٢).

وهو يتفنن في أوزان الشعر بطريقة ابتكار فذ، بالإضافة إلى استخدام الرمز في الموضوع تعبيراً عن تباريح النفس الكريمة وأشواقها.

ومن جميل شعره، المعبر عن لوعة الذكرى، وأشواق المحب، وروح الفنان القدير، قصيدة عنوانها «دمع ودم» قال فيها:

حمل الشوق إليك القلم ... فإذا الأسطر دمع ودم
وإذا الذكرى وقد هاجت مني ... الهنا فيها، وفيها الألم
والندامى حفل حولي وقد ... دارت الكأس ودار النغم
وأنا أنت ومالي أمل ... أنت آمالي وأنت النعم

* * *

الوصل عند وادي النرجس

---

(١) كتاب «الشوق إليك ـ مسرحية شعرية» نظم حسين عبد الله سراج، الكتاب العربي السعودي رقم٥٧، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٩، ١٠.

(٢) ديوان «إليها»، شعر حسين عبد الله سراج، الكتاب العربي السعودي رقم٧٦، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

وليالي الأنس «بالمقتبس»
من شعاع يرتجى أو قبس
الذكرى في مغاني «الطائف»
وليال فيْ «منى» و«الزاهر»
وهوى أرضعته في «عروة»

عودة تحلو لعين الساهر؟

* * *

ما لقلبي كلما هبت صبا
هزه الشوق لأيام الصبا
وتمنى العيش في تلك الربى
هكذا الدنيا وصال وجفا

ونعيم مترف أو عدم[1]

* * *

إن حسين سراج أديب فذ من طراز فريد، يعد من أعظم شعراء العربية ـ بصفة عامة ـ في العصر الحديث.

ومن الأدباء الرواد الأوائل من أبناء هذه البلاد الأستاذ:

محمد سعيد العامودي[2]:

وهو من مواليد مكة في سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وتعلم في

---

(١) «إليها»، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) وردت ترجمته في كتاب «من حديث الكتب»، الكتاب العربي السعودي رقم٧٧، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وفي كتاب «وحي الصحراء»، ص٣٢٥ (ط١)، ص٣٩٩ (ط٢)، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٤٣٨، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ص١٦٨.

كتاتيبها، ثم في مدرسة الفلاح التي تخرج منها في سنة ١٣٣٨هـ، فاتجه إلى العمل في التجارة مساعداً لوالده، ثم التحق في سنة ١٣٤٦هـ بالوظائف الحكومية، وظل يتدرج بها، إلى سنة ١٣٩٨هـ، حيث ترك الوظيفة متفرغاً لحياته الخاصة، وللأدب.

ومحمد سعيد العامودي، أديب واسع الإطلاع والثقافة، متعدد الجوانب في كتاباته الأدبية، فهو شاعر وناثر، إلا أنه في نثره أكثر إنتاجاً، وأكثر تفوقاً من شعره. وقد فاز في شبابه بجائزة في مسابقة شعرية نظمتها في سنة ١٩٣٢م مجلة «الهلال» المصرية.

ومحمد سعيد العامودي من أوائل من كتبوا القصة القصيرة من الأدباء الرواد في هذه البلاد، بعد صديقه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله).

والأستاذ محمد سعيد العامودي من أكثر الأدباء قراءة للكتب والإصدارات، وقد سجل ثمرات قراءاته ومطالعاته في الكتب في سلسلة ألفها بعنوان «من حديث الكتب»، أصدرت منها (تهامة) عدة أجزاء في سلسلة الكتاب العربي السعودي.

واشتغل الأستاذ محمد سعيد العامودي بتحقيق كتاب من كتب التراث في التراجم بالإشتراك مع الأستاذ أحمد علي. كما اشتغل الأستاذ محمد سعيد العامودي بالصحافة، فأشرف بضعة شهور من سنة ١٣٥٢هـ على تحرير جريدة «صوت الحجاز»، كما تولى رئاسة تحرير «مجلة الحج»، ثم مجلة «رابطة العالم الإسلامي».

وفي شعره يبدو محمد سعيد العامودي تقريرياً يصب أفكاره صباً، وبصورة مباشرة، مثل مفهومه للشعر، الذي قال عنه:

الشعر فن جميل لدى الطباع الجميلة

إنـي أراه دوامـاً سـر الـحـيـاة الـنـبـيـلة
لـكـنـه بـات يـشـكـو ذوي الـنـفـوس الـعـلـيـلة
هـم صـيـروه مـهـانـاً يـحـيـا حـيـاة ذلـيـلة[1]

فهذه أقوال تقريرية في كلام منظوم يشبه الشعر التعليمي.

وهذا المفهوم للشعر، عاد العامودي فسجله نثراً، ضمن مقال طويل عن «مهمة الأديب في الحياة» نشره في مجلة (المنهل) في سنة ١٣٥٧ هـ، فقال:

«والشاعر، ولست أعني بالشاعر كل من استطاع أن ينظم للناس جملاً موزونة ومقفاة.. كلا، فالشاعر الذي أعنيه هو ذلك الشاعر الذي خلق، وخلقت معه الشاعرية.. هو ذلك الذي يقول الشعر بحكم الطبع لا التطبع، هو ذلك الذي قبل أن يعرف القوافي والأوزان.. وجدت معه قريحة مطبوعة، توحي إليه ـ كما قيل ـ فتبعث الشعر حياً، هذا هو الشاعر. ومهمته في اعتقادي ليست بالعسيرة، ما دام أنه يقول الشعر بحافز من غريزته المخلوقة معه، وما دام أنه لا يتعمل ولا يتكلف.. أما هذه المهمة فليست مهما اختلفت مشارب الشعراء، وليست مهما تباعدت أذواقهم وأساليبهم، سوى نشدان الجمال والتغني به.. وليست إلا التعبير عن آماله وآلامه، وعن أحاسيس مجتمعة الذي يعيش فيه.. ومن ثم فمهمته أن يسمو بنفسه، وبمجتمعه عن طريق هذا التغني، وتلك مهمة أخرى يؤديها الأديب الشاعر في هذا الحياة»[2].

---

(١) «وحي الصحراء»، ص ٣٢٦ (ط. ١)، ص ٤٠٠ (ط. ٢).
(٢) كتاب: «من أوراقي»، تأليف محمد سعيد العامودي، الكتاب العربي السعودي رقم ٩٦، ص ٤٣، تهامة، جدة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م.

ومن أوائل الأدباء الرواد الذين كانوا يتحمسون لإحياء الأدب في هذه البلاد، الأديب الأستاذ:

محمد سعيد عبد المقصود خوجة[(١)]:

وقد ولد بمكة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، وتلقى تعليمه على يد والده، وفي حلقات الدرس بالمسجد الحرام، ثم بمدرسة الفلاح بمكة، وتوفي بها في منتصف ربيع الثاني سنة ١٣٦٠هـ (رحمه الله).

وفي سنة ١٣٤٥هـ عُين محمد سعيد عبد المقصود مديراً لجريدة (أم القرى) الرسمية ومطبعتها، فوهبها حماسه وإخلاصه وحبه للأدب، وجعلها ميداناً أدبياً، ومتنفساً للأدباء، الذين باركت حماستهم ونشرت لهم ما كانوا يكتبون من شعر ونثر على صفحاتها في عهد إشراف محمد سعيد عبد المقصود على تحريرها، الذي كان بحق أزهى عهد أدبي في تاريخها، على الإطلاق. فقد شجع محمد سعيد عبد المقصود أدباء الشباب، آنذاك، على الكتابة، والحوار الأدبي الحي، ونشر ما كانوا يكتبون بحماس ظاهر، فحرك الحياة الأدبية بصورة لم يسبق لها مثيل في هذه البلاد من قبل.

ولم يقتصر تشجيع محمد سعيد عبد المقصود للأدباء الشباب على نشر نتاجهم في (أم القرى) فحسب، بل سخر مطبعتها لذلك، فما أن ظهرت مجلة (المنهل) وكادت تتعثر بسبب الطباعة وتكاليفها حتى مد

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «وحي الصحراء»، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (ط٢)، وفي كتاب «محمد سعيد عبد المقصود خوجه، حياته وآثاره»، تأليف الدكتور محمد بن سعد بن حسين، سلسلة الكتاب العربي السعودي، رقم ١٠٤، تهامة، جدة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

محمد سعيد عبد المقصود (رحمه الله) يده الكريمة إلى صاحب (المنهل) وأنقذ هذه المجلة في بداية صدورها من التعثر فطبع أعدادها الأولى بمطبعة الحكومة بمكة بإشرافه، كما سجل ذلك كتابة صاحب «المنهل» ومؤسسها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله)[١].

وفي سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م اشترك مع صديقه عبد الله عمر بلخير في جمع نتاج مجموعة كبيرة من أدباء الشباب، آنذاك، وأصدراه في كتاب أسمياه: «وحي الصحراء» «صفحة من الأدب العصري في الحجاز»[٢].

وفي كتاب «وحي الصحراء» كتب محمد سعيد عبد المقصود (رحمه الله) بحثاً طويلاً عن «الأدب الحجازي والتاريخ» استعرض فيه الأدوار المتعاقبة التي مر بها الأدب في هذه البلاد منذ أقدم العصور، وكان فيه يؤرخ ويحلل في مقدرة الباحث المتمكن.

وفي تمهيد لبحثه ذلك، بيّن الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود (رحمه الله) رأيه في الأدب ومفهومه له، فكتب يقول: «الأدب ميزان ثقافة الأمة، ودليل حياتها، وهو فن الحرية والجمال، يزدهر إذا تعهدته الفطر القويمة بالإنعاش. وأدب كل أمة صورة دقيقة لحياتها، ومقياس لتقدمها ورقيها، وكما أن الحياة تتقلب في أدوار مختلفة، وتحيط بها

---

(١) مجلة «المنهل»، عدد ٤٣٠، مجلد ٤٦. ص٧٢، محرم ١٤٠٥هـ - أكتوبر/نوفمبر ١٩٨٤م.

(٢) كتاب «وحي الصحراء - صفحة من الأدب العصري في الحجاز»، جمعه محمد محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير، الكتاب العربي السعودي، رقم٨٦، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (ط٢).

ملابسات متباينة، وتسير طبقاً لسنن الكون في النمو والإرتقاء، والذبول والإضمحلال، فكذلك الأدب يزدهر بازدهار الحياة ويذبل بذبولها»[1].

رحم الله الأديب الفذ الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود خوجة، فهو من أوائل من حركوا نهضة الأدب الحديث في هذه البلاد وشجعوا أدباءها على الكتابة والنشر، فهو معلم من معالم تاريخ الأدب السعودي.

ومن أوائل الأدباء الأفذاذ الذين اشتغلوا بالصحافة وبالكتابة الأدبية شعراً ونثراً بتمكن، الأديب الأستاذ:

ضياء الدين رجب[2]:

وهو من أبناء المدينة المنورة، ولد بها سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م، وفيها نشأ، فتلقى تعليمه في حلقات الدرس على أيدي علماء المسجد، النبوي الشريف، ثم بدأ حياته العملية مدرساً بالمدينة المنورة، وحينما أسس الأخوان علي وعثمان حافظ جريدة «المدينة المنورة» كان ضياء الدين رجب عضواً في الهيئة التي تولت الإشراف على تحرير الأعداد الأولى من تلك الجريدة، وعمل الأستاذ ضياء الدين رجب قاضياً شرعياً، ومحامياً، كما كان مديراً عاماً للأوقاف بمكة، وعضواً بمجلس الشورى بمكة، وظل يتقلب في الوظائف العامة إلى أن أحيل إلى التقاعد متفرغاً للعمل في المحاماة، وللأدب. وقد أدركته الوفاة بمدينة الرياض يوم ٢٤ صفر سنة ١٣٩٦هـ، (رحمه الله).

---

(١) «وحي الصحراء» ص١ (ط١)، ص٣١ (ط٢).

(٢) وردت ترجمته في ديوانه المطبوع، ص الغلاف الأخير، وفي كتاب «الموسوعة الأدبية» ج٢، ص٢٦٩، وقد ذكر في ديوانه أن سنة مولده كانت ١٣٣٥هـ، بينما ذكر في «الموسوعة الأدبية» أنها كانت سنة ١٣٣٠هـ، وكذلك كانت في كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٩٩.

وضياء الدين رجب (رحمه الله)، شاعر عظيم، يفيض شعره بصدق العاطفة وحرارتها، وبفنون من الصور الجميلة في تحليل دقيق للنفس البشرية، بمقدرة وتمكن.

وهو أديب عالم بحّاثة، كان يكتب بحوثاً ومقالات أدبية، تجلت فيها مقدرته على البحث، وسعة الإطلاع، في أسلوب مشرق واضح سهل، يشبه في رقته جمال شعره الرقيق.

وبعد وفاة الشيخ ضياء الدين رجب، جمع شعره المكتوب كله وطبع وصدر في كتاب، أنفق على طبعه الأمير الشاعر عبد الله الفيصل آل سعود، وأشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ هاشم دفتر دار المدني، وكتب مقدمته الأديب الأستاذ محمد علي مغربي، وطبع في مطابع الأصفهاني بجدة، وصدر في نهاية سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وشعر ضياء الدين رجب فيه ملامح من تأثير شعراء المهجر، وفي مقدمتهم جبران خليل جبران، على عكس تأكيد الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، الذي نفى بشدة تأثر الشعراء في المدينة المنورة بشعراء المهجر، وجعل ذلك خاصاً بالأدباء في مكة، في نشأة الأدب الحديث في هذه البلاد[١].

ففي قصيدة «أغنية زمزم وأريس» يذكّرنا الشاعر ضياء الدين رجب منذ أول كلمة افتتح بها هذه القصيدة بالشاعر المهجري الشهير جبران خليل جبران الذي قال في قصيدة المواكب:

هل تخذت الغاب مثلي ... منزلاً دون القصور
فتتبعت السواقي ... وتسلقت الصخور؟
هل تحممت بعطر ... وتنشفت بنور

(١) مجلة «المنهل»، عدد ٤٣٠، ص ٧٣، محرم وصفر ١٤٠٥هـ ـ اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٤م.

وشربت الفجر خمرا   في كؤوس من أثير؟
هل جلست العصر مثلي   بين جفنات العنب
والعناقيد تدلت   كثريات الذهب
فهي للصادي عيون   ولمن جاع الطعام
وهي شهد وهي عطر   ولمن شاء المدام
هل فرشت العشب ليلا   وتلحفت الفضا
زاهداً فيما سيأتي   ناسياً ما قد مضى!
وسكوت الليل بحر   موجه في مسمعك
وبصدر الليل قلب   خافق في مضجعك[1]

وعلى هذا النسق الشعري، وفي هذا الجو (الرومانسي) الذي رسمه شاعر المهجر جبران خليل جبران في قصيدة (المواكب) صاغ الشاعر ضياء الدين رجب قصيدة «أغنية زمزم وأريس»، في ثنائيات تشبه ثنائيات جبران، ولكن ضياء الدين رجب أضاف إلى ثنائياته قفلة خاصة، جعلها متغيرة مع كل ثنائية مخالفاً قفلة جبران في قوله:

أعطني الناي وغن......

فالشاعر ضياء الدين رجب قال في «أغنية زمزم وأريس»:

هل رشفت المزن رشفا   ثم حليت بزمزم
صفقوها بأريس   وسرى البدر الملثم
بشعاع يتلعثم من رضابك

* * *

(١) قصيدة «المواكب»، في كتاب «المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران»، قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، ص٣٦٣، دار صادر، بيروت ـ لبنان، بدون ذكر لسنة الصدور.

أنت يا مزنة طيف لؤلؤي يتثنى
أنت يا مزنة لحن عسجدي يتغنى
والسنا يومض وهناً في شبابك

* * *

رقص الحب ولكن رقصة الصب الجريح
زحف الليل عليه في غبوق وصبوح
فتلوى كالطليح في عبابك

* * *

المغاني في ظلالك كالمعاني في خيالك
أنا لا أرجو وصالاً فالمنى دون وصالك
خطرة تكفي ببالك
من سرابك

* * *

يا مَهاة خطرت في ربرب ذوبي ما شئت قلبي ذوبي
أنا أهوى لفتة الحر الأبي بأبي أفدي مهاتي بأبي
لا تراعي.. لا تخافي فالمنى
برحابك

* * *

إنني أعشق وهم الواهمين فشكوك العين مفتاح اليقين
والهوى العذب شقاء وأنين ومني تركض إثر النافرين
رب ضدو مَن أنين الوالهين
في ركابك

* * *

أنا أهوى الظبي مختالاً شرودا مثلما يعجبني المعنى الشرود
فالفلا أوسع من قلب العميد والهوى فوق قيود وحدود
من قريب أو بعيد
في سحابك

* * *

والهوى أحلاه حدس الخاطر حينما يبدو كوهم الشاعر
في الربى مثل جناحك
في صلابك(١)

وفي هذا الجو الحالم، استخدم ضياء الدين رجب (رحمه الله)، «زمزم» و«أريس» رمزاً للطهر والصفاء في المحبة الخالصة، فزمزم ماء الحرم المكي المقدس، و«أريس» هي بئر باركها الرسول ﷺ في المدينة، وهذا الماء الطهور الصافي بشفافيته وصفائه وطهره يشبه حبه العذري في سموه وعفته، الذي هو فوق الوصال الجسدي في تلاقي الأرواح في عالم الخواطر، فهو لا يرجو فيه وصالاً، «والهوى فوق قيود وحدود»، بل:

والهوى أحلاه حدس الخاطر حينما يبدو كوهم الشاعر

وليست رموز الطهر والصفاء، التي كان يستوحيها ضياء الدين رجب من بيئة بلاده ومقدساتها، قاصرة على قصيدة «أغنية زمزم وأريس» بل هي تعبير عاطفي صادق كان دائماً ينبع من ضميره ووجدانه، ويتكرر في كثير من قصائده الرائعة في مثل هذا الجو الجميل في «رومانسية»

---

(١) «ديوان ضياء الدين رجب - زحمة العمر - سبحات - رثاء»، ص ٤٨ - ٥٠.

يحلق فيها تحليقاً شاعرياً مثل تحليقه في قصيدة «في ربوع المدينة»، والتي قال فيها:

بين سلع وقبا من مجالي يثرب
قد مشينا الهيدبي سبسباً في سبسب
صفقت أيامنا
شعشعت أحلامنا

* * *

بين أحضان العقيق من شروق لغروب
كم روينا من رحيق بين كأس وحبيب
والمنى في ظلنا
نهلها من نهلنا

* * *

والغوالي في العوالي ينفح العطر شذاها
وظباها في المعالي هدهدت سحر ظباها
فسل الجذع ورامه
والمصلى والغمامه

* * *

والنشذى في أحد من عبير الشهداء
عظة للأبد في مجالات الفداء
فلنعظم قدرها
ولنمجد ذكرها

* * *

وصلت مجد حراء في ربى البيت العتيق
وجلت نور السماء في محياه الطليق
أحمد خير البرية
بالمعاني العبقرية

* * *

الهوى السمح هواها من صبا نجد الشذى
والحميا شفتاها في بكور وعشي
إنها نخب اليمامة
في عسير وتهامة(١)

* * *

والأستاذ ضياء الدين رجب احترق فؤاده بفقد ابنه الوحيد حمزة، رحمهما الله، فبكاه في شعره، وظلت لوعة ذكراه تحتل المكان الأول في بوحه الشعري، حتى فارق هذه الحياة، وأراد ضياء الدين رجب، في حياته، أن يفرد ما جرى على لسانه من أعماق ضميره في ابنه الذي فقده ـ شاباً في ريعان شبابه ـ في ديوان، أو مجلد خاص، ولكنه أضيف إلى المجموعة الكاملة لشعره، حينما طبع بعد وفاته، كما ذكر ذلك الأستاذ محمد علي مغربي في المقدمة التي كتبها للمجموعة الكاملة لشعر الأستاذ ضياء الدين رجب(٢).

لقد هز موت (حمزة) كيان أبيه الشاعر ضياء الدين رجب، رحمهما الله، أعظم هزة عنيفة في حياته، ففاضت شاعريته في أدق خصائصها

(١) «ديوان ضياء الدين رجب»، ص ٥١ ـ ٥٣.
(٢) «ديوان ضياء الدين رجب ـ زحمة العمر ـ سبحات ـ رثاء»، المقدمة بقلم محمد علي مغربي، ص١٠.

العاطفية في كل ما نظمه في ابنه، وكانت ذكراه تلاحقه في كل لحظة ومناسبة. وأكثر ما كانت تهيج ذكراه في المناسبات الدينية والأعياد، فمقدم أول رمضان(١)، ومقدم العيد(٢)، ومقدم العام الجديد(٣) بعد فراق (حمزة) كانت من المناسبات التي هيجت ذكرى فراق (حمزة) فيها في نفس أبيه وأنطقته بشعر وجداني يفيض بالأحاسيس الصادقة، وعواطف الأب الملتاع الصابر على قضاء الله وقدره في أعز حبيب فارقه، فهو في يوم عرفه تذكّره بلوعة المشتاق، فقال:

يا حمزة البر ما أبقى الزمان هوى ... أعز منك ولكن برك الباقي
حباً كحبك لا تبلى مطارفه ... جديدة نسجت من دمع آماقي
في كل ثانية ذكرى مؤرقة ... يرق في ومضها يا حمز: خفاقي
وأستريح على البلوى وأنشدها ... فلصدى فيها رقية الراقي
يا أنت يا سر نفسي بل وجوهرها ... ويا رضائي ويا ذاتي وأخلاقي
اليوم حيث أفاض الناس وازدلفوا ... أحس خطوك حولي خطو مشتاق
مسلماً مثل تسليم الغمام على ... مصوح يلقاه بأشفاق(٤)

وفي الحج الثاني بعد موت (حمزة) عادت الذكرى فهيجت أشجان أبيه الشاعر ضياء الدين رجب، رحمهما الله، فقال:

يا قرة العين هذا حجنا الثاني ... وأنت ناء وفي أحشائنا داني
كأنما الدهر قد عشناه في حرق ... وما مضى يا حبيب القلب: عامان
عسى ضراعتنا الحرى مرفرفة ... تحف روحك: يا صبري وإيماني

---

(١) «ديوان ضياء الدين رجب»، ص ٤٢٨، ٤٢٩.
(٢) «ديوان ضياء الدين رجب»، ص ٤٢٨، ٤٢٩.
(٣) «ديوان ضياء الدين رجب»، ص ٤٢٨، ٤٢٩.
(٤) «ديوان ضياء الدين رجب»، ص ٤٣١.

إني أرجيك، والرجوى هوى رمق — أن لا تضن على روحي ووجداني
رحمى من الله حاولها لأجل أب — جم الحنان كسير القلب أسيان
لقيا مطمئنة ليست بمعجزة — وأنت في ظل منان وحنان
يا من سما فوق حبي حبه أترى — يقل مقداره في العالم الثاني[1]

رحم الله الشيخ ضياء الدين رجب، فقد كان أديباً فذاً، وعالماً جليلاً، وإنساناً يذوب رقة إحساس وشعور وعاطفة وجدانية صادقة في شعره الذي كان فيه فناناً أصيلاً متمكناً من لغته وأساليب تعبيره التي رسم فيها أروع الصور الشعرية.

ومن رفاق ضياء الدين رجب من شعراء المدينة المنورة أحد مؤسسي جريدة (المدينة المنورة) الأستاذ:

علي حافظ[2]:

وهو من مواليد المدينة المنورة في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه في مدارسها، وفي حلقات الدرس في المسجد النبوي الشريف. ثم التحق بالوظائف الحكومية، وتدرج فيها إلى أن بلغ مراتب عالية، ثم تركها في سنة ١٣٨٣هـ متفرغاً لأعماله الخاصة والكتابة ونظم الشعر.

---

(١) «ديوان ضياء الدين رجب»، ص ٤٣١.

(٢) وردت ترجمته في ديوان الذي طبعته وأصدرته في جدة في سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م مؤسسة تهامة في سلسلة (مطبوعات) بعنوان: «نفحات من طيبة» ص الغلاف الأخير، كما وردت في «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٢٢١، ولكن سنة مولده ذكرت بها أنها كانت سنة ١٣٢٦هـ، وكذلك أيضاً في كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٦١، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، مجلد ٢٧، ص٧٥٨، ولكنه هناك أيضاً ذكر أن سنة مولده كانت سنة ١٣٢٦هـ.

وعلي حافظ وأخوه عثمان حافظ من أوائل الرواد المؤسسين للصحافة السعودية، فقد أسسا في سنة ١٣٥٦هـ جريدة (المدينة المنورة) وتكبدا كثيراً من العنت في سبيل الإصرار على مواصلة إصدارها وطباعتها في مطبعتها اليدوية البسيطة في المدينة المنورة، وقد كانت ميداناً فسيحاً من ميادين التنافس الأدبي الشريف في هذه البلاد، ثم انتقلت في طباعتها وصدورها إلى جدة في سنة ١٣٨٢هـ، ثم انتقلت ملكيتها إلى مؤسسة عامة.

أما وفاته فكانت في ١٤٠٨/٩/٧هـ رحمه الله.

والأستاذ علي حافظ من كتاب المقالة الأدبية الصحفية، وهو وأخوه الأستاذ عثمان حافظ من رواد العمل الوطني المخلص في ميدان التربية والتعليم، فقد أسسا في قرية المسيجيد على طريق المدينة ـ جدة أولى المدارس النظامية هناك في سنة ١٣٦٥هـ، وهي أولى مدارس تعليم أبناء البادية في هذه البلاد، وأسمياها مدرسة الصحراء الإبتدائية، كما شارك الأستاذ علي حافظ بفعالية إيجابية في كثير من الأنشطة العامة لخدمة البلاد، وفي كثير من مؤتمرات الأدب والصحافة، على مستوى الوطن والعالم العربي، والخارجي.

وفي شعره عني علي حافظ عناية فائقة بتسجيل المناسبات العائلية الخاصة، والعامة، والأحداث، وفي بعض ذلك الشعر في أسلوب تقريري مباشر، ربما تأثر فيه بعمله الصحفي في صياغة الأخبار في الجريدة. فقد احتل (فهرس) شعره في المناسبات والرحلات فقط (٩) تسع صفحات من ديوانه[١] أي أكثر من نصف شعره الذي ضمه الديوان،

---

(١) ديوان «نفحات من طيبة»، شعر علي حافظ، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٣، ٣٣٤ ـ ٣٣٧.

أما النصف الثاني من ديوانه فقد ذهب نصفه هو أيضاً لتسجيل مواليد الأسرة والأصدقاء وعلية القوم من الأمراء وأبناء الوزراء والأكابر، وقد احتلت عناوين قصائد المواليد فقط نحو ثلاث صفحات من فهرس الديوان[١]. أما بقية شعر الديوان فمعظمها تشطير لقصائد شعراء آخرين مثل زكي المحاسني[٢]، أو ردود على قصائد لشعراء آخرين مثل رده على شعر عبدالله بلخير[٣]، أو رسائل شعرية متبادلة مع شعراء آخرين مثل: عاتكة الخزرجي[٤]، وعبدالجواد طائل[٥]، وصهيب أسعد سويدان[٦].

ومن شعره الوجداني الذي ناجى فيه الله عز وجل في يوم عرفات قال علي حافظ في حج سنة ١٣٨٨هـ:

بالحج ندرك آمالنا	ونعبد رباً إليه ننيب
نطوف ونسعى ونرمي الجمار	رضاء الالآه الكريم المجيب
وفي عرفات لنا موقف	يكفر عنا عظيم الذنوب
ننادي، وندعوا، نخاف، نتوب	وتخشع للّه منا القلوب
يجيب الدعاء لمن قد دعاه	يجود ويعطي بغير حسيب
عبيدك يا رب قد أذنبوا	وعفوك يا رب منهم قريب[٧]

وحتى في هذه المناسبة التي كان ينتظر أن يكون فيها هذا الشعر

---

(١) ديوان «نفحات من طيبة»، شعر علي حافظ، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٣، ٣٣٤ ـ ٣٣٧.
(٢) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ١٢١.
(٣) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ١٤٥ ـ ١٥٠.
(٤) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٥) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ٢٤٧، ٢٤٨، ص ١١٠ ـ ١١١.
(٦) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ٢٤٧، ٢٤٨، ص ١١٠ ـ ١١١.
(٧) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ٤٢١.

مناجاة وجدانية شعورية خالصة، لم يخلص علي حافظ من تأثير صياغة الأخبار في ترتيب تقريري متسلسل لأعمال الحج: «نطوف، ونسعى، ونرمي الجمار» أو لسلوك الحجاج في يوم عرفة: «ننادي، وندعوا، نخاف، نتوب». فهو كما يبدو حريص على تقديم صور واقعية في كلام منظوم وقدم لديوانه بأبيات ناجى فيها الله عز وجل بهذا الدعاء الشعري:

يا رب إن ذنوبي لا عداد لها	مثل البحار وملء السهل والجبل
وليس لي يا إلهي من ألوذ به	سوى رضاك وصفح منك عن زللي
لقد شعرت بأخطائي تلازمني	وتقصم الظهر من هول ومن ثقل
لكن رجائي أن الله يغفر لي	وأن عفو إلهي منتهى أملي[1]

وقد شارك علي حافظ في تأسيس جريدة «المدينة المنورة» أخوه الأستاذ:

عثمان حافظ[2]:

وهو من مواليد المدينة المنورة في سنة ١٣٢٨هـ/١٩٠٨م، وفيها نشأ، فتلقى تعليمه في كتاتيبها ومدارسها وفي حلقات الدرس في المسجد النبوي الشريف. ثم التحق منذ سنة ١٣٤٥هـ بالوظائف الحكومية، فتدرج بها متنقلاً بين عدة دوائر لمدة عشرين عاماً، إلى جانب عمله الصحفي في جريدة (المدينة المنورة) التي أسسها مع أخيه، كما عمل في

---

(١) ديوان «نفحات من طيبة»، ص ١١.

(٢) وردت ترجمته في كتاب «صور وأفكار»، تأليف عثمان حافظ، مطبوعات تهامة، ص الغلاف الأخير، وفي كتاب «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية»، ج١، ج٢، ص الغلاف الأخير. وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٣٩، غير أنه ذكر هناك أنه ولد سنة ١٣٢٧هـ.

مطبعتها، وإدارتها العامة، إلى أن انتقلت إلى جدة، ثم انتقلت ملكيتها إلى مؤسسة عامة انتخب نائباً لمديرها العام، ورئيساً لتحريرها لمدة إحدى عشرة سنة. وتوفي في ١٦/٩/١٤١٣هـ رحمه الله.

والأستاذ عثمان حافظ أول من ألّف كتاباً شاملاً عن تجربته الصحفية بكل دقائقها من بين الصحفيين الرواد الأوائل في المملكة العربية السعودية وكتاب «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» الذي ألفه من جزئين يعتبر أحد أهم المراجع الأصلية «الوثائقية» في تاريخ الصحافة السعودية. وقد استهله ببحث في نشأة الصحافة، وفيه سجل رأيه في الصحافة ودورها، فكتب يقول: «والصحافة من المهن الكريمة التي ترعى مصالح الأفراد والجماعات، وتحافظ على الخلق السوي. وهي مدرسة كبرى للتوجيه والإرشاد.. تغذي العقول وتثقفها وتقدم لها أشهى ما تتطلع إليه من أخبار، وآراء علمية، وسياسية، وأدبية، وفكاهية، وطبية، وصناعية، ورياضية، وإقتصادية، وإجتماعية.. وغير ذلك مما يدور في العالم من أحداث هامة، وفنون جميلة، ومخترعات حديثة.

والصحافة الناجحة، هي التي تشترك مع القارىء ـ إشتراكاً كاملاً ـ فتعيش معه في المنزل، وتساعده على حل مشكلته، وتخفف عنه آلام المرض، وتفتح له آفاق الحياة، ليطل من نافذتها على ما في العالم من تقدم ونشاط ومدنية. وتسعى لأن تقدم النور للذين يعيشون في الظلام، والعلم لمحو الجهل، وأن تنقل للقارىء أحداث الساعة.. مجلوة واضحة من خبر، واختراع، وعلم، وفن، وغير ذلك.

والأمانة والنزاهة، والإستقامة إحدى الأسس الهامة التي يجب أن تتوفر في الصحافة. ويجب أن يتغلب فيها عنصر الخير على عنصر الشر، وإلا كانت وبالاً على المجتمع.

والصحافة أداة خير ورشاد، إن هي التزمت الأمانة، والإخلاص، والصدق، والفضيلة.. وأداة شر وفساد.. إن هي انحرفت عن الأمانة والصدق، واستخفت بالقيم الخلقية والمبادىء الشريفة، وانجرفت في تيار الإنحلال الخلقي والأغرض الوبيلة»[1].

وفي سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م صدرت مجموعة المقالات، التي كتبها الأستاذ عثمان حافظ في الصحف من قبل، مطبوعة في كتاب بعنوان: «صور وأفكار»، في سلسلة مطبوعات تهامة بجدة. وفيها من الذكريات، ومن المواقف التي سجلها، ما يعتبر جزءًا من تاريخ الأدب والثقافة والتعليم في هذه البلاد، بالإضافة إلى كونها مصدراً من مصادر التعرف على أسلوب كتابة المقالة الأدبية الصحفية عند الرواد الأوائل من أمثال الأستاذ عثمان حافظ أمد الله في عمره. ومن مقالات تلك في التعليم كتب تحت عنوان «التعليم أسمى ما يتحلى به الإنسان» فقال: «التعليم من أسمى ما تحلى به الإنسان، منذ بدء الخليقة، وعندما خلق الله آدم (عليه السلام) علّمه الأسماء كلها، فكان من المميزات، التي اختصَّ بها آدم وبنو آدم، العلم والتعليم.

ومن حكمه تعالى أن فضّل الله تعالى الناس بعضهم على بعض.. ورفع بعضهم فوق بعض درجات.. بالعلم.. وأول آية كريمة نزلت على الرسول الأعظم (أقرأ) مما يدل على أن للقراءة شأناً عظيماً في الحياة، وأن لها الإعتبار الأول.

وقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بالتعليم من المهد إلى اللحد.. بل جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة.

---

(١) كتاب «تطور الصحافة»، ج١، ص ١٢، ١٣.

وكان عليه السلام يطلق سراح الأسرى من المشركين مقابل أن يعلم كل أسير عدداً من أبناء المسلمين.. يعلمه القراءة والكتابة.. فيجعل تعليمه لأبناء المسلمين فدية له من الأسر.

فالعلم هو النبراس الذي يضيء جوانب الحياة، وفتح آفاق العرفان لبني الإنسان ليهتدوا به إلى سبل الخير والرشاد، في دينهم، ودنياهم، لذلك كان اهتمام الأمم والشعوب بالعلم اهتماماً كبيراً بالغ الأهمية، منذ خلق الله تعالى الأرض ومن عليها.

وما زالت الشعوب والأمم تتبارى في ميدان التعليم للقضاء على الجهل، الذي يعتبر إحدى الرزايا الثلاث في العالم: الفقر، والمرض، الجهل»[1].

أما أول من تولى رئاسة تحرير جريدة «المدينة المنورة» فهو الأستاذ:

أمين مدني[2]:

وهو من مواليد المدينة المنورة في سنة ١٣٢٩هـ/١٩٠٩م وفيها نشأ يتيماً عند أخواله من آل البرزنجي من علماء المدينة المنورة، فقد مات والده عبد الله مدني، وهو طفل رضيع، رحمهما الله، وقد انتقل الأستاذ أمين مدني إلى جوار ربه تعالى في سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. بعد عمر طويل حافل بجلائل الأعمال.

---

(١) كتاب «صور وأفكار»، تأليف عثمان حافظ، ص ١٢٣.

(٢) وردت ترجمته في كتاب «التاريخ العربي وجغرافيته»، ص٦، وفي كتاب «التاريخ العربي وبدايته»، (ط٢)، ص الغلاف الأخير، وفي مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٦٨، ولكن ذكر هناك أنه ولد في ذي الحجة ١٣٢٨هـ.

تلقى أمين مدني تعليمه في كتاتيب المدينة ومدارسها، وفي حلقات الدرس في المسجد النبوي الشريف، ثم التحق بالوظائف الحكومية، وتدرج فيها، وكانت آخر وظيفة حكومية تقلدها هي رئاسة بلدية المدينة المنورة.

وأمين مدني (رحمه الله)، هو أول من تولى رئاسة تحرير جريدة «المدينة المنورة» في سنة ١٣٥٦هـ مع مجموعة من خيرة أدباء المدينة الشبان، آنذاك ثم تركها لسفره في العدد الخامس عشر بعد أن صدر العدد الرابع عشر منها في ١٩ ربيع الثاني ١٣٥٦هـ/ ٨ يوليو ١٩٣٧م.

وأمين مدني من علماء الأدباء، ألف بجهده الفردي موسوعة تاريخية جغرافية ضخمة أسماها «موسوعة العرب في أحقاب التاريخ» منها: التاريخ العربي وبدايته، التاريخ العربي ومصادره، التاريخ العربي وجغرافيته وقد صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة في سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. كما أعادت تهامة طبع «التاريخ العربي وبدايته»، وصدر عنها في سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م في سلسلة الكتاب العربي السعودي.

والأستاذ أمين مدني ألّف كذلك في التشريع الإقتصادي الإسلامي، وألّف كتباً في أدب الرحلات، عن رحلاته، كما ألّف كتاباً في الدراسات النحوية.

وأمين مدني (رحمه الله)، كاتب جاد، يعتمد الأسلوب العلمي الصارم، وهو بحّاثة متمكن ذو نَفَس طويل وعلى إطلاع واسع ومعرفة غزيرة في المواضيع التي ألّف فيها. ويعتبر أمين مدني مع حمد الجاسر وأحمد عبد الغفور عطار وعبد القدوس الأنصاري أشهر أعلام الأدباء العلماء الباحثين بتمكن ومقدرة في هذه البلاد في عصرنا الحديث هذا.

وأمين مدني لم يكن يكتفي في مؤلفاته بالتسجيل المجرد للحقائق العلمية، بل إنه كان يحلل، ويستنتج، بفكر نيّر أصيل. فهو (رحمه الله)، بعد أن بحث في التاريخ الحقيقي، والتاريخ الأسطوري، للعرب وبلاد العرب، وعن حضارتها القديمة في عهد عاد وثمود، كتب محللاً آخر ما وصل إليه العلماء من نتائج في هذا الموضوع ورأيه فيه، انطلاقاً من إيمانه التام بما جاء في القرآن الكريم وأنه الحق الذي لا مراء فيه، فقال: «والذين كانوا لا يصدقون بما جاء في القرآن الكريم عن عاد وثمود ـ لأن عاداً وثمود لم يذكرا في التوراة، ولم يذكرا في المصادر اليونانية ـ عادوا أخيراً مصدقين بوجود قوم عاد وقوم ثمود بحضاراتهم، ومؤكدين باقتناع: أن وادي القرى، واليمامة، وسواحل الخليج العربي، قد كان كل بلد من هذه الأرض يزهى بحضارات قديمة كان بعضها في طليعة حضارات الماضي البعيد.. وأن بناة هذه الحضارة التي زهت في عصور ما بعد الطوفان هم الآراميون، والعماليق، والكنعانيون، فهذه الشعوب هي التي أنشأت حضارات الساميين في العراق، وفي سورية، ولبنان، وفي مصر(...).

فمحال أن تكون تلك النقوش، وذلك النحت الثمودي في مدائن صالح أثراً لحضارة حديثة العهد بالنسبة لحضارات الماضي القديم. إن ذلك النحت دليل مادي يشهد بآثار حضارة قديمة بدأت من أقدم العصور السامية، كما يسميها المستشرقون، بدأت من عصر (عاد) التي ورثت الأرض بعد قوم نوح و التي شيدت في كل ريع آية.

وليس خطأ في اعتقادي: أن يصدق الباحثون بما يقال عن الإنسان العربي وسبقه للحضارة في هذه الجزيرة العربية التي كانت في العصور الجليدية تتمتع بمناخ معتدل خصيب. وإنما الخطأ أن تتسلط على أفكارنا

الشعوبية، فتشوه لنا الصورة الرائعة التي تمثل الجزيرة العربية في عصور الأنهار الجارية والمطر المدرار.

فما أضخم تراثنا القديم، وما أقل الذي نعرفه عنه»[١].

ومن الأدباء الرواد الذين كانوا ضمن هيئة الإشراف على تحرير جريدة «المدينة المنورة» في بداية صدورها، الأستاذ:

محمد حسين زيدان[٢]:

وهو من مواليد المدينة المنورة في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، وبها نشأ، وفي مدارسها تعلم، فتخرج من المدرسة الراقية الهاشمية فيها في سنة ١٣٤٤هـ. بدأ حياته العملية مدرساً، ثم التحق بسلك الوظائف العامة، وتدرج فيها إلى أن تقاعد في سنة ١٣٧٤هـ، متفرغاً للأدب والكتابة، فاشتغل بالصحافة مديراً لتحرير جريدة (البلاد) بجدة، ثم رئيساً لتحريرها، ثم رئيساً لتحرير جريدة (الندوة) بمكة، ثم اختير ليصبح أول رئيس تحرير لإحدى المجلات المتخصصة في الدراسات والبحوث رفيعة المستوى؛ وهي مجلة (الدارة) التي تصدر عن (دارة الملك عبد العزيز) بالرياض، ولا زال الأستاذ محمد حسين زيدان محافظاً على مستواها الرفيع مادة، وإخراجاً، وطباعة، وتحريراً.

ومحمد حسين زيدان هو أكثر كتّاب الصحف السعودية شعبية عند

---

(١) كتاب «التاريخ العربي وبدايته»، تأليف أمين مدني، ص٥٩، (ط٢، عن تهامة).

(٢) وردت ترجمته في بعض مؤلفاته على الغلاف الأخير، مثل كتاب «ثمرات قلم»، الكتاب العربي السعودي رقم٢٨، تهامة، جدة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين، الجزء السابع، مجلد ٢٧، ص٨٠٨، رجب ١٣٨٦هـ، نوفمبر ١٩٦٦م.

جمهور القراء على جميع مستوياتهم. وهو كاتب مقالة من طراز فريد، يتفنن في كتاباته، ويستلهم التاريخ القديم والحديث، ويربط أحداث الماضي بالحاضر في تحليل واستنتاج الباحث المتمكن القدير.

ومحمّد حسين زيدان في أسلوبه يحسن التصوير في جمل يتفنن في صياغتها في ديباجة سهلة مشرقة، وفي إقناع منطقي واضح. وهذا يجعله محبباً إلى نفوس كل قراء الصحف التي تتسابق في نشر مقالاته، القصيرة، والطويلة، والتي عادة ما يواكب فيها الأحداث بفكر نير أصيل، ووعي وطني مخلص، وحس مرهف.

ومحمد حسين زيدان يبدو في كتاباته غزير المعرفة واسع الإطلاع موسوعي الجوانب في الأمور التي يتناولها بلا تحديد. وهو على علمه وشعبيته الواسعة عظيم التواضع لغيره من العلماء، وهذا يزيده رفعة، ويجعل القراء، مهما اختلفت مستوياتهم الثقافية، أكثر تعلقاً به، وإقبالاً على كتاباته المتأنقة الرشيقة، الممتعة المفيدة.

وقد وافته المنية في ٢٩/ ١٠/ ١٤١٢هـ رحمه الله.

ومحمد حسين زيدان محاضرٌ وخطيب لبق يشد الأسماع إليه بأسلوبه الجذاب الذي يتفنن فيه ارتجالاً ـ في معظم الأحيان ـ كما يتفنن في مقالاته المكتوبة. وقد جمع محاضراته أكثر من مرة وأصدرها مطبوعة، كما أصدرت له مؤسسة تهامة ثلاثة كتب في سلسلة الكتاب العربي السعودي، الأول منها برقم (٢٨) في السلسلة، وعنوانه «ثمرات قلم» والثاني برقم (٥٨) بعنوان «كلمة ونصف» والثالث منها برقم (١٠٨) وعنوانه «خواطر مجنحة»، كما قدم محمد حسين زيدان عشرات الأحاديث والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وكان يتفنن فيها في تقديم الرأي والمعلومة في صور مشرقة من الكلام الجميل الذي يحسنه، بأصالة خاصة في التفكير والتعبير.

إن محمد حسين زيدان فنان كلمة، يحلّق بها في سهولة ويسر لا غموض فيهما، فيأخذ معه القارىء إلى جوه الحالم في رقة قد تفوق رقة الشعر، مثل وصفه لأصيل يوم جميل من أيام جدة، في حوار قال فيه: «الأصيل تعطل اليوم.. أخرج في لحظاته أرى كما قالوا: ذهب الأصيل على لجين الماء.

لم أجد هذا الأصيل.. كأنما الشمس قد تبرقعت بالحياء.. من هذه المزنة.. هتانة على جدة فأصبح لجين الماء.. قد أذاب ذهب الأصيل.

كان عصراً من أيام الجنان.. لا هو بالمظلم المعتم، ولا هو بالصاحي الوضوح!!

كانت مزنة في السماء.. أشرقت بها فرحات في القلوب.. كأنما النعيم قد توفانا وما تخطانا، نعيم نحسه على أجسامنا من روح في وجداننا.. واستراحة لعضلاتنا.. وأمر في نور الربيع، من نور اللجين علىء ذهب الأصيل.

هتآنة فتانة.. أنعشت شاباً كان بجانبي.. كاد يطير.. قلت: تطير يا عروس الندى، لتترك أرملة؟!

لم يعد صاحبك أرملة.. فإن العشق زوج لا يموت.. بعيد هذا العاشق عن الترمل، والثكل، واليتم.. لأنه كل يوم في حياة»[١].

ومحمد حسين زيدان شيخ متجدد الشباب دائماً، يعرف كيف يخاطب الشباب، وكيف يوجههم بطريقة غير مباشرة، في جمال أسلوب، وصدق إحساس، وقدرة على التحليل بمهارة فائقة، فهو

---

(١) كتاب «كلمة ونصف»، تأليف محمد حسين زيدان، ص١٦٣.

يشعرهم أنه منهم، فهو في (حوار) عنهم كتب يقول: «قال: أنت شيخ تصابى.. تتعلق الشباب ليزفوك في هودج!! فحينما فقدت عرس الحياة جئت تطلب التعويض.

ـ قلت هذا غير ملائم للواقع.. فحبي للطفل أبي الرجل.. أملي في الرجل صانع التفوق في المستقبل.. هو دافعي من أول يوم وقفت فيه معلم صبيان.. في كل مرحلة لم أبخس إنساناً حقه.. في كل رحلة رافقت المقدمين على نجاح.

برئت من إلحاد.. وتبرأت من كلمة قالها أحدهم قبل خمسة وثلاثين عاماً: أنت تشجع فلاناً! ألا تعرف أنه إذا تفوق سينساك ويملك؟

ـ قلت: إذا ما ذكر نفسه بالتفوق فيه.. فإني لا أنسى نفسي وأضع لبنة في بناء أعتز بصونه ونمائه.

* وقال آخر: أنت تجبن عن مصارعة هؤلاء الشبان ومقارعتهم..

ـ قلت: لم أختلف معهم على شيء ينالني منهم.. بل إني أحبذ أن يكون أول حجر يرمون به هو الحجر المسلط على الخطأ، ولو كنت هدف الحجر إذا ما كنت من الخاطئين.

أما إن اختلفوا علي أنفسهم.. فلست عليهم بمسيطر!

وإن تخلفوا عن الحق، فشأن غيري أن يردعهم عن الباطل.

فقد أسعى جهدي لتحرير رأيه.. ولا أحب أن أكشف اللحم في السوق!!

* هما قالا ذلك.. فلم أنهزم.. لأنه جرأة على الحقيقة، ولا يهمني إلا دافعي ووازعي. ولكن..

ـ قال الثالث: لا.. لا.. إنك تسوس عقولهم، وتوسوس لهم، وتفسد رأيهم.

ـ قلت: هنا يكمن الخطر.. هنا دافع حقدك، وسوء قصدك.. فليت ولدي من صلبي يسير على إيماني ورأيي في ترابي وقومي ووطني.

قال غير هذه..

إني أدفع الجرأة.. وأتسلط النشاط.. وأحاور الرأي لأني أحب الجهر.. وأكره الهمس.. وأرفض الكبت..

ثق أنك حينما تقول هذا لواحد، فأنت تريد أن تسلبه كفاءته في تمييز الأصدقاء والرجال.

لا حقد، لا إفساد.. إنما هو الحب لكل التفوق والمتفوقين.. أما سواد القلب والحقد القاهر، فمتاع الذين يحبون أن يعيشوا وحدهم»[1].

إن محمد حسين زيدان فنان كلمة يسمو فيها بصدق أحاسيس الإنسان، الذي ينشد الخير وينشر الحب، ويزين الحياة بالبهجة، والأمل المشرق، رحمه الله.

ومن أبرز كتّاب المقالة من الأدباء السعوديين الرواد الأستاذ:

عزيز ضياء[2]:

وهذا اسمه الأدبي الذي اشتهر به، أما اسمه بالكامل فهو

(١) «كلمة ونصف»، ص ١٨٠، ١٨١.

(٢) وردت ترجمته في كتاب «وحي الصحراء»، ص٢٣٩ (ط١)، ص٣٠٣ (ط٢)، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين، الجزء السابع، مجلد ٢٧، ص٨١٣، وفي كتاب «عهد الصبا في البادية» الذي ترجمه عن العربية، وصدر في سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم٣، عن تهامة بجدة سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، في «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٢٠٦.

عبد العزيز ضياء الدين بن زاهد، وقد ولد في المدينة المنورة في ١٢ ربيع الأول ١٣٣٢هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩١٤م، وبأحد كتاتيبها تلقى تعليمه الأولي ثم في المدرسة الراقية الهاشمية بالمدينة، ثم التحق بمدرسة الصحة بمكة، وتركها بعد سنة لأنها لم تتفق مع طموحه وميوله، وعاد إلى مسقط رأسه في المدينة، ثم عاد بعد سنة مرة أخرى إلى مكة، والتحق فيها بوظيفة كتابية بمديرية الصحة العامة، ثم تركها، والتحق بوظائف كتابية ثم قانونية، وعسكرية بالأمن العام. وفي ١٤١٨/٨/٦هـ وافته المنية رحمه الله.

ودفعه طموحه أكثر من مرة لمواصلة تعليمه، تارة في الداخل، وأخرى في مصر، وثالثة في لبنان، ولكنه تحت ضغط ظروف الحرب العالمية الثانية، ومتطلبات المعيشة، لم يتمكن من تحقيق آماله في هذا المجال، فعاد إلى المملكة فالتحق بوظائف الحكومة بوزارة الدفاع والطيران، ثم تركها، وسافر إلي مصر، ومنها إلى الهند مذيعاً ومترجماً مع زوجته التي كانت أول سيدة سعودية تعمل في هذا المجال، ثم استدعته الحكومة فعاد إلى المملكة، وتولى وظائف عدة، ثم ترك الوظائف متفرغاً لأعماله الخاصة، في الكتابة للصحف، والإذاعة المرئية والمسموعة. وهو في جيله مع محمد حسين زيدان أشهر كتَّاب المقالة الصحفية من الرواد الأوائل. كما ترجم كثيراً من الأعمال الأدبية من الإنجليزية إلى العربية.

وعزيز ضياء أديب متعدد الجوانب، متمكن من لغته، بدأ في شبابه رومانسي النزعة، وصاغ شعراً، ولكنه توقف، ثم اتجه إلى كتابة التعليق السياسي الذي يعتبر من أبرز كتّابه من جيله على الإطلاق.

وهو يعتدُّ بآرائه، إلى درجة قد توحي بالإستعلاء في بعض

الأحيان. ومن محاولاته المبكرة في الشعر المنثور الذي كان فيه رومانسي النزعة قوله: «في الخريف»:

عم مساء يا عش هنائنا، يا فردوسنا المفقود!

عم مساء أيها الحقل المائج بالسنابل والرياحين والزهور!
عمي مساء أيتها السويعات اللذيذة من ماض جميل!
عمي مساء يا صخرة الملتقى، ويا ناموس النجوى.
عمي مساء أيتها التذكارات اللطيفة، الباقية من سعادة احتواها الزمن، وشرد بها الحظ العاثر.
وحدثني بربك يا عشي، حدثيني يا صخرة الملتقى.
أين ذهبت وضاءة الحسن التي كانت تشيع وتتألق على هذه الصحراء الحزينة؟
أين تلك الضحكات التي كانت ترن فتملأ هذه الأمكنة الكئيبة حياة فياضة بالشعور، مليئة بالعواطف؟
أين ذلك الحنان الذي كلما أقبلت يضمني فرحاً، كما تضم الأم طفلها الوحيد؟
أين يا عشي، ذلك الإشراق، أين الجمال، أين ذلك الفرح، أين اختفت تلك الأطياف الملائكية الباسمة؟»[1].

وواضح من أسلوب عزيز ضياء في هذه الكلمات الجميلة المحلقة، أنه كان في شبابه، مثل معظم بقية أقرانه، شديد التأثر بجبران خليل جبران، وأدباء المهجر من أمثاله، على عكس نفي الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) تأثر أبناء المدينة من الأدباء الرواد بأدباء المهجر.

---

(١) كتاب «وحي الصحراء»، ص٢٥٧ (ط١)، ص٣٢١ (ط٢).

ولكن عزيز ضياء لم يظل على ذلك التأثر، بل أظهر في كل جنس من الأجناس الأدبية التي اشتغل بها، أصالة في الأسلوب والفكر. فقد كتب القصة بمهارة، وكتب المقالة الأدبية، والمقالة الإجتماعية، ولكنه تفوق بصفة خاصة في المقالة السياسية والتعليق بلا منافس ولا منازع. وهو محدّث لبق، ومحاضر متمكن، رحمه الله، وأسرته كلها تشاركه الفن والذوق الرفيع، فزوجته معدة برامج أطفال من الدرجة الممتازة، وابنه (ضياء) فنان تشكيلي من الطراز الأول، وابنته (دلال) من أبرز المذيعات المتفوقات لغة وأداء، لا على مستوى المملكة فحسب، بل على المستوي العالمي في الإذاعات العربية كلها، ولا شك أن ذلك من ثمرات حرصه على الأدب واللغة والذوق الرفيع وإشاعة ذلك في أسرته كلها.

ومن أدباء هذه البلاد الرواد من أبناء جدة الأستاذ:

محمد علي مغربي[(١)]:

وقد ولد بمدينة جدة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، ونشأ بها، فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة وتخرج منها، ثم التحق بالعمل الحكومي في إدارة بريد جدة، ثم انتقل إلى مكة، فاتصل بالشيخ محمد سرور الصبان (رحمه الله) وأصبح مدير مكتبه، ولازمه حتى وفاته، وتولى رئاسة تحرير جريدة «صوت الحجاز» فترة من الزمن في عهدها الأول، قبل الحرب العالمية الثانية.

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة»، تأليف محمد علي مغربي، الكتاب العربي السعودي رقم ٣٠، ص الغلاف الأخير، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٣٠٤، غير أن سنة مولده ذكرت هناك على أنها ١٣٣٤هـ.

والأستاذ محمد علي مغربي أديب متعدد الجوانب، واسع الإطلاع، إلا أن أعماله التجارية الكثيرة والناجحة، صرفته ردحاً من الزمن عن الساحة الأدبية، ثم عاد إليها مرة أخرى بنشاط يفوق نشاط كثير من الشباب. وبعد صراع مرير مع المرض وافته المنية في ٢٤/٦/١٤١٧هـ رحمه الله.

وهو من أوائل من كتبوا القصة الطويلة، والقصيرة في الأدب السعودي بمهارة. وله رواية طويلة اسمها (البعث) أصدرها للمرة الأولى في سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ثم أعادت تهامة طباعتها، فأصدرتها في سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م مع مجموعة قصص أخرى له ومقامة، في سلسلة الكتاب العربي السعودي برقم ٨١، ورواية (البعث) تحمل في اسمها (الرمز) هدفاً لها عبر فيه محمد علي مغربي عن طموحه وطموح أبناء جيله في بعث الحضارة في بلاده من جديد، وقد حقق الله آماله، فرآها ماثلة في الواقع حين ظهرت الطبعة الثانية للرواية.

وقد اهتم محمد علي مغربي في عهد عودته للأدب بكتابة السّير والتراجم، فأصدر كتاباً في تراجم بعض من عاصرهم من أعيان الحجاز(١)، كما نشر في الصحف دراسات مطولة لسير بعض الصحابة رضي الله عنهم.

ومحمد علي مغربي شاعر، يميل إلى نظم الرباعيات التي ينشرها

---

(١) «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة»، الكتاب رقم ٣٠، في سلسلة الكتاب العربي السعودي، تهامة، جدة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، وكان الأحرى أن يسميه «من أعلام الحجاز»، فالأسماء التي ترجم لها ليست لكل أعلام القرن الذي حدده، كما يوحي العنوان الذي وضعه للكتاب.

في الصحف، وتتجلى فيها روح شاعر أصيل، ولو أنه مقل. ومن رباعياته قوله:

وصغير كالعفو بعد الخطايا ... يملأ القلب بالرضا بعد يأس
يقرأ الدرس ما يشاء ويلهو ... ثم يشكو إلى ما اللهو ينسى
البطولات من هواه.. فدوماً ... هو في بيتنا كعنتر عبس
في صباه رأيت بعض حياتي ... تتجلى كأنها بعض حسي[1]

ومن الأدباء الأوائل من أبناء جدة الأستاذ:

محمود عارف[2]:

وهو من مواليد مدينة جدة في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م وبها نشأ، فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بجدة وتخرج منها، فاشتغل بها إلى أن عيّن عضواً في مجلس الشورى بمكة.

ومحمود عارف شاعر متمكن من لغته، صادق في أحاسيسه، يعرف كيف يصوغ صوره الفنية في شعر عربي محكم، يحلق فيه تارة في عوالم (رومانسية) حالمة، ويعود تارة أخرى إلى دنيا الواقع الذي يستلهم منه كثيراً من صوره الشعرية.

ومحمود عارف، الشاعر، ناثر، شارك في العمل الصحفي، كاتباً ومحرراً، فترأس تحرير جريدة (عكاظ) بجدة لمدة عام كامل، وكتب في

---

(١) جريدة «المدينة المنورة»، عدد رقم ٦٥٤٦، السنة التاسعة والأربعون، ص٩، في يوم الأربعاء ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ ٦ مارس ١٩٨٥م.

(٢) وردت ترجمته في ديوان «ترانيم الليل»، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة رقم ٢٣، ص الغلاف الأخير، جدة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٧٥، غير أنه ذكر بها أن سنة مولده كانت سنة ١٣٢٩هـ.

معظم الصحف، وقدم بحوثاً، وكتب دراسات أدبية لمؤتمرات وندوات أدبية عدة حضرها.

والأستاذ محمود عارف من الأعضاء المؤسسين في نادي جدة الأدبي، الذي جمع دواوينه الشعرية وأصدرها في كتاب واحد من مجلدين[1]، اشتمل الأول منهما على دواوين: «المزامير، والشاطىء، والسراة، وفي عيون الليل، وعلى مشارف الزمن، والروافد، وأرج ووهج»، واشتمل المجلد الثاني على: «أيام من العمر، ومدينتي جدة، ومشاعر على الضفاف» وحمل الكتاب في مجلديه عنوان: «ترانيم الليل»، ومن شعره العاطفي الجميل الذي حلق فيه تحليق فنان مبدع عظيم، في تصوير رائع، قصيدة بعنوان «نجوى على النبع» قال فيها:

سمراء فاتنة كالنبع رافدها — يروي صدى كل من قد كان يهواها

تختال في رقة والله أبدعها — للناس معجزة والحسن سواها

كأنها برعم جاد الربيع به — وقد تحسست في الأشياء.. حلواها

حلاوة لست أدري أين موقعها — وقد تحسست في الأشياء.. حلواها

حديثها لغة الأرواح إن نطقت — تلفت البدر واستحيا.. فحياها

والليل في شعرها قد غاد منتشياً — وحشد أحلامه في الشعر قد تاها

كجلوة الصبح يشتاق النهار لها — وظل في زحمة الأشواق يرعاها

على منابع هذا الحسن قد وقفت — قلوب عشاقها تحسو حمياها

عبر المفاتن كل الناس قد عجزوا — عن وصفها أبداً ما كان أحلاها

لا في الربيع، ولا في زهرة شبه — لبعض ما فاح من أعطار معناها

إن الجمال.. جمال الروح أمتعه — يلذ في القلب.. حيث القلب مرعاها[2]

---

(١) «ترانيم الليل»، شعر محمود عارف، في مجلدين، كتاب النادي الأدبي الثقافي رقم ٢٣، جدة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) «ترانيم الليل»، شعر محمود عارف، ج٢، ص ١١٣، ١١٤.

وللأستاذ محمود عارف شعر وجداني كثير يذوب رقة ويحلق فيه إبداعاً في أجمل تصوير، وله شعر في التغني بجمال بلاده وحبها، وله شعر سياسي وشعر مناسبات. وهو أديب فذ من أدباء العربية الكبار في العصر الحديث، وهو كثير الحياء، جم التواضع، حلو المعشر، يشجع الشباب، ولا يبخل عليهم بالتوجيه السديد.

ومن الأدباء الرواد المبدعين الذين حققوا شهرة واسعة بشعرهم الأستاذ:

طاهر زمخشري[1]:

وهو من مواليد مكة المكرمة سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح بمكة، وتخرج منها حاصلاً على شهادتها النهائية في سنة ١٣٤٩هـ. والتحق بعد تخرجه ببعض الوظائف الحكومية بمكة، ثم تركها، وانتقل إلى المدينة المنورة، فعمل فيها مدرساً فترة من الزمن، عاد بعدها إلى مكة فالتحق بسلك الوظائف الحكومية، كما عمل فترة من الزمن في الرياض، وحينما تأسست الإذاعة العربية السعودية كان الأستاذ طاهر زمخشري من أوائل من عملوا بها من أدباء هذه البلاد الرواد.

وكان طاهر زمخشري في الإذاعة رائداً عظيماً في تربية الأجيال

---

(١) وردت ترجمته في كثير من كتبه ودواوينه، كما وردت في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨١٥، وفي «الموسوعة الأدبية» ج٢، ص٢٧٨، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب» ج١، ص١٠٨، وفي كتاب «ظاهرة الغروب في أغاريد الصحراء لطاهر زمخشري»، تأليف د .عبد الرحمن الطيب الأنصاري، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٤٣١.

الناشئة وإعدادها الإعداد الثقافي الوطني السليم من خلال برنامج الأطفال، الذي أكسبه لقب الشهرة الذي أصبح يعرف به، وهو «بابا طاهر»، كما كان رائداً كذلك في إصدار صحيفة للأطفال أرهقته كثيراً وتسببت في مرضه. وفي شهر شعبان من سنة ١٤٠٥هـ/ أبريل ١٩٨٥م صدر أمر ملكي بمنح الأستاذ طاهر زمخشري جائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م وتسلمها في حفل كبير.

أما وفاته فكانت في ٤/ ١٠/ ١٤٠٧هـ رحمه الله.

وطاهر زمخشري الشاعر فنان مرهف الحس صادق العاطفة طاهر القلب والضمير، تشرق نفسه بحب الناس والحياة رغم ما يعانيه من الناس والحياة من عذاب، ولكنه يواجه التنكر بمزيد من العطاء والصفاء، فينتصر على آلامه بآماله، وهو يتدفق في بوحه الشعري، الذي يترقرق، والذي يملأ عشرات الكتب، دون أن يتأثر مستوى الجودة فيه، أداء، وتصويراً، وإبداعاً جمالياً محلقاً، تتجلى فيه خصائص (الرومانسية) في أدق صفاتها وبصفة خاصة في التعلق بالوطن، والشعور الدائم بالغربة، وتنازع الإحساس بالسعادة والبهجة تارة، ثم بالكآبة والحزن المفرط إلى درجة تفجر الألم تارة أخرى. فهو في قصيدة شعرية واحدة قد يجمع بين كل هذه الأحاسيس المتناقضة بعفوية بسيطة، وتدفق في البوح العاطفي بلا تصنع ولا افتعال، بل في انفعال عاطفي صادق صادر عن ضمير حي، وفي تصوير فنان مبدع يرسم خلجات نفسه في شعر جميل.. فهو - مثلاً - منذ سنوات اتصل بتونس، فأعجبته وأعجبه أهلها، فأحبها، وأصبح يقيم فيها لفترات طويلة، ولكنه لم يهجر وطنه، بل يعيش في قلق يقض عليه مضجعه، ويجعل الأشواق تتنازعه، بين الحنين إلى الوطن، والحنين إلى الديار التي أحبها، وأحبه أهلها، وعرفوا قدره، فكرمه رئيسها الحبيب بورقيبة أكثر من مرة. وقد صور طاهر زمخشري تناقض

الشعور في الغربة في كثير من شعره، ومن أجمله قصيدة بعنوان: «في الغربة»، قال فيها:

أنا في غربتي أهيم بفكري حيثما أنت: يا هدى الحيران
يا نعيم الحياة، يا بلسم الملتاع، يا معزفي لأحلى الأغاني
وغبار السنين يملأ عيني، وكحل السهاد في أجفاني
أتداني إلى حماك بأشواقي، وأهفو بلهفة الظمآن
فإذا ما غفوت، أنت بأحلامي، وفي الصحو، غنوة في لساني
ألف طيف يحوم حولي بالذكرى وأفوافها شفوف الأماني
والربى تضحك الأزاهر فيها وتروي بعطرها وجداني
وأنا كالفراش أستنشق العطر، وأغدو من فرحتي للتداني
فالنوى طال واستطال ولكن أنت ما زلت ثورة في كياني

* * *

أنا في غربتي، وأظمأ بالشوق، وكأسي تفيض بالحرمان
وبعيني غشاوة تحجب الضوء، وقلبي يذوب مما يعاني
تترامى بي الدروب على التيه، فلا يعرف الظلام مكاني
وعلى خافقي زوافر تترى وتذيب الشغاف في الخفقان
فبمن أهتدي وما لي على البعد سوى خافقي الهيمان
والأنين المنهوك يزحف باللوعة عبر الأنين فوق الثواني
في خضم، أثباجه لهب الشوق، وتياره صروف الزمان
والمجاديف في عميق من اللجة تلهو بخافقي وجناني
باشتياقي إليك، بالحيرة الثكلى، بما في الضلوع من نيران
والسرى طال واستطال ولكن أنت للروح مرفأ للأمان[1]

(١) «مجموعة الخضراء»، شعر طاهر زمخشري، ص٤٤٦، ٤٤٧، مطبوعات تهامة، جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ثم يجد الزمخشري حقيقة تنازع الأشواق بالإحساس بالنعيم في أحضان الطبيعة الجميلة التي يعيش في أجوائها في تونس، ويترك الإحساس بألم فراق الوطن يتفجر في قمة لحظة السعادة، فيقول:

أنا في غربتي بخضر رواب ... وردها راقص الرؤى بالحنان
كلما هزني إليك اشتياق ... غمرت بالعبير جو المكان
ومن السحب هاطل يتنزى ... ويصب الرذاذ في الأغصان
وأنا تحت معطفي لاهث الأنفـ ... ـاس مما أحس من غليان
من حريق بمهجتي يتلظى ... وبعيني من ناره جمرتان
جمرة تحمل السهاد وأخرى ... نافست باللظى ندى الهتان
وعجيب أن يشعل البرد نارا ... وقدها زاد لاعج الحران
وإذا ما ذكرت: يا ليت لا ترحل.. ... وطافت بي الرؤى في المغاني
وببرد الرضا تمد رواقاً ... مخمليَّ الشكول والألوان
وعلى رفرف من الشوق خفاقـ ... ـي يناجي بأيكة غصن بان
فإذا باللقاء يحلو مع البـ ... ـعد بدنياً يجوبها «غردان»[1]

وواضح أنه يختتم هذه الصور الرائعة لغربته وأشواقه باستخدام الرمز إلى أصوات الأذان في الحرمين الشريفين في كلمة «غردان» بكيفية تحقيق «اللقاء» الروحي على «البعد» الذي يحقق «برد الرضا» لإطفاء «حريق مهجته»، الذي يلتهب في «برد» الغربة، رغم جمال الطبيعة التي وصفها وقال إنها تشبه «رواقاً» جميل الأشكال والألوان بما عليه من زهور وورود جميلة، تلهب فيه لواعج الشوق إلى وطنه، الذي هو «هدى الحيران» كما وصفه في بداية قصيدته.

---

(١) «مجموعة الخضراء»، شعر طاهر زمخشري، ص٤٤٧، مطبوعات تهامة، جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

ومن الصور التي تتردد كثيراً في شعر طاهر زمخشري صورة نفسه المحملة بالهموم، وقدرته على السيطرة عليها بإيمانه، فهو يجعل من آلامه وشقائه معبراً إلى آماله وسعادته، وهذه فكرة تتردد في معظم قصائده ومنها قصيدة «غبار السنين»، التي قال فيها:

في غبار السنين فوق المآقي ... كل ما قد جنيت من إخفاقي
والمتاهات في دروبي ترامت ... وأنا فوقها أجرجر ساقي
لا عثاراً فمن جميل اصطباري ... واحتمال الجراح أكبر واقي
لا ينال الإعياء مني، ولا يوهـ ... ـن عزمي، ولا يحد انطلاقي
في أهابي الإيمان ألقى بـ ... ـه الخطب، سلاحي مكارم الأخلاق
والمنى بالرضا تنير سبيلي ... كيف أخشى مغبة الإنزلاق؟
وحداة السرى مكارم أخلاقي، وإن ... السماح خير رفاقي
ومن الحب أترع الكأس صفواً ... من ينابيع ثرة الإغداق
فهي تعطي الهوى العفيف ضماداً ... لجراح آلامها في سباق
فإذا ناحت الجراح بصدري ... باح رجع الصدى من الآماق

* * *

في غبار السنين فوق المآقي ... ذوب قلب ينوح مما يلاقي
ضاق من زحمة الشجون فأكدى ... وارتمى بين لوعة واحتراق
ويعاني الذي يعاني ويأبى ... أن يقول: العذاب غير مطاق
فسعير الجوى يذيب الحنايا ... ويواري بين الجفون البواقي
وابتسام الرضا يهدهد حسي ... والرضا بالعذاب حلو المذاق
فالعيون التي توصوص بالسحـ ... ـر ترينني مصارع العشاق
وبريق الرجاء من طرفها السـ ... ـاجي يبث الضياء في الآفاق
فإذا بي إلى معارج آمالـ ... ـي أجوب الآماد بالأشواق

وبجنبيَّ للمواجع إعصار عنيـ ـف الإرعاد والإبراق
وأنا بالمنى ألملم أتراحي، وأشدو لفرحتي بالتلاقي[1]

فالأستاذ طاهر زمخشري يرتفع بصبره وإيمانه، وبنفسه الصافية فوق عذابه وآلامه، ويصنع من خيوط الألم نسيج الرضا والسعادة لنفسه التي لا تستسلم لليأس أبداً، بل يرتفع بها فوق كل أهوال العذاب التي واجهها فهو في كل أشواقه ينتظر لقاء المنى ويمد لها حبل الرجاء كما يقول:

أنا بالشوق في انتظار اللقاء وإليه أمد حبل الرجاء[2]

فهو، مهما ادلهمت الحياة من حوله، وتكالبت عليه الخطوب ثابت الجأش كما يقول:

يا شراعي الزفاف ضقت بدائي كيف لا يرجع الوجيب ندائي؟!
كيف تفنى على المواجع نفس كان في صبرها الجميل عزائي؟
ما شكوت الشجا وما ضقت حتى بالتباريح مزقت أحشائي
هي كانت على الخطوب سنادي وبإيمائها شهرت إبائي
فقطعت الحياة شوطاً فشوطاً ثابت الجأش دائم الإسراء[3]

وطاهر زمخشري في شعره العاطفي يتفنن في براعة فائقة في التقاط الصور الجميلة وتجسيدها، كي تتحول إلى مشاهد مرئية، فهو في قصيدة من روائعه يصور فاتنة أجمل تصوير فيقول بعنوان «ثوبها»:

من أصيل مورد الأضواء نسج الحسن ثوب ذات البهاء

---

(١) «مجموعة الخضراء»، ص٤٤٨، ٤٤٩.

(٢) «مجموعة الخضراء»، ص٤٥١.

(٣) «مجموعة الخضراء»، ص٤٥١.

خطرت، يعبث الفتون بعطفيها، ويمشي بها على استحياء
غادة، في حديثها روعة السحـ ـر، وفي عينها نمير الضياء
وعلى الثغر نجمة تنشر النـ ـور حديثاً يشع بالأصداء
وعلى الخد وردة تنشر العطـ ـر ابتساماً يفيض بالأنداء

* * *

وعلى طرفها تهادت رؤى الحسـ ـن تناغي عواطفي بالنداء
يوم أن أسفرت وأهدابها تسـ ـكب النور بروحي ومهجتي ودمائي
والترانيم في اللواحظ إغراء، وتسبي القلوب بالإغراء
قلت: أغلى المنى وصالك، قالـ ـت: إن أحلى الهوى انتظار اللقاء
لاقتطاف الثمار من فرحة اللقيـ ـا بفيء الرضا، وظل الصفاء[1]

إن (بابا طاهر) الأستاذ طاهر عبد الرحمن زمخشري إنسان نبيل يفيض قلبه بحب الناس والسعي لخيرهم مهما لقي منهم من صد وغرور وتنكر وإيذاء، فإنه يقابلهم بالحب الصافي، فهو «في دروب الحياة» يمهد لشعره بقوله: «إلى كل من أترعت له الكأس حباً ويحاول أن يجرعني العلقم»، ثم يبوح بشعره قائلاً:

إن عشت أشرب من فقاقيع الدم ويدق جبار التناحر أعظمي
لا أشتكي إلا عظيم تجلدي للنائبات وقد برتها أسهمي
ولقد نثرت من الحياة ربيعها لم لا أجود بهيكلي المتحطم
وأعود أضحك للأسى متحدياً هول الخطوب بنشوة المتبسم
فلقد برمت بما يكبل عزمتي ورنين أصفاد الشقاء الملجم

* * *

(١) «مجموعة الخضراء»، ص٥٦.

وإذا الضغائن كشرت عن نابها — فلت مضاربها مخالب ضيغم
يسقى مودته قساة عداته — ليذيقهم طعم السماح المنعم
فإذا الفريسة كل فدم منهم — عبس العداء بوجهه المتجهم
لبس النقائص والنقائض بردة — ومشى يدب بها دبيب الأرقم[1]

و«بابا طاهر» أستاذ أجيال يدين له كثير من العلماء وأساتذة الجامعات، والوزراء والكبراء بفضل توجيهه لهم أطفالاً وفتياناً.

وطاهر زمخشري له شعبية كبيرة من خلال شعره الغنائي الذي تغنى به مشاهير المغنين والمغنيات في جميع أقطار العالم العربي.

وطاهر زمخشري الذي أحب وطنه، خفق قلبه للأحداث الكبرى وقضايا التحرير التي مر بها الوطن العربي والإسلامي الكبير، فله في قضية فلسطين ديوان شعر كامل أسماه «من الخيام» وله عشرات القصائد في كل قضايا النضال الشريف والتحرير، والقضايا الإجتماعية والإنسانية العادلة، فهو إنسان نبيل يخفق قلبه بحب الإنسان ويدافع عن قضاياه العادلة.

إن الأستاذ طاهر عبد الرحمن زمخشري «بابا طاهر» الشاعر والناثر والفنان الإنسان علم من أبرز أعلام الأدب العربي الحديث، رحمه الله فقد ظل يشدو بأعذب الألحان في شعره الرقيق، الذي أجاد نظمه في قوالبه القديمة، والحرة.

وطاهر زمخشري كتب القصة، والمقالة، والبحث، ولكنه حلق بصفة خاصة في شعره الجميل الذي تفرغ له في أواخر حياته التي كانت حافلة بالعطاء رحمه الله.

---

(١) «مجموعة الخضراء»، ص٥٨.

ومن الأدباء الرواد الأوائل من أبناء نجد الأستاذ:

عبد الكريم بن جهيمان[1]:

وقد ولد في بلدة (غسلة) بالوشم بنجد سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، ونشأ هناك في أحضان والدته (رحمها الله) في بيت أخواله، والتحق بمدرسة (غسلة) فحفظ بها القرآن الكريم في عام واحد، ثم رحل إلى الرياض ملتحقاً بوالده عبد العزيز (رحمه الله)، فتلقى هناك علوم الدين واللغة على بعض المشائخ، ثم سافر إلى مكة، فكان واحداً من أوائل أبناء نجد الذين التحقوا بالمعهد العلمي السعودي الذي تأسس آنذاك في مكة المكرمة، وتخرج منه سنة ١٣٥١هـ، فالتحق بوظيفة كتابية في محكمة (تربة)، ثم تركها وعاد إلى مكة فاشتغل فيها بالتدريس، ثم تركها إلى (الخرج) التي أصبح مديراً لمدرستها، ثم اختير ليكون مديراً لمدرسة أنجال الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (رحمه الله) ثم ترك التعليم والتحق بوظائف حكومية عدة، إلى أن أحيل على التقاعد في سنة ١٣٨٦هـ.

واشتغل الأستاذ عبد الكريم بن جهيمان بالصحافة، وكان رائداً فيها فهو مؤسس أولى صحف المنطقة الشرقية، وهي جريدة (أخبار الظهران)، كما ساهم بكتاباته الأدبية، والإجتماعية، والسياسية في معظم الصحف السعودية.

وعبد الكريم بن جهيمان أديب فذ، شاعر، وناثر، ولكنه مقل في

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «شعراء نجد المعاصرون» جمع وترتيب عبد الله بن ادريس، ص١٦٩، وفي كتاب «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٢١٧، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب» ج١، ص٥٢، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٢٥، ولكن مكان مولده ذكر هناك على أنه «القراين».

شعره، وهو في كل كتاباته يعبر عن حبه لبلاده وإخلاصه الوطني، وحماسه لنهضة البلاد ورقي أبنائها. وقد عبر عن اتجاهاته هذه في مؤلفات كثيرة، مثل: «دخان ولهب»، و«أين الطريق»، و«آراء فرد من الشعب». . وكذلك في عشرات المقالات التي كتبها بحماس وطني صادق.

وعبد الكريم بن جهيمان في حماسه الوطني، وحبه لبلاده، عكف على جمع التراث الأدبي الشعبي ودراسته دراسة علمية وافية تجلو الغموض وتربط أجيال الخلف بتراث السلف في وعي أدبي سليم. فقد جمع «أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب»، و«الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب»، كما ألّف من وحي التراث الأدبي الشعبي «عشرين حلقة من قصص الأدب المصورة»، وهو في هذا «ابن بلد» يشبه أحمد السباعي وأحمد قنديل، في تجسيد التراث الأدبي الشعبي، ويتمم حلقاته المتواصلة في نجد والحجاز.

ولكن ابن جهيمان مع محافظته على جوهر الحكايات أو الأساطير الشعبية التي جمعها، لم يقدمها في لغة (سواليف)، الناس في العامية الدارجة، بل أعاد صياغتها في العربية الفصحى «ليفهمها القارىء العربي في كل قطر من أقطار العروبة ما عدا بعض الأناشيد أو الحكم المسجوعة»[1]. التي أبقاها على حالها، على اعتبار أنها تفهم من السياق العام للحكاية، ثم أورد تفسيراً معجمياً للمفردات العامية في جدول في نهاية كل مجلد. وهو بذلك قدم خدمة علمية جليلة لدارسي اللغة والأدب والإجتماع في ريادة فذة لم يسبق إليها في هذه البلاد.

(١) كتاب «أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب»، بقلم عبد الكريم الجهيمان، ج١، ص١٢.

وابن جهيمان جمع شعره في ديوان مخطوط بعنوان «خفقات قلب»[1]، ولسان ابن جهيمان يلهج في شعره وفي نثره بحب بلاده، والإيمان بحقها في الرقي والنهوض، فهو يقول في شعره:

يا بلادي سئمت من كل شيء | غير ذكراك، إنها في لساني
ففؤادي إليك يخفق شوقاً | وعيوني إلى رباك رَوانِ
وأرى حبك المبرح يزدا | د إلى أن غدا من الإيمان
فاسلمي وانهضي وعيشي بعز | في مغاني العلا ونعم المغاني

والأستاذ عبد الكريم بن جهيمان يميل في شعره إلى تسجيل خلاصة تجاربه في الحياة، وما تعلمه منها من حكمة، فهو يرى أن «الحياة مسرح» كما قال في إحدى قصائده التي قال فيها:

وكم رجل سما فوق الثريا | ونال بها المنى: مالاً وجاها
تملكها، فتاه بها وأرغى | وأزبد، ثم أدركه تواها
فراح وخلف الآثار تبقى | لدى الأحداث تبكي من بناها

* * *

وما تلك الحياة سوى مجال | يمثل فيه أهلوها قواها
وما تلك الحياة سوى صراع | يفوز به على الهزلي فتاها
فكل دوره فيها يؤدي | ويمضي قاصداً داراً سواها
ويخلفه على التمثيل قوم | يعيدون الذي منه تناها

* * *

فمنهم من يمثل دور أفعى | بها لين ويحوي السم فاها

---

(١) كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٥٢.

ومنهم من يمثل دور ليث قوي البطش خواضاً وغاها
ومنهم من يمثل دور قرد يقلد كل بادرة يراها
ومنهم من به سمة الكراكي غباء، ليس يعلم ما طحاها
ومنهم من تشبه بالثعالي لدى زوغانها أو في دهاها
وفيهم من به طمع الحرلي إذا الثمرات أبصرها جناها
ومنهم من يمثل دور جد ومنهم من روايته سفاها
ويمضي العمر أشبه ما نراه بغفوة نائم لما غفاها
وليس يعاد للإنسان دهر إذا صفحاته يوماً طواها
ولا يغني إذا الآجال حلت خرافات العجائز أو رقاها[1]

واختتم ابن جهيمان شعر الحكمة هذا في قصيدة «الحياة مسرح» بموقف إيماني واضح، فقال:

فيا نفس الشريف البر مرحى لك الأنوار في ظلمي صواها
ويا نفس المسف هوى وجهلا ستلقيك المرة في لهاها
فعند الله تجتمع البرايا وتنكشف السرائر عن طلاها
ويلقى الصالحون علاً وأجرا وأما الظالمون ففي لظاها[2]

ومن أدباء ذلك الجيل من أبناء نجد الأستاذ:

حمد بن إبراهيم الحقيل[3]:

وقد ولد بمدينة (المجمعة) في سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م وتلقى هناك

(١) كتاب «شعراء نجد المعاصرون»، جمع وإصدار عبد الله بن ادريس، ص١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

(٢) كتاب «شعراء نجد المعاصرون»، جمع وإصدار عبد الله بن ادريس، ص١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

(٣) وردت ترجمته في كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٦٧.

مبادىء القراءة والكتابة، ثم سافر طلباً للعلم، متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف والاحساء، ثم عاد إلى المجمعة فأخذ علوم الدين واللغة العربية على عالمين من علمائها الأجلاء هما: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمهما الله.

التحق الشيخ حمد الحقيل بالعمل الوظيفي، إماماً في بلدته، ثم إماماً ومرشداً للجيش العربي السعودي الذي شارك في حرب فلسطين في سنة ١٩٤٨م، ثم اشتغل بالقضاء في عدة مدن في المملكة.

وحمد الحقيل أديب اهتم بالدراسة التاريخية وتحقيق الأنساب وله مؤلفات في هذا المجال بعضها طبع ونشر.

أما شعره فهو على النهج التقليدي المتوارث ومعظم موضوعاته في الإخوانيات، ومنه قوله مخاطباً بعض إخوانه:

إذا جهز الأحباب جيشاً من الجفا	بنينا من الصبر الجميل حصونا
وإن أرسلوا خيل الصدود مغيرة	جعلنا لهم خيل السلام كمينا
وإن جردوا أسياف بين وفرقة	صبرنا على أحكامهم ورضينا
ولو قاطعونا ما سلتهم قلوبنا	لأنا نرى حفظ المودة دينا[1]

ويتضح من هذه الأبيات المعدودة مدى تأثير اتصال الشيخ حمد الحقيل بالجيش وعمله في خدمته على تفكيره، فكأن علاقته بالآخرين لا تستقيم إلا بما تستقيم به الحياة العسكرية، فمصطلحات التعبير العسكري

---

(١) كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٧٠.

تطغى على أبيات الشعر، بل وتفوق في عددها عدد هذه الأبيات الأربعة، فهو يقحمهم فيها «تجهيز الجيش»، و«بناء الحصون»، و«الخيل المغيرة»، و«خيل السلام»، و«الكمين»، و«السيوف المجردة». . يقحم كل هذه المصطلحات العسكرية في أربعة أبيات يتحدث فيها عن العلاقة الأخوانية، فيجعل الوصل والقطيعة فيها، كلقاء المعارك الحربية.

أما في جنوب المملكة فإن من أدباء ذلك الجيل هناك الأستاذ:

محمد بن أحمد عيسى العقيلي[1]:

وقد ولد في صبيا بمنطقة جازان في سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، وهناك نشأ، فتلقى تعليمه على عدد من العلماء الأجلاء، ثم عكف على دراسة اللغة وعلومها وأدبها، فقرأ كثيراً من كتب الأدب، وأحب الشعر ونظمه.

والتحق محمد أحمد العقيلي بسلك الوظائف الحكومية فتقلب في مناصب عدة، كلها في منطقة جازان.

ويتميز محمد أحمد العقيلي باهتمامه بتاريخ منطقته وتراثها الأدبي، وتراث جنوب بلاد العرب بصفة عامة. فقد ألّف كتاباً جامعاً في تاريخ المنطقة هو كتاب «المخلاف السليماني، أو الجنوب في التاريخ»، كما حقق كتاباً من كتب التراث الأدبي لمنطقته هو «ديوان القاسم بن علي ابن

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨١٠، كما وردت بصورة غير وافية في بعض كتبه المطبوعة مثل كتاب «من أدب جنوب الجزيرة».

هتيمل» ثم ألّف كتاباً عن التصوف في تهامة، ثم كتاب «ديوان السلطانين من شعراء القرن السادس الهجري»، وجمع التراث الأدبي الشعري بلهجة منطقته وأصدره مع دراسة عنه في كتاب «الأدب الشعبي في الجنوب»، وأصدر معجماً لتلك اللهجة. فهو بمؤلفاته الكثيرة، ودراساته، رائد من أبرز رواد الدراسة الأدبية والتأليف الجاد في جنوب المملكة، فهو مؤرخ ومحقق متمكن واسع الإطلاع، «وابن بلد» مخلص، يتمم مع أحمد السباعي، وأحمد قنديل، وعبد الكريم الجهيمان حلقات تواصل التراث الأدبي في مناطق المملكة.

ومحمد أحمد العقيلي أديب عالم، تنعكس صرامته العلمية على شعره الجاد، والذي كان فيه أيضاً «ابن بلد» شديد الإخلاص لمنطقته التي تغنى بها، وافتخر بخدمة تراثها، فقال:

(جازان) إنني من هواك لشاك	فتنصتي لهزارك وفتاك
واصغي إلى همسات قلب طامح	متوثب الإلهام والإدراك
مشبوب أرجاء الشغاف يلوح من	خلل الأضالع كالسراح الذاكي
ثملاً بآمال الشباب وإن غدا	متفطراً من صبوة وعراك

ثم قال مخاطباً جازان متغنياً بجمالها الطبيعي في رقة شعرية:

ولقد نظرت إليك نظرة شاعر	سامي الخيال مدله بهواك
يرعى شواطئك الجميلة هاتفاً	ومغرداً بجمالها وصباك
يجلو المساء على بحارك فتنة	رقت لها الأمواج تحت ضياك
وهجا من الشفق المذهب قد جرى	تبراً يشع على سماء فضاك[1]

---

(١) مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨١٢.

ومن الأدباء الأوائل الذين أسهموا في تسجيل تاريخ الجزء الشرقي من المملكة في الاحساء، الشيخ:

محمد بن عبد الله آل عبد القادر[1]:

وقد ولد ببلدة المبرز بالاحساء سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، وبها نشأ، وفيها تلقى تعليمه على علمائها، ثم تولى قضاء المبرز بالاحساء مدة طويلة وهناك وافته المنية في سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م رحمه الله.

وهو عالم فقيه، مارس نظم الشعر على الطريقة التقليدية القديمة، ولكنه سجل تاريخ الاحساء في كتاب مطبوع ألّفه في جزئين بعنوان: «تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد»، وشعره كله في الإخوانيات والمداعبات والوصف، ومنه في «وصف وردة» قال:

رعى اللّـه أيام الربيـع فإنـها ... بإبراز حسن الورد تم جميلها
كأن محياه بها خد غادة ... يقبله بالرغم منها خليلها
فيا عاشقاً للحسن كن فيه محسنا ... وبهجته الحسناء احذر تزيلها[2]

ومن أوائل أدباء هذه البلاد الذين اشتغلوا بالصحافة الأستاذ:

فؤاد شاكر[3]:

وقد ولد بمكة في سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه

(١) كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٧٨، ١٧٩.
(٢) كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٧٨، ١٧٩.
(٣) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٣٦، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٣٦، وفي بعض كتبه.

في المدرسة الرشدية، وفي المسجد الحرام على يد والده الشيخ اسماعيل شاكر، رحمهما الله، وعلى يد غيره من علماء الحرم المكي. ثم سافر إلى القاهرة بمصر لمواصلة دراسته هناك، وفيها أصدر صحيفة باسم «الحرم» بعد أن تدرب على العمل الصحفي في جريدة «كوكب الشرق» بالقاهرة.

وبعد أن عاد فؤاد شاكر إلى مكة تولى تحرير جريدة «أم القرى» الرسمية فترة، كما تولى تحرير جريدة «صوت الحجاز» بمكة ثم اختاره الملك عبد العزيز (رحمه الله) ليكون رئيساً لتشريفاته الملكية. وبعد أن انتقلت جريدة «البلاد السعودية» إلى جدة تولى رئاسة تحريرها الأستاذ فؤاد شاكر (رحمه الله) فترة طويلة، وتوفي سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

وفؤاد شاكر ناثر وشاعر، وله مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة، مثل الرحلات، والموضوعات الإسلامية، كما كتب (رحمه الله) عشرات المقالات وله ديوان شعر مطبوع بعنوان «وحي الفؤاد» حمل كثيراً من القصائد التي نظمها في مناسبات سياسية ووطنية، وهو في شعره من المحافظين والمدافعين عن نظام الشعر الموروث، فهو في إحدى قصائده قال يرد على دعاة التجديد في الشعر:

أولئك من ظنوا القديم خرافة ... ومن زعموا التهريج فناً مجددا

ولا وزر للشيء القديم لأنه ... قديم، ولا الشيء الجديد بلا صدى

كمن يرسل القول الهجان وهمه ... إشاعة هذا الفحش في الناس سرمدا

فمن قائل إن القريض تقطعت ... به سبل الفصحى فأضحى مقيدا

فقد نسي القوم الأباة تراثهم ... وهيهات أن ننسى التراث المخلدا

فكم نصل الشعر المبين فواصلا ... من القول ما أزري الحسام المهندا[1]

---

(١) مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٣٧، ٨٣٨.

وكان فؤاد شاكر في تمسكه بالشعر المحافظ يحرص على أن يضمن شعره ما يحفظه من شعر الأقدمين، فهو في القصيدة التي دافع فيها عن القديم ضمن من شعر المتنبي نصف بيت بكامله في قوله:

«خليلي مالي أرى غير شاعر» شدا في أماليد الرياض بما شدا[1]

فصدر هذا البيت في شعر فؤاد شاكر هو صدر بيت لأبي الطيب المتنبي في قوله:

خليلي مالي أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد[2]

كما ضمن فؤاد شاكر شعره بيتاً للبحتري وغيره من قدامى الشعراء، فهو (رحمه الله) شاعر محافظ، وحافظ للتراث الشعري القديم، وكان حريصاً على إظهار مقدرته على الحفظ في نظمه. ولكنه كان يضفي على جريدة «البلاد السعودية» من روحه الأدبية، وكان يفسح صدر صفحاتها لكتابات الأدباء وشعرهم.

أما أشهر من تولى رئاسة تحرير جريدة (البلاد السعودية) في أزهى عصورها وعنفوان شبابها، فهو الأستاذ:

عبد الله عريف[3]:

وهو من مواليد مكة المكرمة في سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م وتلقى

---

(١) مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٣٧، ٨٣٨.
(٢) «شرح ديوان المتنبي»، المجلد الأول، ج١، ص٩٤، دار الكتاب العربي، بيروت.
(٣) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨١٨، وفي كتاب «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص١٥٩، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٩٧.

تعليمه في مدرسة الفلاح بمكة وتخرج منها، ثم ابتعث إلى مصر لمواصلة دراسته الجامعية فالتحق بكلية دار العلوم بالقاهرة. وبعد عودته توظف في جريدة (أم القرى) لفترة قصيرة، ثم انتقل إلى وزارة المالية، ثم رأس تحرير جريدة «البلاد السعودية» في أزهى فترات صدورها وحيويتها. ثم تركها وأصبح فيما بعد أميناً للعاصمة في مكة المكرمة وظل بها إلى أن وافته المنية في سنة ١٣٩٦هـ (رحمه الله) وهو أول من أدخل أساليب التطوير الحديث في شوارع مكة وتنظيمها العمراني بهمة وحزم وإخلاص.

وعبد الله عريف تميز بكتابة الملاحظات الصحفية القصيرة والمؤثرة في النقد والتوجيه للإصلاح الإجتماعي العام تحت عنوان «همسة».

وهو شاعر ولكن انهماكه في العمل الصحفي والخدمة العامة لم يتح لشاعريته فرص النضج الكامل والمتابعة.

كذلك كانت للأستاذ عبد الله عريف في شبابه ملاحظات أدبية نقدية وجدلية واعية، مثل جدله مع حمزة شحاته (رحمهما الله)، حول مفاهيم الجمال، والذي بدأ بتعقيب عبد الله عريف على فقرة وردت في محاضرة ألقاها حمزة شحاته في الموسم الثقافي لجمعية الإسعاف الخيري بمكة، عن «الرجولة» وقال فيها شحاته: «إن إدمان النظرة إلى صورة جميلة يفقدها شيئاً من تأثيرها، فإذا تجدد إليها النظر وارتوى الحس فقدت مقدرتها على التأثير، وإنك لتلقى المنظر يلقاك بألف معنى أول ما تلقاه، فما تزال نفسك دائبة في تحليل معانيه حتى تنتهي بها إلى الإصفاء والإفلاس»[١].

---

(١) «الرجولة عماد الخلق الفاضل»، الكتاب العربي السعودي رقم ٢٧، ص٢٥.

وقد أثارت هذه الفكرة شعوراً بمعارضتها عند عبد الله عريف فكتب يناقشها ويعرض وجهة نظره في رفضها، في جدال طال واشترك فيه أدباء آخرون، وبدأ عريف نقاشه بمقال نشره في جريدة «صوت الحجاز» بعنوان «ضريبة الإعجاب»، قال فيه: «إنما يكون الإصفاء والإفلاس عندما تفقد الصورة الجميلة جمالها، فقداناً ذاتياً يسلبها جمالها، لا فقداناً شعورياً يحسه الناظر إلى تلك الصورة. وأحسب أن أساس هذه النظرة التي قعَّد لها الأستاذ (شحاته) هذه القاعدة، إنما هي الصورة الجميلة في الإنسان، وما فقد الجمال الإنساني ـ في الإنسان الواحد ـ تأثيره إلا لأنه لم يعد جمالاً يملأ النفس، ويروي الحس المنهوم، فقد أصيب بالفقدان الذاتي السالب، ولو ضمن لنفسه الإستدامة، لظل أثره قوياً فعالاً.

لنستعرض الآن ألواناً من الصور الفكرية والطبيعية واللغوية، لنرى هل إدمان النظر فيها واستحالة ما فيها إلى دمائنا يذيب أثرها في النفوس، ويدفع بها إلى الإصفاء والإفلاس؟ هذه رقعة السماء ـ وهي صورة رائعة بسيطة من صنع الله ـ لا تزا تجذب النفوس إليها، مهما أدمن الناظر النظر ودقق الفهم، فهي، هي هي، لا تزال جميلة فاتنة وإن قويت النفوس واستشرت فلن ينال الصورة إصفاء أو إفلاس. وهذه الحقوق لا تزال النفس الإنسانية مأخوذة بها، بل لا تزال مسرة النفس وفرحتها»[1].

وعبد الله عريف (رحمه الله) هو أبرز صحفي في جيله، ولكنه في شعره لا يرقى إلى تلك المكانة التي بلغها في الصحافة. وهو وطني غيور

---

(١) مقال «ضريبة الإعجاب» في جريدة «صوت الحجاز»، عدد ٤٤٧، في ١٣٥٩/١/١٠هـ ـ ١٩٤٠/٢/١٨م.

على بلاده أفنى عمره في خدمتها بكل إخلاص، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

ومن أدباء ذلك الجيل الذين شاركوا في تحرير أولى الصحف في جريدة «أم القرى» وفي جريدة «صوت الحجاز»، ثم بالكتابة في جريدة «البلاد السعودية»، الأستاذ:

حسين عرب[1]:

وهو من مواليد مكة المكرمة في سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وبها نشأ، وفيها تلقى تعليمه في المعهد العلمي السعودي بمكة، وبعد تخرجه منه بدأ حياته العملية بوظيفة محرر في جريدة «صوت الحجاز»، ثم في جريدة «أم القرى»، ثم انتقل إلى ديوان نائب الملك في الحجاز، ثم إلى وزارة الداخلية، وتدرج في الوظائف الحكومية، إلى أن اختير ليكون أول وزير للحج والأوقاف في المملكة، ثم استقال بعد سنتين من توليه الوزارة، متفرغاً للأدب.

وحسين عرب شاعر مجيد، ظهرت شاعريته الفذة منذ أن كان طالباً في المعهد العلمي، بل وتفوق على من سبقوه من الشعراء في مسابقتين في الداخل، ومسابقة ثالثة نظمتها إذاعة لندن العربية، في تلك الفترة، وكانت قصائده هي الفائزة فيها.

كما راسل حسين عرب المجلات العربية الراقية، ونشرت له في

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٤٠، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٩٣، ٩٤، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٥٩١، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٩٢. وصدرت المجموعة الكاملة لشعره في جزئين سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م بمكة.

شبابه مقالات قوية، مثل مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها في القاهرة أحمد حسن الزيات.

وحسين عرب محاضر ومتحدث لبق، حاضر في بعض المحافل والأندية، في موضوعات شتى، أظهر فيها سعة اطلاعه وعمق ثقافته، وتمكنه من البحث الجاد.

وحسين عرب في شعره واضح العبارة سلس الأسلوب في إشراقة تجمع بين أصالة الماضي والإنفتاح على الحاضر، وهو في شعره الوجداني «رومانسي» النزعة، وله رأي في الشعر، قال فيه: «الشعر هو سراوة الشعور وعمقه وتأثيره في النفوس المتجاوبة - سالبة أو موجبة - ونصاعة الديباجة، وهو بعد ذلك كله: عمق المعنى، وصفاء البصيرة، ونقاء البصر، وروعة التعبير، وموسيقى الآداء، وهندسة البناء، وترف اللغة، وتفاعل النفس الشاعرة مع جوها الخاص، ومع أجواء الأحداث العامة.

والشعر قبل كل ذلك موهبة خاصة تصقلها وتربيها التجربة والثقافة وسعة الإطلاع»[1]، ومن شعر حسين عرب الوجداني، في نزعته (الرومانسية) قوله في «أشجان الليل»:

سهران، قد لعب الهوى بصوابه ... وقف الكرى ثملاً على أهدابه
نشوان، والأحلام نبعة كأسه ... وروافد الذكرى، معين شرابه
يرعى النجوم، كأنما كلفت بها ... عيناه، أو كانت مناط طلابه
وكأنما النجوى تصافح قلبه ... وتهيم بين شغافه، وشعابه
دنيا من الأمل اللذيذ تجسمت ... ألماحه، وخبا بريق سرابه

---

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٩٥.

يا ليل حسبك من غواية شاعر ذهبت أمانيه بومض شبابه
حيران، كالطيف الغريب تزاورت عنه العيون، وظل نهج مآبه
دنياه آثمة عليه، وفنه وزر لديه، فيا لهول مصابه
نجواه، نجوى الوالهين، وداؤه من قلبه، ينثال بين أهابه[1]

وفي هذا الإطار (الرومانسي)، الذي يناجي فيه حسين عرب ليله بتوجع وألم، ويبثه شكواه من البشر، وتعسر حظ النابهين، وتناقض الأحوال، ومعبراً عن غربة روحية، يسير على نهج الرومانسيين في شكواهم ولجوئهم لليل، وهو في قصيدته هذه الطويلة، يشبه إلى حد كبير الشاعر حمزة شحاته، حتى في القافية والروي، في مناجاة الليل في قصيدة «يا ليل» أو «الليل الشاعر»، التي سبقت الإشارة إليها أثناء الحديث عن حمزة شحاته. والشكوى لليل، ومناجاته موضوع نظم فيه كل الشعراء الأوائل، أمثال محمد سرور الصبان، ومحمد عمر عرب، ومحمد حسن عواد، ولكن حسين عرب أجاد بصفة خاصة في قصيدته هذه تصوير تناقض الحظوظ في الحياة، فقال:

يا ليل، ما الآمال، ما وهم الحجى ما العالم الممطول في أحقابه
ضل السراة به السبيل، وأدهم طول المسير، فأرقلوا بنهابه
الجائعون، تمرغت بتراثهم واستأسدت في الغاب سعر كلابه
والظامئون، قد استبد بمائهم في المهمه المجهول، شهب ذئابه
شربوا، إذا شربوا القذى وتوسدوا ظهر الأديم، وعفروا بترابه
تتراكض الأطماع فوق رقابهم ركض المعربد صال فوق ركابه
أخنى عليهم بالمذلة عارم تتجسم الأوزار بين ثيابه

---

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٩٥.

جاست مراعيه الذئاب، وأوغلت | بحماه، واحتكمت على أبوابه
فأباحها المرهوب من غاياته | وأنالها المرغوب من أسبابه
يا ليل، ما الأقمار فيك تألقت | بضيائها المرفض من محرابه؟
في الأرض أقمار خبت أضواؤها | لما تعجلها الدجى بإيابه
العبقرية ويحها، ما ضرها | لو آمنت بالزيف من أربابه
لاذت بأكناف الضمير فأترعت | من بؤسه، وتجرعت من صابه
فقضت كما يقضي الطريد حياته | شراً يفيض عليه من أوصابه
حسب الأباة النابهين من الحجى | ما نالهم من شؤمه وعذابه
هان المعلم، واستكان بعلمه | وعفا الأديب بفنه وكتابه
واختال بالشعر الدعي بزيفه | متكسباً بمديحه وسبابه
وبكى المهند في يد مغلولة | لم تمتهر في فتكه وضرابه
وشكا اليراع أناملاً عبثت به | فتنكبت بالحق عن أصحابه
منعت كريم الفعل بعض رجائه | وحبت لئيم الأصل كل رغابه
واستكبرت بعلوها وعتوها | في جرأة المخمور غير الآبه
يلهو بها عقل أشل تشابهت | غاياته في غير ما متشابه
وكأنه بفعاله وخصاله | إبليس رائده إلى آرابه[1]

وفي المقطع الأخير من قصيدة التأملات الطويلة هذه، التي ناجى فيها الليل، وقف حسين عرب، كأي رومانسي أصيل، موقف الحيران أمام سر الحياة ولغزها المحير، وما يمكن أن يكون خلف أستار الغموض وحجب الظلام.. فقال:

يا ليل هل خلف الظلام أشعة | وهاجة للمستنير النابه

(١) «الموسوعة الأدبية»، ص٩٦.

هل للكواكب في ذراك عوالم ... مستورة بالبعد خلف حجابه
هل للفضاء جوانب مجهولة ... لم يكتشفها العلم رغم غلابه
هل للحوادث من ظلامك عيلم ... مسترسل في مده وعبابه
هل للعقول من الحوادث عبرة ... تهدي الضليل وترعوي بصوابه
هل للحظوظ إلى الضمير وسيلة ... أم ضللت خطواتها عن بابه
هل للسعادة في الحياة روافد ... أم أنها وهم على طلابه
هل للظلام نهاية معلومة ... ينجاب عنها الصبح بعد غيابه؟
لغز، يظل على الوجود محيراً ... وسؤاله ما يلتقي بجوابه[1]

وواضح في هذا الشعر التأملي أن «الليل» فيه هو الرمز الرومانسي لغموض الحياة، وأنه ملجأ الشاعر في غربته الروحية.

وحسين عرب، هو ابن مكة البار، وعاش فيها مخلصاً لها، وذكرها في معظم شعره، ومنه قوله في قصيدة بعنوان «موكب النور»:

أوبي يا جبال مكة للذكرى جلالا، وكبري للعيد
واذكري كيف أشرق النور من غار بعيد، في الأفق غير بعيد
وأطلي على حمى الكعبة الغراء، إطلالة الرفيق الودود
وانظري للوفود من كل فج قد تلاقت كريمة بالوفود
نهلت من روافد الحرم الآمن، من منهل الندى والجود
وأفاضت به إلى الشرق والغرب نميراً معطراً بالورود[2]

وحسين عرب شاعر فنان رقيق له شعر يفيض عاطفة صادقة، إلى

---

(١) «الموسوعة الأدبية»، ص ٩٦، ٩٧.

(٢) «الموسوعة الأدبية»، ص ٩٦، ٩٧.

جانب شعر التأملات، والشعر الوطني، والشعر الديني، وشعر الحوار، والأناشيد.

والأستاذ حسين عرب كاتب مقالة بارع، ولكنه مقل، وفي كتاباته لمحات من ذكاء وعمق وثقافة واسعة.

ومن أدباء ذلك الجيل الذين برزوا في كتابة المقالة الصحفية الأستاذ:

محمد عمر توفيق[1]:

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م ونشأ في المدينة المنورة، فتلقى بها تعليمه بمدرسة العلوم الشرعية، وبعد تخرجه التحق بالعمل الوظيفي مدرساً في المدينة المنورة، ثم انتقل إلى مكة، فعمل في مطبعة الحكومة و«أم القرى»، ثم تنقَّل بعد ذلك في وظائف عدة، إلى أن أصبح رئيساً للمكتب الخاص، فالعام لنائب الملك بمكة، ثم ترك العمل الوظيفي، وتفرغ للأعمال الحرة، والإشتغال بالصحافة، فأصبح مديراً لمكتب جريدة (البلاد) بمكة. ثم اختير ليكون وزيراً للمواصلات، كما أسندت إليه وزارة الحج والأوقاف بالنيابة لفترة طويلة، ثم ترك الوزارة وتفرغ لحياته الخاصة.

وفي يوم ٣٠/١١/١٤١٤هـ غادر الحياة رحمه الله بعد صراع مرير مع المرض.

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «ذكريات مسافر»، ص الغلاف الأخير (ط٢) كما وردت في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٨٤ غير أن سنة مولده ذكرت هناك على أنها سنة ١٣٣٨هـ.

وأثناء اشتغاله بالصحافة، كان يكتب ملاحظات قصيرة بعنوان «ذكرى» تناول فيها أمور الحياة بأسلوب جذاب، فكانت له شعبية كبيرة عند جمهور القراء، على جميع مستوياتهم.

ومحمد عمر توفيق يتمتع بذكاء كبير وثقافة واسعة ظهرت في كتاباته ومناقشاته الأدبية، فقد اشترك في الجدل الذي طال حول (فلسفة الجمال) بين حمزة شحاته وعبد الله عريف (رحمهما الله) والذي اشترك فيه أيضاً أحمد عبد الغفور عطار، وكان ذلك بعد أن ألقى حمزة شحاته محاضرته الشهيرة في الموسم الثقافي لجمعية الإسعاف الخيري بمكة، والتي سبقت الإشارة إليها أثناء الحديث عن حمزة شحاته، وعن عبد الله عريف.

والأستاذ محمد عمر توفيق قام برحلات كثيرة طاف فيها بأقطار كثيرة في العالم، وكتب عنها بأسلوب شيق جذاب، ونشر أخبار رحلاته في كثير من الصحف والمجلات. وقد جمع كثيراً من ذكرياته في رحلاته التي سبق أن نشرت في الصحف، وأعاد إصدارها في كتاب، صدر في سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م وكان الكتاب الثاني في سلسلة الكتاب العربي السعودي، عن مؤسسة تهامة بجدة، وعنوانه «من ذكريات مسافر» وهي ذكريات سجلها بأسلوب انطباعي، فيه رقة الشعر، وتمازج الخيال بالواقع المفاجىء الذي يثيره في الرحلات، وبصفة خاصة في ذكرياته عن ألمانيا التي أعجبته في طبيعتها الجميلة، وفي نظام أهلها وخلقهم وجدهم وكفاحهم.

فقد أعجب محد عمر توفيق بجمال الطبيعة في بلاد الألمان فوصفها بكلام جميل، يشبه الشعر في رقته، فكتب عنها في قطعة أدبية رائعة يقول:

رأيت حلماً كهذا من قبل.

تصورت الشجر، والقمر، والكوخ، والسحاب، وخرير الماء، وزقزقة العصافير.

وبقية الحلم الذي تصورته يوماً.. وأغمضت عيني لأعيش فيه!

لم أكن أتوقع أن يتحقق الخيال، وكأننا على ميعاد!

لقد وجدته هنا.. في ألمانيا، وخيل إليَّ أنه في انتظاري بالأحضان، وبلا حساب في دنيا الهوى والعناق.. ووجدته أتفه من الحقيقة. فقد كنت أحلم بكوخ، وبإطار محدد للكوخ.. في واد لم يسرف في تصوره الخيال.

ثم.. منذ أن أظلتنا سماء ألمانيا، وأقلتنا أرضها، لم نعد نرى السماء والأرض إلا كالخيال.

السحاب فوقنا.. والبساط الأخضر يكسو الأرض كلها، عدا العمران وخطوط الأسفلت.

تصوروا الجبال.. كلها خضراء.. كل ما حولنا، وكل ما نحن فيه أخضر.. وأزرق.. وأحمر.. وأصفر.. إلى آخر غرائب الشعر في الألوان.. والزهور.. مد النظر.

تصوروا عالماً عجيباً يهيم في لوحة خضراء لا أول لها ولا آخر لها.. قد تناثرت فيها المدن والقرى على نحو لا يكاد يذكر في ذلك البساط الأخضر العظيم.

لقد بدا أي كوخ هنا أرق وأحلى من أي كوخ تصورته في حلمي القديم.

صدقوا أنه أوحشني وبعض الزملاء التراب.. ثم لم نجده إلا قليلاً في أطراف بعض القرى والأرياف.

لقد وددت أن أعيش في عالم كهذا. . ملؤه الله. . والحب»[1].

لقد أثارت طبيعة ألمانيا الجميلة أحاسيس الفنان المبدع في نفس محمد عمر توفيق فتفنن في وصفها بكلام قد يفوق الشعر في رقته وعذوبته، فقد وصف رحلة برية قام بها بالقطار من مدينة «ميونيخ» في جنوب ألمانيا إلى مدينة «فيزبادن» في طريقه إلى «بون» شمالاً، فكتب في وصف مشاهداته من القطار قائلاً:

«ركبنا القطار من «ميونيخ» في وقت مبكر أظنه قبل مشرق الشمس، فأنا لا أدري كيف ومتى تشرق أو تغرب على وجه التحديد في ألمانيا.

إنها غالباً وراء المطر والسحاب.

وفي مثل هذا الجو الهتون كانت رحلتنا على القطار.

كل ما حولنا يفوق أحلام الشعراء. . والحقول تترامى مد النظر. . والجبال كلها خضراء. . وغرائب الشكل، والألوان في الشجر والزهر، والبيوت الريفية التي تبدو كأعشاش الغرام. . وأنهر الماء تتعرج بين الزرع والشجر الباسق الطويل.

وخطوط القطارات والسيارات في اليمين والشمال. . لا تكاد تفتر الحركة فيها، بين المدن والقرى التي يجتازها القطار.

ودخان المصانع يعج فيها بمعنى الحياة وضمانها لذلك الشعر،

---

(١) «من ذكريات مسافر»، تأليف محمد عمر توفيق، ص١١٠.

وألوان من الخلق. . والناس. . كبدائع الفل والزهور. . وكأنهم في فراغ لا هم لهم إلا الحياة. . والحب. . في أحضان ذلك الشعر[1] الخلاب.

حتى الأبقار التي تهيم بين الحقول، وأسراب الطيور. . يبدو عليها شيء كالحب، والإستغراق في عالم سعيد صورته يد الله، ورعته يد الإنسان.

إنه عالم أكبر من الخيال.

قال أحدهم يوماً: إن الشجر يبدو كأنما يزاحم بعضه بعضاً لتشق كل شجرة طريقها في هذا البساط الأخضر العجيب.

وقال الآخر: أخشى أن تكون هذه هي الجنة. .

قلت: ربما كان هذا مثالاً تافهاً لها على الأرض.

وأغمضت عيني وأنا أتصور الجنة. .

وكان القطار قد وصل «فيزبادن» في هذه الأثناء.

وإذا هي حلم كسائر الأحلام في بلاد الألمان»[2].

لقد برع محمد عمر توفيق كثيراً وأجاد في تجسيد جمال الطبيعة الفاتنة في صور أدبية فنية صاغها بعناية فائقة، وربط فيها بين خياله وما رآه، فكان وصفه لرحلاته من أجمل القطع الأدبية الرائعة في الأدب العربي الحديث، حتى في وصف الناس ونشاطهم وحركتهم في جدهم

---

(١) استعمل محمد عمر توفيق كلمة «شعر» بمعنى «جمال» و«جميل» في وصفه للطبيعة، في كل كتاباته.

(٢) «من ذكريات مسافر»، ص ١١٥، ١١٦.

واجتهادهم، مثل وصفه لجد الألمان الذين لم يناموا في أحضان طبيعة بلادهم الجميلة، بل هم في عمل دائب وحركة لا تهدأ، كما كتب عنهم معجباً بنشاطهم وجدهم، وسط تلك الطبيعة الخلابة، التي لم تسلمهم للدعة والأحلام، بل زادوها جمالاً بالعمل والإجتهاد والإبتكار، فقال عنهم:

«كل شيء هناك يجري في بلاد الألمان.

الرجل.. والمرأة.. والعجوز.. والولد.. والسيارة.. والترام.. كل شيء في حالة ركض سريع.

لم أر أحداً يتسكع في الشوارع إلا في أيام العطلة أو في أوقات الفراغ.

حتى الفراغ يمتصونه إلى آخر قطرة..

والفراغ ليس هو إلا ما بعد، أو قبل أوقات العمل.. وهو فراغ قليل لا يساعد على «الصرمحة»! إذ يبدأ العمل من الساعة السابعة بتوقيتهم صباحاً ثم يستمر إلى آخر النهار، فيما عدا عطلة للغداء، أحسبها لا تزيد عن نحو ساعة.

ويتناولون غداءهم بمعدل تافه، ليس كالذي تعودناه هنا، لنغط في نومة الظهر!

وفيما عدا ذلك لا عاطل أو فارغ هناك.

أبواب العمل مفتوحة لا تقفل أبداً في وجه أي قادر على العمل بأنواعه أياً كان جنسه وبلده، فإن العمل عندهم يتطلب المزيد من الأيدي العاملة كل يوم.

ومن لا يستطيع العمل والإنتاج لا وجود له بينهم.. حتى ليبدو كأن كلاً منهم يهيؤ نفسه للعمل في كل مجال.

لقد أحسنوا استغلال أوقاتهم.. وحقق لهم ذلك أحسن النتائج..

إنهم اليوم في مقدمة الشعوب!»[1].

لقد أعجب محمد عمر توفيق بنشاط الألمان وقدرتهم العجيبة على العمل. وامتصاص هزيمة الحرب وتحويلها إلى انتصار في بناء بلادهم التي جعلوها في أقل من خمسة عشر عاماً واحدة من أكثر بلدان العالم المتحضر تقدماً ورقياً، بعد أن دمرت تماماً ـ تقريباً ـ في حربين عظميين قد أثار هذا شعور الإعجاب بهم في نفس محمد عمر توفيق فكتب عنهم يقول:

«لم ينته كلامي عن ألمانيا.. وربما مل بعض القراء أي كلام عن العالم الخارجي.. لا سيما إذا طال، أو قد يتصور الإسراف بعضهم، أو المبالغة والإطراء في شيء من هذا الكلام..

والحق أن ما في نفسي لم يفرغ بعد..

ولقد قضيت في بلاد الألمان أياماً قد تعد على الأصابع، إلا أنني رأيت قسماً وافراً من مدنها الهامة في تلك الأيام!

ومن المعلوم إجمالاً أن الحرب قد دمرت هذه المدن وسواها تدميراً لا تقل نسبته عن نحو ٦٠ أو ٧٠ في المائة من مجموع بلاد الألمان.

كان هذا في سنة ١٩٤٥م.

وقصة الشقاء الذي كان يعانيه الألمان بعد الهزيمة قصة مريرة، لم يبق في الناس من يجهلها ـ كما أظن ـ.

(١) «من ذكريات مسافر»، ص ١١٣، ١١٤.

ثم مضت خمسة عشر عاماً، فقط، وهي مدة مضت مثلها على كثير من الشعوب في الشرق.. والغرب.. إلا أنها لم تنهض كما نهض شعب الألمان في هذه الأثناء!

أنشأوا المدن التي كانت أنقاضها تحت الدمار، فإذا هي اليوم نسق رائع في العمران والتخطيط، لا تكاد تتميز به مدينة عن سواها.. حتى القرية تبدو بنفس النسق والنظام.

وأنشأوا صناعتهم بعقل بارع، كأنه يتحدى الهزيمة ويسخر منها.. ويروون عن «ارهارد» ـ بطلهم الإقتصادي ـ أنه قال: ربما كانت الحرب من حسن حظنا، فقد أتاحت لنا أن نستبدل مصانعنا القديمة بطراز متفوق حديث!

وهذا حق، برغم التيه والكبرياء فيه.

فمؤسساتهم الصناعية، ويبلغ عددها في إحصائهم (٩١,٠٠٠) مؤسسة تزاحم اليوم[1] مؤسسات العالم، وتتفوق على معظمها في الإنتاج!

كما يبلغ عدد أسطولهم التجاري (٢٥٠٠) سفينة[2] إلى آخر الإحصائيات التي رفعت مستوى الإقتصاد عندهم إلى مكان التفوق بلا شك في العالم.

والذين كانوا في عقابيل الهزيمة الدامية قبل خمسة عشر عاماً، أصبحوا يقرضون اليوم بريطانيا.. وفرنسا.. بمنتهى السخاء.. ويمدون يد التعويضات والمساعدات لليهود باسم الإنسانية!

---

(١) و (٢) كانت تلك أرقام إحصائيات سجلت في سنة ١٩٦٠م، وهي سنة زيارة محمد عمر توفيق لألمانيا، وقد ارتفعت تلك الأرقام بعد ذلك وزادت كثيراً.

ويبدو مستوى المعيشة لديهم أقرب إلى البذخ والترف.. حتى الذين هم من الطبقة العاملة أو المتوسطة يتمتعون بنفس المستوى على قدر الحال والمقام.

إن هذا يتحدث عن الخلق والكفاح في هذا الشعب العجيب.. وللكلام بقايا.. فلا تظنوني أسرفت أو بالغت إن وسعني الكلام»[1].

إن الأستاذ محمد عمر توفيق الذي كتب المقالة والقصة، وألّف كتاباً في نقد كتاب لطه حسين، (رحمه الله) تفوق بصفة خاصة في أدب الرحلات فمقدرة محمد عمر توفيق على الملاحظة والتسجيل والوصف، وإثارة الخيال واستفزاز الهمم، تجعله واحداً من أبرز من كتبوا في أدب الرحلات.. فقد كانت كتاباته قطعاً أدبية من التصوير الفني البديع، في لغة قد تفوق لغة الشعر في رقتها وجمالها، جسد فيها مشاهداته، حتى كادت تتحرك على الورق، وهذه مقدرة عظيمة في فن كتابة مشاهدات الرحلات، كما ضمن تلك القطع الأدبية الجميلة أمنياته، بصورة غير مباشرة، وفي مهارة فائقة، رفعت من القيمة الأدبية لمذكراته، التي تعتبر، بحق من أجمل وأهم ما كتب في هذا الجنس الأدبي، الذي تفوق فيه الأستاذ محمد عمر توفيق، رحمه الله.

ومن أدباء ذلك الجيل من أبناء مكة الشاعر الأستاذ:

سراج خراز[2]:

ولد بمكة سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م، وتلقى تعليمه في مدارسها،

---

(١) «من ذكريات مسافر»، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) وردت ترجمته في ديوان «غناء وشجن»، الكتاب رقم ٢٢ في سلسلة المكتبة الصغيرة، ص الغلاف الأخير، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٢١، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٢٠٨.

وتخرج من المعهد العلمي السعودي بها، ثم التحق بالوظائف الحكومية، ثم اتجه إلى سلك التعليم، مدرساً، ومعاوناً لمدير المعهد العلمي السعودي، ثم لمدير مدرسة تحضير البعثات (العزيزية الثانوية) بمكة التي أصبح مديرها فترة من الزمن، ثم انتقل إلى التفتيش المركزي للتعليم بمكة.

والأستاذ سراج خراز أستاذ أجيال، وهو أديب متمكن، كانت له صولات وجولات على منابر الخطابة والشعر في شبابه، إلا أنه آثر البعد عن الأضواء واعتزال الحياة العامة بعد ذلك.

وهو شاعر مجيد، تغلب عليه سمات (الرومانسية) في: الحزن، والشكوى، والشعور بمرارة الحياة تارة وتفاهة كثير من الأحياء تارة أخرى. وقد جمع شعره، ونشره له صديقه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي وأصدره في سلسلة المكتبة الصغيرة برقم (٢٢) في سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م وحمل شعره في ديوانه هذا عنوان «غناء وشجن»، وقد فسر فيه سر صمته وعزوفه عن نظم الشعر، في رده على عتاب صديقه الناشر، فقال سراج خراز:

أين من يمنح البلابل سمعيه، ويهتز للقوافي الحسان؟
نحن في عالم جفا الطبع منه، وتوارت معالم الإنسان
وخبت فيه ومضة الروح، واندكت مع الحق صيحة الوجدان
خانق الجو، فالنفوس تلظى، فيه ما بين مارج ودخان
وجد الأغبياء في ظله مأوى، وضاعت مواهب الفنان
عالم الجاه والثراء، فما يحفل إلا بالأصفر الرنان
افنشدو؟ وأين من رنة الدينار في مسمعيه وقع المثاني
كل لحن - ما لم تكنه - هراء، أحكمت دون سمعه الأذنان

أبدنيا الثراء، دنيا الصواريخ، ودنيا الصراع في كل فان
يصدح الشعر بالنشيد، ويعلو بين ذاك الضجيج صوت البيان؟
شعرنا كالصدى يعيد على القائل - لا غيره - حديث اللسان
فوفاء له السكوت، ففيه، صونه من مذلة، وامتهان
ولي العذر إن صمت، كما ارتاح إلى الصمت شاعر الأغصان[1]

إنه يعبر عن خيبة أمله، وعن شعوره بفقدان الذوق الرفيع عند كثير من الناس، وضياع الصدق الفني، وهو يحترم فنه، ويقدس شرف الكلمة، ولهذا فإنه يؤثر الصمت في دنيا مليئة بالغش والخداع. وهو في هذا يشبه غيره من الشعراء الرومانسيين، ذوي النفوس الصافية، والأحاسيس المرهفة، الذين يصيبهم زيف الحياة وخداع الأحياء بخيبة أمل وإحباط، يعبرون عنهما بشعر حزين، ثم بالصمت والفرار من دنيا الواقع المرير إلى عالم رومانسي حالم بالرؤى الخاصة.

والأستاذ سراج خراز شاعر فنان يعرف كيف يلتقط الصورة ويجسدها في شعره، في براعة، مثل قوله في قصيدة بعنوان «أمام الماء والزهرة»:

وقفت تجيل الطرف معجبة بالماء منحدراً على الصخر
ووقفت أعجب إنما عجبي بالحسن في أجزائها يجري
قالت ترى للماء؟ قلت: أرى، لا بل أراني عنه لا أدري
أنا منك في شُغُلٍ فإن صُرِفتْ عيناي عنه فإن لي عذري

* * *

ومضت إلى حيث الغصون زهت   أوراقها وتفتح الزهر

---

(١) «غناء وشجن»، ص ٧٩ - ٨٠.

تخذت لها في الروض متكئاً ... ويقربها قد كان لي وكر
فكأنما هي فيه أغنية ... عذراء ضن بمثلها الدهر
سبح الخيال بها وبي فغفت ... أفواهنا واستيقظ الفكر
وهناك لاح لناظري غرد ... في الدوح راح بحبه يشدو
ريع الفؤاد له ومن عجب ... غرد يراع لشدوه غرد
يا طير ويحك هل كلفت بها ... مثلي فشاب لحونك الوجد
رمت الفرار من الأنام بها ... فإذا الطيور وراءنا تعدو!

* * *

في الصدر شعر ظل محتبساً ... الحب حاك رؤاه والغزل
لكن صمتي عنه قافية ... رقت كأن لحونها قبل
همست بها روحي مرنمة ... فالروض من همساتها ثمل
أوحت بها حسناء ميزها ... بين الحسان حديثها الغزل[1]

والشاعر سراج خرازيميل إلى نظام المقطوعات متعددة القوافي، التي تساعده على تقديم صوره الفنية الرائعة، رحمه الله.

ومن أدباء ذلك الجيل من أبناء المدينة المنورة، الأستاذ:

عبد الرحمن رفه[2]:

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٢١هـ/ ١٩١٤م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه بمدارسها، ثم عمل بالتجارة، والتحق بعد ذلك بالعمل في

---

(١) «غناء وشجن»، ص ٧٢ ـ ٨٤.

(٢) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٨٢، وفي كتاب «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٢، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٢٦، وفي ديوان «جداول وينابيع»، ص الغلاف الأخير.

وظائف الدولة وتدرج بها إلى أن أصبح مديراً لفرع وزارة الإعلام بالمدينة المنورة، ثم ترك الوظيفة وتفرغ للأدب في حياته الخاصة.

وعبد الرحمن رفه أديب نشط، شاعر وناثر، كتب في معظم الصحف السعودية، وشارك في مناسبات أدبية، وأمسيات شعرية كثيرة في الأندية الأدبية والمهرجانات فهو عضو مؤسس في نادي «الوادي المبارك» ثم في «النادي الأدبي» بالمدينة. أما شعره فإنه يحافظ فيه على الأساليب المتوارثة ويضمنها أموراً حديثة. وهو يضمن شعره آراءه في الحياة والأحياء. وتجاربه وخواطره، ويتحدث فيه عن ميوله، وعن فهمه للشعر، الذي قال فيه:

الشعر ينبوع الحياة، وإنه	لتجارب منها السنا يشرب
ورؤى يطاردها لاخيال مغذة	لينال منها ما يعز ويرغب
لا يشتكي طول السرى وسهاده	قد خدرته نوازع تستقطب
يرنو إلى الآفاق وهي بعيدة	وإذا استثير فكل شيء يقرب![1]

وقد صدر للأستاذ عبد الرحمن سليمان رفه ديوان جمع شعره بعنوان «جداول وينابيع» في سلسلة «من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي» في سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وكتب مقدمته رئيس النادي آنذاك الأستاذ عبد العزيز الربيع (رحمه الله).

وعبد الرحمن رفه عبر في شعره عن تناقض الحظوظ في الحياة فقال:

دنيا تضيق على الكريم وإنها	لعلى اللئيم فسيحة الأرجاء

---

(١) «جداول وينابيع»، ص ١٩.

كم في سماها قد علا ذو خسة　　وأخو الاباء على أذل ثواء[1]

وتغنى عبد الرحمن رفه في شعره بالمدينة، أو طيبة، التي ولد فيها، ونشأ بها، وظل وفياً لها. . وفيها قال:

نفحات طيبة وهي أطيب نفحة　　هبت فصرت بطيبها نشوانا
أشدو كما تشدو الطيور على الربا　　وأصوغ من لحن السنا ألحانا
منها وفيها قد نشأت متيما　　حراً أبياً لا يطيق هوانا[2]

ومن أدباء ذلك الجيل من أبناء المدينة المنورة، أيضاً الأستاذ:

حسن صيرفي[3]:

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه في مدارسها، وتعلم اللغة الإنجليزية، وعمل مع والده (رحمه الله) في الصيرفة، وصياغة الجواهر والأحجار الكريمة والذهب والمعادن النفيسة، فقد كان والده مصطفى (رحمه الله)، شيخاً لصيارفة المدينة المنورة وصاغتها. وقد دفعته مهنة الصياغة إلى التعلق بفنون «الميكانيكا» والكهرباء، التي مارسها بالتدريب على أيدي خبراء. ثم أسس جمعية خاصة للفنون. والتحق حسن صيرفي بالعمل الوظيفي متنقلاً بين دوائر عدة.

أما هواياته الأدبية فقد ظهرت ميوله فيها منذ عهد مبكر في حياته،

---

(١) «جداول وينابيع»، ص ١٠٣.
(٢) «جداول وينابيع»، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٣) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٨٥٦، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٣٥، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٦٥.

وهو من أوائل من نظموا الشعر الفكاهي ونشروه في الصحف في الأدب السعودي، وكان يوقعه بتوقيع «أشعب» تارة، وبتوقيع «مجنون» و«فاضي» و«طفران» و«قيس» تارات أخرى. كما كان يوقع بلقب (العقبى) في بعض الأحيان وهوَ اللقب الأصلي لأسرته. وله أكثر من ديوان شعر مطبوع.

وحسن صيرفي شاعر فنان في شعره الفكاهي المرح ونقداته الإجتماعية التي ضمنها ذلك الشعر بصورة غير مباشرة.

والأستاذ حسن صيرفي له شعر ديني، وشعر وطني، وله شعر تأملات في الذات والحياة يبدو فيه رومانسي النزعة في تساؤلاته، على طريقة ايليا أبي ماضي في المهجر.. ومنه قوله:

ونحن من نحن ما بالنا	نذوب أسى في لعاب القلم
تسيل على الطرس آلامنا	نصور أشباحه للأمم
وتسبح في الأفق أحلامنا	تدف إلى عبقري النغم
ونصدح حتى يهب النيا	م، ويمشون في الركب نحو القمم
وما الشعر إلا حسيس المغـ	ـن ولؤلؤ أصداف هذا الخضم[1]

وناجى حسن صيرفي الليل، رمز الغموض عند الرومانسيين، فقال:

يا ليل هل بيت أمراً	أين الصباح مضى وفرا
يا ليل من أغراك بي	حتى كأنك نلت أجرا
أتلفتني رفقاً أأنت	نذرت بي للبؤس نذرا

(١) مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٥٧، و«شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٦٥-١٦٦.

أيـن الـمـفـر وقـد أحـطـت علـى مـن لأواك بـحـرا
نـز الأسـى مـن قـلـبـي الـمـكـبـو ل فـي الأصـفـاد أسـرا
وتـسـربـت نـفـسـي مـع الـدمـع الـذي قـد سـال نـهـرا
وتـهـاطـلـت نـقـم الـحـيـاة تـخـصـنـي صـوبـاً وقـطـرا
يـا لـيـل عـسـفـك لا يـطـاق وإنـنـي بـالـعـطـف أحـرا
أرعـى نـجـومـك سـارحـاً أقـتـات طـعـم الـمـوت صـبـرا[(١)]

ويستخدم حسن صيرفي كلمات عامية في شعره الفصيح، مازجاً الجد بالهزل، والصرامة بالفكاهة.. فيقول مثلاً:

مـاذا جـنـيـت كـذا (تـمـرمـر) (عـيـشـتـي) يـا لـيـل صـبـرا
خـدي عـلـى كـفـي وحـيـنـا بـالـيـديـن أدق صـدرا
فـأعـد (مـرتـبـتـي وأطـفـىء لـمـبـتـي) وأكـن نـزرا[(٢)]

وهكذا يمزج حسن صيرفي المرح بالجد في شعره، الذي يشبه فيه، إلى حد ما، أحمد قنديل (رحمه الله).

ومن أدباء ذلك الجيل، من أبناء مدينة جدة، الشاعر الأستاذ:

محمد إبراهيم جدع[(٣)]:

وقد ولد بمدينة جدة في سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٣م، وبها نشأ، فتلقى

---

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٣٨.
(٢) «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٣٨.
(٣) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٦٢، و«شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٤٥، وفي «المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع»، الكتاب رقم ١٦ في سلسلة كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، ص الغلاف الأخير، جدة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

تعليمه في المدرسة السعودية بجدة التي تخرج منها سنة ١٣٤٨هـ، وتابع تحصيله العلمي الذاتي بالقراءة والإطلاع. والتحق بالعمل في سلك الوظائف الحكومية، وتدرج بها، إلى أن وافته المنية بجدة في سنة ١٣٩٨هـ (رحمه الله)، قبل صدور ديوان له بعنوان «أهازيج» عن نادي الطائف الأدبي، وكان ذلك آخر ديوان قدمه هو شخصياً في حياته للطبع والنشر، فصدر بعد وفاته (رحمه الله).

ومحمد إبراهيم جدع (رحمه الله)، نظم الشعر في قوالبه المتوارثة، ونظم شعراً خارجاً على قوانين البحور المألوفة، كما نظم الشعر المنثور. وشعره كله واضح العبارة في سهولة ويسر، وأكثر شعره في تأملاته، وبوح نفسه، وفي حديثه عن جدة، موطنه، وعن البحر رفيق حياته في جدة، وفيها قال بعنوان «جدة - عروس البحر الأحمر»:

والبحر مؤتلق الجوانب بالضياء
في بهجة تسمو بأجواء الفضاء
في شطه الأنوار تسطع في سناء
والماء أمواج ترامت بالبهاء

* * *

والشط يبدو كالرضاب من الثغور
قد قبلته طلائع الموج المثير
فكأنه الحسناء تخطر في بكور
عشقت جمال البحر في حسن الزهور

* * *

هو قطعة بالفن تسخو والسمر
قد عانقت أمواجه حسناً خطر

وأراك يـا أمـواج لـم تـبـغ الـمـقـر
صـد وإقـبـال وحـب فـي خـطـر

❋ ❋ ❋

هـو زيـنـة بـعـثـت بـأسـمـي مـبـتـكـر
عـشـقـت جـمـال الـبـحـر فـي ضـوء الـقـمـر
مـدت يـد الإغـراء تـسـمـو بـالـفـكـر
فـكـأن (جـدة) قـد تـنـاهـت فـي الـنـظـر[1]

إن الشاعر محمد إبراهيم جدع (رحمه الله)، هو شاعر جدة، والبحر بحق، فقد وصفه في أحوال صفائه، وغضبه، وفي كل لحظة من لحظات الليل والنهار، في الشمس ووهجها، وفي الغيوم وظلها.. فشعره في البحر وأحواله من أجمل ما نظم، ومنه وصفه للبحر في ظل الغيوم الراحلة وما يعقبها من صفاء في قصيدة «بسمة البحر» التي قال فيها:

مـنـظـر الـبـحـر والـغـيـوم تـولـى ... فـي صـفـاء عـلـى جـبـيـن الـسـمـاء
مثل حلو تكشف الثوب عنه ... فـتـعـرى عـن الـغـطـاء والـرداء
وتـبـدي بـحـسـنـه الـمـتـعـري ... فـي دلال يـتـيـه فـي خـيـلاء
وإذا الـلـيـل مـقـبـل فـي هـدوء ... بـازدهـار الـنـجـوم عـنـد الـسـمـاء
فـرحـة الـنـفـس فـي وجـود تـسـامـى ... زاهـي الـحـسـن فـي عـظـيـم بـهـاء[2]

ومحمد إبراهيم جدع (رحمه الله)، كان في وصفه الدقيق للبحر في جميع أحواله، يستخلص منه الحكمة للناس في حياتهم.. فهو في

(١) «المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع»، ص ٧١٤-٧١٥.
(٢) «المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع»، ص ٤٩١.

قصيدة «غضبة البحر» أجاد في وصف لحظة هيجان البحر، وفي المقارنة بينها وبين لحظة الغضب في الإنسان، وميز بين الكريم الذي يثور ثم يهدأ ويسامح. واللئيم الذي يغضب ويقسو فيحقد.. وهذه مقدرة فنية عظيمة في الوصف، والمقارنة، والتحليل.. وقد بدأ محمد إبراهيم جدع بوصف لحظة هيجان البحر فقال:

غضبة البحر والظلام مقيم — وغيوم تلف وجه الفضاء
وصدى الريح بين موج ترامى — صاخب الصوت في رهيب مساء
وصخور يمزق الصمت فيها — صرخة الموج في عراك الهواء
تحسب الغيم هابطاً في صراع — يطلق الرعد صاعقاً بالفضاء
صور تفزع النفوس وتوحي — إن هذا الوجود رهن الصفاء

* * *

غضبة البحر والعواصف تسقى — واندفاع الظلام أثر الضياء
وارتطام المياه شدا ودفعا — كنزال يجر شر بلاء
وهدير البحور والفلك تجري — وغيوم تسد وجه السماء
تحسب البحر بالسماء تلاقى — فترى الجو ظلمة كفناء
منظر يجعل النفوس حيارى — وكأن الحياة رهن الشقاء[1]

لقد جسد محمد إبراهيم جدع لحظة هيجان البحر في هذه الصورة الشعرية الفنية المتكاملة تجسيداً دقيقاً تكاد ترى فيه أمواج البحر العالية وهي تضرب في الصخور، وتتقاذف الفلك، وتكاد تسمع أصوات تلك الضربات مختلطة بزمجرة الرياح وصفيرها، في مساء رهيب، حالك الظلمة.

---

(١) «المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع»، ص ٧٩٤-٧٩٦.

وبعد هذه الصورة المحكمة التي التقطها من البحر في لحظة هيجانه بمهارة الفنان المبدع، أخذ محمد إبراهيم جدع يسخّر هذه الصورة لخدمة غرض مثالي في استخلاص الحكمة من الطبيعة، وتوجيهها لإصلاح النفوس وحثها على الخير بطريقة تلقائية غير مباشرة.. فقال:

غير أن البحور تقسو وتصفو ... وترد الأمان بعد عداء
غضبة البحر صورة من شجاع ... ثار حيناً وعاد صوب صفاء
لا يرى الحقد مذهباً مستديما ... كل من كان في ذرى الكبرياء
هكذا البحر ثورة وصفاء ... واضطراب وهدأة في رجاء
وأنيس إذا استقر بحسن ... وصديق بصحبة الأصدقاء
ايه يا بحر أنت تبرز لونا ... من مثال الحياة للعظماء
ليس يقسو العظيم ما عاش عمرا ... إنما البطش حيلة الأغبياء
فابق يا بحر هادئاً في صفاء ... وتجاوز لما ترى من شقاء
لا تثر لقسوة من لئام ... في نزاع ونقمة وبلاء
ويثور الحليم فاصبر عليهم ... إذ يشوب الجهول عن إغواء
وإذا ضقت بالنزاع لديهم ... وعزمت اقتلاع كل بناء
فتلطف ولا ترم غير نوع ... قد أذاق النفوس شر البلاء
ايه يا بحر أنت رمز بقاء ... وخلود لرفعة وعلاء[1]

وللأستاذ محمد إبراهيم جدع شعر كثير في التأمل، وبوح النفس وحديث الوجدان، وفي موضوعات إسلامية وعربية وطنية، وقد نظم مسرحية طويلة عن أحداث الهجرة، وله شعر في موضوعات وطنية

---

(١) «المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع»، ص ٧٩٥-٧٩٦.

واجتماعية، وقد جمع شعره بجميع دواوينه ابنه عبد الإله وقدمه للنادي الأدبي الثقافي في جدة الذي أصدره في مجموعة كاملة في سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ومن أدباء ذلك الجيل من (جازان) الأديب الأستاذ:

محمد زارع عقيل(١):

واسمه الكامل هو محمد زارع بن عقيل بن عيسى بن علي العمري الجازاني.

ولد في مدينة جازان في سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه بمدارسها، في حلقات الدرس عند عالم مدينة جازان الشيخ عقيل بن أحمد (رحمه الله)، ثم التحق بالعمل في الوظائف الحكومية، وتقلب في عدة وظائف في دوائر جازان.

وهو من أوائل كتاب القصة في الجنوب. وبصفة خاصة القصة التاريخية، والرواية، التي كان يستلهم موضوعاتها من التاريخ العربي الإسلامي المشرق، وله رواية طويلة عنوانها «أمير الحب» استلهم أحداثها من التاريخ، ونشرها أولاً في حلقات في مجلة «المنهل» في سنة ١٣٨٥هـ، ثم جمعها وأصدرها في كتاب، كتب مقدمته الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) وصدرت عن دار الأصفهاني بجدة، كما صدرت له قبلها عن دار الهلال العربي في سنة ١٣٨٠هـ قصة إجتماعية هادفة بعنوان «ليلة في الظلام»، وأصدر كذلك مجموعة قصص قصيرة بعنوان «الوفاء».

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٥٣، وفي كتاب «أمير الحب»، ص الغلاف الأخير.

وكتب محمد زارع عقيل في تاريخ تهامة، وفي لهجاتها، وفي نقد القصة.

والأستاذ محمد زارع عقيل كان عضواً في النادي الأدبي الأول في جازان، قبل تأسيس النوادي الحديثة وقد وصف الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله)، قصة «ليلة في الظلام» لمحمد زارع عقيل بقوله إنها: «مع ما فيها من عناصر القصة الحديثة القوية، والحبكات الفنية اللامعة، والعقد التي يهيم في أوديتها القارىء مبدئياً حتى يصل إلى الحلول المرضية الرائعة، كانت هذه القصة مع كل ذلك تعبر عن حياة منطقة جازان.. وتصور جو هذه المنطقة وحده تصويراً فنياً جذاباً بما فيه من عادات وأناسي وتقاليد»(١).

أما عن قصة، أو رواية «أمير الحب» فقال الأنصاري أنها: «خطوة جديدة في مزاولة أدبائنا لفن القصص.. وصهر للتاريخ العربي الإسلامي الخالد في بوتقة الفن القصصي الحديث، بكل ما يحويه هذا الفن من عقد وحلول وتشويق وانفعالات، وعواطف وخلجات نفسية مليئة بالآلام والأتراح، آنا، ومفعمة بالبهجة والإنشراح حيناً آخر»(٢) و«أمير الحب» هي قصة حب تدور في عصر بني أمية، وتتجسد فيها أخبار الصراع بين بيت أمية وبيت مروان وانتقال السلطة من البيت الأول للثاني، في حوار شيق وحبكة فنية محكمة، وفي تسلسل يدور حول شخصيات معينة، لا يخرجها الإستطراد التاريخي عن إطار الفن القصصي الروائي الممتع، والذي يمكن أن يتحول بسهولة إلى عمل مسرحي حركي «درامي» كامل النضج من الناحيتين الفنية والموضوعية.

---

(١) «أمير الحب»، المقدمة بقلم عبد القدوس الأنصاري، ص ٨، ٩.

(٢) «أمير الحب»، المقدمة بقلم عبد القدوس الأنصاري، ص ٨، ٩.

والأستاذ محمد زارع عقيل هو أحد أبرز كتاب مجلة (المنهل).

ومن أقدم كتّاب مجلة (المنهل) في عهد تأسيسها الأول، الأستاذ:

عبيد مدني[(١)]:

وهو من مواليد المدينة المنورة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وبها نشأ، فتلقى تعليمه بمدارسها حتى وصل إلى المدرسة الراقية الهاشمية، وتوفي والده وهو دون الخامسة عشرة، فتركه مع أخيه أمين عند أخوالهما، رحمهم الله أجمعين، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٣٩٦هـ.

اشترك الأستاذ عبيد مدني، مع صديقه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، رحمهما الله، في تأسيس النادي الأدبي الأول في المدينة المنورة. وكان عضواً فعالاً في عدة مجالس وهيئات وطنية عليا، كما رأس عدة لجان أخرى بفعالية وإخلاص، وهو ناثر وشاعر، ولكنه في شعره حافظ على كل ما هو موروث وسار عليه، وله شعر في الحكمة صاغه في مثنيات منه قوله:

لو كان للإنسان بعد وفاته ... صلة بما يجري عليه ذكره
لرأى عجائب قد تثير شكوكه ... في نفسه من أنها هي غيره[(٢)]

وقال في صداقة الكتاب:

قنعت من السعادة بالكتاب ... وعفت مباذل الدنيا الكذاب
وجدت به من اللذات ما لم ... أجده في الأماني العذاب

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٧٤٣، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص١٩٤، وفي «شعر العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٨٧.

(٢) «شعراء جزيرة العرب في العصر الحديث»، ج١، ص ٢٨٨، ٢٨٩.

ثم قال:

وإن سامرته والليل داج	تبلج عن منورة الشهاب
ويوجز تارة ويفيض أخرى	مجيداً في اندفاع واقتضاب[1]

ومن أدباء ذلك الجيل الذين شاركوا في الحياة العامة بهمة وإخلاص الأستاذ:

علي حسن فدعق[2]:

ولد بمدينة جدة في سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، ونشأ بمكة، فتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح التي تخرج منها، ثم ابتعث إلى العراق، ثم إلى القاهرة، وسافر إلى حضر موت، وعمل بها مدرساً، وشارك في تأسيس مدرسة الفلاح هناك، وعاد إلى مكة والتحق بوظائف عدة، كان آخرها رئيس بلدية جدة. وهو شاعر وناثر، ولكنه تميز بكتابة المقالات الأدبية في الصحف، وله رحلات إلى الشرق والغرب، سجل ذكرياته عنها في كتابين.

وأما آخر من تولي رئاسة تحرير جريدة (البلاد) من أدباء هذا الجيل، فهو الأستاذ:

عبد المجيد شبكشي[3]:

ولد بمدينة جدة في سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وتلقى تعليمه بها في

---

(١) «شعراء جزيرة العرب في العصر الحديث»، ج١، ص ٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٩٥٧، وفي «شعراء جزيرة العرب في العصر الحديث»، ج١، ص٢٤.

(٣) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٢٦.

مدرسة الفلاح، ثم بدأ حياته العملية في سلك الشرطة، وتقلب في مناصب عدة، كما شارك في لجان كثيرة، من أهمها اللجنة التأسيسية لجامعة الملك عبد العزيز بجدة حينما بدأت أهلية. وقد مارس الكتابة الصحفية منذ فجر شبابه، وأسهم بإخلاص في كثير من الأعمال الوطنية، بكتاباته، وبفكره، وعمله الجاد. وتولى رئاسة تحرير جريدة «البلاد» منذ بداية انتقالها إلى مؤسسة عامة باسمها، وإلى مطلع سنة ١٤٠٣هـ، حيث أصبح نائباً للمدير العام لمؤسستها. وتوفي في ١٣/ ٤/ ١٤١١هـ رحمه الله.

ومن أدباء ذلك الجيل الشاعر الأستاذ:

محمد عبد القادر فقيه[١]:

ولد بمكة المكرمة في سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م وتلقى تعليمه في مدارسها، ومارس الكتابة الأدبية ونظم الشعر منذ سن مبكرة في شبابه، ونشر نتاجه في الصحف.

أما حياته العملية فقد مارسها في وظائف تابعة لوزارة الإعلام بفروعها المختلفة في مكتبها بمكة المكرمة.

ومحمد عبد القادر فقيه، شاعر مطبوع، وطني الإتجاه، رومانسي النزعة في التعبير عن أحاسيسه، ولكنه يحافظ على قوالب النظم للشعر العربي، في أصالة فكرية وعاطفية وتمكن من اللغة العربية، ومقدرة على رسم صوره الفنية وتجسيد معانيه من خلالها. وقد جمع بعض شعره

---

(١) وردت ترجمته بقلمه في ديوان «أطياف من الماضي»، ص الغلاف الأخير، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٤٨.

وأصدره مطبوعاً في ديوان بعنوان «أطياف من الماضي» وكان الكتاب رقم ١٤ في سلسلة المكتبة الصغيرة في سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ومحمد عبد القادر فقيه يفيض شعره بحديث الذكريات والشوق والحنين، كغيره من الشعراء الرومانسيين، فهو يستعيد ذكريات ماضيه وأطيافه، فيقول عن «بقية من الماضي»:

ولم يبق من ماضي إلا رسائل ... مضمخة بالشوق مشبوبة الوجد
رسائل أحباب مضوا وتخلفت ... مواجدهم ما بين أسطرها عندي
رسائل فاضت بالحنين وبالجوى ... تنم على طهر الصبابة والود
ومن مبلغ الأحباب أنى توجهت ... ركائبهم إني مقيم على العهد
ويا لرسالات الأحبة هل لنا ... معاد إلى الماضي المولع بالبعد؟[1]

وحينما تؤرقه الذكريات يملأ قلبه الإيمان بالله الذي يلجأ إليه عز وجل طلباً لطمأنينة نفسه، فهو يقول في «ابتهال»:

يا رب خذ بيدي فقد ... كثرت على دربي السدود
يا رب والتبس الطريق ... عليَّ واحتلك الوجود
يا رب والتمست هداك ... النفس تضنيها القيود
وهوى يؤج وذكريات ... كلما غربت تعود
يا رب فارضيني بما ... يرضى به القدر الرشيد
واجعل هواي - وما أريد - ... تولهاً - فيما تريد -
وأنزل على نفسي السكينة ... إنك البر الودود[2]

(١) ديوان «أطياف من الماضي»، ص ٩٨، ص ٥٩.
(٢) ديوان «أطياف من الماضي»، ص ٩٨، ص ٥٩.

ومن أوائل أدباء ذلك الجيل الذين واصلوا دراساتهم العليا الأستاذ:

أحمد عبد الجبار[1]:

ولد بمكة في أواخر سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م وتلقى فيها تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى بيروت بلبنان فأنهى بها دراسته الإبتدائية والثانوية، ثم التحق فيها بالجامعة الأمريكية، فدرس العلوم السياسية وحصل على شهادتها الجامعية، وعاد إلى المملكة فعمل بالشعبة السياسية بالديوان الملكي، وشارك مع وفد المملكة في مؤتمر سان فرانسيسكو لتأسيس منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥م ثم عمل في السفارة السعودية في واشنطن، وانتهز فرصة إقامته هناك لمواصلة دراسته العليا بجامعة «جورج تاون» فحصل منها على درجة الماجستير في العلوم السياسية، فكان أحد أوائل من وصلوا إلى هذا القدر من التحصيل العلمي النظامي من أبناء جيله من الأدباء في هذه البلاد.

وعمل سفيراً ومندوباً فوق العادة للمملكة في الفرع الأوروبي لمنظمة الأمم المتحدة بجنيف، بعد أن تنقل في سفارات عدة في الخارج.

والأستاذ أحمد عبد الجبار شاعر مطبوع، وفنان كلمة قدير، في نثره وفي شعره، يظهر أثر تعليمه في كتاباته، ولكنه مقل في نشر نتاجه، ربما لبُعده خارج الوطن أكثر سنوات عمره.

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٦٦، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٧٣، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص١٦٧.

ومن عيون شعره الرومانسي النزعة في الشوق والحنين وحديث الذكريات، قوله:

صبوة الماضي وأنغام صبايا ... لم تزل منها بقايا في الحنايا
كلما هب من الشرق شذا ... خفق القلب وسكنت مقلتايا
والمدى الغامض رحب ساحه ... يتهادى فيه حلمي ومنايا
كأسي الذكرى وخمري طيبها ... وخيال كان أحلام صبايا
يستبيني رجع أنغام لها ... ويواتيني قديم من هوايا
ينفث الشوق على مجمره ... حمم البين وغصات شقاياه
أرقب الفجر فكم من نوره ... غزلت للحب تيجاناً يدايا
علّه يحمل أنباء الحمى ... أو يوافيني بلمح من رؤايا
وأناجي الليل أرعى نجمه ... واللظى ينهب لبي وحشايا
لا الدجى يصغي ولا الفجر يعي ... يا حبيبي لعذابي أو أسايا
ضل بي في عالم الوهم السرى ... والنوى حاد بدربي وخطايا
وهواي البكر حي ماثل ... يلهب الحس ويغلي في دمايا
ولقاك الحلو أقصى منيتي ... أترى يا حلو تصبو للقايا؟![1]

وعن «غد شاعر» قال:

غدي، يا غد الأمل الأشقر ... ودنيا ربيع الهوى المسكر
سأطوي الزمان جناحاً إذا ... خطرت مع الشفق المبكر
وألوي فؤادي قيثارة ... تغنيك للكون والأعصر
غدي، يا غد اليمن يا فرحة ... تطل على يومي المقفر

---

(١) مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٦٧، و«الموسوعة الأدبية»، ج١، ص١٦٩.

أرى نـجـمـك الـحـلـو خـفـاقـة أمـانـي فـي رحـبـه الـنـيـر
أرى عـالـم الأمـس مـنـحـورة لـيـالـيـه فـي عـالـم أغـبـر
طـوتـه الـهـمـوم وفـي كـرمـه بـقـايـا مـن الـهـم لـم تـعـصـر
غـدي، يا شروق الغموض ولحـ ـن الـغـروب عـلـى مـزهـري
أنـا لـن أفـض جـفـونـي وفـي جـفـونـك دمـع وفـي الـمـحـجـر![1]

أما الأدباء الذين مارسوا النقد باقتدار إلى جانب الأدب في إبداع من أبناء ذلك الجيل فإن أولهم بلا منازع الأستاذ:

إبراهيم هاشم فلالي[2]:

فهو أول من ألّف كتاباً مستقلاً في الدراسات النقدية في الأدب السعودي. وقد ولد الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي في مكة المكرمة في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وبها نشأ فتلقى تعليمه بالمدرسة الصولتية وتخرج منها. والتحق بسلك التدريس، ثم عمل محاسباً لجمعية الإسعاف الخيرية، واشترك في لجان وطنية عدة. ثم انتقل إلى مصر وافتتح في القاهرة مجلاً للعطارة، ولكنه لم يفلح فيه، فتركه وعين مراقباً مساعداً بدار البعثات السعودية بالقاهرة، ثم ترك العمل الوظيفي ومارس أعمالاً تجارية بسيطة لتأمين لقمة العيش لأسرته الكبيرة، متفرغاً مع ذلك للأدب والقراءة والتأليف والإبداع الشعري، والمتابعة النقدية الواعية للإنتاج الأدبي في بلاده.

---

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٤٧٠.

(٢) وردت ترجمته بقلم ابنه أسامة في كتاب «المرصاد»، ط. النادي الأدبي بالرياض، ص٩-١٢، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٦٦، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، وفي كتاب «طيور الأبابيل» شعر إبراهيم هاشم فلالي، الكتاب رقم ٨٧ في سلسلة الكتاب العربي السعودي، ص الغلاف الأخير، عن تهامة بجدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وقد لبى نداء ربه في سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م بعد جهاد أدبي طويل، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وهو شاعر عظيم، وناثر قدير، ولكنه تميز بصفة خاصة بأحكامه النقدية الواعية، التي أصدرها في كتاب أسماه (المرصاد) وجعله في ثلاثة أجزاء، اشتملت على دراسة لأكثر من عشرين أديباً وشاعراً من أنداده من أدباء بلاده، لم يجامل أحداً منهم، ولم يتحامل في الوقت نفسه على أحد، مبتعداً عن الأمور الشخصية التي اعتاد غيره الإنحراف إليها في ممارسة الأحكام النقدية، وقد بين في مقدمة الجزء الأول هدفه من دراسته النقدية، ومنهجه فيها، من خلال فهمه للأدب ودوره، فكتب (رحمه الله) يقول: «ليس الأدب ملهاة يتلهى بها الناس ويعبث بها الأطفال، وليس هو مائدة مباحة للمتطفلين. ولكنه عصارة النفوس والقلوب والعقول، وصور للإنسانية لا يحذق تصويرها إلا اليد الصناع الماهرة، ولا تجيد ألوانها إلا ريشة الفنان الملهم.

والصورة الأدبية للوجود الخالد لا يحسن تصويرها إلا الذين أوتوا القدرة عليها.. وأولئك هم الأدباء الخالدون، الذين لا يستطيعون إلا أن يكونوا أدباء، أرادوا أم لم يريدوا، كالنحلة التي لا يمكن إلا أن تنتج عسلاً شهياً، أرادت ذلك أم لم ترده، علمت به أم لم تعلم.

ولا يضار النحلة أن يتشبه بها الذباب، ولا يضيرها أن يشاركها في ارتشاف الرحيق من الزهور، كما ترشفه هي سواء بسواء، ولكن الذباب لا يستطيع أن يفرز عسلاً، وليس في وسع النحلة أن تفرز شيئاً غير الشهد.

وكما أن العسل الخالص من الشوائب فيه شفاء للناس، كذلك الأدب الصحيح فيه صلاح للإنسانية وسمو بها، لأنه روحها، وهو الأفق الرحيب الذي تترقرق فيه النسمات النقية المنعشة.

فعلى الذين تهمهم حياة الأدب في بلادنا أن يحرصوا على أفقه الرحيب، ولا يدعو أبخرة الرؤوس الجوفاء تتسرب إلى نسماته العذاب النقية فتعكرها.

نحن في فجر نهضة أدبية قد آذن ضحاها بالسطوع القوي الباهر، ولنا شبيبة ظمأى تريد أن ترتشف من مناهل الأدب ما يروي ظمأها، وأقرب ما يرتشفه الظمآن ما كان في متناول يده من نتاج أدباء بلاده وشعرائها، وحرام على المخلصين للأدب أن يتركوا شبابهم وفتيانهم ينتهلون من الماء الرنق. فلا بد من تنقيته وتقديمه شراباً نقياً سائغاً ليضمن حياة أدبية صحيحة.

وقد آن لنا الآن ألا نتجاوز عما كنا نتجاوز عنه سابقاً، وأن نصحح الموازين الأدبية تصحيحاً لا يسمح بإدخال الغش فيها»[1].

ومن أجل تصحيح الموازين الأدبية في الإطار الذي رسمه وحدد معالمه، ألف إبراهيم فلالي كتاب «المرصاد» الذي يعتبر دراسة نقدية ممتازة لأدب أقرانه وأبناء جيله من أدباء بلاده.

وقد لاحق الفلالي في مرصاده إثنان من الأدباء هما الأستاذ عبد الله عبد الجبار في «مرصاد المرصاد»، والأستاذ حسن عبد الله قرشي في «نقد المرصاد» فتقبل الفلالي ذلك برحابة صدر وضمه إلى مرصاده.

أما منهج الفلالي في مرصاده، بأجزائه الثلاثة، فإنه يقوم على تتبع أعمال أدبية نشرت في إصدارات خاصة، مثل عدد ممتاز من جريدة

---

(١) «المرصاد»، كتاب الشهر رقم ٢٣، عن النادي الأدبي بالرياض، ص١٩-٢٠.

(البلاد السعودية) في ٣/ ٤/ ١٣٦٦هـ، ومثل كتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث)، ومثل بعض المؤلفات المستقلة لبعض الأدباء، ويقوم بعرض موجز للعمل الأدبي، مبيناً مكانة صاحبه وحسناته وأولياته في الأدب - إن وجدت - كما فعل مع العواد[١]، ومع محمد سرور الصبان[٢] مثلاً، ثم يتناول ما وجده من قصور بالتوضيح من النواحي اللغوية، والعروضية، والبلاغية، أو التصويرية والفنية الحديثة بصفة عامة. وقد يعرض ذلك في أسلوب مباشر جاد. وقد يقدمه مازحاً في أسلوب ساخر، كما فعل مع أحمد إبراهيم الغزاوي[٣]، وأحمد قنديل[٤]، مثلاً. ولكنه في كل ذلك لا يخرج عن الموضوعية، ولا يتعرض للأمور الشخصية بالغمز والتجريح، كما شاع بين بعض من مارسوا إصدار الأحكام النقدية التعميمية آنذاك، فكان الفلالي نزيهاً وحصيفاً واعياً ومخلصاً في نقده (رحمه الله).

أما في شعره فإنه كان يميل إلى الوضوح، كما أكد على ذلك في مرصاده بقوله: «الحق أني أميل إلى الشعر الواضح وأمجد صاحبه، ذلك لأن المعاني كامنة مخبوءة في النفوس، وميزة الشاعر في بيانها وتوضيحها، بأسلوبه الغنائي المقفى الموزون»[٥].

وللفلالي أكثر من ديوان شعر مطبوع، ومن أشهرها ديوان «الحاني»، الذي صدر عن دار المعارف بمصر في سنة ١٣٧٠هـ/

(١) «المرصاد» ص٥١، ١٥٨، ص١٤٣-١٥٧، ص١٦٨-١٧٨، ٢٥-٣٢.
(٢) «المرصاد» ص٥١، ١٥٨، ص١٤٣-١٥٧، ص١٦٨-١٧٨، ٢٥-٣٢.
(٣) «المرصاد» ص٥١، ١٥٨، ص١٤٣-١٥٧، ص١٦٨-١٧٨، ٢٥-٣٢.
(٤) «المرصاد» ص٥١، ١٥٨، ص١٤٣-١٥٧، ص١٦٨-١٧٨، ٢٥-٣٢.
(٥) «المرصاد»، ص ١٢٨.

١٩٥٠م، وفي مقدمته التي كتبها له بقلمه وضح فهمه لبناء الشعر، وأنه توازن بين المضمون الفكري والأسلوب الفني، كما كتب قائلاً: «وما أشبه العقل الواعي في النفس الشاعرة بالبستاني الماهر الذي ليس له في نضرة الحقل أو الحديقة إلا تشذيب الأشجار، وتصنيف الزهور، واختيار مواقعها»[١]. ولكن الفلالي يؤمن بأن صدق الشاعر لا يصدر إلا عن عواطفه ونفسه، والعقل يشذب هذا قبل نشره بتصحيح قواعده النحوية والشعرية، حسب الأنماط المتعارف عليها، كما كتب في ذلك قائلاً: «لأن الشعر الصحيح ليس هو وليد العقل الواعي ولكنه وليد هزة نفسية لها توقيعها وموسيقاها.

فإذا تهيأت للشاعر هذه الهزة النفسية.. اندفع تحت تأثيرها العنيف يرسل الشعر إرسالاً دون أن يكون لعقله الواعي أثر يذكر فيه، فيأتي شعراً موزوناً مقفى.

حتى إذا ما تنفست نفسه، وذهب عنه أثر ما يجد من وطأة عواطفه، وضعف في صدره عنفوانها، وخلص عقله الواعي من هيمنتها عليه، رجع إلى شعره فشذبه وهذبه ورتبه بما يتفق وقواعد اللغة.. نحوها وصرفها، واختيار الألفاظ وحشيها وأنيسها»[٢].

إن الفلالي بآرائه الواضحة هذه يؤكد على أنه بالفعل ناقد أدبي قدير، على درجة عالية من الكفاءة، والوضوح المنهجي الذي يمارس به نقده النزيه، وهو بإخلاصه الوطني كان يوظف نقده لتوجيه الشعراء في بلاده للحفاظ على أمجاد السلف، كما كتب قائلاً: «إن الشعر في بلادنا

---

(١) «الحاني»، شعر إبراهيم هاشم فلالي، المقدمة بقلمه، ص١٠.

(٢) «الحاني»، شعر إبراهيم هاشم فلالي، المقدمة بقلمه، ص١٠.

يجب أن يكون شعراً محلقاً، ليؤدي ما عليه من واجبات نحو الحياة كما أداها في ماضيه (. . .) والذي أراه أننا نكون مقصرين إذا لم يكن لشعرنا الحديث روعة تفوق روعة شعرنا القديم. لأن آفاق الحياة والثقافة وعالم الأخيلة والمعاني اتسعت اتساعاً لم يحلم بها الشعراء القدامى، ولم تجد أخيلتهم هذه الآفاق الرحيبة التي تفتحت أمامنا»[1].

وواضح أن الفلالي أراد أن يبين أن الحرص على التراث لا يجوز أن يجعل منه قيداً على مقدرة الإنسان الحديث على الإبتكار ومعايشة العصر، بل لا بد من مواصلة ما انقطع وتقديم أصالة حديثة على الأسس الموروثة في توازن دقيق.

وقد سار الفلالي في شعره على النهج الذي دعا إليه في نقده وفي نظرته المنهجية. يعبر في أصالة عن خطرات نفسه، ويستمد من تراث أمته ما يربط به الحاضر بالماضي. ومن شعره، الذي يعتبر خير مثال على ذلك، قصيدة «طفرة» في ديوان «ألحاني» وقال فيها:

هـذه الـفـرحـة تـجـري

يـا حـيـاتـي لـسـت أدري!

ضـاع فـي الـعـزلـة عـمـري

وذوى جـسـمـي الـنـضـيـر وخـبـا فـكـري الـمـنـيـر

عـشـت فـي ظـل الـوقـار

بـيـن أشـواك الـقـفـار

مـا جـنـى غـيـر الـخـسـار

ذلـك الـقـلـب الـكـبـيـر قـلـب مـضـنـاك الأسـيـر

(١) «المرصاد»، المقدمة، ص ١٢٨.

أي دنيا ها هنا؟
أي حسن ومنى؟
أي غيد كالسنا؟
رافلات في الحرير باسمات كالزهور
أصحيح ما أرى؟
أم خيال قد سرى؟
أم مراء في الكرى؟
أم نجوم أم بدور بين أيدينا تدور؟
أم طيوف حالمات؟
أم أمان ماثلات؟
أم حسان فاتنات؟
جئن رقصاً في حبور بين أنغام الزمور؟[1]

والفلالي في شعره يطلق جملاً للإستفهام الذي يبين ما يريد بصورة غير مباشرة، كما قرأنا في أبياته السابقة، وكما لاحظ ذلك أيضاً الأستاذ عبد الله عبد الجبار في تقديمه لديوان «طيور الأبابيل» للفلالي، إذ كتب عنه قائلاً: «ومن أساليبه التي اتخذها لتوليد صوره ومعانيه، أسلوب الإستفهام، الذي كثيراً ما يمتزج بالدهشة والسخرية والإستنكار.. يبدأ به أو يأتي به بعد تقرير، ويجيب عليه باقتضاب هو فصل الخطاب، أو يفيض من مشاعره وحججه المنطقية والشعرية، فإذا كوكبة من الأبيات الرائعة تتسم بالوحدة الشعورية، ولا تستطيع أن تقدم بيتاً على آخر دون أن ينهار البناء الفني للرباعية، أو (المقطوعة).

(١) «الحاني»، ص ٢٩ و٣٠.

وربما وجدت في شعره رباعية تقوم كلها على الإستفهام، كقوله من رباعيات «الأرض المضيئة».

هل فاض في الأرض الضياء فأشرقت ... كالشمس حين تطل من خلف الأفق؟
فعلام تبدو من علاء كوكباً ... متألقاً فإذا هبطنا.. لا ألق؟
هل نورها لا يستبين لناسها ... إلا إذا ارتفعوا بعلم، أو خلق؟
أنفوسنا غسق يغلف وجهها ... هل نحن ليل فجره لا ينبثق؟[1]

وفي شعر إبراهيم هاشم فلالي نلمح آثار موسيقى شعر علي محمود طه، رحمهما الله، وقد كفانا الفلالي مهمة البحث وتعب الفرض والتخمين، فقد أشار هو بقلمه إلى إعجابه بالموسيقى الرقيقة في شعر علي محمود طه، الذي كان يعرض عليه شعره ويراجعه معه قبل نشره، ويستمع لنصائحه وتوجيهاته في الشعر[2].

وكان الفلالي يستلهم معانيه في شعره من دنيا الواقع وأحوال الناس فيه، وكان قلبه يمتلىء بحب الإنسانية كلها، كان يفرح ويسعد لفرحها وسعادتها، كما كان يحزن ويشقى بآلامها وشقائها، فقد تأذى لأساليب التمييز العنصري البشع الذي مارسه الإنسان الأبيض ضد أخيه الإنسان بجلده غير الأبيض، فخاطب ذلك الإنسان في ضميره في رباعيات بعنوان «الجلد الأبيض» قائلاً:

يا من تنمّر للوجود كأنه ... رب الوجود وليس يدركه البشر
أتظن جلدك وهو أبيض ناصع ... صنعته آلهة الضياء من القمر؟
أما الذين تنوعت ألوانهم ... فمن التراب، وصنع آلهة أخر

---

(١) «طيور الأبابيل»، المقدمة بقلم عبد الله عبد الجبار، ص ز، والديوان، ص ٢٥.
(٢) «الحاني» ص ٧ـ٩.

أتـرك تـهـاويـل الـضـلال ولا تـكـن ... فـي مـعـبـد الـطـغـيـان طـاغـوتـاً أشـر

* * *

وارجع لعقلك، أو لقلبك، أو لذا ... تك كلها، ما جل منها أو صغر

واسأل أولئك، أي شيء سير الأ ... فلاك سيراً مستديماً مستمر

لو أخطأت في سيرها ومدارها ... لغدت هباء في الفضاء المنتشر

ما كنت مبتدع الوجود ولن تكو ... ن سوى الضعيف أمام رب مقتدر[1]

ثم أكد على نور الإيمان، في لفتة ذهنية رائعة، مبيناً فيها الفرق بين انبعاث النار من الحصا، وبين النور الذي تدركه الأفئدة ويشرق في القلوب بقوة الإيمان، فقال:

فشرارة الإيمان إن أطفأتها ... فظلام ليلك يستمر ويعتكر

والصبح لم يبسم بأفقك ثغره ... والشمس تصدف عن رحابك والقمر

وإذا استنمت إلى دجاك فلن ترى ... نهراً لديك ولا ظلال ولا شجر

من يجتني شوك القتاد لسربه ... ومن الذي يجني الزهور من الحجر

* * *

بني الوجود على الضياء بأمر من ... صنع الوجود كما أراد وقدرا

فالنار تكمن في الحصا، والنور يكـ ... ـمن في القلوب لمن وعى وتبصرا

فاقدم زنادك كي ترى أضواءه ... ونراك من بعد الظلام منورا

ما أنت رب هل أتيت كما أرد ... ت، ولا أنا، فالأمر كان مدبرا[2]

وبعد هذا التذكير الإيماني بحقيقة الخلق الخاضع لإرادة الخالق

---

(١) «طيور الأبابيل»، ص٢٢، ٢٣.

(٢) «طيور الأبابيل»، ص ٢٢-٢٣.

وحده عز وجل توجه الفلالي، (رحمه الله) إلى الإنسان ناصحاً، في خطاب مباشر، فقال:

فاعشق جمال الكون في إنسانه وانظر فتون الحسن في تبيانه(1)

ثم ختم رباعياته في استنكار أساليب (التميز العنصري) بقوله:

فاحقن دم الإنسان لا تسفكه أصـ ـفر فاقعاً، أو كان من سودانه
وانظر إلى حقل الزهور فإنه ما ماز نرجسه على ريحانه
لولا تنوع زهره وثماره ما نلت خصباً من جنى أغصانه
والكون لم يكمل جمال وجوده لو كان يخلو من حلى ألوانه(2)

وأنهى الفلالي جدله مع دعاة التمييز العنصري بتحديهم في حقيقة انتمائهم، وهل لديهم القدرة على تغيير ذلك الإنتماء لخالق واحد من جد واحد؟ على طريقته في طرح المعاني بالإستفهام والسؤال لاستنباط الحقائق، فقال:

أو فانتسب لسلالة من غير آ دم، كي نراك لأي جد تنتمي
واهدم محاريب الصلاة فما أقيمـ ـت كي يباح بظلها سفك الدم
واعبد إلهاً غير من برأ الوجود ليحتبيك بأنفك المتورم
فلعله يعطيك كوناً آخرا ما فيه من يرقى إليك بسلم(3)

أما مقارنة ألوان بني الإنسان بألوان الزهور وروائح النرجس والرياحين، فإنها مقارنة خبير في تقطير الروائح والعطور، بحس مرهف

(1) «طيور الأبابيل»، ص ٢٣-٢٤.
(2) «طيور الأبابيل»، ص ٢٣-٢٤.
(3) «طيور الأبابيل»، ص ٢٣-٢٤.

وذوق رفيع، فقد أخبر الأستاذ عبد الله عبد الجبار عن الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي أنه كان خبيراً في ذلك بالهواية، فقد كتب عنه قائلاً: «ومن هوايات الفلالي تقطير الزهور، واستخراج الروائح الجميلة، كروح الفل، والورد، والياسمين، والكادي وغيرها.. يعبئها في زجاجات صغيرة كل لون على حده.. ولا يكتفي بهذا بل إنه يمزج بين الأرواح فيحصل على عطور مختلفة الشذى»[١].

رحم الله الأديب الفذ والناقد الحصيف الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي، فقد كان شاعراً مبدعاً، وناقداً قديراً على إظهار الجمال، ونبذ ما سواه.

كما كتب إبراهيم فلالي القصة وله فيها مجموعة مطبوعة، وكتب البحث وقدم دراسات جادة في موضوعات كثيرة، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

أما ثاني أبرز النقاد من أبناء ذلك الجيل فهو الأديب الأستاذ:

عبد الله عبد الجبار[٢]:

ولد بمكة المكرمة في سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، وبها نشأ، فتلقى تعليمه في مدارسها، وتخرج من المعهد العلمي السعودي، ثم التحق

---

(١) «طيور الأبابيل»، المقدمة، ص هـ.

(٢) وردت ترجمته باقتضاب شديد جداً في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٦٢، ونقلاً عن المنهل كذلك في «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية»، ص٤٦٧، أما سنة مولده فإنني مدين بفضل معرفتها لزميلي الدكتور عباس صالح طاشكندي، وهو وثيق الصلة بالأستاذ عبد الله عبد الجبار.

بالجامعة في مصر وتخرج منها، فعمل مدرساً بمدرسة (تحضير البعثات)، المدرسة الثانوية آنذاك بمكة، ثم أصبح مديراً للبعثات السعودية بمصر، وأستاذاً بمعهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية بالقاهرة، ثم ترك العمل الوظيفي فترة طويلة وظل مغترباً في الخارج، ثم عاد بعد ذلك للوطن، وأصبح مستشاراً بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

والأستاذ عبد الله عبد الجبار أديب عالم على درجة عالية من الثقافة، وقد وظف علمه وثقافته في خدمة النقد الأدبي، الذي كان مع إبراهيم فلالي أبرز وأول من أجادوه باقتدار في الأدب السعودي.

وقد اشترك عبد الله عبد الجبار مع محمد عبد المنعم خفاجى في تأليف كتاب عن «قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي» ثم ألف منفرداً كتاب «التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية» الذي صدر عن معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية بالقاهرة بمصر في سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م فكان بذلك رائداً من أوائل رواد الدراسات التاريخية التحليلية للأدب العربي السعودي.

والأستاذ عبد الله عبد الجبار من أوائل رواد كتابة القصة والمسرحية في الأدب السعودي، فقد ألّف رواية بعنوان «أمي» وأخرى بعنوان «العم سحتوت» وهما من قصص الإصلاح الإجتماعي وقد مثلت «أمي» فيها النموذج الطيب للإنسان الصبور المكافح بشرف، ومثل «العم سحتوت» نموذج الإنسان البغيض ببخله وطمعه وجشعه وظلمه للبائسين من الضعفاء من خيار الناس.

أما أحدث ما كتب الأستاذ عبد الله عبد الجبار في النقد، فهما

دراستان قدم بهما كتابين، الأولى منهما مقدمة كتبها لديوان «طيور الأبابيل» لصديقه الشاعر إبراهيم هاشم فلالي والذي صدر في طبعته الثانية في سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م عن مؤسسة تهامة بجدة، وكتب الأستاذ عبد الله عبد الجبار بعد ذلك مقدمة كتاب «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» لصديقه الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي، الذي صدر كذلك في طبعته الثانية في سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م عن مؤسسة تهامة بجدة.

وكتب عبد الله عبد الجبار دراسة نقدية تعقيبية على مرصاد الفلالي، ألحقت به في طبعة النادي الأدبي بالرياض التي صدرت في سنة ١٤٠٠هـ و«مرصاد المرصاد» الذي كتبه عبد الله عبد الجبار، على قصره، فيه لفتات نقدية لماحة، ومنهجية واضحة، وثقافة، قديمة وحديثة في منابعها.

وكتب عبد الله عبد الجبار مسرحية نثرية بعنوان «الشياطين الخرس» وهي مسرحية إجتماعية فيها نقد لأوضاع أراد تصحيحها، وكتب مقدمتها الأولى الأستاذ محمد ناجي رئيس رابطة الأدب الحديث في مصر، وأثنى عليها وعلى مؤلفها، كما أثنى عليها كثير من الأدباء والنقاد، فقد كتب عنه وعن مسرحيته هذه الناقد إبراهيم فلالي قائلاً: «ولا يملك النقد الأدبي في (المرصاد) إلا أن يعتبره رائداً جريئاً موفقاً، ويستحثه على مواصلة كتابة المسرحيات الحقة، فإنه ـ إلى الآن ـ أقدر كتابنا على معالجة هذا اللون المسرحي الجريء»[1].

---

(١) «المرصاد»، ص٢٣٦، (ط٢) عن النادي الأدبي بالرياض.

أما علماء وأدباء هذا الجيل من كبار المحققين، فأولهم وأقدمهم الأستاذ:

عبد القدوس الأنصاري[1]:

ولد بالمدينة المنورة في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، وتوفي والده قاسم في سن مبكرة، فنشأ في كنف العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري رحمهم الله أجمعين.

وفي السادس والعشرين من شهر جمادى الثانية من سنة ١٤٠٣هـ/ ٩ أبريل ١٩٨٣م انتقل إلى رحمة الله تعالى.

وتلقى عبد القدوس الأنصاري تعليمه في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، وكان معلمه الأول هو كافله الشيخ محمد الطيب الأنصاري، وبعد تخرجه التحق الأنصاري بسلك الوظائف الحكومية في ديوان إمارة المدينة المنورة، وتدرج في الوظائف إلى أن وصل إلى مرتبة مستشار بديوان مجلس الوزراء، ومدير للشؤون المالية به، ثم ترك العمل الوظيفي، متفرغاً لمجلته الرائدة «المنهل» وللأدب والعلم والتأليف الجاد.

وتولى الأنصاري في شبابه رئاسة تحرير جريدة «أم القرى» فترة من الزمن، من شهر ربيع الأول ١٣٥٩هـ إلى آخر عام ١٣٦١هـ.

أما مجلة «المنهل» فقد أسسها عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله)

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، مجلد ٤٦، السنة ٥١، عدد٤٣٠، لشهري محرم وصفر ١٤٠٥هـ ـ اكتوبر، نوفمبر ١٩٨٤م، ص٥٠ـ٦٠، وفي «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩١٣، وفي «وحي الصحراء»، ص١٨٧ (ط١)، وص٢٤١ (ط٢).

في سنة ١٣٥٥هـ في المدينة المنورة، وقد تم الحديث عنها بالتفصيل في بداية هذا القسم من الكتاب.

أما عبد القدوس الأنصاري العالم فقد ارتبط علمه بحب بلاده، وبدأ نشاطه الجاد في علمه بالكشف عن آثار بلاده في المدينة المنورة، بعد أن رافق في شبابه المستشرق البريطاني «فيلبي» في جولات استكشافية في المدينة، فعز على الأنصاري أن يترك هذا المجال للمستشرقين[١]. فشمر عن ساعده وقام بدراسات ميدانية جادة جمع فيها أوفى المعلومات الدقيقة الصحيحة عن آثار مدينة الرسول ﷺ، ودوّنها في كتاب «آثار المدينة المنورة» أصدره مطبوعاً في طبعته الأولى في سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، فكان ذلك أول كتاب علمي في الآثار يؤلفه أحد أبناء هذه البلاد في عصرها الحديث على أسس علمية منهجية واضحة وسليمة في أقسام مستقلة لفئات الآثار التي وقف عليها وسجل معلوماته الدقيقة عنها، مثل: قسم الدور، وقسم القصور، وقسم الحصون، إلى بقية الأقسام، التي أجاد تصنيفها بمواصفات علمية رفيعة واضحة، عكف على إعداد موادها نحو ثمان سنوات، تحمل فيها كثيراً من الصعاب[٢] وقد أثنى الدكتور محمد حسين هيكل على كتاب الأنصاري في أثار المدينة المنورة[٣] وكثير غيره من علماء الأدباء ومؤرخي الآثار، من العرب والمستشرقين[٤].

---

(١) مقال «الأنصاري ورحلة العلم والقرطاس»، بقلم د. عبد الرحمن الأنصاري، مجلة «المنهل»، عدد٤٣٠، السنة٥١، مجلد٤٦، لشهري محرم وصفر ١٤٠٥هـ، ص١١٣.

(٢) كتاب «آثار المدينة المنورة»، تأليف عبد القدوس الأنصاري، ص١٧ (ط٣).

(٣) «في منزل الوحي»، تأليف د. محمد حسين هيكل، ص٤٤٢، وغيرها، (ط٤)، دار المعارف بمصر.

(٤) «مجلة المنهل»، عدد٤٣٠، مجلد٤٦، السنة٥١، ص٥٩-٦٠، محرم، صفر ١٤٠٥هـ - اكتوبر، نوفمبر ١٩٨٤م.

وواصل الأستاذ عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله) جهوده العلمية في الوقوف على آثار بلاده، ونفض الغبار عنها، وتسجيلها وتسجيل معلومات تأريخية دقيقة عنها، فألف وأصدر: في سنة ١٣٧٩هـ كتاب «تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة»، وفي سنة ١٣٨٣هـ كتاب «تأريخ مدينة جدة»، وفي سنة ١٣٨٩هـ كتاب «تاريخ العين العزيزية بجدة ولمحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية»، وفي سنة ١٣٩١هـ كتاب «بين التاريخ والآثار»، وكتاب «بنو سليم» وفي سنة ١٣٩٨هـ «طريق الهجرة» وهذه السلسلة المتلاحقة من دراسات الآثار والتاريخ تدل على تمكن مؤلفها الأنصاري من هذا العلم، بكل ما يتطلبه هذا التمكن من صبر وأناة، ومعرفة ودقة في الكشف والتحقيق، والدراسة والتحليل.

ولكن عبد القدوس الأنصاري، (رحمه الله)، لم يكن عالم تاريخ وآثار فحسب، بل كان أديباً عالماً موسوعي المعرفة متعدد الجوانب. وكما كان رائداً في التأليف في دراسته آثار هذه البلاد، فقد كان رائداً في مجالات أخرى كثيرة في الأدب، فهو الرائد الأول في المجلات الثقافية التي تعتبر «المنهل» أولاها، ثم هو رائد في كتابة القصة والرواية، فهو أول من كتب الرواية من أبناء جيله من الرواد الأوائل في الأدب الحديث في هذه البلاد، فقد ألف وأصدر في سنة ١٣٤٨هـ رواية إجتماعية إصلاحية بعنوان «التوأمان» وكتب بعدها وأصدر رواية أخرى بعنوان «مرهم التناسي».

وكما قال الدكتور منصور الحازمي، فإنه: «وبغض النظر عن القيمة الفنية لرواية «التوأمان»، فإنها تعتبر التجربة الأولى في هذا الميدان، وسيظل عام ١٩٣٠م (١٣٤٩هـ) هو العام الذي لا بد للباحث أن ينطلق

منه في تتبعه التاريخي لفن الرواية في الأدب السعودي الحديث»[1]. وقد وضع الأنصاري لروايته تلك هدفاً إجتماعياً إصلاحياً في ميادين التعليم، كما نص هو على ذلك في مقدمة تلك الرواية. وقد واجه الأنصاري نقداً عنيفاً، وصارماً، في بعض الأحيان، من محمد حسن عواد[2]، على روايته، وإن كان في نقد العواد من الناحية الفنية ما يعتبر صحيحاً، إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة ريادة الأنصاري لفن القصة والرواية في الأدب السعودي.

والأنصاري القاص كان عالماً لغوياً ضليعاً، عني عناية خاصة بتراث اللغة العربية، وتصحيح الأخطاء في استعمالات معاصريه لها، وتحمّل في سبيل دفاعه عن فصاحة اللغة العربية كثيراً من العنت الذي كان يبلغ حد السخرية في بعض الأحيان[3]. كما كتب، وقبل أن يصدر مجلة (المنهل)، سلسلة مقالات في الدفاع عن العربية الفصحى، والرد على أعدائها[4]. وفي سنة ١٣٥٢هـ أصدر (رحمه الله) كتاب «إصلاحات في لغة الكتابة والأدب»، كما واصل جهاده في هذا الميدان طيلة حياته في مجلة (المنهل).

وعبد القدوس الأنصاري الأديب العالم الموسوعي، والقاص، كان شاعراً مجيداً أيضاً، وكانت له محاولات جادة في الإبتكار والتجديد

(١) بحث: «الرواية في الأدب السعودي الحديث»، بقلم د. منصور إبراهيم الحازمي، في كتاب «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين»، ج٢، ص٨٥٩.

(٢) كتاب «تأملات في الأدب والحياة»، تأليف محمد حسن عواد، ص١٠٣ وما بعدها، وص١١٤ وما بعدها.

(٣) مجلة «المنهل»، عدد ٤٣٠، مجلد ٤٦، السنة ٥١، ص٥٨.

(٤) مة الات ذكر أنه نشرها في مجلة «الرائد» في سوريا، قبل صدور «المنهل»، انظر منهل»، عدد٤٣٠، مجلد٤٦، السنة٥١، ص٧٠.

في الشعر شكلاً ومضموناً في إطاره المتوارث. وأصدر ديوان شعر بعنوان «الأنصاريات»، إلا أن البحث والتأليف العلمي الجاد استأثرا بالأستاذ عبد القدوس الأنصاري فصرفاه عن نظم الشعر، وربما كان بإمكانه أن يصبح من أبرز الشعراء لولا ذلك الإنصراف للبحث والتأليف العلمي.

ومن أساليب الأنصاري التجديدية، أسلوب الثنائيات، التي تنظم في بحر واحد، وتختلف القافية والروى في البيت الأول من كل ثنائية، بينما يتحدان في البيت الثاني منها. ومن أمثلة ذلك قصيدة «إغفاءة الشاعر وانتباهته» وهي من مجزوء البسيط وفيها قال:

في واحة تعبق روضاتها ... وتبعث الغبطة ربواتها
خميلة دانت زميلاتها ... لحسنها المنمنم المستفيض

* * *

تعابث النسمات أشجارها ... ليستثير الشدو أطيارها
وتفتح الأكمام أزهارها ... لتلهم الشاعر وحي القريض

* * *

آوى إليها شاعر ملهم ... سامي الخيال بالأسى مفعم
لما رأى أمته تحجم ... عن المعالي وتسوم النقيض

* * *

وبينما الشاعر في وحدته ... يجلو جمال الكون في جنته
تطربه ألحان قيثارته ... في ذلك الروض الأغن الأريض

* * *

إذا بصوت مفعم بالأنين ... منبعث من عمق قلب حزين

فالتفت الشاعر كي يستبين ... فهاله الشعب يكاد يفيض

❋ ❋ ❋

فاستيقظ الشاعر من غفوته ... واعتزم التوبة من هفوته
وأزمع التكفير عن جفوته ... وعاد يدعو قومه للنهوض

❋ ❋ ❋

وصادفت دعوته أذناً ... صاغية تواقة للهنا
آلمها سقوطها في العنا ... وراعها أن الجناح مهيض

❋ ❋ ❋

ما كان إلا أن سرت كهرباء ... حب اعتناق المجد والإرتقاء
في ذلك الشعب فولى الشقاء ... وانجبر الكسر وقام المريض

❋ ❋ ❋

وهكذا الشاعر إن يعتصم ... بعزلة الفكر تردت أمم
وإن يحن منه التفات لهم ... أنقذهم من دركات الحضيض[1]

❋ ❋ ❋

ونلمح في هذه الأبيات، على بساطتها، ملامح مقدرة فنية، اختلطت فيها النزعة الرومانسية الحالمة في المحاولة القصصية الشعرية، بالرغبة في توضيح دور الشعر والشاعر في إصلاح المجتمع ورفعة شأنه، بالتلاحم معه، ومع قضايا حياته، وهي فكرة محورية في أدب الأنصاري، داعية الإصلاح والطموح إلى مجد بلاده وأمته.

وقد جاهد في هذا السبيل حتى لقي وجه ربه، عليه رحمة الله

---

(١) ديوان «الأنصاريات»، و«وحي الصحراء»، ص١٨٨ (ط١)، وص٢٤٢ (ط٢).

ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته. فقد أسهم بعقله وأدبه وبكل ما أوتي من مقدرة في خدمة بلاده. واشترك في كثير من الأعمال النافعة، والمؤتمرات والندوات، وألقى محاضرات كثيرة في موضوعات شتى، كان فيها، كعادته، باحثاً فذاً ودقيقاً في كل صغيرة وكبيرة (رحمه الله).

وقد حمل ابنه (نبيه) راية الجهاد من بعد والده العظيم، فواصل إصدار «المنهل» وأدخل عليها من التطوير الفني في الإخراج والتبويب ما ألبسها حلة قشيبة، مع محافظته على خطها ونهجها في الترفع وفي خدمة الأدب والعلم والثقافة، يعاونه ابنه حفيد الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، لتظل هذه الدوحة المباركة دائمة العطاء.

ومن كبار الأدباء العلماء من أبناء ذلك الجيل الأستاذ:

حمد الجاسر(١):

ولد في قرية البرود من إقليم السر بنجد في سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وهناك نشأ، فحفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم انتقل إلى مدينة الرياض، فواصل بها تحصيله العلمي، ثم انتقل إلى مكة المكرمة فالتحق فيها بالمعهد العلمي السعودي، وتخرج منه، وابتعث إلى مصر، فواصل دراسته الجامعية فيها بكلية الآداب بجامعة القاهرة.

وعمل في حياته العملية في القضاء، وفي التعليم في مناطق عدة في المملكة. ثم عين مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية، وهما نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. ثم ترك العمل في

---

(١) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص١١٩، وفي «مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً»، تأليف محمد مهدي علام، ج٢، وفي «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية»، تأليف د. بكري شيخ أمين، ص١١٦-١١٧ (الهامش).

الوظائف الحكومية، وأنشأ أولى المطابع في الرياض، كما أنشأ أولى الصحف التي صدرت في الرياض وهي مجلة «اليمامة» قبل أن تتحول إلى مؤسسة عامة.

فالأستاذ حمد الجاسر رائد الأدب والصحافة والطباعة ونشر العلم والمعرفة والثقافة في نجد. وبعد قيام المؤسسات الصحفية، وانتقال «اليمامة» من ملكيته إلى مؤسسة عامة، أصدر الأستاذ حمد الجاسر مجلة ثقافية علمية رفيعة المستوى، أسماها «العرب» أصدرها أولاً في بيروت، ثم انتقل بها إلى وطنه، ولا زال يصدرها بانتظام في الرياض، وهي متخصصة في دراسات بلاد العرب والثقافة العربية والإسلامية بصفة عامة، وفي التراث على وجه الخصوص.

والأستاذ حمد الجاسر عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وعضو مراسل في مجمع دمشق، وفي المجمع العراقي.

وحمد الجاسر أديب وعلامة موسوعي، بدأ في نشر بحوثه الأدبية والتاريخية والجغرافية منذ فترة شبابه، فنشر بحوثاً في مجلة «المنهل» وفي الصحف السعودية. ويميل في بحوثه إلى تحقيق التراث، وبصفة خاصة في الدراسات الجغرافية لبلاد العرب، وقد ألّف «المعجم الحديث لبلاد نجد»، وكتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»، وكتاب «بلاد ينبع»، و«طرق الحج القديمة»، وكتاب «المدينة المنورة في القرن الأول الهجري» و«المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» كما حقق عشرات من كتب التراث في تأريخ وجغرافية بلاد العرب، وأنساب العرب، وهو في تأليفه، وفي تحقيقه، عالم جليل أمين ودقيق في بحثه وتحليله واستنتاجه. وقد اختارته جامعة الملك سعود بالرياض ليعمل أستاذاً غير متفرغ بها، عرفاناً بفضله وريادته.

وقد دخل حمد الجاسر في معارك نقدية كثيرة مع غيره، ولكنه كان عف اللسان، ملتزماً بالموضوعية العلمية.

وكان الأستاذ حمد الجاسر أحد أول ثلاثة من أدباء هذه البلاد فازوا بجائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٣هـ.

وحمد الجاسر يحظى بشهرة عالمية في أوساط المتخصصين الذين يقدرونه على أعماله العظيمة في التأليف والتحقيق.

والجاسر العالم أديب مطبوع، كتب عشرات المقالات في موضوعات شتى.

ونظم حمد الجاسر الشعر في شبابه، ولكنه انصرف عنه إلى العلم والبحث والتحقيق. وهو في شعره، القليل المنشور، يبدو محافظاً كل المحافظة على الأساليب الموروثة في نظم الشعر، ولكنه وظفه في خدمة قضايا معاصرة، مثل: حث الشباب على طلب العلم، والنهوض، ومن ذلك قوله في قصيدة بعنوان «عاش الشباب»:

عاش الشباب الذي للمجد قد طلبا ... واستشعر الحزم حتى يدرك الأربا
وجديد أب في تنفيذ خطته ... ولم يهن عزمه عجز وما رهبا
رام النهوض بجد لا يشابهه ... جد وهمة قوم قد سموا رتبا
وسوف يدرك أقصى ما يؤمله ... رغم العدو - بحول الله لو صعبا

ثم وجه الخطاب إلى شباب قومه قائلاً:

(شباب قومي) إذا الأوطان أهملها ... شبانها أصبح المعمور قد خربا
(شباب قومي) هي الأقلام ما نفعت ... فجردوا اليوم من أغمادها القضبا
(شباب قومي) سبيل المجد واضحة ... فواصلوا السير، حتى تحمدوا التعبا

(شباب قومي) حماة الشعب زينته ... هداته نوره إن بدره احتجبا
سيروا حثيثاً لنيل العز واتحدوا ... وألفوا - لكم - شعباً قد انشعبا
وأظهروا للورى ما كان يجهله ... من أمركم وأزيلوا عنكم الريبا[1]

ولئن عبر حمد الجاسر، الشاب آنذاك، عن طموح الشباب الذي كان يملأ نفسه، فقد قرن القول بالعمل، وسار على النهج الذي دعا إليه، فانكب على العلم، والدراسة، والتأليف، والتحقيق، فحقق لنفسه ولبلاده أمجاداً عظيما كان يطمح إليها، ولا زال يجاهد في سبيلها بكل همة ونشاط وإخلاص.

ومن الجوانب غير المشهورة في أدب حمد الجاسر، خفة الظل، وروح النكتة في تسجيل الذكريات في عفوية بريئة، وبأسلوب شيق، ومن ذلك ما كتبه «من ذكريات الرحلات»، ونشره في مجلة «العرب» عن رحلته إلى القاهرة للإلتحاق بالجامعة فيها، إذ كتب قائلاً: «أحببت القاهرة منذ أول وهلة رأيتها، فهي أول مدينة شاهدت كل ما فيها متغيراً عما ألفته من مناظر الصحراء، إنها تبدو من حيث العمران من أجمل ما شاهدته عينا إنسان، ثم هي ذات مياه جارية، ومرابع تزدان بالخضرة والإتساع، بحيث لا يحدها البصر، ثم هذا النهر العظيم الذي يخترقها وتطل على جوانبه بأبنيتها الشامخة.

وفضلاً عن كل ذلك فقد كانت موطن العلم والعلماء، ومهوى أفئدة المثقفين من أبناء الأمة العربية في كل مكان.

---

(١) كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ص٨٦ـ٨٧، و«الموسوعة الأدبية» ج٢، ص١٢٠ـ١٢١.

كانت أول زيارة لها في سنة ١٣٥٨هـ، سافرت إليها بحراً . . »[١]

ثم وصف حمد الجاسر أول موقف صادفه على أرض مصر، في ساحة الجمرك، في روح نكتة عفوية صادقة، فقال: «ولا أزال أذكر أنني عند نزولي من الباخرة تقدمت إليَّ عجوز من ركابها، فقالت لي: إن معي حاجة صغيرة، أريد منك أن تساعدني في حملها، حتى نخرج من دائرة الرسوم (الجمرك) فقلت لها: هاتيها، فأخرجت من داخل ثوبها قطة صغيرة، كانت ربطتها بحبل في رقبتها وربطت الحبل في ذراعها ـ أي العجوز ـ ففككت الحبل، وأرجعته لها، وأخذت القطة، وكانت بحجم الكف الصغير، فوضعتها في جيب ثوبي، وحملت حقيبتي بيدي، وعند مروري بالموظف الذي يقوم بتفتيش الحقائب، وكنت لابساً عباءة متينة (مشلح شمال)، إذ الجو كان بارداً، فرفع رأسه يسألني: هل معي شيء؟ فأشرت إلى الحقيبة، ولما انحنيت لفتحها، يظهر أنني ضغطت على القطيطة، فتأوهت بشدة وماءت: (ناو. . ناو!!) فالتفت الرجل إلي قائلاً: (إيه يا شيخ العرب، في بطنك قطط؟!) فأدخلت يدي في جيبي وأخرجت القطة، وقلت: لا، والله ليس في بطني، ولكن في جيبي، وها هي، وتلك صاحبتها، وأشرت إلى العجوز التي كانت ترقبني عند باب الخروج»[٢].

وكان يرافقه في تلك الرحلة العلمية مبتعث آخر للتدريب على الطباعة اسمه محمد سلطان ولقبه (شنب الدين)، وكان حمد الجاسر يجهل لقب رفيقه، فحدث له موقف طريف بسببه، وصفه بقوله: «من

(١) مجلة «العرب»، ج٧،٨، س١٦، ص٤٨١، ٤٨٢، محرم وصفر ١٤٠٢هـ ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٨١م.

(٢) مجلة «العرب»، ج٨٠٧، س١٦، ص٤٨١، ٤٨٢، محرم وصفر ١٤٠٢هـ ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٨١م.

عادة القادم إلى القاهرة في تلك الأيام، من خارج مصر، الحضور في صبيحة اليوم الثاني من قدومه إلى أقرب مركز صحي للمكان الذي نزل فيه، لإجراء الكشف الطبي، فذهبت في الصباح، أنا وصاحبي محمد سلطان، مع بواب دار البعثة إلى المركز الصحي، وبعد جلوسنا برهة من الزمن، وقف أمامنا رجل، وقال: (من فيكم شنب الدين، ومن هو دقن الدين؟!) كنت قد تركت شعيرات لحيتي تنمو، فظننت الرجل يسخر بي، فصرخت في وجهه: (أتهزأ بلحيتي؟!) فما كان من صاحبي إلا أن هب واقفاً، وقال: أنا محمد سلطان شنب الدين، فتراجعت قائلاً: لا مؤاخذة، ما دام صاحبي شنب الدين، فسمني (دقن الدين) وانتهى الأمر بابتسامة من الجميع»[1].

فالعلامة الجليل حمد الجاسر لم يمنعه علمه من الظرف وتصوير المواقف الطريفة في ذكريات رحلته بما فيها من نكتة عفوية ظريفة، في أسلوب سهل العبارة، فيه متعة وفائدة.

ومن أدباء ذلك الجيل من أكابر العلماء الأجلاء، الأستاذ:

أحمد عبد الغور عطار[2]:

ولد بمكة في الرابع عشر من شهر ذي الحجة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م

(١) مجلة «العرب»، ج٧-٨، س١٦، ص٤٨١، ٤٨٢، محرم وصفر ١٤٠٢هـ - نوفمبر وديسمبر ١٩٨١م.

(٢) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٨٠، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص١٧٢، وفي كتاب «قضايا ومشكلات لغوية» تأليف أحمد عبد الغفور عطار، الكتاب رقم٥٤ في سلسلة الكتاب العربي السعودي، تهامة بجدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص الغلاف الأخير، إلا أن سنة مولده هناك ذكرت على أنها ١٣٣٥هـ.

وفيها نشأ فتلقى تعليمه في مدارسها، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي وتخرج منه في سنة ١٣٥٥هـ، ثم ابتعث إلى مصر ليواصل دراسته العالية في جامعتها، فالتحق بكلية دار العلوم، وكان يستمع إلى محاضرات كلية الآداب. ولكنه عاد إلى الوطن، والتحق بسلك الوظائف متفرغاً للعمل والأدب والبحث والدراسة والتحقيق بموسوعية وفي شمول ومقدرة ومهارة، بصورة حققت له شهرة عالمية واسعة واحتراماً في الأوساط العلمية. وفي سنة ١٤٠٥هـ صدر أمر بتكريم الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار مع اثنين من الأدباء بجائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٤هـ. وقد وافته المنية في ١٧/ ٧/ ١٤١١هـ رحمه الله.

والعطار عالم جليل في اللغة ومعاجمها وضبطها، وفي التاريخ، وفي الفقه والدراسات الإسلامية، وهو رائد في الصحافة فقد أسس جريدة «عكاظ» في سنة ١٣٧٩هـ، ثم انتقلت ملكيتها إلى مؤسسة عامة، وأصدر مجلة خصصها للدفاع عن الإسلام والمسلمين أسماها «دعوة الحق» ولكنها توقفت بعد صدورها بوقت قصير، أما في اللغة ومعاجمها فقد حقّق أحمد عبد الغفور عطار بالإشتراك مع عبد السلام هارون «تهذيب الصحاح للزنجاني» في سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، ثم حقّق مقدمة «تهذيب اللغة» للأزهري في سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، وفي سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م حقّق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار كتاب الصحاح للجوهري في سبعة أجزاء، وضع في أولها مقدمة لعلم المعاجم اعتبرها العلماء فتحاً جديداً في هذا العلم، فقد قال عنها الأستاذ عباس محمود العقاد (رحمه الله)، أنها: «تصلح أن تكون مقدمة تامة للصحاح ولسائر المعجمات العربية في جملتها، لأنها تغني القارىء بما اشتملت عليه من المعلومات والآراء فيما يتحراه من التوسع والإفاضة إذا شاء.

وقيمة المقدمة بالآراء التي اشتملت عليها لا تقل عن قيمتها

بالمعلومات الوافية عن الصحاح وما عداه من الموسوعات المعجمية»[(١)].

وللعطار آراء علمية جريئة في اللغة وتطورها، مع حرصه الشديد على قدسيتها الخاصة التي اكتسبتها من شرف نزول القرآن الكريم فيها. ومن آراء العطار العلمية الجريئة تلك، قوله: «والعربية كانت قائمة خير قيام بحاجات أهلها، وكلما تقدم بهم الزمن، وتقدمت بهم الحياة، تقدمت معهم لغتهم التي فتحت أبوابها لاستقبال الجديد بعد أن يصهروا ما يمكن صهره من الألفاظ في «بواتقهم»، وإبقاء ما لا سبيل إلى تغييره، والإفادة منه في الإفصاح والتعبير، واستخدامها عند الضرورة والحاجة، وتوسعة اللغة، لا بالمترادفات، بل بالمفردات التي تعطي كل كلمة منها معنى خاصاً، أو صورة خاصة، أو تشير إلى مسمى خاص.

وكانت العربية سهلة مرنة متسامحة عند من أخذنا عنهم هذه اللغة إلا أنها جمدت منذ قرون، ووقف نشاطها فلم تطق أن تسير، لأن الأغلال والقيود عثرت خطاها ومنعتها من السير الحثيث و«جمدناها»، وصرنا أسرى اللغة بعد أن كانت هي نفسها في خدمتنا.

وقد آن لنا أن نعيد النظر في لغتنا، ونعنى بها، ونتناولها من جديد بالعناية، ونضيف إليها ما نريد من الكلمات ونضع قواعد للترجمة والتعريب، والإشتقاق، والنحت تساعد على تضخيم معجمنا الجديد بما يفتقر إليه.

وإن اكتفاءنا بالمفردات ووقوفنا عندها دون أن نجدد ونضيف إليها

---

(١) «الصحاح ومدارس المعجمات العربية»، المقدمة بقلم عباس محمود العقاد، ص٥ (ط٢)، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

جديداً يجعلان اللغة العربية لغة قديمة أثرية جامدة، في حين أن لغتنا ليست جامدة أو ميتة، بل تنبض بالحياة، وأصحابها الأصلاء كانوا يرتجلون ويضعون، ولنا أسوة في الرسول ﷺ الذي أضاف إلى العربية كلمات طريفة جديدة، ومعاني جديدة، وإصلاحات مبتكرة»[1].

وللعطار آراء كثيرة جريئة ورائدة في الأدب والإجتماع والفنون والحياة كلها، نشرها في عشرات الكتب التي ألّفها، وفي عشرات المقالات التي نشرها، والتي تمتلىء بحصر أسمائها فقط صفحات عدة من كتاب، وكلها على أعلى درجات الإتقان العلمي السليم. فهو يجمع بين أصالة العالم وأصالة الفنان في آن واحد، ويتميز بهذه الخصيصة في عطاء متواصل، علماً وأدباً في أجمل أساليب البيان، وأرفع مستويات الإتقان.

ومارس العطار الترجمة الأدبية فنقل إلى العربية عن اللغة البنغالية رائعة من روائع شاعر الهند العظيم «تاغور» وهي مسرحية «الزنابق الحمر»، التي أظهر فيها أصالته الفنية ومقدرته على نقل القارىء إلى أجواء اللغة التي ترجم منها، وقد استقبل النقاد تلك التجربة بترحاب وتقدير، فكتب عنها إبراهيم فلالي (رحمه الله) قائلاً: « . . . ولكن هذه الدرة الفريدة الرائعة (الزنابق الحمر) ما كنا لنستمتع بها لولا أن قام بترجمتها لنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، وترجمته هذه المسرحية ليست من السهولة بحيث يترجمها كل إنسان، فهي في الذروة من الآداب العالمية، وقد يتقدم مترجم عربي لترجمتها، ولكننا نشك كثيراً في أنه يستطيع أن ينقلنا إلى الجو الشاعري الرحيب الممتلىء بالروعة والسحر، كما كتبها تاغور بلغته البنغالية.

---

(١) «الصحاح ومدارس المعجمات العربية»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، ص١٨.

(. . .) وأخيراً قرأت الزنابق الحمر، ولقد احسست وانا اقرؤها بأنني أقرأ تاغور نفسه في لغته البنغالية، لأن المترجم استطاع أن ينقلني إلى عالم جديد لا عهد لي به، عالم كله روعة، وكله فتنة وكله سحر وجمال، ولولا أن الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ملم باللغة البنغالية، ومتمكن منها ومن أسرارها تمكنه وإلمامه من اللغة العربية، ولولا أنه أديب أصيل يتذوق الأدب الرفيع، ويضع لمعانيه القوالب الملائمة من الألفاظ والعبارات، ما كان ليصل إلى هذه البراعة في ترجمته للزنابق الحمر»[1].

والعطار العالم والأديب الذواقة مارس النقد الأدبي بمهارة، ولكنه كان يترك لعواطفه مجالاً واسعاً في نقده، مجاملاً ومبالغاً في الثناء والإطراء على من يحب، ومحتداً بعنف على من يستفزه[2].

والعطار، العالم والمحقق والمترجم، شاعر، بل هو أول من أقدم على جمع شعره ونشره في ديوان مستقل في سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م من بين أقرانه ومن سبقوه من الرواد في الأدب السعودي الحديث. وقد كتب مقدمة ديوان «الهوى والشباب» من شعر العطار الدكتور طه حسين (رحمه الله) الذي أثنى عليه وتنبأ له بمستقبل زاهر في الشعر[3]، ولكن العطار لم يواصل سيره في نظم الشعر، رغم أصالته المبكرة فيه، لأن العلم صرفه عنه.

وفي شعر العطار ملامح من شعراء العرب القدامى مثل أبي الطيب

---

(١) «المرصاد»، ص٢٥٤ و٢٦٠.

(٢) انظر أمثلة وشواهد على ذلك في كتاب «المقالات»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

(٣) «الهوى والشباب»، شعر أحمد عبد الغفور عطار، المقدمة بقلم طه حسين، ص٧ـ٨.

المتنبي، والمعاصرين مثل علي محمود طه. ولكن بروح عصرية مستقلة في التعبير والمضمون، ومن شعره الذي يذكّر بشعر المتنبي في طموحه قوله بعنوان «المثل الأعلى».

أرى المثل الأعلى جميلاً محببا — إلى النفس إما كان فكرة شاعر
فلو كان ميسوراً وفي الوسع نيله — لمل، وأمسى في عداد الصغائر
فما عشقنا إياه إلا لأنه — منيع - وفي الممنوع قيد الخواطر -
ومن دأبنا حب المنيع، وكرهنا — لما كان ميسوراً لإدراك قادر[(١)]

وفي هذا المعنى يقول المتنبي من قبل:

إذا غامرت في شرف مروم — فلا تقنع بما دون النجوم
وطعم الموت في أمر صغير — كطعم الموت في أمر عظيم[(٢)]

وفي شكوى العطار من حمى أصابته قال العطار أبياتاً سار فيها على نهج المتنبي في الموضوع ذاته، فالعطار قال عن أثر الحمى فيه:

وما تبقى بجسمي غير أعظمه — تكسى بجلد، وهذا الروح في صفد
شتى سهام توالى فيَّ صاردها — غضبان، لا ينثني عن جسم مضطهد[(٣)]

وقبل العطار قال المتنبي:

بذلت لها المطارف، والحشايا — فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها — فتوسعه بأنواع السقام[(٤)]

---

(١) «الهوى والشباب»، ص٦٨.

(٢) ديوان المتنبي، ج٢، ص٢٤٥، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) «الهوى والشباب»، ص١٠٠.

(٤) ديوان المتنبي، ج٢، ص٢٧٦.

وفي قصيدة طويلة عنوانها «ميلاد شاعر» بدا تأثر العطار واضحاً بالشاعر المصري الحديث علي محمود طه (رحمه الله) وقد تجلى ذلك في المضمون، بل وفي العنوان الواحد، وفي الموسيقى وأسلوب الأداء وتعدد القافية والروي. فالعطار قال:

في دجى الليل سرى لحن جديد! من أقاصي الشرق نحو المغرب
فإذا الدنيا: غناء ونشيد وضياء شق ستر الغيهب(١)

وقبل العطار قال علي محمود طه:

هبط الأرض كالشعاع السني بعصا ساحر وقلب نبي(٢)

وللعطار في ديوانه الوحيد «الهوى والشباب» شعر وجداني يفيض عاطفة وشعوراً، وله شعر سياسي أثارت بعضه ظروف الحرب العالمية الثانية التي وضعت أوزارها وقت صدور الديوان.

والعطار صلب في الحق وشجاع لا يخشى إلا الله عز وجل، وله مواقف كثيرة في الشجاعة والإقدام.

وللعطار أفضال لا تحصى على شداة الأدب وأساتذته حينما كان يشجعهم في نشأتهم الأولى ويأخذ بأيديهم على مدارج النضج والإرشاد والتوجيه، فهو أستاذ أجيال عظيم، وقد حقق رسائل في التربية لابن خلدون وغيره، نشرها في سنة ١٣٧٦هـ.

والعطار كتب القصة وله فيها مجموعة بعنوان «أريد أن أرى الله»

(١) «الهوى والشباب»، ص١١٨.

(٢) «ديوان علي محمود طه»، «الملاح التائح»، ص١١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.

أصدرها في سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، وكتب التمثيلية، وكتب في أدب الرحلات بأسلوب مشرق ممتع ومفيد.

وللعطار مواقف سياسية واضحة واجه فيها الصهيونية والشيوعية وفضح أسرارهما بحقائق علمية، وبحجج منطقية في كتب كثيرة.

وهو غيور على دينه ولغته ووطنه وقد وظف علمه في الدفاع عن مقدسات الإسلام والعروبة بوعي وإخلاص.

والعطار يرى أن حاجة الإنسانية للأدب والأدباء لا تقل عن حاجتها للعمل والعلماء - في المفهوم المادي للعلم - بل إنها تفوقها كما كتب شارحاً ذلك بقوله: «وأنا أدهش من إصغاء شبابنا - أو كثير منهم - إلى صيحات المادية، التي يسمعونها من بعض البلدان، ويقلدونها، ويحسبون أن الحياة قفرت من المعاني والفنون والشعر.

إن الحرية مطلب من المطالب، أو ضرورة من الضرورات، مثل الخبز للإنسان، كلاهما قوامه: الحرية للكرامة الإنسانية ولإنسانيته، والخبز لكيانه المادي. والحرية في صميمها ليست مادة، بل شعور تحركه دوافع النفس وبواعث الروح والشوق إلى الحياة التي يؤودها الإستعباد والإكراه.

فإذا كانت الحرية معنى من المعاني، فإن الباعث إليه ليس باعثاً مادياً، بل يدفع إليه الشعور الإنساني، والشعور الإنساني نسيج الأدب وقوامه وكيانه، بل الباعث إلى الحياة نفسها ليس إلا باعثاً غير مادي.

وما كانت زحمة المادة بشاغلة الإنسان عن المطالب الفنية وضرورة الشعور. وإلا فقد الإنسان خير معانيه، وتجرد عن أرفع مزاياه، لأن شعور الإنسان بالإستغناء عن الشعر والفنون ليس دليلاً على الغنى

والإمتلاء واشتغاله بالمادة وحدها إنما هو رعاية للجسد وحده وإغفال جانب الروح إغفالاً تاماً»[1].

ثم شرح العطار حقيقة هامة بقوله: «إن العلم أوجد لنا كل وسائل الحياة المادية، فنجد بوساطته الثلج والجو البارد في حمارة القيظ، ونقطع المسافة الطويلة في سويعات ودقائق، ومنحنا المطبعة والطائرة والسيارة والراديو والثلاجة وما إليها، فهو خادمنا الذي وجد ليأتمر بأمرنا.

أما الأدب فشأنه شأن السيد، يدفع الإنسان إلى طلب الكمال والمتعة واللذة والتأمل.

(. . .) إن هذا السلاح الفتاك الجبار المدمر، وهذه الجيوش المعدودة بالملايين، الغارقة في الجديد، والإعداد لحرب شاملة مبيدة، والقوى التي تمحو معالم الحضارة الإنسانية في دقائق ليست دليلاً على أن العلم قوام الحياة وصاحب السيادة، لأن العقول التي أنتجت ما كانت لتنتجَ لولا أطماع الطامعين وبواعث النفس الصابية إلى السيادة المطلقة وتحقيق الآمال الظافرة.

إن نتائج العلم الذي يدعون إليه خطيرة مؤذية، وإنه لأشبه بالإنسان الذي استحال وحشاً، فقطع الطريق على الآمنين، وأخاف السالكين، ونشر الذعر والهلع والقلق، فهو ليس سيداً لأنه أخاف من هو أعظم منه في مجال القوة والجبروت، وأكرم منه في حقل الإنسانية، وأفضل منه في المزايا والسجايا.

---

(١) «كلام في الأدب»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، ص٥٥ـ٦٤.

ويكفي أن يكون وراء تلك القوى والعقول بواعث نفسية لندرك أن الشعور الذي هو سر الفن وقوامه هو نفسه الباعث على التماس التفوق والسيادة والبروز»[١].

ثم يقرر في النهاية أن: «حاجتنا إلى الأدب أعظم من حاجتنا إلى المادية التي تسحق الأرواح والأشواق الإنسانية»[٢].

ومن أبرز الأدباء العلماء من أبناء ذلك الجيل الأستاذ:

عبد الله بن خميس[٣]:

وهو من مواليد قرية الملقى قرب الدرعية في سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ونشأ في الدرعية فتلقى فيها تعليمه الأولي في كتابها، وعندما تأسست مدرسة (دار التوحيد) في الطائف كان عبد الله بن خميس من أوائل من التحقوا بها، وبعد تخرجه منها التحق بكلية الشريعة في مكة المكرمة وحصل على شهادتها النهائية. وعين بعد تخرجه مديراً للمعهد العلمي في الاحساء، وبعد ذلك تولى إدارة كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض، التي كانت نواة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ثم تركها وعُين مديراً عاماً لرئاسة القضاة، فوكيلاً لوزارة المواصلات، فرئيساً عاماً لمصلحة مياه الرياض، ثم ترك العمل الوظيفي متفرغاً للعلم والبحث والأدب.

---

(١) «كلام في الأدب»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، ص ٥٥-٦٤.

(٢) «كلام في الأدب»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، ص ٥٥-٦٤.

(٣) وردت ترجمته في «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٢٠، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص١٤٩، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٨٢.

وفي سنة ١٤٠٣هـ صدر أمر ملكي بمنح الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس مع اثنين آخرين جائزة الدولة التقديرية، في أولى سنوات منحها، عرفاناً بفضله وتقديراً لجهوده العلمية والأدبية في خدمة بلاده.

وابن خميس رائد في أعمال ثقافية عدة، فهو مؤسس صحيفة «الجزيرة» في الرياض، في عهدها الأول قبل أن تنتقل ملكيتها إلى مؤسسة عامة. وهو أول من قدّم دراسة علمية وافية للأدب الشعبي في جزيرة العرب على أسس منهجية واضحة سليمة في كتاب أسماه «الأدب الشعبي في جزيرة العرب». وقد شرح ابن خميس في مقدمة كتابه هذا الدوافع التي حدت به على القيام بهذه الدراسة، وفي مقدمتها إيمانه بأن الأمم العظيمة تعتز بتراثها، وبصفة خاصة ما اتصل منه بذاتيتها في لغتها وأساليب تعبيرها الأدبي، وإذا كان الدارسون من غير العرب من كبار المستشرقين قد درسوا تراث العرب القديم، فإن العرب أنفسهم أولى بالقيام بهذا الواجب، خصوصاً وأن ابن خميس يرى أن الشعر الشعبي (النبطي) ما هو إلا امتداد للشعر الفصيح، في أوزانه وموسيقاه، وفي مضامينه وأساليب أدائه، كما ذكر ابن خميس أنه كان منذ عهد صباه مولعاً بالشعر الشعبي (النبطي) تذوقاً، وحفظاً ونظماً، فكان ذلك أيضاً حافزاً له على تأليف هذا الكتاب[1]، الذي يعتبر رائداً في بابه، وفي المنهج الذي رسمه له وسار عليه فيه: تعريفاً، وتاريخاً، وشرحاً وتحليلاً، ومقارنة بشعر اللهجات العربية الأخرى المجاورة، ثم شرح النظام الموسيقي، والمفردات التي وردت في شواهده الشعرية، فجاء كتابه جامعاً شاملاً وافياً في الشعر الشعبي في هذه البلاد، كما قارن بينه وبين الشعر العربي الفصيح في كثير من نقاط التلاقي بينهما.

---

(١) «الأدب الشعبي في جزيرة العرب»، تأليف عبد الله بن خميس، ص٥-٢٠.

وعبد الله بن خميس مولع بحب بلاده، فكما قدّم دراسة وافية في أدبها الشعبي، فقد ألّف في جغرافيتها وأسماء الأماكن التي وردت في الشعر العربي بين اليمامة والحجاز، وحققها في كتاب صدر في عدة طبعات[1]؛ وأسماه «المجاز بين اليمامة والحجاز» من: جاز الطريق يجوزه، إذا قطعه. والتزم في تأليفه ذكر ما يجتازه خط السير، أو ما يبصره المجتاز يميناً وشمالاً من أعلام الأمكنة. كما ألّف ابن خميس معجماً جغرافياً أسماه «معجم اليمامة».

وابن خميس شاعر يلتزم في شعره بدقة تامة بنظام الأوزان المتوارثة في موسيقى الشعر، ومعظم شعره في التغني بحب بلاده وذكر أمجادها وله ديوان أسماه «على ربى اليمامة» ومن شعر ابن خميس، في التغني بأمجاد بلاد العرب، قوله بعنوان «هذه الجزيرة».

لو أباحت بما لديها الطلول ... أي شيء تبينه لو تقول
واكبتها من الحياة ضروب ... وامتطاها من الأنام شكول
تشهد العيس حسراً من وجاها ... شفها الوخد والسرى والذميل
ضامرات كأنهن العراجين ... طواها بعد التموك النحول
يسكب القوم فوقها كل لحن ... تناغى من سحره وتميل
ضاربات ما بين (هجر) و(حجر) ... وبأعناقها البطاح تسيل[2]

وواضح من مفردات هذا الشعر، وبدايته الطللية، إيغاله في السير على نهج فحول شعراء العصر الجاهلي، نصاً وروحاً، كما فعل ذلك في العصر

(١) كتاب «المجاز بين اليمامة والحجاز» صدر في طبعته الثالثة في سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، عن مؤسسة تهامة بجدة، وكان الكتاب رقم٤٦ في سلسلة الكتاب العربي السعودي.
(٢) «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٨٣.

الحديث في نجد أيضاً محمد بن عبد الله بن عثيمين قبل ابن خميس.

وعبد الله بن خميس يتمتع بحافظة قوية، وقد ألّف كتاباً من جزئين سجل فيه أروع ما حفظ، وما أثر من أبيات الشعر العربي في الحكمة واللفتات البارعة على مر العصور وأسماه «الشوارد». ولابن خميس كتاب سجل فيه خواطر وذكريات خارج الوطن أسماه «شهر في دمشق».

وفي المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز وعقد بمكة في سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م كان ابن خميس المتحدث باسم الأدباء في المؤتمر. كما شارك في معظم لجانه، منذ بداية التفكير في عقده، واستنارت الجامعة كثيراً بآرائه الصائبة في ذلك المؤتمر.

كما مثل ابن خميس المملكة رسمياً في كثير من مؤتمرات أدبية عقدت خارج البلاد.

وابن خميس يقدم برنامجاً إذاعياً يجيب فيه على أسئلة المستمعين عن الشعر القديم بعنوان «من القائل» تتجلى فيه جذور ثقافته الأدبية العميقة.

ومن علماء الأدباء الفقهاء من جيل الأوائل الأستاذ الشيخ:

إبراهيم فطاني[1]:

ولد بمكة سنة ١٣٢١هـ/ ١٩١٣م وبها نشأ، فتلقى تعليمه بمدارسها، إلى أن التحق بالمدرسة الراقية الهاشمية، كما تلقى علومه

---

(١) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٤٢، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٤٣، وفي «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص١٩٣.

الشرعية والعربية في حلقات الدرس بالمسجد المكي الحرام. وفي حياته العملية بدأ بالتدريس في مدرسة دار العلوم الدينية، وفي المعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات (المدرسة الثانوية آنذاك) بمكة، ثم انتقل إلى سلك القضاء قاضياً بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة لسنوات طويلة، مع ملازمته تدريس العلوم الدينية والشرعية والعربية في حلقات بالمسجد الحرام. وكانت وفاته في ١٢/٨/١٤١٣هـ رحمه الله.

والشيخ إبراهيم فطاني الفقيه القاضي شاعر غرّد بأعذب الألحان، وهو وإن كان في شعره محافظاً على النظام المتوارث في الشعر، إلا أنه كان يختار الألفاظ السهلة ويصوغها في عبارات رشيقة، تضفي على بحور الشعر وموسيقاه جمالاً في جرسها، وعذوبة في تناغم ألفاظها، مع توظيف للشعر في خدمة قضايا معاصرة، وفي التغني بحب بلاده، وبأمجادها، وحب رسول الله الكريم ﷺ فقد تغنى ببلاده كثيراً، فقال:

بلادي كيف أجحدها وفيها ... تقوى ساعدي وعرفت ديني
غذيت بخيرها ونهلت منها ... مناهل للعلوم وللفنون
وفيها قد نشأت فعلمتني ... وراضتني على الخلق المتين
وعشت بها طليق الفكر حرا ... أبياً لا يلين لمستلين
بلاد شع منها النور يهدي ... إلى الدين القويم إلى اليقين
بلاد أنجبت خير البرايا ... ومنقذهم من الشرك المشين[1]

ومن شعر إبراهيم فطاني الرقيق، الذي يحمل لمحات رومانسية في تصوير شعور المحب، وتلذذه بعذاب الحب، قوله في حوار:

لله ما أحلى الهوى ... في خلوة بين الغصون

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٤٧-٤٨.

جعلت تساقيني الجوى الصا ... في بكأس من معين
وغدت تشنّف مسمعي ... إن الحديث لذو شجون
فسألتها معنى الهوى ... وهو المسطر في الجبين
قالت: تراه مجسما ... ما بين لحظات العيون

ثم قال:

يا منيتي، يا بهجتي ... ليس الهوى ما تدعين
إن الهوى ألم به ... يتلذذ القلب الطعين
وشقاوة فيها السعا ... دة والهنا للمغرمين[1]

والأستاذ إبراهيم فطاني، رحمه الله، محدث لبق، كان من أبرز المحدثين في الإذاعة العربية السعودية في سنواتها الأولى، وكانت أحاديثه الأسبوعية شيقة وجامعة، وعنوانها «من جوامع الكلم» وليتها تجمع وتطبع وتصدر في كتاب، إن شاء الله.

أما أشهر الناشرين الذين واكبوا نهضة الأدب العربي السعودي فهو الأستاذ:

عبد السلام طاهر الساسي[2]:

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، وبها نشأ فتلقى تعليمه الأولي بكتاتيبها. مات والده فتركه في كفالة أخيه الأكبر الطيب الساسي، ثم أخيه الثاني عبد الله الساسي، رحمهم الله أجمعين. فانتقل إلى مكة والتحق بمدرسة الفلاح فيها، ثم إلى جدة والتحق كذلك بمدرسة الفلاح فيها. وتتلمذ فيها على الأستاذ محمد حسن عواد،

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٤٤ـ٤٥.
(٢) وردت ترجمته بقلمه في «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٦٢.

(رحمه الله) الذي اكتسب منه حبه للأدب والأدباء، وفي يوم الأربعاء ٢٣/١٢/١٤٠١هـ/ ٢١/١٠/١٩٨١م انتقل عبد السلام الساسي إلى رحمة الله تعالى ودفن بمكة

وعبد السلام الساسي تميّز بحبه للأدب والأدباء وصداقته لهم جميعاً مهما ساءت علاقاتهم مع بعضهم بعضاً. حفظ شعرهم، فكان مرجعاً لما لم يدوّن منه، وبصفة خاصة شعر من عزفوا عن النشر مثل حمزة شحاته، (رحمه الله) وقد بدأ نشاط عبد السلام الساسي في نشر الأدب السعودي بالإشتراك مع اثنين من زملائه هما: علي حسن فدعق، وهاشم يوسف زواوي في كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، ثم أصدر بعده كتاب «الشعراء الثلاثة» ثم «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، وقد سبق الحديث عن هذه الكتب. وقبل وفاته بدأ في إصدار كتاب «الموسوعة الأدبية» الذي أصدر منه بالفعل ثلاثة أجزاء، وهو سجل لمجموعة من تراجم الأدباء السعوديين، كتبت معظمها بأقلامهم شخصياً وأرسلت إليه لنشرها، مع مجموعة مختارة من تراثهم الشعري والنثري، بلا دراسة ولا تحليل، ولكنها مع ذلك من المراجع المفيدة في التعرف على أدباء هذه البلاد.

وكتب الأستاذ عبد السلام الساسي المقالة، والحديث الإذاعي، وله محاولات شعرية، ولكن عمله المتميز كان في نشر أدب أدباء بلاده، والتعريف بهم (رحمه الله).

ومن أقرانه من الناشرين الأوائل كذلك، الأستاذ:

هاشم يوسف زواوي[١]:

ولد بمكة سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م وبها نشأ، فتلقى تعليمه في

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٢٥.

مدارسها، وتخرج من مدرسة الفلاح سنة ١٣٥٤هـ. وتجول بعد ذلك في البلاد العربية، ثم عاد إلى مكة فالتحق بالعمل الوظيفي، محاسباً في (أم القرى) حينما كان رئيس تحريرها عبد القدوس الأنصاري (رحمه الله)، ثم انتقل إلى وزارة المالية، ثم إلى إدارة الحج، وأصبح أول رئيس تحرير لمجلة «الحج» التي تحوّل اسمها أخيراً إلى مجلة «التضامن الإسلامي» ثم بعد سنة عُين مديراً عاماً مساعداً للإذاعة في بداية تأسيسها وإرسالها الأول في سنة ١٣٦٩هـ فاستقطب كثيراً من الأدباء المرموقين للعمل فيها. وفي منتصف شهر شعبان من سنة ١٤١٩هـ وافته المنية رحمه الله.

وقد اشترك هاشم زواوي في شبابه مع عبد السلام الساسي وعلي حسن فذعق في إصدار كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي»، كما حدثت بينه وبين بعض أقرانه مشاحنات أدبية نقدية حول بعض ما كتب ونشر في الصحف، فقد كان يكتب مقالات يحاكي فيها بعض كبار أدباء العرب في مصر في العصر الحديث واجه بسببها نقداً لاذعاً من أحمد عبد الغفور عطار[1].

ومن كتابات الأستاذ هاشم زواوي في التأمل الذاتي مقالة بعنوان: «من طيات القلب» قال فيها: «أنا يا شقيقتي كجمل قصد به صاحبه إلى حمى يكثر فيه العشب والكلأ وتركه يرعى في حشيش الأرض ومرعاها الخصيب، ويشرب من ماء الغدير، وينعم بصفائه الجميل، وقد نعم الجمل بما يلاقيه من سعادة ونعيم، ولكنه كلما تذكّر ما ينتظره من حمل

---

(١) انظر كتاب «المقالات»، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، ص١٨١-١٨٥.

يغدو به ويروح هاج وأرغى وأزبد، وهدر وجال وصال. فلا الكلأ بخافض ثورته، ولا ماء الغدير يبرد حدته، إنه يغدو هائجاً لا يلوي على شيء، ويروح ثائراً وقد أشفق على نفسه من الهلاك.. إن هو مَرِضَ أو تمارض فالسكين والمجزرة مرجعه، وإن هو تماوت فالنحر والسلخ مآله. وإن هو تحمّل العناء والشقاء فالجوع وطول الشقة وثقل الأحمال وقسوة الحياة وشظف العيش مآله. وفوق ذلك كله فإن له ما للحيوان من نزوات وعواطف يتصور إلفه فيحن إليه ويذكر أهله ورفاقه فيصبو ويهفو إليهم. وهو بعد لا حول له ولا طول.

إنه إذا يشكو ويئن ويبرح به الهوى والتعاسة فيكاد يجن.. وإذا طاش مرة وهم بأمر قال صاحبه: هذا جمل هائج فاعقلوه. وإن صبر وسكت قال: إنه فحل فحمّلوه..»[1].

أما أول من أسندت إليه رسمياً جميع مسؤوليات الإعلام والنشر من أدباء ذلك الجيل بدرجة وزير، فهو الأستاذ:

عبد الله عمر بلخير[2]:

ولد في حضرموت سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ونشأ في مكة بعد نزوح أسرته إليها وهو طفل، فتلقى تعليمه في مدارس مكة، وتخرج من مدرسة الفلاح بها، ثم ابتعث إلى بيروت لمواصلة دراسته في الجامعة الأمريكية بها. وبعد عودته تدرج في وظائف حكومية رفيعة حتى عُهد إليه في بداية السبعينات الهجرية من القرن الهجري الرابع عشر بتأسيس

---

(١) «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٢٥.

(٢) وردت ترجمته في «وحي الصحراء»، ص٢١١ (ط١)، ص٢٦٩، وص الغلاف الأخير (ط٢).

«المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر» التي كانت نواة وزارة الإعلام، ثم أصبح الأستاذ عبد الله بلخير أول وزير دولة لشؤون الإعلام، قبل أن يترك العمل الوظيفي متفرغاً لحياته الخاصة والأدب.

واشترك عبد الله بلخير في شبابه المبكر مع محمد سعيد عبد المقصود (رحمه الله) في إصدار كتاب «وحي الصحراء» تعريفاً بأدب هذه البلاد في نشأته الحديثة.

ونظم عبد الله بلخير الشعر القوي في معناه ومبناه منذ عهد صباه، وكانت له صولات وجولات في محافل الأدب في بداية نهضته الحديثة في المملكة. ثم انقطع عن نظم الشعر، أو ربما عن نشره فقط، فترة طويلة، ربما لانشغاله بمناصبه القيادية الخطيرة. ولكنه عاد مرة أخرى عودة قوية، ونشر قصائد طويلة، أسماها «ملاحم» تغني فيها بأمجاد العرب والمسلمين القديمة في الأندلس، ولكن أسلوب التقريرية المباشرة يغلب على مثل هذا الشعر بصفة عامة. وعبد الله بلخير في شعره عربي الإتجاه، يتطلع منذ عهد صباه وشبابه إلى اليوم الذي تتحقق فيه للعرب وحدتهم، وتعود أمجادهم، ورأى، كغيره من أقرانه، أن توحيد الملك عبد العزيز (رحمه الله) لهذه البلاد هو البداية الحقيقية للوحدة، كما قال في قصيدة نظمها في عيد سنة ١٣٥٣هـ:

وعيد جلوس العاهل المنقذ الذي ... تميس به (نجد) وتفديه (يثرب)
فأنعم به يوماً، لذكراه كلما ... يرددها (التاريخ) بزهو ويعجب
هو النعمة الكبرى على العرب، كيف لا ... وفيه ابتدا عصر (السعود) المذهب
وفيه خطونا خطوة سجلت لنا ... على صفحات الدهر بالفخر تصحب
وفيه غضبنا غضبة مضرية ... بأمثالها الأمثال في الناس تضرب
وفيه أرينا الناس كيف اتحادنا ... فأعجب بروح المجد إن كنت تعجب

وفيه التقى (نجد) بقطر (محمد) فسار إلى القصد الذي نحن نطلب
إلى (الوحدة الكبرى) يقود جموعهم موحدهم (عبد العزيز) المحبب[1]

وبإدارة الأستاذ عبد الله بلخير دخلت وسائل النشر الحديث، في الصحافة والإذاعة عهد التطور الحقيقي من أوسع أبوابه، وانتشر صوت هذه البلاد بقوة في كل مكان، ناشراً فكر الإسلام وأدب الأصالة بأقلام أدباء هذه البلاد وأصواتهم.

---

(١) «وحي الصحراء»، ص٢١٣ (ط١)، ص٢٧١ (ط٢).

ملاحظة

في هذا القسم الذي انتهى من الكتاب تصوير لحالة الأدب وتطوره في هذه البلاد منذ إعلان توحيدها، مع حصر لأهم الإصدارات ووسائل النشر التي بدأت منذ بداية التوحيد الشامل، وما طرأ عليها من تطور. ثم أعقب ذلك تعريف خاص بنخبة مختارة من جيل الرواد وأوائل الأدباء والكتاب الذين عاصروا بداية تأسيس هذه الوحدة الشاملة التي ذابت في إطارها تدريجياً كل الفوارق الإقليمية، وتجلت حقيقتها في نشاطهم الأدبي، وفي آثارهم الشعرية والنثرية. وقد تم اختيار هذه المجموعة على أساس إعتبارات منها:

١ ـ معاصرتهم لبداية التأسيس والتوحيد ومواكبتهم لتطور المملكة بعطائهم المتواصل في حيوية وحماس بلا انقطاع.

٢ ـ إن ولادتهم جميعاً كانت فيما بين بداية العشرينات ونهاية الثلاثينات من القرن الهجري الرابع عشر.

٣ ـ إنهم من الذين أسهموا بالفعل في تأسيس الصحف الأولى التي أسهمت في نشأة الأدب العربي السعودي وتحريكه، أو من الذين أسهموا في تحرير تلك الصحف والكتابة والنشر فيها.

٤ ـ إنهم من الذين أسهموا في جمع وتبويب، وتأليف ونشر الكتب الأولى في الأدب العربي السعودي.

٥ ـ إنهم من الذين أسهموا في تأسيس الإذاعة وممارسة الأدب من خلالها في بداية عهد إرسالها.

٦ ـ إنهم من أصحاب البصمات والآثار الواضحة في كل ما جاء بعدهم من آثار تستحق الذكر في الأدب العربي السعودي.

٧ ـ إنهم بذلك كله من الصنّاع الحقيقيين الأوائل للنهضة الأدبية الحديثة في هذه المملكة الموحدة، وإنهم بذلك من صنّاع تاريخ الأدب السعودي الحديث.

٨ ـ إن تراثهم يمثل جميع الأجناس الأدبية التي عرفوها ومارسوا كتابتها، شعراً، ونثراً، وعلماً، ودراسة، وتحقيقاً، ونشراً.

وفي القسم التالي من الكتاب مجموعة أخرى يبدأ تاريخ ميلادها من أوائل الأربعينات من القرن الهجري الرابع عشر وواضح أن فرق السنة الواحدة بين بعض أفراد المجموعة المنتخبة في هذا القسم، وبعض أفراد المجموعة المنتخبة في القسم التالي فرق زمني بسيط، يجعل التداخل الزمني، والتاريخي الحقيقي، بين المجموعتين، حقيقة لا يمكن تجاهلها، ولكن دواعي الترتيب والتنظيم تقتضي دائماً وضع فواصل وحدود زمنية للحقب، أو العهود المتعاقبة في التاريخ، وهذا هو الذي فرض هذا التقسيم والتبويب في جميع أقسام هذا الكتاب ونماذجه المنتخبة للدراسة والتحليل دعماً للتتبع التأريخي والإستقراء، والوصف العام.

عهد الإنطلاقة الحضارية الشاملة

منذ أواخر الستينات الهجرية وأوائل السبعينات من القرن الرابع عشر الماضي بدأت المملكة العربية السعودية في دخول عهد جديد من الإنطلاقة الحضارية الشاملة، وبصفة خاصة في ميادين العلم والتعليم، وما لهما من تأثير مباشر في الأدب، والوعي الثقافي العام.

ففي سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م تأسست أولى الكليات على المستوى الجامعي في المملكة، وهي كلية الشريعة بمكة، ثم تأسست بعدها كلية المعلمين، بمكة كذلك، والتي تحول اسمها فيما بعد إلى كلية التربية، وهما نواة جامعات المملكة بصفة عامة.

وفي سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م تحولت المديرية العامة للمعارف إلى وزارة، فتأسست بذلك وزارة المعارف، التي أسسها آنذاك أمير حيوي نشط ومحب لبلاده، ولنشر العلم في ربوعها، هو عاهل البلاد وراعي نهضتها في الوقت الحاضر الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، حفظه الله، الذي يعتبر عهده بحق عهد الإنطلاقة الحضارية الشاملة لهذه المملكة في كل اتجاه وميدان، وعلى وجه الخصوص في مجالات العلم وميادينه الفسيحة الواسعة، التي حظيت وتحظى برعاية وعناية فائقة من اهتمامه ودعمه. ففي عهده تأسست جامعة الملك سعود بالرياض، وكانت أولى كلياتها هي كلية الآداب التي انتدب لإدارتها من مصر أحد مشاهير أدباء العرب وعلمائهم في العصر الحديث وهو الدكتور

عبد الوهاب عزام (رحمه الله)، وفي هذا اعتراف بأهمية الأدب والعلوم الإنسانية ودورهما في تربية الوعي الحضاري العام. وقد أسهمت هذه الكلية. والجامعة، وبقية الجامعات الأخرى، التي تأسست فيما بعد في المملكة، إسهاماً إيجابياً فعالاً في البناء الحضاري الشامل، وتخريج عشرات الشباب، من الذكور والإناث فتسلموا مواقعهم القيادية في مجالات تخصصهم، فازدهر الأدب والتأليف والتحقيق ازدهاراً لا مثيل له من قبل.

ومنذ أواخر الستينات الهجرية من القرن الرابع عشر الماضي بدأت وفود المبتعثين من أبناء المملكة في العودة إليها مزودين بالعلم النافع، بعقول متفتحة، وأذهان صافية، وثقافة واسعة، وكان من بين العائدين الناجحين من جامعات العالم العربي والخارجي من أبناء المملكة أدباء كبار أصبح لهم دورهم البارز في توجيه النشاط الأدبي بقوة دفع أكبر وحماس ظاهر، على أسس ثقافية علمية متينة.

وبعد أن كانت مدن الحجاز الكبرى مثل مكة والمدينة وجدة هي وحدها تقريباً مراكز النشاط الأدبي، أصبح ذلك النشاط عاماً في جميع أقطار المملكة الأخرى، بعد أن انتشر التعليم فيها، ومحا نور العلم ظلام الجهل في أرجائها بفضل الله تعالى وحسن توفيقه عز وجل لقادة هذه البلاد المخلصين.

ومع بداية الثمانينات الهجرية من القرن الرابع عشر الماضي دخلت المرأة في المملكة عهد التنور العلمي من أوسع أبوابه بعد أن تأسست الرئاسة العامة لتعليم البنات، التي نشرت مدارس البنات بجميع مراحلها في كل قرية ومدينة من قرى ومدن المملكة، ثم توسعت بعد ذلك بإقامة كليات وتنظيم دراسات عليا للفتيات، فأصبح للمرأة دورها الحيوي

الفعال في إبداء الرأي، والتفكير، والبناء، وظهرت أدبيات مرموقات كتبن في القصة، والمقالة، ونظمن الشعر في أشكال عدة، وعبرن عن مكنونات خواطرهن، وأسمعن صوتهن للجميع بقوة وثقة.

وفي الثمانينات من القرن الهجري الرابع عشر الماضي تأسست الإذاعة المرئية «التلفزيون العربي السعودي» ففتح آفاقاً جديدة أمام الأدباء، وبصفة خاصة في جنس المسرحية، والتمثيلية، والشعر الغنائي، وأدب الحوار.

وفي سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م عقد أول مؤتمر عام للأدباء السعوديين دعت إليه ونظمته جامعة الملك عبد العزيز، وعقد بمكة في الأسبوع الأول من شهر ربيع الأول من تلك السنة، فكان أعظم مهرجان أدبي ثقافي جمع بين جميع أدباء المملكة، وأتاح لهم فرص التعارف وتبادل الرأي، ووضع ذلك المؤتمر توصيات كانت لها آثارها الحسنة فيما بعد.

أما أبرز حدث كان له أعظم الآثار الحسنة على الأدب والأدباء في المملكة، فهو تحويل رعاية الشباب من إدارة فرعية تابعة لوزارة الشؤون الإجتماعية في أوائل التسعينات الهجرية من القرن الرابع عشر إلى رئاسة عامة مستقلة، على رأسها أمير شاب يتدفق حيوية ونشاطاً وحباً لبلاده وتقديراً لكل من أسهم في بناء نهضتها الثقافية وهو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود، الذي سار على خطى والده العظيم في رعاية الثقافة وتشجيع الأدباء والعلماء، وبصفة خاصة الرواد منهم.

وفي سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م دعت الرئاسة العامة لرعاية الشباب إلى مؤتمر للأدباء لبحث فكرة إحياء (سوق عكاظ)، وفي أثناء انعقاد ذلك المؤتمر في الرياض تقدم الأستاذ أحمد سباعي (رحمه الله)، بطلب التصريح له بتأسيس ناد أدبي للأدباء في مكة، ووفق على الفور على

طلبه، ثم حذا حذوه أدباء آخرون، فتأسس نادي مكة الأدبي برئاسة الأستاذ أحمد السباعي، ونادى جدة الأدبي برئاسة الأستاذ محمد حسن عواد، وقامت الأندية الأدبية في معظم المدن الكبرى في المملكة، وفي جميع مناطقها، فتحقق بقيام الأندية حلم قديم راود خيال أدباء المملكة منذ بداية النهضة الأدبية فيها، بإيجاد رابطة، أو مؤسسة تجمع بينهم، وتحتوي نشاطهم.

وبالإضافة إلى النوادي الأدبية تأسست في منتصف التسعينات الهجرية من القرن الرابع عشر الماضي كذلك جمعية للفنون بمركز رئيسي في الرياض وفروع في عدة مناطق من المملكة، ثم تحول اسمها فيما بعد إلى «جمعية الفنون والثقافة» وقد أسهمت النوادي الأدبية وجمعية الفنون والثقافة في إذكاء روح النشاط بحيوية وحماس بين الأدباء بتنظيم المحاضرات، وعقد الندوات، والأمسيات، وبطبع المؤلفات ونشرها بسخاء.

وقامت دور نشر عدة بإذكاء ذلك النشاط في التأليف الأدبي والثقافي العام، وأبرزها مؤسسة «تهامة» بجدة التي بدأت نشاطها في طبع الكتب ونشرها في سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م بسلسلة «الكتاب العربي السعودي» ثم بسلاسل ومطبوعات متنوعة عدة أخرى. كما أن الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، وهو أديب مرموق، أسهم في إذكاء روح التأليف بسلسلة «المكتبة الصغيرة» التي بدأ بها في التسعينات الهجرية من القرن الرابع عشر الماضي، ثم توسع فيها مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري فحولها إلى دار للنشر هي «دار الرفاعي» التي استقطب لها كثيراً من الأدباء من داخل المملكة وخارجها.

وفي هذا الإطار الواسع الذي لم يكن يحلم بمثله أوائل الرواد،

إزدهر الأدب، وإن كانت النظرة التشاؤمية، أو ربما الطموحة جداً، تدفع كثيراً من الأدباء إلى الشكوى من الخمول، أو إلى الدعوة إلى مزيد من التجويد والإبداع.

وتطورت أساليب الكتابة الأدبية، وتوسع الأدباء في بعض الأجناس التي ظلت حتى منتصف التسعينات من القرن الهجري الرابع عشر، بطيئة التطور، مثل جنس القصة والرواية. وازدادت حدة الخصام بين أنصار الحديث من الشعر ودعاة الحداثة وبين المحافظين على القوالب المتوارثة للشعر العربي.

واستطاع بعض الأدباء تحقيق مكاسب عالمية، مثل الشاعر المبدع الأمير عبد الله الفيصل آل سعود الذي فاز في سنة ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ بوسام مدينة باريس تقديراً لشعره الذي ترجم إلى اللغة الفرنسية.

وقامت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بتنظيم جوائز سنوية باسم «جائزة الدولة التقديرية في الأدب» يتسلم فيها كبار الأدباء المبرزين من عاهل البلاد، حفظه الله، جوائز نقدية سخية و(ميداليات). وفي مناسبة منح الجوائز تقام مهرجانات أدبية وشعرية، ويدعى أدباء عرب، ومستشرقون من جميع أنحاء العالم.

وفي كل عام تنظم جهات عدة في جميع مناطق المملكة معارض للكتب تسهم في تنشيط التأليف وإقبال القراء على اقتناء الكتب والتعرف على إنتاج أدباء بلادهم ويشارك أدباء من المملكة في مؤتمرات أدبية على مستوى العالم العربي، وتنظم أسابيع ومهرجانات ثقافية للتعريف بالأدب العربي السعودي في بلدان العالم العربي والخارجي.

ورغم أن الصحف السعودية قد تخلت عن طابعها الأدبي المحض

الذي كان قد لازمها في بداية صدورها، بعد تأسيس المملكة وتوحيدها، فإنها تخصص صفحات أدبية، وإصدارات خاصة بالأدب، كما ظهرت مجلات ثقافية شهرية تعطي الأدب عناية خاصة، وأسهمت الجامعات بحولياتها ومجلاتها التخصصية في الدراسة المنهجية الدقيقة في الأدب السعودي والتعريف به في الأوساط الجامعية والمحافل العلمية.

ورغم أن أجيالاً جديدة من الأدباء قد ظهرت وأبدعت، إلا أن كثيراً من الرواد، ومن جاء بعدهم لا زالوا يواصلون عطاءهم مع الأجيال الشابة بحيوية تثير الإعجاب.

وأصبح الأدب العربي السعودي مادة علمية ضمن المواد التي يدرسها طلاب الجامعات المنتشرة في مناطق المملكة. بل إن كثيراً من أساتذة الجامعات في الأدب نالوا درجاتهم العلمية في (الماجستير)، و(الدكتوراه)، وفي بحوثهم التي قدموها للحصول على ترقيات إلى درجات أعلى في سلك التدريس الجامعي، على أساس دراسات قاموا بإجرائها في تراث الأدب العربي السعودي، الذي حقق الله فيه آمال رواده الأوائل، فأصبح أدباً له ملامحه وأعلامه في إطار الآداب الإنسانية في العصر الحديث.

وقد عنيت جهات عدة بإعادة طبع الإصدارات الأولى في الأدب العربي السعودي، ودواوين الشعراء، فجعلت سبل التعرف على البدايات الأولى لهذه الإنطلاقة الحضارية الشاملة أكثر سهولة ويسراً.

وتتيح أنشطة المدارس، والجامعات، وجمعية الثقافة والفنون فرص التفتح الأدبي للهواة من الناشئين الذين يواصلون المسيرة على درب الآباء والأجداد في النهوض بالأدب العربي السعودي وإسماع صوت إنسان هذه البلاد المقدسة بلسان مبين في كل مكان.

والأدب العربي السعودي في عهد انطلاقته هو أدب منفتح على العالم كله، تمر به تياراته، وتتلاقح فيه أفكار أدباء المملكة مع أفكار غيرهم من أدباء العرب، والعالم كله، مع الحفاظ على العقيدة الصحيحة ورفض ما يتناقض مع أسسها الراسخة.

ومن أبرز الأدباء الكبار الذين انطلقوا بأدبهم إلى آفاق عالمية واسعة، فأطلعوا الأوساط المثقفة في العالم الخارجي على الأدب العربي السعودي الحديث ممثلاً في نتاجهم الأدبي الرفيع، الأديب الكبير:

الأمير عبد الله الفيصل آل سعود[1]:

ولد بمدينة الرياض يوم ٥ ذي الحجة سنة ١٣٤١هـ/ ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٣م، ونشأ في كنف جده العظيم الملك عبد العزيز رحمه الله، مؤسس المملكة وموحد أقطارها، الذي ورث عنه المجد وحظي برعايته وتربيته. ثم انتقل بعد ذلك إلى الحجاز مع والده العظيم الملك فيصل (رحمه الله)، الذي كان آنذاك نائباً لوالده في الحجاز، فالتحق الأمير عبد الله الفيصل بإحدى المدارس الإبتدائية النظامية في مكة فنال شهادتها النهائية.

ولأن الأمير عبد الله الفيصل كان أثيراً لدى جده (رحمه الله)، فقد عينه على حداثة سنه آنذاك وزيراً للداخلية، ثم وزيراً للداخلية والصحة،

---

(١) وردت ترجمته في «شعراء نجد المعاصرون»، ص٨٦، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٠٩، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٦٤٥، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٢١، وفي «عبد الله الفيصل، حياته وشعره»، رسالة ماجستير مترجمة عن الفرنسية للباحثة منيرة العجلاني، ص١٧، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص١٧١.

كما قام بالنيابة عن والده بأعمال النيابة في الحجاز، وحمل مسؤولياته الكبرى بأمانة وإخلاص، إلى أن ترك العمل الحكومي في سنة ١٣٧٨هـ متفرغاً للتجارة ولأعماله الخاصة، ولنظم الشعر، وفي سنة ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ) منحته مدينة باريس بفرنسا وسامها تقديراً لشعره المترجم إلى الفرنسية. وفي سنة ١٤٠٥هـ صدر أمر ملكي بمنحه جائزة الدولة التقديرية في الأدب مع أحمد عبد الغفور عطار وطاهر زمخشري، في السنة الثانية للبدء في منح هذه الجائزة.

وفي شبابه كان عبد الله الفيصل يلقب بأمير الشباب عرفاناً بفضله وريادته في تشجيع الشباب في ميادين العلم والرياضة، فهو أول رائد للرياضة في المملكة، وكان مسؤولاً عن الشباب لارتباط مديرية المعارف بوزارة الداخلية، التي كان على رأسها آنذاك، فكان يشجع الشباب ويحثهم على طلب المجد، ومن ذلك قوله:

مرحى فقد وضح الصواب
وهفا إلى المجد الشباب
عجلان ينتهب الخطى
هيمان يستدني السحاب
في روحه أمل يضي
ء وفي شبيبته غلاب
قد فارقَ الجهل العقيـ
ـم وهشَّ للعلم اللباب
ورنا إلى مستقبل
يرقى له متن الصعاب[1]

---

(١) ديوان «محروم، وحي الحرمان»، ص ٤٨ ـ ٥١.

فكان الأمير عبد الله الفيصل يرعى طلاب العلم، ويعنى عناية خاصة بالمبتعثين منهم للدراسة في الخارج. لأنه كان بطموحه الكبير يتمنى أن يسابق شباب بلاده الزمن بالعلم ليبنوا أمجاد بلادهم، وكان الشباب يعترفون بفضل الأمير عليهم فأحاطوه بحبهم، وقد عبر عبد الله الفيصل في شعره عن تلك العلاقة الخاصة التي ربطت بينه وبين الشباب طلاب العلم فقال:

المجد يبنى بالعلو
م تهزّ عالمنا العجاب
والعلم راية كل شعـ
ـب ناهض سامي الرغاب
وعليه فلنبن الحيا
ة ولا نساوم في الثواب
ولننطلق في عزمنا
مثل انطلاقات الشهاب
كيما نمجد في المآب
هذي نصيحة مخلص
يهوى المجادة والطلاب
كرمتموني دائماً
فلكم حياتي يا شباب[1]

وقد كان عبد الله الفيصل صادقاً بإخلاص في شعره هذا، فقد وهب حياته لبلاده ولشباب بلاده. كما فعل أبوه مِن قبل. فعانى هو

---

(١) ديوان «محروم، وحي الحرمان»، ص ٤٨ ـ ٥١.

الحرمان من حنان أبيه في سنوات طفولته الأولى، لانشغال والده (رحمه الله) بالحروب وأعمال الدولة كما أشار إلى ذلك مفسراً به معنى حرمانه في مقدمة ديوانه الأول الذي أسماه «وحي الحرمان»، فكتب قائلاً: «قبل أن أتخطى السنة الأولى من عمري أبعدت الظروف أبي عني سنوات كثيرة متعاقبة لاشتغاله بالحروب والغزوات وشد أزر أبيه وتوطيد ملكه.

ولمع الصبا في نفسي - وأنا على هذه الحالة - فلمعت معه أحاسيس وعواطف وثارت لثورته نوازع قلبية لم أستطع كبتها وعجزت عن تحقيقها، فتركت في نفسي أبلغ الأثر من الحرمان حتى الآن، ولهذا فأنا لا أزال محروماً»[1].

وقد زاد النسب والجاه من شعور عبد الله الفيصل بالحرمان، لأنه لا يعرف حقيقة دوافع ما يلقاه من تعظيم، أهو لذاته وفنه، أم لنسبه وجاهه، كما كتب قائلاً: «وعلمتني الأيام... أن المركز الخطير، والنفوذ الكبير، والمال الوفير، كلها مجتمعة، مدعاة لتغيير أسلوب الناس في معاملتك، فهل ما أحس به الآن من معاملة خاصة أو عامة لم يكن إلا لأني إنسان يستحق هذا عن جدارة، أو لأنني أتمتع بهذه الميزات الثلاث؟ لعل ذلك من بعض دواعي الشعور بالحرمان»[2].

وقد فجر الشعور بالحرمان أحاسيس الشاعر، فأنطقه شعراً رومانسي النزعة في التأمل والحديث عن الذات، والتعبير عن العواطف ودفق الوجدان.

ولئن كان معظم شعر عبد الله الفيصل في الغزل، ولئن كان يشبه فيه إلى حد ما شعر عمر بن أبي ربيعة، إلا أنه لم يكن في كل شعره

---

(١) ديوان «محروم، وحي الحرمان»، ص ١٣.

(٢) ديوان «محروم، وحي الحرمان»، ص ١٨.

محصوراً في هذا الباب فقط، كما أشار إلى ذلك الدكتور بكري شيخ أمين وهو يتحدث عن عبد الله الفيصل: «من حيث اقتصاره على فن الغزل وحده، وحديثه الدائم إلى المرأة المحبوبة، وتغنيه بعواطفه تجاهها، وقضائه الحياة كلها بالتفكير فيها»[1].

فليس صحيحاً أن عبد الله الفيصل وقف نظم شعره على المرأة والغزل فيها، فهو مع تفوقه في شعر الغزل الرقيق، قد نظم في مواضيع وطنية ـ كما بدا من قصيدته إلى شباب بلاده ـ ونظم في التأمل الذاتي، وفي الإبتهال إلى الله عز وجل، وفي رثاء والده الملك فيصل (رحمه الله). وقد أجاد في كل موضوع نظم فيه، في بساطة لا تكلّف فيها، وفي صدق لا زيف يفسده، وفي وضوح لا غموض يحول دون فهم مراميه. ويتميز شعر الأمير عبد الله الفيصل بالوحدة الموضوعية في كل قصيدة من قصائده، كما لاحظ ذلك الأستاذ صلاح لبكي، كاتب مقدمة الديوان الأول للأمير عبد الله الفيصل «محروم»[2] والباحثة منيرة العجلاني اجتهدت في البحث عن أوجه الشبه بين عبد الله الفيصل وغيره من الشعراء القدامى والمعاصرين[3]، بينما كتب صلاح لبكي عن البساطة التي يتميز بها شعر عبد الله الفيصل قائلاً: «وهذه البساطة يصل إليها محروم دفعة واحدة. فكأنه مطبوع عليها لم يقتبسها اقتباساً ولم يقلد أحداً»[4]. ولا شك أن أي شاعر مهما كان بارعاً في ابتكار معانيه وصوره

---

(١) «عبد الله الفيصل، حياته وشعره»، رسالة ماجستير مترجمة عن الفرنسية للباحثة منيرة العجلاني، مقدمة الترجمة العربية بقلم الدكتور بكري شيخ أمين، ص هـ.

(٢) ديوان «وحي الحرمان»، المقدمة بقلم صلاح لبكي، ص ٨ ـ ٩.

(٣) «عبد الله الفيصل، حياته وشعره»، رسالة ماجستير مترجمة إلى العربية، للباحثة منيرة العجلاني.

(٤) ديوان «وحي الحرمان»، المقدمة بقلم صلاح لبكي، ص ٨.

الفنية، فإنه لا بد أن يكون قد قرأ لغيره، وتأثر ببعضهم إما تأثراً مباشراً، أو غير مباشر. والأمير عبد الله الفيصل مع محافظته على قوالب الشعر، إلا أنه تخير من البحور أنسبها وأرقها للتعبير عن العواطف وتصوير الجو الرومانسي؛ كما لاحظت ذلك الباحثة منيرة العجلاني من خلال دراسة إحصائية عروضية لجميع قصائد عبد الله الفيصل في ديوان (وحي الحرمان) وكما أثبتت تأثره في الإتجاه الغنائي في موسيقى الشعر بأحمد شوقي، وعلي محمود طه، وبشعراء الأندلس القدامى وشعراء المهجر المحدثين في تنويع الروي والقافية، وفي التصريع الذي: «يزيد في الوقع الموسيقي للبيت»[1].

كما أنه في شعره يميل إلى استعمال مجزوءات البحور وهو بارع متفنن في إشاعة موسيقى رائعة واستخدامها، ومن ذلك ـ مثلاً ـ قصيدة «هل تناسيت؟» التي نظمها من مجزوء البحر الخفيف فقال فيها:

ليته يعرف الملل
دائم الخفق لم يزل
هده الهجر فانبرى
يقتل اليأس بالأمل
مذ وعدت اللقاء في
عاجل يسبق الأجل
هل تناسيت ليلنا
إذ دفعناه في القبل؟[2]

(١) «عبد الله الفيصل، حياته وشعره»، ص ٩٥.
(٢) ديوان «وحي الحرمان»، ص ٩٤.

وشعر عبد الله الفيصل شعر غنائي شدا به كبار المغنيين ورددته شهيرات المطربات في العصر الحديث. ومن أشهر ما تغنت به سيدة الغناء العربي الحديث في مصر السيدة أم كلثوم (رحمها الله) من شعر الأمير عبد الله الفيصل، قصيدة «عواطف حائرة» وهي من البحر الوافر، وهو من ألين البحور الشعرية وأكثرها رقة وجمالاً في الموسيقى. وفيها قال:

أكاد أشك في نفسي لأني
أكاد أشك فيك وأنت مني
يقول الناس إنك خنت عهدي
ولم تحفظ هواي ولم تصني
وأنت مناي أجمعها مشت بي
إليك خطى الشباب المطمئن(١)

وقدم الشاعر عبد الله الفيصل صوراً شعرية رائعة الجمال من خلال المزج بين تأملاته الذاتية وأحاسيسه من جهة. وبين الطبيعة وطيورها على أشجارها من جهة أخرى، ومن ذلك ـ مثلاً ـ تصويره لحالة حزن وأسى مر بها، فشبه نفسه فيها ببلبل صامت حزين كف عن التغريد، وصاغ هذا التشبيه في أسلوب قصصي غنائي مشوق، فقال في قصيدة عنوانها «البلبل الصامت»:

آثر الصمت بلبل الأدواح
وتولى عن روضه الممراح
وغناء الهزار عاد بكاء
وجفا حبه لكيد اللاحي

---

(١) ديوان «وحي الحرمان»، ص ٥٤.

يا أليف الشباب في أفراحي
وشريكي الصدوق في أتراحي
كيف يهوى الغناء من قد تحسى
من أسى الدهر مترع الأقداح[1]

والأمير عبد الله الفيصل شاعر مؤمن توجه إلى الله بقلبه وكل جوارحه يدعوه في قصيدة عنوانها «إلى الله» فقال:

إلهي بعد الذنب جئتك راجيا ... حنانك يا من تستعان وتقصد
وأسألك الغفران رفقاً بأضلع ... من الخوف نار الذعر فيها توقد
دعوتك يا ربي لتغفر زلتي ... وما أكثر الزلات حين تعدد
فما أنا معصوم ولا أنا قاصد ... تحديك يا من طوعه الأمس والغد
ذنوبي وإن كانت كثاراً فأدمعي ... على توبتي عنها تنم وتشهد[2]

والأمير الشاعر عبد الله الفيصل إنسان نبيل، وأب عطوف، أحب أبناءه وبناته، وعبر عن صادق حبه الأبوي ودفق حنانه في قصيدة وجهها إلى صغرى بناته «سلطانة»، فقال فيها:

لو مر كفك يسري ... على جبيني بيسر
يندى محياي صفوا ... فيرتوي منه عمري

❊ ❊ ❊

على مهاد وثير ... نامي بطرف قرير
ترعاك يا بعض نفسي ... عين الإله القدير[3]

---

(١) ديوان «وحي الحرمان»، ص ١٤٤.
(٢) ديوان «حديث قلب»، شعر عبد الله الفيصل، ص ٨ ـ ٩.
(٣) ديوان «حديث قلب»، ص ٤٥.

أما موت أبيه فقد أشعل ناراً في قلبه، وأراه منيته قبل موته، كما قال في قصيدة عنوانها «كيف أنساك يا أبي»؟

أي يوم ودعت فيه حبيبي	ثم أسلمت مهجتي للنواح
إنه يوم ميتتي قبل موتي	واختلاج الضياء في مصباحي
إنه يوم من تمنيت لو ظل	قريباً من هيمنات صداحي
إنه يوم فيصل خر فيه الـ	ـطود للّه ساجداً، غير صاح
يوم من كان للوجود وجودا	عامراً بالتقى وكل الصلاح
ليتني كنت فدية للذي ما	ت، فماتت من بعده أفراحي[1]

والشاعر عبد الله الفيصل يشتعل حماساً لوطنه، ولعروبته، ولمقدساته الإسلامية، فهو في «نشيد الفداء» يعبر عن استعداده لأن يفدي وطنه بكل شيء، إذ قال:

أفديك يا وطني إذا عز الفدا	بأعز ما جادت به نعم الحياه
كل الوجود وما احتواه إلى الفنا	إلا هواك يظل مرفوعاً لواه[2]

ويعز على الشاعر عبد الله الفيصل، الغيور على عروبته وأمجاد أمته، أن يسود الصهاينة وينهزم العرب، وقد رأى في ثورة الفدائيين أملاً وبصيصاً من نور وسط الظلام، فقال في قصيدة «قل للفدائيين»:

قل للفدائيين قد آذنت	شمس العدا بعد الفدا بالغياب
وبان فجر الأمل المشتهى	زاهي الرؤى تشرق فيه الرغاب
وليلنا بعد اشتداد الدجى	ينفض عن برديه ثقل الضباب
وأصبح المدفع مرسالنا	للظالم الباغي وليس الخطاب

---

(١) ديوان «حديث قلب»، ص ١٠ ـ ١١.

(٢) ديوان «حديث قلب»، ص ٢٩.

ففي الحشا تصرخ ثاراتنا ... ويل لمن مرغنا بالتراب
وحرمة الدين تقول: افتدوا ... أرض القداسات، ودكوا الصعاب
والمجد تدعونا هتافاته ... للزحف في عزم الأسود الغضاب
فالموت دون القدس أمنية ... يجزل فيها للشهيد الثواب[1]

والأمير الشاعر عبد الله الفيصل آل سعود كما حلق في شعره العربي، الفصيح فإن شعره النبطي بلهجة أهل نجد يعتبر من عيون هذا الشعر، الذي يراه امتداداً للشعر العربي الفصيح في أوزانه وأسلوبه وبنائه وعرضه.

والشاعر الأمير عبد الله الفيصل محدث لبق محبوب زار شباب الجامعات في مناسبات عديدة وتحدث معهم حديث القلب إلى القلب ساعات طويلة في موضوعات شتى في أسلوب عذب بسيط، وفي عمق فكري ووضوح في تناول الأمور، وهذا بعد أدبي آخر من أبعاد أدب الأمير الشاعر عبد الله الفيصل، حفظه الله.

ومن كبار الأدباء السعوديين الذين انتشر إنتاجهم خارج المملكة على أوسع نطاق الأديب الشاعر الأستاذ:

حسن عبد الله القرشي[2]:

ولد بمكة سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وبها نشأ فتلقى تعليمه في

---

(١) ديوان «حديث قلب»، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) وردت ترجمته في ديوانه، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٢٨، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٤١، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٥٩٠، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب» ج١، ص٢٥٧.

مدرسة الفلاح، ثم في المعهد العلمي السعودي بمكة، وحينما تأسست جامعة الملك سعود بالرياض التحق بكلية الآداب فيها فحصل على شهادتها الجامعية.

عمل موظفاً في وظائف عدة رفيعة المستوى في وزارة المالية، وحينما تأسست الإذاعة العربية السعودية كان حسن القرشي من أوائل الأدباء الذين التحقوا للعمل بها، وابتعث إلى مصر في دورة تدرب أثناءها على الفن الإذاعي في الإذاعة المصرية بالقاهرة. وتولى لفترة قصيرة رئاسة النادي الأدبي بجدة.

وهو الآن (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) سفير للمملكة في جمهورية موريتانيا الإسلامية، كما كان من قبل سفيراً للمملكة في السودان.

كان حسن القرشي منذ صباه شغوفاً بالقراءة والإطلاع وظهرت مواهبه الأدبية منذ فجر شبابه، فنظم الشعر وكتب النثر في القصة والمقالة والدراسة الأدبية، وراسل الصحف والمجلات المحلية والعربية ونشر فيها نتاجه الذي استقبله كبار الأدباء العرب بالترحاب والإعجاب، فأشاد به طه حسين وأحمد حسن الزيات، وعبد الوهاب عزام، وأثنى عليه النقاد مثل مصطفى عبد اللطيف السحرتي.

وحسن عبد الله القرشي شاعر رومانسي حالم، ولكنه وطني غيور، يشتعل حماساً لقضايا الوطن والعروبة والمقدسات الإسلامية. وهو يميل إلى استخدام الرمز في شعره الذي ملأ دواوين كثيرة صدرت متفرقة ثم جمعها وأصدرها في ديوان جامع في مجلدين في سنة ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ) وأصدرها في طبعة ثانية في سنة ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ) وكتب القرشي القصة النثرية، والمسرحية الشعرية، وتحدث في مقدمة ديوانه الجامع عن تجربته الشعرية، وعن حفظه للقرآن وهو دون العاشرة وأثره

في ثروته اللفظية واللغوية الكبيرة، وله في حديثه عن تجربته الشعرية مواقف نقدية صائبة حكيمة، مثل قوله عن شعر شعراء العصور المتأخرة: «لقد أطلق على شعر هذه الأزمنة المتأخرة ـ في مجموعه ـ شعر عصور الإنحطاط، ولكنني أعتقد أن كثيراً من نماذجه حافلة بالعطاء الشعري، وجديرة بدراسة الدارسين»[1] أما عن تجاربه الشعرية الخاصة وما يعبر عنه شعره من خلجات نفس، وقضايا خاصة وعامة، فكتب القرشي قائلاً: «إنني شاعر أعيش ـ ما أتيح لي ـ هموم النفس البشرية، كما إنني شاعر أحيا ـ ما استطعت ـ هموم قومي في هذا العالم المتناقض المضطرب المغلف بالضباب، الرازح تحت كابوس الذل، والنفاق، والجريمة، والواقع تحت سيطرة الإستعمار، والظلم والإستبداد، وما من ديوان من دواويني إلا وفيه نبض لهذه الهموم القومية المتفاقمة، ومحاولة لتحريك الطاقات الإنسانية نحو عالم أفضل ونحو مثل عليا، كما أن ثلاثة من دواويني تكاد تكون شعراً قومياً محضاً»[2].

ومع أن القرشي قد بدأ تجربته الشعرية بداية محافظة، كان ملتزماً فيها بكل خصائص القصيدة القديمة، حتى في البحث عن القافية الصعبة، فإنه قد تخلى عن ذلك تدريجياً، بل ونظم الشعر الحر «في نماذج مقبولة» معلناً بصراحة وشجاعة استنكاره التعصب للشكل في الشعر[3]. وكتب عن موقفه من هذه القضية، وتجربته فيها قائلاً: «ولم يكن اتصالي بحركة الشعر الحر غريباً علي، أو متعارضاً شكلاً مع اتجاهاتي، فقد تخليت، كما قلت، عن القافية ذات الجرس والرنين، وفي كثير من قصائدي

---

(١) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، ج١، المقدمة بقلمه، ص ١٧.

(٢) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، ج١، ص ٣٤.

(٣) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، ج١، ص ٢٤.

الأولى اتجاه إلى تنويع القافية في القصيدة الواحدة، ثم اتجاه عفوي إلى الإستطراد الشعري غير الملتزم بتحكم القافية، وإلى الإنتقال في القصيدة الواحدة من بحر إلى آخر أحياناً، ما دام أن الموسيقى تظل متماسكة، ولا تتأبى على هذا الإنتقال.

وأورد نموذجاً لذلك من ديواني «البسمات الملونة»[1] بعنوان: «غرد الفجر فهيا»:

غرد الفجر فهيا يا حبيبي   واستهام النور في روضي الرطيب

قبلات الزهر سحلا مستطير

ونسيم الورد نجوى وعبير

والدنى حب تناهى وشعور

فإلام   الصد؟

عن أليف الود؟

والجفا والبعد

وفؤاد الصب يشدو كالغريب   غرد الفجر فهيّا يا حبيبي[2]

ثم قال: «أجل فبعد استقرائي نماذج الشعر الحر ومناهجه مارست كتابة جانب كبير من تجاربي الشعرية بأسلوبه ونشرت الكثير من ذلك في صحفنا المحلية، ثم في مجلتي «الآداب» اللبنانية و«الأسبوع العربي» وغيرهما.

واعتقادي أن الشعر الحر لون سيقدر له البقاء لأنه أقدر - في أغلب

(١) «البسمات الملونة» أول ديوان أصدره القرشي من شعره.

(٢) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، ج١، ص ٢٤-٢٥، ص ٢٧.

الأحيان ـ على الرمز من بعض الشعر العمودي، وهذا لا يعني أنه اللون المفضل عندي، فكلا اللونين أثير على نفسي محبب إليها»[١].

لقد سهل القرشي على دارس شعره معرفة كل شيء عن أسلوبه واتجاهاته ومصادر ثقافته وروافدها القديمة والحديثة، فحديثه عن تجربته الشعرية دراسة وافية مستفيضة لشعره، قل مثيلها من الدراسات الذاتية بمثل ما فيها من إتقان، وما تنم عنه من وعي نقدي. ولا غرابة فالقرشي واسع الثقافة، غزير المعرفة، بصير بموازين النقد، وقد رد على الفلالي في ملحق لمرصاده أضيف إليه حينما طبع في كتاب، وكانت آراؤه النقدية التصحيحية فيه جد صائبة[٢].

وحسن عبد الله القرشي الشاعر العاشق الولهان، أب ملأ قلبه حبه لأطفاله، فأجاد تصوير عواطفه نحوهم في شعر عفوي بسيط مليء بالصورة الإنسانية الرائعة، التي تكاد تكون حية متحركة، والتي يكاد يكون متفرداً بها فقال في قصيدة عنوانها «أطفالي»:

بسمة أطفالي
هي الربيع..
هي ارتعاشة الندى
وزهوة الورود
وموجة الدفىء إذا
عراني الصقيع

---

(١) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، ج١، ص ٢٤ـ٢٥، ص ٢٧.
(٢) «المرصاد»، كتاب الشهر عن النادي الأدبي بالرياض لشهر ذي القعدة ١٤٠٠هـ ـ أكتوبر ١٩٨٠، ص٢٨٥ـ٣٠٣.

تبدد الظلام لي
كهمسة الشموع
كنبضة القلب إذا
هدهده الولوع

* * *

ضحكة أطفالي
نشيد الطير في الحقول
تلم موسيقى الوجود
تخصب السهول
تدغدغ العمر . . .
تخضب الأصيل بالذهب
ترجع الذكرى حديثاً
مورق اللهب
تملأ قلبي اخضرارا
تزرع العنب
تحملني في زورق
مجدافه الأثير
لعالم صيغ . .
من الصفاء والعبير

* * *

ومدرج الأطفال
حين يلعبون
روضة زهر مونق

تميس بالغصون
تلك تصيح
ذاك يثغو كثغاء الشاء
يدحرج الألعاب في غباء
وألف شيء
ثم يطلبون
وألف شيء
ثم يطلبون
وألف شيء
ثم يكسرون
صياحهم ضجيجهم
يملؤني فتون
والدهم يقتلع النجوم
في رأيهم حين يشاء
ينسج الغيوم
فيهم صدى طفولتي
وثورة الحنين
مرآة ماض غابر
في خاطري دفين(١)

وحسن عبد الله القرشي شاعر عاشق، يفرح بلقاء محبوبته فيخفق قلبه لها ويترنم بألحان الحب الطاهر، ويصف مفاتن محبوبته، مثلما قال في قصيدة «ترنيمة قلب»:

(١) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، «النغم الأزرق»، ج٢، ص٣٥١ـ٣٥٤.

رقرقي لي الحب أنفاساً من الثغر
تسكب النشوة والفرحة في قلبي الكسير
وتزف الحلم الغارب في دنيا من شعور
هي لحن قدسي النبر ثر بالحبور
كم بها استشرفت آمالي وآفاق ضميري
وتطلعت إلى الآتي دفيقاً بالعبير
زاخراً بالسحر والفتنة والوجد الكبير
يا فتاتي ظمىء الحب، ألا قبسة نور!

* * *

يا لعيني وقلبي من أفانين الجمال
فجرها الدفاق كم شع بروحي وخيالي
أتهاداه بخد، وبثغر متلالي
وبجيد راعش اللفتة عربيد الدلال
وبنهد صيغ من عاج، وورد جد حالي
وقوام شائق الخطرة سحري المثال
يا لعيني وما تعشق من فذ، وغالي

* * *

صور فتّانة؟ أم تلك دنياك الحفيلة؟
أم معان من ذرى الفن نمت تشدو نبيلة
هي ريّي، كم أسا شوقي، وكم روى غليله(1)

* * *

(1) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، «البسمات الملونة»، ج١، ص٢٠٢ـ٢٠٣.

وظمأ القرشي إلى محبوبته، وفرحته بلقائها يمتزج دائماً بأجمل ما في الطبيعة من رؤى، في أجمل فصولها، في الربيع، فهو يتفنن في رسم صور فريدة في التعبير عن الظمأ الذي يشده إلى محبوبته، ومن ذلك قوله في قصيدة «ظمأ»:

لقيتك لقيا الربيع الجميل
يرق بمبسمه الأنضر
لقيتك كالبدر بين النجوم
وكالفجر غب الحيا المزهر
وحين رأيتك أيقنت أني
صبي الهوى، يافع الأظفر
وأيقنت أن مداي البعيد
تقلص في طرفك الأحور
وأن مشارف روحي الغني
حوينك كالجن في عبقر

* * *

أيا فتنة الحب لحن الخيال
أتيت فلا تنكري جوهري
أتيتك بالعطر بالذكريات
بكل تلاحين قلبي الطري
بأصداء ماض، ومستقبل
بأرجوحة الورد في مئزري
وجزت إليك دروب الحنين
تهش لفردوسنا الأخضر

* * *

تعالى نلملم شعاع الشموس
ونروجه ظمأ الأنهر![1]

❊ ❊ ❊

والظمأ إلى المحبوبة، حقيقة أو رمزاً، من الموضوعات التي تتكرر كثيراً في شعر القرشي، فله قصيدتان مستقلتان بعنوان «ظمأ»، إحداهما في ديوان «ألحان منتحرة»[2]، والثانية التي سبق الحديث عنها من ديوان «بحيرة العطش»، والظمأ والعطش مترادفان لمعنى واحد. وهو لا يرضى أن يشعر وحده بالظمأ، بل ينتظر من محبوبته أن تظمأ هي أيضاً إليه، ففي قصيدة عنوانها «أشواك وزهور» خاطب محبوبته متسائلاً:

هل تظمئين إليَّ يو ... ما مثلما أصدى إليك؟
فنعب كأسينا منى ... ولهى ترف بوجنتيك!
ونريق آلام السها ... د وننتشي من خافقيك[3]

وشاعر الظمأ والهوى والعواطف الرقيقة النبيلة حسن عبد الله القرشي تلتهب عواطفه حرقة على ما تعانيه أمته من هزائم منكرة على أيدي أعدائها فيتمزق حزناً، ويكتوي بنار الأسا، وله شعر في دواوين عدة في قضايا العروبة والمسلمين، بل وقضايا التحرير التي خاضتها الإنسانية المعذبة في كل مكان، وكم استصرخ العرب والمسلمين للذود عن حمى مقدساتهم، فهو في قصيدة «أخوة الثأر» قال:

أخوة الثأر على الأرباض دجن ... وعلى «القدس» عدو مطمئن
سرق النصر وفي أفواهنا ... من مجاني نصرنا سلوى ومن

(١) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، «بحيرة العطش»، ج٢، ص٣٨٤ـ٣٨٥.
(٢) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، «ألحان منتحرة»، ج٢، ص١٤٢.
(٣) «ديوان حسن عبد الله القرشي»، «البسمات الملونة»، ج١، ص٨٥.

وتـمـطـى فـإذا الـدنـيـا لـه مـهـرجـان وإذا الآمـال تـدنـو
سـلـب الأرض وفـي الأرض لـنـا أي تـاريـخ لـه الأجـيـال تـرنـو[1]

وتزداد المحنة التي تعيشها قضية فلسطين قسوة وتجرح قلب الشاعر الغيور حسن عبد الله القرشي الذي قال في قصيدة «قلب جريح»:

دعوني، ففي القلب الجريح كروب وفـي الـروح آلام طـغـت ونـدوب
ولـم لا؟ وإسرائيل يعلو نقيقها يـغـطي زئيـر الأسـد وهـي تـلـوب
فلا «الضفة الخضراء» دان مزارها ولا «المسجد الأقصى» لديّ قريب
متى افترق العرب استحال تحرر وإن جـمـعـوا فـالـترهـات تـذوب[2]

وقد حضر الأستاذ حسن عبد الله القرشي مؤتمرات ومهرجانات أدبية كثيرة، كانت له فيها صولات وجولات، في أمسيات شعرية ومحاضرات ونقاش عميق شيق.

والأستاذ حسن عبد الله القرشي الشاعر الفنان وكاتب المسرحية، كتب المقالة الأدبية ونشرها في الصحف في موضوعات شتى، ولكنه كان يتجلى بصفة خاصة في موضوعات التأمل. وفي سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨) جمع بعض مقالاته التي سبق أن نشرها في الصحف من قبل وأصدرها في كتاب بعنوان «شوك وورد» طبع في مطابع الرياض، ثم أعاد النادي الأدبي الثقافي بجدة طباعة هذا الكتاب فصدر عنه في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ولكنه للأسف لم يثبت التاريخ الذي كتب فيه كل مقال ولا مكان نشره الأول، وليته يفعل ذلك في طبعة قادمة، فإن في إثبات التاريخ الأصلي لهذه المقالات ما يعين على معرفة خلفياتها وتطور فكر صاحبها، وتطور

---

(١) «ديوان حسن عبدالله القرشي»، «لن يضيع الغد»، ج٢، ص٥١١-٥١٢.
(٢) «ديوان حسن عبدالله القرشي»، «لن يضيع الغد»، ج٢، ص٥٢٦-٥٢٧.

المجتمع من خلالها. فقد واكب القرشي هذا التطور في مقالاته بوعي وحماس حفظه الله وزاده توفيقاً.

ومن أدباء المملكة الذين انتشر أدبهم خارج بلادهم في العصر الحديث، الأستاذ:

محمد بن علي السنوسي[1]:

ولد سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م بمدينة جازان حاضرة الجنوب التهامي بالمملكة العربية السعودية، وتلقى تعليمه في مدارس جازان وعلى يد والده العالم القاضي والأديب الشاعر الشيخ علي السنوسي (رحمه الله).

وعمل الأستاذ محمد بن علي السنوسي في وظائف حكومية عدة رفيعة المستوى في منطقة جازان، ثم تفرغ أخيراً للأدب والنشاط الإجتماعي العام، فأصبح رئيساً للنادي الأدبي في جازان، وعضواً في المجلس الإداري في المنطقة. أما أدبه فقد تأثر فيه بوالده الشاعر (رحمه الله)، فقرأ ما في مكتبته من ذخائر، فظهرت مواهبه الشعرية منذ فترة مبكرة في صباه، فراسل المجلات الراقية في الداخل والخارج مثل «المنهل» و«الهلال» و«الأديب» ونشر فيها شعره الذي قوبل باستحسان وإعجاب، وفاز بجوائز و«ميداليات» كثيرة.

ومحمد بن علي السنوسي حافظ على موازين الشعر وبحوره وقوالبه المتوارثة، ولكنه جدد في موضوعاتها بمهارة وإتقان، فكان مبدعاً بأصالة في المزاوجة بين القديم المتوارث والجديد المبتكر. وهو شاعر

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٧٩٠، وفي كتاب «شعراء الجنوب»، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٧١٥، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٣٣.

حساس رقيق العواطف، وأديب مثقف واسع الإطلاع قرأ روائع الأدب العالمي بعقل متفتح، فتجاوب مع ما فيها من جوانب إنسانية نبيلة، ونظمها في شعره. ومن ذلك قصيدة له بعنوان «أنشودة الصقر»:

قال وهو يمهد لها: «هذه قصة للكاتب العالمي (مكسيم جوركي) وضعناها في هذا الإطار الشعري بعد أن أضفنا إليها لمسات فنية تقربها من الذوق العربي الشفاف»[1]. وقد أجاد السنوسي إعادة صياغة هذه القصة في قصيدة طويلة أثبت فيها مقدرته ونفسه الطويل، وجعلها في مقاطع، استقل كل مقطع منها بروي خاص، وفيها تأملات في سيرة الناس وأسلوب الحياة على الأرض على لسان الصقر ولسان حية عقدت معه صداقة، فشاقتها الحياة المحلقة في الجو، وتاقت إلى الطيران، ولكنها سرعان ما خرت متهاوية «ودست رأسها في رطوبة الأطيان» وهي تردد بلسان الشاعر:

لا ليست السماء لصل	زاحف في الظلام والأدغال
أنت لم تخلقي لإشراقة الجو	ولا روعة الذرى والجبال
ولكل حياته يا رقيطا	ء فلا تهرفي بسخف المقال
تلك عقبى تمرد الطبع والنفس	وإسرافها وسوء الخلال

* * *

واستمرت أنشودة الصقر تنسا	ب بألحانها على الأكوان
يطرب النفس وقعها وتثير الفكر	أصداؤها وتحيي الأماني
في تلاحينها من السحر ألوا	ن ومن فتنة الجمال معان
نغم ساحر الصدى ونشيد	من صميم الشعور والوجدان[2]

---

(١) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «القلائد»، ص١٧٢-١٨٧.

(٢) كسابقه.

ومحمد بن علي السنوسي، ابن جازان البار، تغنى بها في شعره بأعذب الألحان، فقد عنها في قصيدة «جازان (أغنية)» على طريقة الشاعر المصري محمود حسن اسماعيل، في أغنية النيل (النهر الخالد) فقال السنوسي: -

جازان يا درة الجنوب — الباسم الناعم الخصيب
لكل قلب إليك شوق — مضمخ من هوى وطيب
البحر والصخر فيك يزهو — بنشوة السحر في الغروب
والليل والبدر فيك يلهو — على رؤى الشاطىء الطروب

* * *

وأنت في روعة المجالي — وسحرها الفاتن اللعوب
عروسة الشعر والأغاني — ومنية النفس والقلوب
وأنت، أنت الهوى المصفى — للفن والحب والحبيب
جازان يا درة الجنوب — الباسم الناعم الخصيب[1]

ومحمد بن علي السنوسي واكب المناسبات في منطقته، وفي المملكة، وفي العالم كله، وسجل كثيراً منها في شعره، ولكن شعر المناسبات عنده لم يكن باهتاً، بل كان معظمه يصدر عن انفعال حقيقي، وبصفة خاصة شعره في المناسبات الوطنية. فهو مثلاً قد فرح بانتهاء الحرب الأهلية في اليمن المجاورة لمنطقته جازان، وهلل للسلام الذي عاد إلى ربوعها، فنظم قصيدة بهذه المناسبة السعيدة، هي من أجمل ما نظم من شعر، فقال في قصيدة عنوانها «فرحة اليمن»:

قرت قلوب الأمنيات — وزهت أساريّر الحياة

---

(١) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «الأزاهير»، ص٤٦٠-٤٦١.

وتناثرت فوق الجبال الشـ ـم أنغام الحداة
وتجاوبت بالبشريات الغـ ـر ألسنة الرعاة
ومضت تقبل ابنها فرحاً وتهتف للبنات
(أم) وقلب الأم أعرف بالحياة وبالممات
يا للسلام يهز بالألحا ن أعطاف الموات
قرت به عيناً وأكبا داً قلوب الأمهات
وتعانق الإخوان واطر حوا أكاذيب العداة[1]

إلى أن قال:

نحروا خلافات الهوى وسموا إلى أسمى الصفات
واهتزت الدنيا على نبأ كأزهار النبات
رفت نسائمه الرقا ق ويا لها من رفرفات
تهدي إلى اليمن السعيد الحظ والأمل المواتي[2]

ومحمد بن علي السنوسي له شعر وجداني يفيض رقة، وهو يحب الطبيعة القروية البسيطة التي نشأ فيها، وتغنى بها، وأجاد وصفها في صور فنية بديعة ومنها قصيدة له بعنوان «عودة إلى الطبيعة» قال فيها:

قريتي، قريتي الوديعة يا عيـ ـش فؤاد ويا مقر جناحي
طبع اللّه حبك العذب في قلبي ولن يمحه سوى اللّه ماحي
يا ربي لج بي هواها فما ينـ ـفك نشوان من هوى ملحاحي
كم ترشفت من جمال لياليك فتوناً من الصبا والمراح

---

(١) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «الأزاهير»، ص٥٠٣ـ٥٠٦.
(٢) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «الأزاهير»، ص٥٠٣ـ٥٠٦.

وتنشقت من جلال مجاليك فنوناً من الشذا الفواح
في الدجى والنجوم تغزل أحلا م العذارى على صدور البطاح
والضحى والغيوم ترسم في الوا دي ظلال ندية الأدواح
والنسيم النشوان يحتضن الزهـ ـر، رقيقاً كطيبة الفلاح[1]

ثم قال عن راحته النفسية في كنف الطبيعة الجميلة في القرية الطيبة:

كلما ضمني دجاك ورقت نفحات الصبا على الأدواح
وانتشى الكون بالعبير وراح السـ ـيل يختال في السهول الفساح
يغمر الأرض بالنعيم غزيراً ويهز القلوب بالأفراح
نعمت روحي الكئيبة بالصفـ ـو، وصحت من الأسى والجراح[2]

ومحمد بن علي السنوسي هام بحب (تهامة) وأحوالها الطبيعية، فأجاد وصفها في صور فنية رائعة بديعة، يكاد يكون متفرداً بها، فهو قد وصف سير السحاب فوق جبال (تهامة)، فقال في قصيدة عنوانها «موكب السحاب»:

هب والأفق ديمة وغمامه وجبين السماء بادي الجهامة
ووميض النجوم إيماء لحظ وسنا البرق بسمة والتشامه
والدجى عاطر النسيم نديُّ الضو ء زاهي الرؤى مليح الوسامة
شاعر رفرفت على لحنه الطير هياماً ورددت أنغامه
شاقه موكب السحاب وقد سار على الأفق ناشراً أعلامه

---

(١) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «الأغاريد»، ص٣٣٥ـ٣٣٨.
(٢) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «الأغاريد»، ص٣٣٥ـ٣٣٨.

وزفيف[1] الرياح يخترق الجو صفيراً والبرق يجلو حسامه
وازدهته الرعود تختلب النفـ ـس جلالاً وتطبيها فخامة
مشمخر الذرى رقيق الحواشي سابغ الذيل مسبلاً أكمامه
عيلم تسبح الكواكب فيه وتشق الدجى به عوامه
ضربته الرياح فاستقبل الأر ض حثيثاً يبثها آلامه
ثائر والسكون يضفي على الكو ن جلالاً والليل يرعى نيامه
جلل الأرض والسماء وأعيا صائل الرعد أن يدك ركامه
غدق أيقظ الحياة على الأر ض وأحيا من الوجود رمامه
سال عبر الفضاء ذوب لجين واستفاضت به البطاح مدامه
وجرى في الشعاب تبراً مذاباً وسجى عسجداً وفاض رخامه[2]

إنها صورة فنية رائعة لمظهر من مظاهر الطبيعة الخلابة فوق جبال تهامة، اكتملت فيها للشاعر كل عناصر الجمال لغة ومفردات، وصدق تجربة، وأخيلة صاغها في إبداع، وموسيقى متناغمة جعلت الصورة حية تجسدت فيها تلك اللحظة التي التقطها الشاعر فأجاد تصويرها بتفوق.

لقد نظم الأديب الفنان الأستاذ محمد بن علي السنوسي شعره في موضوعات شتى، في الحب والأشواق والحنين إلى المحبوبة، في المناسبات الوطنية والعالمية، في تبادل الرسائل الشعرية، وفي المديح والرثاء، واستلهام التاريخ، ولكنه تميّز بصفة خاصة بوصف طبيعة منطقته

---

(١) زفت الريح زفيفاً وزفزفت: هبت هبوباً ليناً ودامت. والزفيف: البريق، قال حميد بن ثور:

دجا الليل واستن استناناً زفيفه كما استن في الغاب الحريق المشعشع

(لسان العرب)، (المؤلف)

(٢) «شعر، الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي»، «القلائد»، ص١٢٥ـ١٣٢.

التي أحبها فتفوق في وصفها تفوقاً لا يدانيه فيه شاعر، فهو شاعر الجنوب بحق، كما هو شاعر العروبة والإسلام والمعاني الإنسانية النبيلة. وقد جمع دواوينه، التي سبق أن أصدرها منفردة، فأصدرها في ديوان جامع واحد في سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م في سلسلة «منشورات نادي جيزان الأدبي» واشتمل على خمسة دواوين للشاعر الفنان الأستاذ محمد بن علي السنوسي، رحمه الله.

ومن كبار الأدباء المبدعين الذين تخطوا بأدبهم حدود المملكة، الأستاذ:

إبراهيم أمين فودة[١]:

ولد بمكة سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م في بيت علم وفضل وأدب، فوالده الشيخ أمين فودة (رحمه الله) من كبار علماء مكة وأدبائها، وهو أستاذ الجيل الأول من رواد الأدب في مكة، وكان مديراً عاماً للمعارف ورئيساً لمجلسها في بداية تأسيس المملكة. وهكذا نشأ إبراهيم فودة في كنف والده الجليل محباً للعلم والأدب، فتلقى تعليمه على يد والده وفي مدارس مكة، ونهل من ذخائر مكتبة والده التي نمّاها هو فيما بعد. وبعد أن تخرج من مدارس مكة التحق بالعمل الحكومي في وزارة المالية بمكة، وبعد تأسيس الإذاعة العربية السعودية عين مديراً عاماً لها حينما كانت تبث من مكة، فاستقطب لها الأدباء والعلماء، وأدارها بكفاءة

(١) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٥٨، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٤٨، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٥١.

وإخلاص، إلى أن تحولت مسؤولياتها إلى المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بجدة، والتي تحولت فيما بعد إلى وزارة الإعلام. وكانت وفاته في ٢٣/٣/١٤١٥هـ رحمه الله.

وابن الأستاذ إبراهيم فودة، حمزة، شاعر وأديب، وهذا دليل على أصالة الأدب في هذه الدوحة المباركة التي تتوارث العلم والأدب كابراً عن كابر في تواضع جم وخلق فاضل كريم نادر المثال.

والأستاذ إبراهيم فودة شاعر مطبوع، جمع شعره وأصدره في خمسة دواوين. وقد نظم الشعر في موضوعات شتى، ولكنه تميز بصفة خاصة في نظم الحكمة التي يقولها بلا تكلُّف بل عن عمق تجربة وصادق نية، وفي موسيقى عذبة وصور فنية جميلة، وهي كثيراً ما تأتي في ثنايا قصائده عفو الخاطر ولكنه نظمها في صورة مباشرة كذلك.

والشاعر إبراهيم فودة أديب واسع الإطلاع غزير المعرفة حاضر في مناسبات كثيرة، فكانت محاضراته علماً وأدباً في أجمل صياغة وأحسن بيان، وقد طبع بعض محاضراته وأصدرها عن النادي الأدبي الثقافي بمكة، ومنها محاضرتان جمعهما في كتاب عنوانه «حديث إلى المعلمين»، تحدث في الأولى منهما عن سيرة والده الشيخ أمين فودة في العلم والتعليم بأسلوب أدبي شيق فيه حرارة الصدق في التوجيه بإعطاء القدوة وضرب المثل[1].

والأسلوب التوجيهي يتسرب إلى شعر إبراهيم فودة، فيخرج حكمة غير متكلفة، فهي خلاصة تجربة حية طويلة، وله ديوان كامل

(١) «حديث إلى المعلمين»، «سر مهنة التعليم»، بقلم إبراهيم أمين فوده، ص٣٥-٥٢، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

أسماه «صور وتجاريب» افتتحه بأبيات عن الشعر والحكمة المستخلصة من تجارب الحياة بعنوان «الديوان» فقال:

الشعر: تجربة الحياة بكل أمداء الحياة
الشعر: تاريخ الحياة من الثمار إلى النواة[1]

وفي أبيات بعنوان «حديث الأيام» قال إبراهيم فودة:

حدثتني الأيام - قالت: تعلم إنني صورة من الإنسان
لست إلا سلوكه فهو الجسـ ـم، وإني عليه كالطيلسان
يلبس الأمس، ثم يخلعه اليو م، ويمضي إلى غد في الثاني
ثم يلقي عليَّ أدرانه الكثـ ـر، ويشكو مني بكل لسان[2]

وكأن إبراهيم فودة في أبياته هذه يشير إلى البيت القديم الشهير الذي ينسب إلى الإمام الشافعي أنه قال:

نعيب زماننا والعيب فينا وما بزماننا عيب سوانا

والشاعر السوري الحديث بدوي الجبل أخذ هذا المعنى أيضاً فقال فيه:

ورب شاك فساد العصر يظلمه لم يفسد العصر لكن أهله فسدوا[3]

وحتى حينما يبوح الشاعر إبراهيم فودة بأشواقه وحنينه إلى محبوبته، فإنه يجعل الحكمة إطاراً للحب، ويجعل المبادىء والمثل

---

(١) ديوان «صور وتجاريب»، شعر إبراهيم أمين فوده، ص ٦.
(٢) «صور وتجاريب»، ص ٢٣.
(٣) ديوان «بدوي الجبل»، ص ٢٩٨، دار العودة بيروت ١٩٧٨م.

العليا مقياساً وميزاناً لعلاقته بمحبوبته، فهو يرى أن الحب لا يكون إلا في هذا الإطار، وبهذه المقاييس والموازين، فهو قد حدد «مفهوم الحب» في رأيه، فقال في أبيات بهذا العنوان:

إن كان حبك لي لما قد يرتجى ... طمعاً، فلا حب ولا أشواق

أو كان حبك لي حديثاً عابراً ... نلهو به، فلك الحديث يساق

الحب كنز لا يباع ويشترى ... ثمن المحبة في القلوب عناق

ثمن المودة في الدفاتر لا يرى ... ولقد يعز فدونه الأعناق

فإذا فهمت الحب مثلي فاعلمي ... أني المحب الواله المشتاق(١)

ولكن رجل المبادىء الفاضلة والمثل العليا، الشاعر النبيل إبراهيم فودة، طالما اصطدم في حبه بزيف الناس وخداعهم، فاشتكى من تمردهم فقال في أبيات، عنوانها «الحب عندي»:

رجوت هواها قوة تشحذ القوى ... فزاد هواها من همومي وأوجاعي

وأيقنت أن الحب في ما أردته ... غريب على دنيا غريبة أوضاعي

فما الحب عند الناس إلا تمرد ... على مثل تشقى الأنام بلا داعي

وعندي أن الحب معنى ومتعة ... إلى النفس أدنى ما يكون بإشباع

أرجيه في البلوى أنيساً وصاحباً ... وأرجوه في النعمى رفيقاً لإمتاع

فإن كان معنى الحب متعة ساعة ... وأخرى فما للحب عندي من ساع(٢)

وهو في حبه لا يفرط في مبادئه ولا يضحي بكرامته أبداً، بل يقسو على قلبه حفاظاً على كرامته، كما قال بعنوان «صد، ووفاء»:

ولما وجدت الحب لهواً ومغنما ... يخالجه شيء من النفس مبهم

---

(١) ديوان «حياة وقلب»، شعر إبراهيم أمين فوده، ص ١٠٨.

(٢) «حياة وقلب»، ص ١٠٩.

ثنيت عنان القلب عن حبه لها وقلت له: هذا عليك محرم
فلا تنكري صدي فإني متيم كرامته أغلى عليه وأكرم[1]

ولكنه حينما وجد محبوبته النبيلة، التي تشاركه الإيمان بالمبادىء الفاضلة والمثل العليا، وأحس بانفتاح قلبها على قلبه، توحد معها، فأصبح يراها معه دائماً، بلا حجاب، على القرب والبعد، فإن هي رحلت عنه بجسدها، فإنه لا يشعر برحيلها في جوهرها إلا إلى أعماق قلبه ووجدانه. بعد أن تلاشت في هذا التوحيد كل معاني الزمان والمكان، وهو معنى رائع أجاد تصويره الشاعر الفنان إبراهيم فودة بمهارة فائقة، فقال بعنوان «رحيل»:

ورحلت، ولكن ليس عني وإنما إليَّ إلى أعماق قلبي ووجداني
فلست أراك - اليوم - إلا لصيقة بروحي وإحساسي وكل كياني
تلاشى - على الحب - المدى بيننا فلا حجاب زمان أو حجاب مكان
وربة غيب كالشهود وربما وصال ولا وصل لأي معاني
فلا تنكروا أني أراها ودوننا وهاد وأنجاد وشم مباني
ولا تنكروا سمعي حديث فؤادها ومنها إلى قلبي اتصال بيان
ولا تنكروا حسي بكل وجودها لكل وجود جوهر ومغاني
وجوهر حس المرء قلب، وإنما شرايينه العينان والأذنان[2]

والشاعر النبيل إبراهيم فودة يلجأ إلى الله في كل حال ويناجيه عز وجل في تبتل وخشوع، في ديوان كامل أسماه «تسبيح وصلاة»، وفيه قال بعنوان «نجوى قلب»:

يا رب ما ذنبي إليك بهين لكن عفوك فوق كل ذنوبي

---

(١) «حياة وقلب»، ص ١١٠.
(٢) «حياة وقلب»، ص ١٤٤ - ١٤٥.

أنــا مــا وفـيت الـفــرض إلا أنـنـي … بــالحمـد تلهــج مهجتي وجنــوبي
أنــا مـا وفيت الشكـر لكن لا أرى … في غيــر عفــوك ستـرة لعيــوبي
وإذا أخــذت بمــا تحب فـرحمــة … من فيض جــودك هــاديــاً لـدروبي
وإذا ضللت عن الصواب فمخطئاً … لا عــامــداً مـستـحسـنـا لمـعيب
إن كـان تقصيري جـريـرة ظـاهـري … فلبــاب قلبي من هــواك نصيبي[1]

ويشعر إبراهيم فودة ببرد الرضا يملأ جوانحه وينشر الأمن والإطمئنان إيماناً في نفسه، فهو قد عبر عن هذه الحالة الإيمانية الصادقة مستخلصاً منها الحكمة، فقال:

ولقـد لبست من الـزمــان ثيـابــه … شتى عـلى النـعـمــاء والبــأســاء
فـوجـدت في الإيمـان مصـدر قــوة … والـعـلم ثــوب مـهـابــة وعــلاء
وعلمت أن الحب أثمن مــا اقتنى … بــشــر مــن الأمــوات والأحــيــاء
فــرضيت بــالـدنيــا رســالــة مؤمن … ونعمت بــالــدنيــا نعيم رضــاء[2]

إن الأستاذ إبراهيم أمين فودة نظم الشعر في موضوعات شتى ولكنه تميز بصفة خاصة بشعر الحكمة، التي تتجلى حتى في موضوعاته الأخرى مهما كانت ـ ذاتية خاصة أو عامة ـ فهو في بيتين قالهما في مناسبة خاصة ـ جداً ـ لأحد أبنائه تعليقاً على كثرة سؤاله، اقتنص الحكمة وسجلها شعراً فقال:

ويــا ولــد فـديتــك مـن ولـيــد … يـحب الـعلم فــاســأل مـن تشــاء
فــإن الـعلم بــالـتســاؤل يـجنـى … ومــا في العـلم من سـؤل حيــاء[3]

---

(١) ديوان «تسبيح وصلاة»، شعر إبراهيم أمين فوده، ص ٧٠ـ٧١.
(٢) «تسبيح وصلاة»، ص ٢٤٤.
(٣) ديوان «مجالات وأعماق»، شعر إبراهيم أمين فوده، ص ١٩٨.

رحم الله شاعر الحكمة والمبادىء الفاضلة الأديب الأستاذ إبراهيم فودة وزاده توفيقاً.

ومن الأدباء الذين حققوا شهرة واسعة وانتشاراً خارج حدود المملكة الأديب الكاتب الأستاذ:

أحمد محمد جمال[1]:

وهو من مواليد مكة في سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م وبها نشأ، فتلقى تعليمه بمدارسها، والتحق بالمعهد العلمي السعودي، ثم تركه بعد أن أنهى السنة الأولى به في سنة ١٣٥٩هـ فالتحق بالوظائف الحكومية، في دوائر القضاء أولاً، ثم في وزارة الداخلية، إلى أن تم تعيينه عضواً في مجلس الشورى بمكة سنة ١٣٧٥هـ. وحينما تأسست جامعة الملك عبد العزيز بجدة اختارته في سنة ١٣٨٧هـ ليقوم بتدريس الثقافة الإسلامية لطلابها. أما وفاته فكانت في الأول من شهر ذي الحجة من سنة ١٤١٣هـ رحمه الله.

بدأ الأستاذ أحمد جمال نشاطه الأدبي شاعراً، وكاتباً، وقاصاً، منذ أن كان طالباً في المعهد العلمي السعودي بمكة، فمارس كتابة المقال الصحفي في جريدة «صوت الحجاز»، ثم في جريدة «البلاد السعودية» بمكة، ثم أصبح سكرتيراً لتحريرها في عهد رئاسة الأستاذ عبد الله عريف للتحرير (رحمه الله) وحينما أسس أخوه الأستاذ صالح محمد جمال

---

(١) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٢٥٣، وفي مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٥٠، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٤٩، وفي بعض كتبه مثل: «نحو تربية إسلامية» سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم١١، ص الغلاف الأخير.

جريدة «حراء» بمكة، التي تحول اسمها فيما بعد إلى «الندوة» وقبل أن تتحول إلى مؤسسة عامة، اختار الأستاذ صالح جمال مؤسس تلك الجريدة ورئيس تحريرها أخاه الأستاذ أحمد جمال مديراً لتحريرها.

ومع أن بداية أحمد جمال في نشاطه الأدبي كانت بنظم الشعر وكتابة القصة، إلا أن النزعة الدينية تغلبت عليه تدريجياً فصرفته عن الأدب الخالص، وجعلته يصبح كاتباً ومحاضراً متخصصاً في الدراسات الإسلامية، بل إن شعره منذ بداياته الأولى كان يشير إلى هذا الإتجاه. فقد أصدر في مطلع حياته الأدبية ديواناً شعرياً أسماه «الطلائع» كانت النزعة الدينية هي السمة الأكثر بروزاً فيه، وهذا دليل على أصالة هذا الإتجاه عند أحمد جمال. وقد صدر ديوان «الطلائع» في سنة ١٣٦٦هـ في طبعته الأولى ثم في سنة ١٣٩٧هـ، أصدره نادي مكة الثقافي الأدبي بعنوان «وداعاً أيها الشعر» واستهل به سلسلة منشوراته المطبوعة. وفي شعره يلجأ أحمد جمال إلى الله عز وجل في كل حال. ومن ذلك قوله بعنوان (صلاة):

رباه! إني بملء القلب لا بفمي	أقول: نحوك تفويض وتعويلي
وإن لي الثقة العليا بما ملكت	يداك، لا بالذي يجنيه تحصيلي
وإنني منك راج أن تخولني	تقواك سراً وجهراً في مفاعيلي(١)

وتأثر أحمد جمال، كبقية أنداده من أدباء مكة، بشعراء العرب في المهاجر الأمريكية، ففي أبيات عنوانها «مصابرة الحياة» حاكى إيليا أبو ماضي فقال:

«كن جميلاً ترى الوجود جميلا»	في سكون الدجى وفوضى النهار

---

(١) «وداعاً أيها الشعر»، شعر أحمد محمد جمال، ص ٥٦.

في رجاء الفؤاد ـ بعد قنوط ـ   أو هزيم الجهاد بعد انتصار
في هجير الشقاء حيث تخاف   الموت فيه، وعند أمن العثار.
في قتام السماء، أو هيجة الر   يح سواء وهداة الأسحار.
في شرود الرّقاد، في فزع الأ   حلام، في روعة الخيال الساري
كن جميلاً، وكن قوياً، ترى العيش   ـ جميلاً ـ في ليلة والنهار[1]

وفي مقدمة الطبعة الثانية من شعر أحمد جمال، كتب ـ هو مسجلاً ـ حقيقة تحوله عن الشعر إلى أدب الدراسات الإسلامية، فقال: «هذا بعض شعري الذي قلته منذ صباي، ثم شبابي، وقد سميت الطبعة الأولى من ديواني (الطلائع). . لأني كنت أحسب أني سأظل شاعراً، وأقول الشعر في مختلف مجالات الحياة وأحداثها ومسالكها. ولكن الله عز وجل أراد غير ذلك، فوجهني إلى أدب الدراسات الإسلامية، فكتبت فيها المقالات، وألفت الكتب، وألقيت المحاضرات ودرستها لطلاب الجامعات في مكة المكرمة، وجدة وفي المؤتمرات الداخلية والخارجية.

وبذلك التوجيه، الذي أراده الله لي، كانت (الطلائع) (خواتيم) ولكنها ذكريات عزيزة»[2].

ويتميز أسلوب الأستاذ أحمد جمال بوضوح الفكرة وبساطة الأسلوب في عرض مشرق سهل الفهم، كما يتميز بصلابته في التمسك بأسس العقيدة وما يؤمن به ويدافع عنه من رأي. وقد نشر كتاباته في معظم صحف ومجلات البلاد العربية.

---

(١) «وداعاً أيها الشعر»، ص ٧١.
(٢) «وداعاً أيها الشعر»، المقدمة، ص ٦.

ومن مشاهير أدباء هذه البلاد الذين أسهموا بجهدهم في نشر الأدب العربي السعودي على أوسع نطاق الأديب الناشر الأستاذ:

عبد العزيز أحمد الرفاعي[1]:

ولد في بلدة «أملج» الساحلية سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ونشأ في مكة، فتلقى تعليمه في مدارسها، وتخرج من المعهد العلمي السعودي في مكة. ثم التحق بالعمل الوظيفي فتدرج في عدد من الوظائف رفيعة المستوى، كان آخرها وظيفة مستشار بمجلس الوزراء، ثم ترك العمل الحكومي متفرغاً للأدب والنشر بعد أن تقاعد. وقد وافته المنية في ٢٣/ ٣/ ١٤١٤هـ رحمه الله.

بدأ الأستاذ عبد العزيز الرفاعي حياته الأدبية بالكتابة في جريدة «صوت الحجاز» ثم في «البلاد السعودية» التي كان أحد محرريها البارزين في بداية صدورها. وهو كاتب متزن عف اللسان في كتاباته النقدية الهادفة. نظم الشعر ولكنه مقل فيه. ومن شعره قصيدة نظمها رداً على تحية شعرية وردت إليه من صديقه الشاعر الأستاذ سراج خراز، ونشرها في ديوانه «غناء وشجن» الذي أصدره الرفاعي في سلسلة المكتبة الصغيرة، وفي تلك الأبيات قال الرفاعي واصفاً حاله:

أسكتتني شواغل العيش والبيت ... فما عدت للأناشيد أنهد
ليس إلا الفراغ يملأ قلبي ... ليس إلا الفراغ، يا صاح، لا المجد
غير أني بالرغم من هجمة اليأس ... طموح.. لعزمة تتجدد

---

(١) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ص ٣، ص ٨٣، وفي مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٤٩، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٠٢.

ما سلوت الرياض والغصن والدوح ولا زاكي العطور.. ولا الورد
ما سلوت النجوم والبدر والليل ولا سامر الشجون.. ولا السهد
ما سلوت الدموع والطيف والوعد ولا ماطل الوصال. ولا الصد
قد سلتني.. جميعها.. ثم ألقت جذوة في رمادها تتوقد[1]

وعبد العزيز الرفاعي باحث شارك في مؤتمرات أدبية كثيرة قدم من خلالها بحوثه، كما ألف كتباً عدة في موضوعات شتى.

وأسس الأستاذ عبد العزيز الرفاعي داراً للنشر بدأها بسلسلة «المكتبة الصغيرة» التي قدم من خلالها عشرات الإصدارات لمؤلفين وشعراء سعوديين، ومن أقطار عربية أخرى. كما شارك مع الأستاذ عبد الرحمن المعمر في أعمال نشر أخرى وفي إصدار مجلة متخصصة في متابعة أخبار الكتب هي مجلة «عالم الكتب» التي تصدر في الرياض.

وعنى الأستاذ عبد العزيز الرفاعي عناية خاصة بتراث العرب والمسلمين الثقافي، ودعا إلى توثيق صلة الأجيال الحاضرة بتراث الأمة في عصورها الماضية، وقد استهل الرفاعي سلسلة (المكتبة الصغيرة) بنشر محاضرة له حول هذا الموضوع، قال فيها: «إذا أردنا أن نعمل على توثيق الأديب بتراثه.. فإن نقطة الإرتكاز الأولى ستكون التعرف إلى هذا التراث، وتحبيبه إلى النفوس، وتعويد الأجيال الجديدة عليه، وتقريبه إليهم، والعناية بالكلمة العربية، والإستعمال العربي، والإصطلاح العربي، واصطناع مسميات عربية ـ كلما أمكن ـ لمستحدثات الحضارة، والتمكين للغة العربية لكي تكون لغة العلوم، ولتحتل محلها من جامعاتنا ومعاهدنا، وتنشيط حركة التعريب، وإحياء روائع الفكر العربي القديم،

(١) ديوان «غناء وشجن»، قصيدة «رد التحية»، شعر عبد العزيز الرفاعي، ص٨٩، ٩٠.

والعناية به إخراجاً وتصحيحاً وتدقيقاً، وتوحيد الجهود العاملة في هذا الحقل واستثمارها، على خير الوجوه»[1]. وانطلاقاً من هذه الدعوة قام الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بخدمة التراث من خلال النشر والدراسة والتحقيق بهمة وحماس بالغين.

ومن مشاهير الأدباء النقاد المقتدرين الأستاذ:

عبد العزيز الربيع[2]:

واسمه الكامل هو محمد عبد العزيز الربيع، ولكنه اشتهر باسم عبد العزيز فقط. وهو من مواليد سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٩م في المدينة المنورة، وبها نشأ فتلقى تعليمه في مدارسها، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وفيها أتم تعليمه الثانوي، وعاد إلى المدينة المنورة فعمل بها مدرساً لمدة عام، ثم ابتعث إلى مصر فواصل دراسته الجامعية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وتخرج من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ثم حصل على دراسات عليا في التربية، وعاد بعدها إلى مسقط رأسه في المدينة المنورة، فعمل مفتشاً في مدارسها ومدارس الشمال، ثم أصبح أول مدير لإدارة التعليم فيها منذ سنة ١٣٧٤هـ وإلى أن فارق الحياة في

---

(١) «توثيق الإرتباط بالتراث العربي»، بقلم عبد العزيز الرفاعي، ص٢١، سلسلة المكتبة الصغيرة رقم١.

(٢) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٧٤، وفي مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٧٢، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٩٧، وفي كتاب «ذكريات طفل وديع»، تأليف عبد العزيز الربيع، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٧هـ، ص الغلاف الأخير، إلا أنه ذكر هناك أنه: «ولد في أواخر الخمسينات بالمدينة»، وهذا التاريخ لا يتفق أبداً مع سنوات تخرجه من الثانوية العامة ومن الجامعة، والدراسات العليا، ومع من زاملهم من أنداده، فالأرجح أن مولده كان في سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٩م.

سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م بالمدينة المنورة (رحمه الله) وأسكنه فسيح جناته.

والأستاذ عبد العزيز الربيع كان شخصية إجتماعية بارزة، فأسهم بنشاطه في تطور الرياضة والحركة الكشفية في المدينة المنورة، إلى جانب نشاطه الأدبي الذي تمثل في الكتابة ونظم الشعر والتأليف. وهو أحد الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي في المدينة المنورة، منذ أن بدأ باسم «أسرة الوادي المبارك»، وحتى بعد التأسيس الرسمي للنوادي الأدبية في المملكة، وإلى أن انتقل إلى (رحمة الله) تعالى. كما كان رئيساً لعدة نواد رياضية في المدينة المنورة. وشارك بفعالية جادة في كثير من المؤتمرات الأدبية، والتربوية في الداخل والخارج، وقد مارس الأستاذ عبد العزيز الربيع الكتابة الأدبية ونظم الشعر، ولكنه تميز بصفة خاصة بدراساته النقدية الواعية المتزنة.

وأسلوب عبد العزيز الربيع في الكتابة شيق واضح، ومن أجمل آثاره النثرية قصة حياته التي كتبها بأسلوب قصصي، على نهج «الأيام» للدكتور طه حسين، رحمهما الله، وأسماها «ذكريات طفل وديع»، وفي تلك الذكريات تحدث الأستاذ عبد العزيز الربيع (رحمه الله) عن طفولته، فكتب قائلاً: «هناك عوامل ثلاثة كانت تتجاذبني في طفولتي، وبعبارة أدق كانت تتقاسم أيام هذه الطفولة، هي: البيت، والحرم، والمدرسة.

والحرم الذي أعنيه هو الحرم النبوي الشريف، وهو ـ كما لا يحتاج أن أقول ـ أبرز معالم المدينة، بل هو المحور الذي تدور عليه الحياة فيها، وما من إنسان ولد في المدينة أو نشأ إلا وكان للحرم أقوى الإنطباعات في نفسه. فإليه مغداه ومراحه، وفيه متنفسه ومسرته، وعنده يلتقي بإخوانه للقراءة والمناقشة، وبأساتذته للدراسة والبحث، وبنفسه للصلاة والراحة، وبالمصلين للتقوى والإنابة.

وهكذا قضيت أيام الطفولة الأولى حتى انتهيت من المرحلة الإبتدائية وأنا في صحبة المسجد ألقاه مصبحاً وممسياً بل إنني لألقاه ثلاث مرات: مرة في الفجر مع أبي لأداء فريضة الفجر، ومرة في الظهر مع المدرسة لتأدية فريضة الظهر، ومرة قبيل المغرب حيث أبقى به للمذاكرة إلى أن يقوم خدامه من الأغوات بغلق أبوابه بعد صلاة العشاء بما يقرب من ساعة»[1].

وقد أشار الربيع في ذكرياته إلى أنه حفظ القرآن كاملاً وهو في المرحلة التحضيرية وقبل دخوله المرحلة الإبتدائية في طفولته[2]، ولعل هذا هو الذي جعله متمكناً من اللغة العربية وأساليبها الجميلة، كما أنه كان على خلق فاضل وحياء جم (رحمه الله) وأسكنه فسيح جناته.

ومن مشاهير الأدباء الذين ذاعت شهرتهم داخل المملكة وخارجها الأستاذ:

عبد الفتاح أبو مدين[3]:

وهو من مواليد مدينة بني غازي بليبيا سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م وقدم إلى المدينة المنورة ونشأ بجوار خاله مدير عام الجمارك آنذاك الشيخ مصطفى بدر الدين (رحمه الله)، فتلقى تعليمه في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة، وحينما أتم تعليمه الإبتدائي اضطرته ظروف الحياة للعمل، فالتحق بوظيفة حكومية في الجمارك، ولكن الطموح دفع به إلى مواصلة التحصيل الذاتي، فقرأ، وقرأ، حتى أصبح بجهده الذاتي، وعصاميته

---

(١) «ذكريات طفل وديع»، ص ٢٠، ٢١.

(٢) «ذكريات طفل وديع»، ص ٥٠، ٥١.

(٣) وردت ترجمته في «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٩٠، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٥١.

الفذة، أحد كبار المثقفين في هذه البلاد. وبدأ ينشر مقالاته في الصحف منذ سنة ١٣٦٨هـ، وكان في بداية حياته الأدبية شديد التأثر بأسلوب طه حسين (رحمه الله)، كما سجل هو ذلك بقلمه عن نفسه[1].

وانتقل الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين منذ شبابه إلى مدينة جدة، وعشقها، فاستقر مقامه بها، وأصدر فيها مع زميله محمد سعيد باعشن جريدة «الأضواء» في سنة ١٣٧٧هـ. وكانت من أنجح صحف هذه البلاد وأكثرها شعبية لجرأة صاحبيها وسلامة المنهج الذي سارا عليه، فاستقطبا كبار الأدباء للكتابة في «الأضواء»، كما كان الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين نصيراً لهواة الأدب والكتابة من الشباب ففتح لهم أبواب النشر وساعدهم على التجويد والإتقان. ورغم قصر العمر الزمني لجريدة «الأضواء» فإنها كانت رائدة موفقة تركت بصماتها واضحة على الحياة الأدبية والثقافية العامة في البلاد، وكان من أبرز تلك البصمات الكريمة سلسلة الإصدارات والكتب التي صدرت عنها، ومنها أول كتاب للأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، وهو كتاب «أمواج وأثباج» الذي صدر في طبعته الأولى في سنة ١٣٧٨هـ (أبريل ١٩٥٩م)، ثم أعاد طبعه وأصدره في سلسلة «كتاب النادي الأدبي الثقافي» بجدة في سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

«أمواج وأثباج» كتاب يحمل بين دفتيه مجموعة دراسات نقدية ومتابعة جادة لإصدارات أدبية، شعرية ونثرية، لأدباء من المملكة، ومن خارجها. وهو كتاب عظيم في بابه، رغم أنه يجمع دراسات ومقالات نقدية متفرقة، إلا أنه من الكتب النقدية النادرة في جيل الأستاذ أبي مدين، فقد أقام دراساته النقدية في هذا الكتاب على أساسين صحيحين متينين، هما: الجد الموضوعي المتقن.. علماً، ولغة، وأدباً، والصدق

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٩١.

بإخلاص لا تشوبه شائبة. وقد ضمَّن الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين دراساته هذه آراء صائبة في النقد السليم، منها قوله: «والنقد الصحيح لا يغضب أحداً، ولا يصادق أحداً. (. . .) والإنسان عرضة للخطأ مهما تحفظ، ومهما حرص، ولا بد للخطأ من إصلاح، ولا بد لصاحبه من النصح لئلا يتكرر وقوعه في الخطأ»[1] ومن آراء أبي مدين الصائبة السديدة في النقد قوله: «إن الناس يخطئون حين يقولون: «إن النقاد يحملون في أيديهم معاول. . ليهدموا بها ما بنى غيرهم، بيد أن هدف رسالة النقد هو إصلاح ما فسد وتقويمه ليدرك المنشيء خطأه، ويصلحه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وفيما سينشيء مستقبلاً، وتوجيه للذين يغرهم بريق التزيين المنهار، ليكونوا على علم، ولئلا يقعوا فيه أو في مثله. . نتيجة عدم معرفتهم التامة بسر المهنة»[2].

وقد كان الأستاذ أبو مدين أميناً مخلصاً في نقده، لم يجامل، ولم يهاجم، بل بين مواطن الجمال، وأشار إلى مواقع الخطأ في الأعمال الأدبية التي نقدها بوعي واقتدار، فكان ـ بحق ـ رائداً من رواد النقد الأدبي السليم في أدبنا الحديث.

والأستاذ عبد الفتاح أبو مدين الأديب والناقد، صحفي مجتهد، فبعد أن توقفت جريدة «الأضواء» أصدر الأستاذ أبو مدين بمفرده مجلة «الرائد» التي سخرها لخدمة بلاده وقضايا الإنسان فيها بعنفوان وإخلاص وموضوعية، واستقطب لها الأدباء المخلصين، وظل يجاهد حتى توقفت «الرائد» عن الصدور، بعد أن تحولت صحف المملكة جميعها إلى مؤسسات. ولكن عشق الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين للصحافة والكتابة لم

(١) «أمواج وأثباج»، تأليف عبد الفتاح أبو مدين، ص ٧٧ (ط٢).

(٢) «أمواج وأثباج»، ص١٠١ (ط٢).

يتوقف، فعاد بعد حين وتولى مسؤولية تحرير عدد أسبوعي من جريدة «عكاظ» اليومية، كان يصدره صباح كل يوم سبت في إبان سنتي ١٣٩٣هـ/ ١٣٩٤هـ، حافلاً بالموضوعات الأدبية المتنوعة، والمناقشات النقدية الهادفة بعيداً عن المهاترات، والأمور الشخصية. كما تولى الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين مسؤوليات الإدارة في جريدة «البلاد» وفي مطابع «البلاد» ولكنه أخيراً استقر في رئاسة النادي الأدبي الثقافي في جدة.

والأستاذ عبد الفتاح أبو مدين هو أحد أبرز كتّاب المقالة الصحفية الأدبية، والإجتماعية، وقد جمع كثيراً من مقالاته وأصدرها في كتاب، جعل عنوانه «في معترك الحياة»، وقد صدر في سلسلة «كتاب النادي الأدبي الثقافي» بجدة في سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م. وفي هذا الكتاب دراسات نقدية في الأدب، لم يجامل فيها حتى أقرب الناس إليه من أصدقائه، فقد ناقش ـ مثلاً ـ بعض الأخطاء الفنية في شعر صديقه الشاعر محمد هاشم رشيد في تبيان الحسن، والإشارة إلى ما يرى أنه غير ذلك(١).

ولكن المؤسف أن الأستاذ عبد الفتاح لم يذكر التاريخ الأصلي لنشر كل مقالة في ذيلها، وليته يفعل ذلك مستقبلاً.

ومن مشاهير الأدباء من أبناء هذا الجيل الشاعر الأستاذ:

محمد هاشم رشيد(٢):

ولد في المدينة المنورة في سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م وهناك نشأ

---

(١) «في معترك الحياة»، تأليف عبد الفتاح أبو مدين، ص٥١ـ٥٤.

(٢) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٨٨، «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٠٠، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٤٧١، إلا أنه ذكر هناك أن سنة مولده هي سنة ١٣٤٧هـ.

فتلقى تعليمه في مدرسة العلوم الشرعية وتخرج منها. عمل بعد تخرجه في وظيفة فنية، ثم التحق بإدارة التعليم بالمدينة وتنقل بينها وبين وزارة الإعلام، إلى أن استقر به المقام وظيفياً في إدارة التعليم بالمدينة. ظهرت مواهب الأستاذ محمد هاشم رشيد منذ عهد مبكر فنظم الشعر ونشره في الصحف في داخل المملكة وخارجها وطبع ديوانه الأول في سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م وعنوانه «وراء السراب».

ومحمد هاشم رشيد شاعر استلهم التاريخ، وربط بين الماضي والحاضر، ومزج بين الخيال والواقع. وهو يجيد نظم الشعر على أصوله المتوارثة، كما يميل إلى التجديد بلا خروج على الأصول، ومن ذلك ما يشبه شعر التفعيلة، بكتابة الشعر الموزون على طريقة السطر. كما فعل في الطبعة الثانية لقصيدته التاريخية الطويلة «الجناحان الخالدان» وهي من بحر الرمل، وذات أشطر متساوية، ولكنه نشرها في طبعتها الثانية موزعة توزيعاً جديداً على أسطر فقال في مطلعها:

موعد الحب دعانا
للقاء
فالتقينا . .
وعلى أهدابنا
موعد للشوق . . في
عرس الضياء
حمل النجوى . . إلى أحبابنا

* * *

كل قلب في مداه
وردة . .

غرقت..
في ألف لون
وعبير
همسها الشادي
حنين
فرحة..
حلم..
ينساب في
جفن.. قرير[1]

ومحمد هاشم رشيد يحلم بوحدة الإنسانية وبالسلام يعم جميع أبنائها، فيخاطب الإنسان، حيثما كان، في قصيدة من مقاطع متعددة القوافي بتعدد المقاطع فيقول بعنوان «أخي يا أيها الإنسان»:

دع المعول فوق الصخر   واملأ يا أخي كأسك
وجدد في ظلال الكرمة   الخضراء.. أعراسك
هنا في الظل عند الجدول   الرقراق.. والعشب
تعال نعش على دنيا   من الأحلام.. والحب[2]

إلى أن يقول مخاطباً الإنسان حيثما كان مؤكداً على وحدة الإنسانية:

كلانا من صميم الأرض   صاغتنا يد القدر

---

(١) «الجناحان الخالدان»، شعر محمد هاشم رشيد، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ص٧، ٨، المدينة المنورة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م (ط٢).
(٢) ديوان «بقايا عبير ورماد»، شعر محمد هاشم رشيد، ص٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، سلسلة «كتاب النادي الأدبي الثقافي» بجدة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

حنيناً نابضاً.. يهفو بعيداً عن رؤى البشر

* * *

وأشواقاً.. مطلسمة تجوب مجاهل الأفق
وتصبو في متاهتها إلى الأنسام والألق

* * *

تعال.. فإن في روحي مقاطع من أناشيدك
وبين جوانحي الظمأى هتاف من أغاريدك

* * *

تعال.. تعال.. فالأزهار بين يديك تنبثق
وخلف خطاك يسري العطر والأعشاب.. تعتنق

* * *

وينتفض الهوى الممراح في فجر الأغاريد
وأشواق الوجود الحي في شفق الأناشيد[(١)]

وهو أديب نشط شارك بفاعلية في كثير من المؤتمرات والندوات في الداخل والخارج، وهو أحد الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي في المدينة منذ أن كان يعرف باسم «أسرة الوادي المبارك» كما نظم كثيراً من الأناشيد الوطنية.

---

(١) ديوان «بقايا عبير ورماد»، شعر محمد هاشم رشيد، ص٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، سلسلة «كتاب النادي الأدبي الثقافي» بجدة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤.

ومن مشاهير الشعراء من أبناء هذا الجيل الأستاذ:

محمد الفهد العيسى[1]:

ولد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم في سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وانتقل طفلاً مع أسرته إلى المدينة المنورة، فنشأ بها، وفيها تلقى تعليمه. ثم بدأ حياته الوظيفية في سن مبكرة ووصل إلى منصب مدير عام مصلحة الزكاة والدخل في الرياض، ثم انتقل بعد ذلك إلى العمل في وزارة الخارجية، وأصبح سفيراً للمملكة في عدة دول.

والأستاذ محمد الفهد العيسى شاعر شهير، يتعلق ببلاده، ويرمز إلى ذكرياته فيها في معظم شعره، ويستلهم التاريخ أحياناً بمناجاة المواقع الجغرافية، ويحلم في (رومانسية) يصب في جوها بوح نفسه وذوب عواطفه ولكن في محافظة تامة على قوالب الشعر العربي ونظامه المتوارث، مع محاولات حذرة في التجديد في هذا الإطار.

وعلى البعد وفي الغربة يحن محمد الفهد العيسى لوطنه ومراتع طفولته وصباه، فيقول الشعر في مناجاة لتلك المراتع والديار، كما فعل في قصيدة نظمها وبعث بها إلى جريدة «الجزيرة» في الرياض نشرتها بعنوان «بوح» مع مقدمة له قال فيها:

«أبعث برفقه قصيدة هي من آخر ما كتبت بعنوان «بوح» عرجت

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «شعراء نجد المعاصرون» تأليف عبد الله بن إدريس، ص١١٣، وفي مجلة «المنهل» العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٦٨، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٢٧، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٦٩٠، وفي ديوان «الإبحار في ليل الشجن» من شعره، الكتاب العربي السعودي رقم٢١، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

فيها على (الرياض) و(روضة الخفس) والعرار، والخزامي والأقاح. فكل جارحة مني تحن إلى تلك (الأويقات) التي احتضنت في كل الذكريات»[1] وفي هذه القصيدة قال الشاعر محمد الفهد العيسى:

يا نديمي في الهوى عرجا بي	نحو دار جذورها في إهابي
واسقياني رحيق وجد نديّ	من هواها. فمن هواها شرابي
أنتما من أراه قصداً لصاد	فارفقا بي وارثيا لاغترابي

* * *

راع قلبي بعاد خود رشوف	ثرة الود حلوة كالرضاب

إلى أن قال:

أي ذكرى تحدرت سيل درء	مثلما الشوق من (هنوف) كعاب
ليت شعري أما يرد زمانا	زانه الوصل في (الرياض) الرحاب

* * *

يا منى الوجد أمنياتي ظماء	أوردت - شقوة - لومض السراب
أين مني كؤوس حب دهاقا	من لمى (زم) في طلا الأكواب
وحنيناً يشد قلباً لقلب	زاد في البعد والجوى من عذابي[2]

* * *

ورغم هذا الشوق (الرومانسي) و(البوح) عن تباريح النفس في

(١) جريدة «الجزيرة»، العدد ٤٥٥٤، السنة الثانية والعشرون، الاثنين ١٤٠٥/٦/٢٧هـ - ١٩٨٥/٣/١٨م، ص١١، الرياض.
(٢) جريدة «الجزيرة»، العدد ٤٥٥٤، السنة الثانية والعشرون، الاثنين ١٤٠٥/٦/٢٧هـ - ١٩٨٥/٣/١٨م، ص١١، الرياض.

الغربة والبعد والحرمان، فإن الشاعر في مفرداته، وفي القالب الذي صاغ فيه بوحه يذكر القارىء منذ استهلال القصيدة بنداءات الشعراء الجاهليين فيقول (يا نديمي) مثل امرىء القيس الذي ناشد (رفيقيه) أن يقفا معه عند مرابع الذكريات وأطلالها.. فقال: (قفا نبك...) ومحمد الفهد العيسى يكاد لا يتحدث في شعره كله إلا عن تجاربه الذاتية، وهموم نفسه في غلالة من الأسى والحزن، فهو قد وصف حياته بذلك في قصيدة عنوانها «حياة شاعر» قال فيها:

حياتي ظلام وبين الدروب	تعثرت أشكو ندوب الألم
وأرثى بلحن تعيه النجوم	نزيف جراح الأسى المضطرم
صداه صلاة بعمق الظلام	بمعبد وادي الفنا والعدم
وأشباح شتى من الذكريات	ترجّع ترتيل ذاك النغم
وحولي بقايا (كمان) حطام	عليه كتبت سطوراً بدم
ستبقى على الدهر حتى تكون	دليلاً لرمسي بين الأكم[1]

والإشارة إلى (الكمان) المحطم على قبره بعد موته تتكرر في شعره، فهو في قصيدة أخرى، عنوانها «في الطريق» قال:

وتبقى (كماني) الحطام تئن	وتعزف للقبر لحن الشهيد
وتبقى حياتي من - الذكريات -	صدى بين شعر وأوتار عود[2]

وحتى حديثه عن أشواقه وحنينه للرياض وأفياء نجد الذي عبر عنه

---

(١) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ١١٥.

(٢) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ١١٤.

في قصيدة (بوح)، ما هو إلا حديث قديم عبر عنه من قبل وأعاد ترديده، فهو قبل نحو عشرين سنة قال في قصيدة عنوانها «وداع»:

سأبقى ما حييت وبعد موتي
أصارع في هواك الدهر وحدي
وأنسج (للرياض) الزهر بردا
من الألحان يا أفياء (نجد)
(هنائي) فيك قد أضحى مقيما
فقدت ببعده لبي ورشدي[1]

ومن مشاهير الشعراء الفنانين من أبناء هذا الجيل الأستاذ:

محمد السليمان الشبل[2]:

ولد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم في سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، وهناك نشأ وتلقى تعليمه الإبتدائي، ثم انتقل إلى مكة فالتحق فيها بالمعهد العلمي السعودي وبعد أن تخرج منه التحق بكلية الشريعة في مكة وتخرج منها في سنة ١٣٧٣هـ، فبدأ حياته الوظيفية مدرساً في التعليم المتوسط والثانوي، ثم أصبح مديراً لأعرق مدرسة ثانوية في مكة، وقد تتلمذ عليه عشرات من أدباء الشباب ورجالات المملكة الذين يدينون له بفضل التعليم والتوجيه. وهو شخصية محبوبة وعلى خلق فاضل وحياء جم. وقد عشق الأدب وانكب

---

(١) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ١١٧.

(٢) وردت ترجمته في «شعراء نجد المعاصرون»، ص ١٢٦، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٥٨، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٣٩، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٦٩١.

على قراءة كتبه منذ صغره، فظهرت مواهبه الشعرية في فجر شبابه، وراسل الصحف التي رحبت بشعره القوي وتابعت نشره على صدر صفحاتها، وهو شعر قوي فيه تحليق ونفحات إيمانية، ووطنية صادقة، ويبدو أنه كان في بداية حياته الأدبية متأثراً بشعراء المهاجر الأمريكية وبشعراء الإتجاه (الرومانسي) في الأدب العربي الحديث مثل جبران خليل جبران، وعلي محمود طه. فهو - مثلاً - في قصيدتين له من قصائده التي نظمها ونشرها في مطلع شبابه يذكرنا بشعر رومانسي حالم للشاعر المصري الشهير علي محمود طه الذي قال في «ليالي كليوباترة»:

يا ضفاف النيل بالله ويا خضر الروابي
هل رأيتن على النهر فتى غض الأهاب
أسمر الجبهة كالخمرة في النور المذاب
سابحاً في زورق من صنع أحلام الشباب؟[1]

ويستعير محمد السليمان الشبل هذا الجو الرومانسي الحالم، بل وبعض التعابير مثل: (النور المذاب)، و(أحلام الشباب).. فيقول في قصيدة عنوانها «نداء الربيع».

نسمة الفردوس عودي أنعشي روح الوجود
وامسحي هام الروابي بشذا عطر الورود
واعزفي الأيام لحنا من ترانيم الخلود

* * *

إن هذا الكون لولا نسمة الفردوس ولى
وغدى لليأس ظلا

(١) «ديوان علي محمود طه»، «زهر وخمر»، ص٤٧٤، ط. دار العودة، بيروت ١٩٧٣م.

فارقصي فوق الروابي بسنا النور المذاب
وابعثي الفرحة في الكو ن بأحلام الشباب
وتهادي فالربيع الطلق قد غنى بأنغام عذاب
وسرى طيفاً وديعا مرحاً غضاً بديعا
يغمر الكون

* * *

بين سمار ندامى جعلوا العيش ابتساما
وهفوا تحت جناح الليل عشاقاً هياما
نسمة الفردوس أسقتهم من الشوق ضراما[1]

والصورة في المقطع الأخير مستعارة أيضاً من «ليالي كليوباترة» في قول علي محمود طه:

نبأة كالكأس دارت بين عشاق سكارى
سبقت كل جناح في سماء النيل طارا
تحمل الفتنة والفرحة والوجد المثارا
حلوة صافية اللحن كأحلام العذارى[2]

ويبدو أن محمد السليمان الشبل كان قد تأثر كثيراً بهذه الصور الفنية الحالمة في «ليالي كليوباترة»، فهو قد استعارها في قصيدة أخرى، حملت اسم ديوانه «نداء السحر» فقال فيها:

وتهادى الليل والليل ظلام ودجى وحنين خفق القلب به واختلجا
وشعاع لم يزل فوق الروابي

---

(١) ديوان «نداء السحر»، شعر محمد السليمان الشبل، ص١٠١-١٠٢، النادي الأدبي، الرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٢) «ديوان علي محمود طه»، ص ٤٧٢.

وهج يرقص بالنور المذاب
ويغني بترانيم عذاب
حلمت بالنور يجري بانسياب[١]

إن معظم قصائد «نداء السحر» للشاعر محمد السليمان الشبل تحمل مؤشرات لصدى قصائد علي محمود طه (رحمه الله) حتى العناوين، مثل «الأشواق التائهة»[٢] للشبل، و«الملاح التائه»[٣] لعلي محمود طه، وما فيها من تقارب، وتشابه في الصور الفنية.

وكما فعل علي محمود طه في أغانيه الريفية، فقد تغنى محمد سليمان الشبل بالحياة الريفية الوديعة في (عنيزة) و(بريدة) و(حائل) في جو حالم وموسيقى شعرية ناعمة هادئة.

حتى تعبيره عن لوعته وحزنه على ضياع المسجد الأقصى يسكبه محمد سليمان الشبل في قوالب علي محمود طه وموسيقى «أغنية الجندول في كرنفال فينيسيا»[٤] التي استعار إطارها الشعري كله، بل وبعض جملها، وفي قصيدة عنوانها «في محراب الذكريات» قال الشبل فيها:

خفقت أجنحة الذكرى على طيف البراق
ثرة الإشراق لكن طعمها مر المذاق
كيف لا: والحرم الثالث مشدود الوثاق

(١) «نداء السحر»، ص ١٠٣.
(٢) «نداء السحر»، ص ١٨ ـ ٢٠.
(٣) «ديوان علي محمود طه»، «الملاح التائه» ص ٣٤ـ٣٧.
(٤) «ديوان علي محمود طه»، «ليالي الملاح التائه»، ص ٢٢٥ـ٢٣٠.

ورحاب المسجد الأقصى على عهد الفراق
وهدير النار ما زال عفيف الإنطلاق

* * *

خفقت أجنحة الذكرى فناجيت نشيدي
أين يا قيثارة الشعر ترانيم القصيد؟
وأغاريد المنى والحب في اليوم السعيد؟
أين ذكرى ليلة الإسراء في القدس الشهيد
أين كانت؟ كيف عادت مأتماً في ثوب عيد؟
خفقت أجنحة الذكرى فما أحلى الليالي
حين تسمو غاية النفس إلى أسمى منال
حين يطوي قبس الإيمان أشباح الضلال
وتعود الشرعة السمحاء رمزاً للنضال
ونرى موعظة الإسراء في صدق الفعال

* * *

ايه يا إشراقة الحق وذكراه المجيدة
ما الذي تعزفه الأنغام في الريح الشديدة؟
ما الذي تحمله الأيام في الذكرى السعيدة؟
نحن لا شيء إذا ضاعت أمانينا الوحيدة
ومشينا حيث لا إيمان يهدي أو عقيدة

* * *

نحن يا إشراقة الذكرى على التيه حيارى
وعلى فوهة بركان يذيب الصخر نارا
فامنحينا من صفاء الروح ما يطفي الأوارا

وابعثي فينا من الإيمان عزماً واصطبارا
واجعلي ذكراك للإسلام رمزاً وشعارا

* * *

ليلة الإسراء فاض الكون نوراً ويقين
وارتوت من نبعك الصافي قلوب المؤمنين
ليلة الإسراء والقلب بشكواه ضنين
يا لذكراك التي توقظ في النفس الحنين
وصدى أيامك الغراء في أذن السنين

* * *

صحت الدنيا على لقياك يا أطيب ذكرى
يا شعاعاً غمر الكون ففاض الكون بشرا
وجلالاً عبر الأفق إلى أقدس مسرى
صحت الدنيا على لقياك أشذاء وعطرا
وشعوراً يملأ الأعماق إيماناً وبرا

* * *

يا له من موكب سار من البيت العتيق
وتهادى من شعاب النور في أسمى طريق
وسما فوق رؤى الأكوان في شوق عميق
طافح البشر وجبريل له نعم الرفيق
والدجى نور على الآفاق وضاء البريق[1]

* * *

---

(١) «نداء السحر»، ص ٨٣ـ٨٥.

لقد وفق الشاعر الفنان الأستاذ محمد السليمان الشبل توفيقاً عظيماً في هذه القصيدة الرائعة، وأبدع في توظيف هذا الجو الغنائي الحالم للتعبير عن قضية يهتز لها وجدان كل مسلم، واستلهم التاريخ في ذكرى الإسراء المجيدة لحث الهمم على العودة إلى طريق الإيمان لبناء المجد وتخليص المقدسات من دنس الأعداء ووطأة الإحتلال البغيض. فلم نشعر بتناقض بين الوزن الموسيقي والجو العام الحالم والموضوع الكبير، لأن الموسيقى تجاوبت هنا مع رنة الأسى والحزن لضياع القدس في تناسق فني بديع. حفظ الله الشاعر الفنان الكبير الأستاذ محمد السليمان الشبل وزاده توفيقاً ليواصل التغريد الشعري الجميل.

ومن مشاهير أدباء هذا الجيل الأستاذ:

عبد الله بن إدريس(١):

ولد في بلدة (حرمة) في منطقة سدير بنجد في سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وهناك نشأ فتلقى علومه الأولية في مدرستها. ثم انتقل إلى الرياض فواصل فيها تعليمه، ثم عمل مدرساً بها في التعليم الإبتدائي، ثم عاد فواصل تعليمه إلى أن تخرج من كلية الشريعة في سنة ١٣٧٦هـ في أول دفعة تخرجت من هذه الكلية بالرياض.. ثم التحق بوظائف عدة في التفتيش، والإدارة والتعليم، إلى أن استقر به المقام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مديراً لإدارة البعثات بها.

والأستاذ عبد الله بن إدريس هو أول من ألّف كتاباً جمع نماذج من

(١) وردت ترجمته في «شعراء نجد المعاصرون»، ص ٢٨٧، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص١٢٠، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٠، وفي «تاريخ الشعر الحديث»، ص٦٩٢.

نصوص شعراء نجد مع تراجم لهم هو كتاب «شعراء نجد المعاصرون» الذي طبع في مطابع دار الكتاب العربي بمصر وصدر في سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

وعبدُ الله بن إدريس شاعر نظم الشعر منذ سن مبكرة في حياته، وله شعر كثير نشر بعضه في كتابه الأول، ثم أصدر ديوان شعر مستقل في سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م عن النادي الأدبي في الرياض، الذي يرأسه الأستاذ عبد الله بن إدريس.

وعبد الله بن إدريس يبدو في شعره شديد التأثر بشعراء العرب في المهاجر الأمريكية، في محاولات تجديدية، مع محافظة على القوالب المتوارثة في نظم الشعر. وهو شاعر وطني في موضوعاته التي يلتهب فيها حماساً للقضايا العربية القومية الكبرى التي عاصرها، مثل قضايا التحرير والإستقلال. وهو ينظم شعراً موزوناً ويكتبه بطريقة حديثة، وكأنه لا يتقيد بالشطر.

وكما قال ابن إدريس الشعر في القضايا الوطنية بحماس، فقد قال شعراً رقيق العبارة (رومانسي) الجو والنزعة في الغزل، وفي التعبير الذاتي، واستخدم شيئاً من الرمزية في شعره.

ومن شعره في الغزل الرقيق قوله في قصيدة عنوانها «معذبتي»:

بعينيك مجلى الرؤى الحالمة وخداك كالوردة الباسمة[1]

وقوله:

فما الحب إلا انتشاء الوجود وطهر لأرواحه الآثمة

(١) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.

وما هو إلا ابتسام الحياة   وإلا ائتلاق المنى الناعمة
فهل بسمة منك تأسو الجراح   وترسو بآمالي العائمة؟[1]

ومن شعره الرقيق كذلك قوله بعنوان «سلوان»:

يا سارق الأحلام   من بين جفنيا
وزارع الأسقام   من نبع عينيا
طف بي مع الأنسام   في الروض والزهر
لعلني أسلو

رجع أغانينا   في سكرة الروح
واندب أمانينا   بلحن مجروح
واذكر مغانينا   في هدأة الفجر
آه متى أسلو؟

يا لوعة حرى   في قلبي الباكي
أوقدتها جمرا   بلحنك الزاكي
فاستوجبي أجرا   وسرحي فكري
فربما أسلو..!

ها أنت يا قلبي   ومجتلى فكري
وقفت في دربي   لتوثقي أسري
بثغرك العذب   ولحظك السحري
فالآن لن أسلو

يا وردة عذرا   لم يجنها جان
شممتك عطرا   فهجت أشجاني
أعدت لي ذكرا   ماض من العمر
فالآن لن أسلو

(١) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.

وقد أسهم الأستاذ عبد الله بن إدريس بكتاباته الجادة، ومشاركاته الحيوية في تحرير الصحف، وفي المؤتمرات الأدبية بفعالية، وهو أول من تولّى رئاسة النادي الأدبي بالرياض.

ومن مشاهير أدباء هذا الجيل الأستاذ:

سعد البواردي(١):

ولد في مدينة شقراء بمنطقة الوشم في نجد في سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م وهناك نشأ وتلقى تعليمه الأولى، ثم انتقل إلى مدينة الطائف، فالتحق بها في مدرسة (دار التوحيد)، إلا أن ظروف الحياة اضطرته إلى قطع الدراسة ومزاولة العمل، فانتقل إلى الخبر في شرقي البلاد، ولكنه واصل تعليمه الذاتي بالقراءة والإطلاع فاستهواه الأدب، فتأثر بمدارسه الحديثة، ومارس الكتابة شعراً، ونثراً، وكان دائماً يعبر عن شعور وطني غيور على حقوق أمته ومجد بلاده، وفي الخبر أسس مجلة أسماها (الإشعاع) ولكنها لم تصدر إلا لمدة عام واحد فقط، ثم احتجبت، وكانت تعنى عناية خاصة بالأدب والشعر والموضوعات الإجتماعية والقومية.

والتحق سعد البواردي بالعمل الحكومي وتدرج فيه، وأشرف على مجلات إعلامية أصدرتها بعض المكاتب الثقافية التعليمية السعودية خارج المملكة.

ويكتب سعد البواردي مقالات إجتماعية خفيفة يومية في جريدة

---

(١) وردت ترجمته في «شعراء نجد المعاصرون»، ص ١٥٣، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٢١٧، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٣١-٣٢، وفي «تاريخ الشعر العربي الحديث»، ص٥٥٠.

(الجزيرة). وهو يوظف كتاباته النثرية والشعرية لخدمة قضايا الوطن والأمة بحماس. ومع ذلك فإنه يبدو في كثير من شعره متأثراً بالرمزية، في إطار (رومانسي) في كثير من الأحيان. فهو يعالج القضايا الوطنية والإجتماعية من خلال مناجاته الشعرية لمظاهر الطبيعة في حوار (رومانسي) مع (البحر)[١] و(الماء)[٢] و(ذرات الأفق)[٣] التي جعلها عنواناً لديوان كامل من شعره. وهو مغرم بالأناشيد[٤]، والغناء الذي استلهم منه عناوين بعض دواوينه[٥]، على طريقة (الرومانسيين)، ولكن أغانيه كانت دائماً حماسية «للعودة» و«لبلاده»، ولقضايا المجتمع الإنساني الكبير كله كما قال:

لبلادي.. أغني
لكل بلادي.. أغني
لوطني الصغير حيث نَمَوْت.. وترعرعت..
لوطني العربي الكبير حيث أنتمي.. وأنتسب..
لوطني الأكبر حيث العالم الكبير بإنسانه الواحد
للحب أغني أنشودة الأمل والحياة

---

(١) ديوان «ذرات في الأفق»، شعر سعد البواردي، دار الإشعاع، بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
(٢) ديوان «ذرات في الأفق»، شعر سعد البواردي، دار الإشعاع، بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
(٣) ديوان «ذرات في الأفق»، شعر سعد البواردي، دار الإشعاع، بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
(٤) ديوان «ذرات في الأفق»، شعر سعد البواردي، دار الإشعاع، بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
(٥) مثل ديوان «أغنية العودة»، الرياض ١٣٨١هـ، وديوان «أغنيات لبلادي» عن النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

وللآه أغني أنشودة الألم.. والشكوى
للفرح أغني.. وللجرح أغني..
وللروحانية.. والحق.. أتبتل أمام المحراب..
للحياة أغني.. وفي سبيلها تتحرك الأوتار.. تارة حزينة تستصرخ..
وأخرى واثقة تتحرك في ثبات.. وثالثة واجمة قلقة على دروب التساؤل والحيرة.. المغطاة بالصقيع.. والضباب..»[1].

وبالتأمل في هذه الجمل التي كتبها الأستاذ سعد البواردي في مقدمة أحد دواوينه نراه قد حدد المضامين الشعرية التي قال الشعر فيها، بل وأشار إلى أسلوبه في المزاوجة بين الغناء الشعري (الرومانسي) والمعالجة الموضوعية لأحداث الحياة العامة والخاصة. أما عن فلسفة الشعر في رأيه، فقد كتب في أحد دواوينه قائلاً: «فلسفة الشعر.. هي أبعاد غوره في كيان الحياة.. إنها مظهره العميق الواسع»[2] واستخدم البواردي الأسطورة، واستلهم التاريخ للرمز في كثير من شعره، كما فعل مثلاً في قصيدة عنوانها «البحر» قال فيها:

يا «بحر» ما التاريخ؟ ما الماضي الذي
أبصرته.. وطواه أمس مظلم؟
ما «الأقدمون» وأينهم في صنعهم؟
إني أخالهموا إليك تكلموا!
عاصرتهم.. عاصرت «آدم» مذ أتى
ومضى.. وجاء ـ كما توارى ـ «جرهم»
وشهدت «موسى» «والعصا» في كفه

---

(1) «أغنيات لبلادي»، المقدمة، ص ١١ ـ ١٢.
(2) «ذرات في الأفق»، ص ٧١.

سوطاً يشق بها الخضم ويقسم
والموكب العاتي. وقد ساق الخطى
«فرعونه».. فإذا خطاه تجثم
والغارقون.. وأنت تحصي جمعهم
فكأنهم في قبض كفك معصم
والشارقون بقطر مائك.. دونما
جرم.. وكنت لشَكْوهم لا ترحم[1]

والأستاذ سعد البواردي كتب القصة، والمقالة، وله كتب ودواوين عدة.

ومن أدباء هذا الجيل الشاعر الأستاذ:

مقبل العيسى[2]:

ولد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم في سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وتنقل في السنوات الخمس الأولى من عمره مع أسرته بين مكة والمدينة وينبع. ثم توفي والده وهو في سن السادسة فنشأ يتيماً، وظل بالمدينة حتى سن العاشرة، ثم انتقل إلى مكة فواصل فيها تعليمه حتى حصل على الثانوية العامة، ثم ابتعث إلى مصر فدرس الحقوق، وبعد تخرجه من كلية الحقوق التحق بالسلك السياسي في وزارة الخارجية وتنقل في عدد من سفارات المملكة في الخارج.

---

(١) «ذرات في الأفق»، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) وردت ترجمته في ديوان «قصائد من مقبل العيسى»، الكتاب (٨) في سلسلة المكتبة الصغيرة، الرياض ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص الغلاف الأخير، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٩٢، غير أن مكان مولده ذكر هناك - خطأ - على أنه كان في المدينة، وكذلك مكان تعليمه، كما وردت ترجمة مقتضبة له في «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ص٢٢٨.

والأستاذ مقبل العيسى شاعر مقل. ولكن شعره يحمل ملامح شاعر فنان مبدع أصيل، وموضوعاته تعبر عن شفافية وحس رفيع، في رمزية مغلفة بحزن المعاناة من مرارة الحياة وظلم الأحياء، فهو في قصيدة عنوانها «الطير الأسير»، قدم لها بكلمات قال فيها: «يروق لبعض الناس حبس البلبل في القفص لأنه يشدو بصوت جميل!!»[1]، ثم قال:

أيها البلبل الحبيس المعنى ... أرو.. عنك الشقاء دوماً وعنا!!

إن تكن ترتجي الخلاص من الأسر ... فقلبي إلى انطلاق.. تمنى!!

إن تشكو الأسى.. بصوت جميل ... وأنا في الحياة.. أقرع سنا

أنت تهفو إلى أليف.. وقلبي ... من شقاء إلى التحرر حنا

صوتك الحلو إذ تغرد يغري ... بك قوماً يرون أسرك فنا

قدر قد رماك في قبضة الأسر ... وطير لدى الربى يتغنى

فالذي قد رماك في القيد حظ ... مثل حظي من قسوة قد تجنى

ليت شعري.. يا بلبل الروض حقا ... ما الذي تبتغي المقادير منا؟[2]

ومن شعراء هذا الجيل الأستاذ:

محمد سعيد الخنيزي[3]:

ولد في القطيف سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م وتلقى تعليماً دينياً على يد والده الشيخ علي الخنيزي (رحمه الله)، فحفظ القرآن الكريم وقرأ في

---

(١) «قصائد من مقبل العيسى»، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) «قصائد من مقبل العيسى»، ص٢٩ـ٣١، المكتبة الصغيرة، كتاب رقم٨، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

(٣) وردت ترجمة مقتضبة له في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٦٠، وكذلك ترجمة مقتضبة في «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٨٥، وفي «ساحل الذهب الأسود»، ص٢٩٤.

الفقه والنحو، ولكنه فجع بضعف بصره، فأصيب بأزمة نفسية، زادت من حدتها ظروفه الحياتية الصعبة وعمل فترة في المحاماة.

وقد ظهرت مواهب الخنيزي الشعرية منذ بداية حياته الفتية، فصور أزمته الخانقة في شعر مؤثر. وكان متأثراً بأدباء العرب في المهاجر الأمريكية، كما تأثر بأدباء التيار (الرومانسي) الذي وجد تجاوباً مع شعوره النفسي. وقد دفعه هذا إلى التأمل الفلسفي في كنه الحياة، والنفس، والجد، فهو - مثلاً - قد أجرى حواراً شعرياً - فلسفياً - مع نفسه - على طريقة الرومانسيين والمهجريين - فقال:

حدّثيني - يا نفس - عن أفق الرو ... ح وكيف الحياة في الأرحام؟
كيف - يا نفس - قد هبطت لجسمي ... أي يوم من فجرك البسام؟
أي يوم هبطت فيه الأر ... ض حناناً كهمسة الأنسام؟
أنت ماذا في عالم الروح؟ شخص ... أم خيال مجنح الأحلام؟[1]

وجعل الخنيزي روحه أو - نفسه - ترد على تساؤلاته في هذا الحوار الشعري، فقال على لسانها:

أنا نور من رحمة اللّه للجسـ ... ـم وسر الإشراق في الأقمار
أنا لم أذكر الحياة التي مرت ... على الروح في الفضاء السعيد
لست أدري، ما كنهها؟ غير أني ... أعرف الروح فيض باري الوجود
أنا فيض من السماء على الجسـ ... ـم تعالى إلى أقاصي الحدود[2]

وهو في هذا الرد يستلهم قول الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء:

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا

---

(١) ديوان «النغم الجريح»، شعر محمد سعيد الخنيزي، ص١٢٧-١٢٨، ص١٢٩-١٣١.

(٢) ديوان «النغم الجريح»، شعر محمد سعيد الخنيزي، ص١٢٧-١٢٨، ص١٢٩-١٣١.

قليلا﴾. وبهذا يضع الخنيزي جواباً إيمانياً على تساؤلات (رومانسية فلسفية) سبقه إلى مثلها الشاعر العربي في المهجر الأمريكي ايليا أبو ماضي الذي قال في «الطلاسم».

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سويا
كنت محواً أم تراني كنت شيئا
ألهذا اللغز حل أم سيبقى أبديا؟
لست أدري ولماذا لست أدري
لست أدري[1]

وكما تساءل الخنيزي عن روحه في طورها الأول في عالم الغيب وكيف انتقلت إلى جسده، فإنه قد تساءل كذلك عن حالها بعد موت جسده، فقال في قصيدة عنوانها «روح وهيكل»:

حدثيني عن الممات وكيف الـ ـكون يطوى في لحظة كالرداء
هي دنيا الشقاء مهما تعالى المـ ـرء فيها مصيره للفناء[2]

وتساءل عن مصيره بعد الموت فقال:

لست أدري أكنت فيه سعيدا أم أنا - في غد - من الأشقياء[3]

إن الأستاذ محمد سعيد الخنيزي شاعر حاد البصيرة، رغم ضعف البصر الشديد، فهو (فيلسوف) عميق التفكير، وإنسان رقيق الشعور، وشاعر مبدع في فنه، حفظه الله ومتعه بموفور الصحة وخفف من آلامه.

---

(١) ديوان «الجداول»، شعر ايليا أبو ماضي، ص ١٤١.
(٢) «النغم الجريح»، ص ١٣٣.
(٣) «النغم الجريح»، ص ١٣٣.

ومن كبار شعراء هذا الجيل الأستاذ:

عبد السلام هاشم حافظ[1]:

ولد بالمدينة المنورة في ٧/ ٥/ ١٣٤٧هـ الموافق ٢٢/ ١٠/ ١٩٢٩م. مات والده وهو رضيع لم يكمل عامه الأول، فنشأ يتيماً في رحاب عمه عبد القادر في المدينة المنورة. فالتحق بمدارسها إلى أن أنهى مرحلة التعليم الإبتدائي. ولكنه، بحسب نشأته، كان محباً للعلم والأدب، فواصل تحصيله الذاتي بالقراءة والإطلاع، فمال إلى الشعر، ونظمه منذ سن مبكرة، وأجاد نظمه حتى ذاع صيته فيه، فنشر دواوين عدة وفاز بجوائز كثيرة، في الداخل والخارج. وأصيب بمرض في القلب اضطره إلى ترك العمل الوظيفي، فانكب على القراءة والكتابة والتأليف في موضوعات شتى. وشارك بمقالاته ودراسته في الكتابة الصحفية، وأصبح منذ سنوات مراقباً للمطبوعات في المدينة المنورة.

وعبد السلام حافظ شاعر رقيق حساس أحب في مطلع شبابه وأصيب بخيبة أمل بعد أن حرم من محبوبته (فاطمة) أو (فطم) التي لم يوفق في الزواج منها، فبكاها على طريقة القدماء من شعراء الغزل العذري، ومعظم شعره في دواوينه الأولى خلد فيه ذكرى ذلك الحب الذي أسماه «مذبح الأشواق» وهو عنوان أول ديوان شعر له أصدره في سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، وصدره بقول (أمير العشاق: قيس بن الملوح):

وناديت يا رحمن أول سؤلتي   لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها[2]

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٣٠، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٥٣، وفي كثير من كتبه مثل «المجموعة الشعرية الكاملة»، ج١، ص الغلاف الأخير، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٥٨.

(٢) «المجموعة الكاملة»، «مذبح الأشواق»، ج١، ١٥، ص١١٥.

وفي «مذبح الأشواق» خلد عبد السلام حافظ قصة حبه الأول في أربعة أناشيد طويلة. جعل بعضها شعراً مرسلاً، وصدر كل نشيد بأبيات لشعراء حب وعشق مشاهير، عرب، وعالميين، مثل الشاعر الألماني الشهير (شلّر) الذي نقل عنه من ترجمة (نقولا فياض) قوله:

إن الحداد على الخميلة واجب   فأعز من فيها إليها قد نعى[1]

ومثل قول علي محمود طه:

تبينت في (حبها) مصرعي   وآخرة العاشق المنتحر[2]

وكل شعر حافظ في ديوانه الأول كان في التعبير عن حبه ولوعة فراق محبوبته، التي اعتبر فراقها نهاية لعهده الباسم العذب في الحياة كما قال:

عهدي الباسم العذب راحت به
فرقتي وابتعادي عن (الفاطمة)[3]

بل وقال إنها هي (الكل) في عمره:

هي الكل في مطلب العمر.. والعمر بال قصير
أراها هي الطهر والفجر في عيشتي[4]

ويبدو أن (فاطمة) وقصة حبها العذري وراء تفجر شاعرية عبد السلام حافظ، ورغم أن أوّل ديوان نشره حمل كثيراً من ملامح تلك

---

(١) «المجموعة الكاملة»، «مذبح الأشواق»، ج١، ١٥، ص١١٥.
(٢) «المجموعة الكاملة»، «مذبح الأشواق»، ج١، ١٥، ص١١٥.
(٣) «المجموعة الكاملة»، «مذبح الأشواق»، ج١، ص١١٣، ١١٧.
(٤) «المجموعة الكاملة»، «مذبح الأشواق»، ج١، ص١١٣، ١١٧.

التجربة العاطفية ونهايتها المفجعة، إلا أنه كتب قبل ذلك الديوان شعراً كثيراً، كله، أو معظمه، في هذه التجربة ونتيجة من نتائجها، فقد نشر له (نادي أبها الأدبي) ثلاثة دواوين في كتاب واحد عنوانه «وحي وقلب وألحان» ذكر أنها أسماء دواوين ثلاثة هي «وحي الهاجرة»، و«قلبي المناضل» و«ألحان الأمل» وذكر أنها تجمع شعراً نظمه من سنة ١٣٦٤هـ إلى سنة ١٣٧٧هـ، أي قبل صدور ديوانه الأول في سنة ١٣٧١هـ.

وفي ذلك الشعر القديم خاطب عبد السلام حافظ محبوبته التي فجر حبها شعره، فقال بعنوان «الحلم السعيد»:

أفاطم يا نبع أحلى الأماني ... وربة آيات حبي الوليد
لأنت كما أوضحت لي المعاني ... غلالة صبح الجمال الفريد[1]

لقد ظلت لوعة الفراق ونهاية ذلك الحب برفض عبد السلام زوجاً لفاطمة ناراً تؤجج عواطفه وتنطقه الشعر، فتظهر صورة المحبوبة وملامح تلك التجربة في كل شعره تقريباً. ولكنه نظم الشعر في موضوعات أخرى، فالتهبت عواطفه لبعض الأحداث الوطنية الكبرى وله دواوين مستقلة في محاربة الإستعمار وحث الهمم للنهوض وبناء أمجاد الأمة، مثل: ديوان «صواريخ ضد الظلم والإستعمار» الذي أصدره في سنة ١٣٧٦هـ.

كما نظم عبد السلام حافظ في موضوعات كثيرة. واستخدم أساليب الحوار، وسمى بعض حواره الشعري «مسرحية» ولكنها ليست مسرحية مكتملة من الناحية الفنية، كما لاحظ ذلك محمد مندور (رحمه

---

(١) «وحي وقلب وألحان» شعر عبد السلام هاشم حافظ، ص٢٠، نادي أبها الأدبي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الله) في تقديمه لتجربة عبد السلام حافظ التي سماها مسرحية بعنوان: «أضواء ونغم» فقال مندور عنها «ولكنها في الحقيقة ليست مسرحية يمكن تمثيلها على خشبة المسرح، بل هي حوار شعري بين الشاعر والطبيعة وصوت المجهول وشخصيات أخرى رمزية أو مجردة، اختارها الشاعر ليعبر من خلالها عما يضطرب في نفسه من شتى المشاعر والخواطر والإنفعالات، على نحو ما فعل من قبل شاعرنا العربي المعاصر المرحوم علي محمود طه في كتابه (أرواح وأشباح)[1] ويكاد يكون هذا الحوار الشعري الذي أسماه عبد السلام حافظ (مسرحية) تعبيراً غير مباشر عن قصة حبه، التي تتكرر في كل شعره، وله أيضاً قصة شعرية أسماها (مأساة) بعنوان (سمراء) تبدو فيها ملامح تلك التجربة العاطفية التي جعلت منه شاعر الحب الأول بين أنداده من شعراء المدينة.

وكما قدم عبد السلام حافظ محاولات ناضجة في التجديد الفني في الشعر في نظام حديث، فإنه قد نظم على طريقة الأقدمين في التشجير والمعارضة. وكما نظم في موضوعات كثيرة، في تأملات، وحوار، وقصة، فإنه نظم في موضوعات تقليدية في الرثاء، والترحيب بمولود، والتهنئة، فهو شاعر أصيل عميق الجذور، ومجدد متمكن من أدوات الشعر والفن الحديث. وفسر عبد السلام حافظ سر ترديده لمعاني الحب في شعره، فقال في قصيدة عنوانها «لأنني إنسان»:

أحب لأسمو بكينونتي لأشعر دوماً بنور الحقيقة
بحلمي مع الذكريات وتلك المجاني الرقيقة
أحب لأني أحب الحياة

---

(١) «المجموعة الشعرية الكاملة»، شعر عبد السلام حافظ، «أضواء ونغم»، المقدمة بقلم د. محمد مندور، ص٢٩٧.

وأعشق في الحب معنى الشدا والتناقض
وما في الهوى من متاه[1]

والأستاذ عبد السلام حافظ شديد التعلق بوطنه، ومسقط رأسه، المدينة، التي يناديه الشوق إليها حيثما كان، فيتذكر ملاعب طفولته، ومراتع صباه، كما فعل في قصيدة عنوانها «الشوق يا وطني» كتبها وهو مغترب في القاهرة للعلاج، فقال فيها:

وفي المدينة أحلامي وعاطفتي ... وذكريات الصبا والمأمل الداني
بمشهد المصطفى.. خير الجوار به ... يا عزه من جوار فيه تلقاني
بين المدينة. والآثار زاهرة ... بها الحياة.. وفيها الخير كفلان
ضمت فضائل أجيال جوانحها ... والدهر يملي تواريخاً ببرهان
سر الجلال بها.. والله كرمها ... بالدين والنور.. من وحي وقرآن
أواه من شوقي المحموم يشغلني ... عن كل أمر سوى داري وأوطاني
رباه حقق لنا عوداً نقربه ... لا شيء عن وطني يدعو لسلواني
ففي المدينة غاياتي ومنقلبي ... قلبي بها مستهام جد جذلان
وعشق روحي ودنيا الطهر في وطني ... غداً نعود لمن بالأمس أنشاني
نبقى به العمر لا نرضى به بدلا ... حتى نرى الحق يطوينا بأكفان
من لا يروم ظلال الخلد تشمله ... عند الحبيب بألطاف وإحسان؟
يا أرض طيبة تيهي واصعدي أبدا ... الفكر في الوصل غذاني وأرواني[2]

وكتب عبد السلام هاشم حافظ القصة، والمقالة، كما بحث وألّف في موضوعات كثيرة، فهو أديب فنان، وباحث قدير. وهو من الأعضاء

(١) «المجموعة الشعرية الكاملة»، «الفجر الراقص»، ص٥٨٨.
(٢) «الأعمال الشعرية الكاملة»، «الفجر الراقص»، ص ٥٩٤، ٥٩٥.

المؤسسين للنادي الأدبي بالمدينة المنورة، وشارك في مؤتمرات عدة.

ومن مشاهير أدباء هذا الجيل من المنطقة الشرقية في المملكة الأستاذ:

محمد سعيد المسلم[1]:

ولد في القلعة بالقطيف في المنطقة الشرقية بالمملكة في سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، وبها نشأ وتلقى دراسته، ثم أكمل تعليمه وثقافته في بغداد بالعراق. بدأ حياته العملية بممارسة التجارة، ثم أسس مكتبة (الخليج العربي) ليوفق بين عمله التجاري وبين حبه للأدب والثقافة، وفي سنة ١٩٥٩م ترك بغداد وعاد إلى وطنه فاستقر به المقام في الدمام موظفاً في أحد بنوكها التجارية الكبرى.

والأستاذ محمد سعيد المسلم أديب واسع الثقافة، على إلمام بالأدب الإنجليزي، شارك بنتاجه الأدبي الشعري والنثري، في مؤتمرات أدبية، وفي الكتابة في الصحف والإذاعتين المسموعة والمرئية (التلفزيون) في المملكة وفي العراق، كما تولى لفترة من الزمن تحرير جريدة (أخبار الظهران) في المنطقة الشرقية بالمملكة. وله كتاب ألفه في تاريخ منطقة الخليج العربي طبع مرتين وهو كتاب «ساحل الذهب

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «ساحل الذهب الأسود»، تأليف محمد سعيد المسلم، ص٣٠٨، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٩٤، غير أن تاريخ ميلاده ذكر هناك خطأ أنه كان في سنة ١٣٤٥هـ، كما وردت ترجمته كذلك في مجلة «المنهل»، العدد الثامن، السنة ٢٧.

الأسود»[1] وهو من الكتب الفريدة في تاريخ تلك المنطقة منذ أقدم العصور إلى عهد ظهور النفط أو «الذهب الأسود» فالأستاذ محمد سعيد مسلم أديب ومؤرخ متعدد الجوانب، ويقول الشعر العمودي، كما يقول الشعر الحر، ومنه قوله بعنوان «الحروف الخضراء»:

تلك الحروف.. مناجم من عسجد
ومشارق من أنجم
وغمائم خضراء ممرعة خصيبة
ومشاتل للنور.. في صحراء ليل مظلم
جدباء.. تمنحها السماء عطاءها
فتبارك الأرض الخصيبة
حييت يا وطن العروبة
يا مشتل الإشعاع..
يا معطي الأهلة في سخاء
يا صانع التاريخ والأمجاد.. يا هبة السماء
لك في الحياة رسالة
هبطت عليك من السماء
فصدعت تنشرها.. فمجدت الحياة
فكنت أرض المعجزات
وكنت خير مبلغ تلك الرسالة
في انبعاثتك الحبيبة
حييت يا وطن العروبة[2]

(١) «ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي»، ط١، ١٩٦٢م، وط٢، منشورات مكتبة دار الحياة بيروت ـ لبنان، بدون ذكر سنة الصدور.

(٢) «ساحل الذهب الأسود»، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

وهو كما يبدو في قصيدته هذه شديد الحماس لعروبته والإعتزاز بوطنه ودوره المقدس في حمل رسالة الإسلام. ويبدو محمد سعيد المسلم في كثير من شعره (رومانسي) الإتجاه في الجو الشعري الذي يخيم على قصائده، وفي تعابيره وألفاظه ورموزه، كما يبدو ذلك في قصيدة «القبس الموحي»، التي قال فيها:

أنت لي.. حيث كنت تمتمة نشوى ... وبوحاً على شفاه الزهور
وعلى خفقة الظلال.. ارتعاشات ... وبين المروج.. شلال نور
وبإغفاءة الشذا أتملاك ... بجنبي قارورة من عطور
وبتهويمة النسائم.. روحا ... ناعم الخطو.. سابحاً في الأثير
أنت لي.. حيث كنت قيثارة الشاكي ... وبوح المعذب المهجور
وسماء علوية تخفق الأنجم ... فيها.. نديانة بالعبير
وملاكاً مجنحاً.. طالما طاف ... بروحي.. في عالم مسحور
أنت.. أنت الربيع. في دفئه ... الأخضر.. والفن صادق التعبير
أنت لي.. حيث كنت قبلاً وبعدا ... قبساً موحياً وينبوع نور(١)

ومن الأدباء الصحفيين الأستاذ:

عبد الغني قستي(٢):

وهو من مواليد مكة في سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م وبها نشأ وتلقى تعليمه إلى أن تخرج من المدرسة الصولتية. التحق بالوظائف الحكومية فترة قصيرة، انتقل بعدها إلى الصحافة التي ارتبط بها طوال حياته، فبدأ

(١) «ساحل الذهب الأسود»، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٧١، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٦١.

مصححاً في جريدة «البلاد السعودية» حينما كانت تصدر في مكة، ثم انتقل إلى جهاز التحرير إلى أن أصبح مديراً له، ثم نائباً لرئيس تحرير جريدة «البلاد» التي انتقل معها إلى جدة. وتولى لفترات متقطعة مسؤولية التحرير في مجلة «اقرأ» التي تصدر عن مؤسسة «البلاد» بجدة. وهو كاتب قدير، وشاعر فنان، لولا أن مسؤوليات العمل الصحفي تلتهم كل وقته وتفكيره فتبعده عن مجالات الإبداع الأدبي.

ومن شعره قوله:

أنا الآهة الحمراء تحرق أنفاسي ... وتلهب بالأحزان رقة إحساسي
أنا الدمعة الحيرى تمزق مهجتي ... وتترع أيامي بآلام آماسي
وتتركني لليل - والليل موحش - ... يبدد أحلامي ويغتال إيناسي
ويمتص من كأسي بقايا صبابة ... بها ازدهرت دنياي وائتلقت كاسي
فكيف أعيش اليوم في ظل وحدتي ... أعاني غليل الشوق والظمأ القاسي
أرى الناس أفواجاً ولكنني هنا ... أعيش بلا كأس وأحيا بلا ناس
وبين ضلوعي كم تلفت خافقي ... يفتش عن حان، ويبحث عن آس[1]

وعلى طريقة الرومانسيين يشكو عبد الغني قستي من الوحدة، ويعبر عن الحزن الذي يعاني منه في جو مفعم بالأسى والأنين.

ومن أدباء هذا الجيل المجيدين الأستاذ:

علي أبو العلا[2]:

ولد بمكة سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م وبها نشأ وتلقى تعليمه، ثم بدأ

---

(١) مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٨٧١.

(٢) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٦٩. وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٢١٤، وفي «ديوان بكاء الزهر»، شعر علي أبو العلا، المقدمة، مكة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

حياته الوظيفية متنقلاً من منصب إلى آخر إلى أن أصبح وكيلاً لإمارة منطقة مكة المكرمة، ثم تقاعد، وهو شخصية محبوبة وموفق لأعمال الخير التي يمارسها بحماس وإخلاص.

ظهرت شاعرية الأستاذ علي أبو العلا منذ صباه حيث كان يشارك بشعره في المسامرات الأدبية بالمدرسة الثانوية (تحضير البعثات بمكة) كما شارك برأيه في كتابة المقالات الصحفية التي تنشرها له الصحف. كما تنشر شعره الذي يشارك به في المناسبات، بالإضافة إلى شعره في التأملات والموضوعات الأخرى.

وللأستاذ علي أبو العلا ديوان شعر يحمل عنواناً (رومانسياً) رقيقاً هو «بكاء الزهر» وفسره تفسيراً شعرياً (رومانسياً) بقوله:

يقولون كيف بكاء الزهر ... وهل دمعه كدموع البشر
وهل للنبات عيون ترى ... وفيها جمال وفيها (حور)
فقلت: أجل للزهور عيون ... تبث شعاعاً بشتى الصور
وفيها من السحر ما يجتلي ... لناظره ومعان أخر
ومن دمعها «قطرات الندى» ... ترف مع الفجر تحت الشجر
تفوح بعطر الشذى في الرياض ... إذا الطل بللها في السحر
وألوانها في دروب الجمال ... منمقة تحت ضوء القمر
فلا تعجبوا إن جعلت قريضي ... وديوان شعري «بكاء الزهر»
تمثلت ما عز من حسنه ... فماس بوصف جميل عطر[1]

وبهذه البساطة الواضحة استطاع الشاعر علي أبو العلا أن يبدع في

(١) «ديوان بكار الزهر»، ص ٧.

جمال فني في تفسير علاقة خاصة بين إحساس الشاعر وما يراه في الطبيعة من زهر، و(قطر ندى)، وألوان، وما يشمه من (شذى) فنسج من ذلك كله بتعابير وألفاظ شعرية غاية في الجمال هذه القطعة الفنية الرائعة، وهي على تفردها في ديوانه تمثل مقدرته وبراعته في الشعر الذي يصور معاني الجمال ويجسد روابط الشاعر الفنان بالطبيعة.

وللشاعر علي أبو العلا شعر كثير في المناسبات، وفي الوصف، وفي الموضوعات العامة، وهو كاتب قدير في مقالاته الصحفية.

ومن شعراء هذا الجيل الأستاذ:

علي زين العابدين[1]:

ولد بمكة سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، وفيها نشأ وتلقى تعليمه، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية ابتعث إلى مصر، فدرس في الكلية الحربية بالقاهرة، وبعد أن تخرج منها عاد إلى المملكة فعمل في القوات المسلحة، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية في دراسة عسكرية، عاد بعدها إلى المملكة فتقلب في مناصب عدة في القوات المسلحة وتمثيلها في الخارج، وبعد عشرين سنة من الخدمة العسكرية، وهو في درجة لواء، أحيل إلى التقاعد، فتفرغ لأعماله الخاصة وكتابة الشعر،

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٧٠، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص٢٣١، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٦٦.

الذي كان هوايته منذ شبابه المبكر، فكان أبرز الشعراء في الجيش العربي السعودي، وقد نشر كثيراً من شعره في الصحف السعودية. . ومنه قوله في «شقراء»:

شقراء إني شاعر عشق الجمال فغردا
وجه أعارته الرياض وروده فتوردا
الليل كحل مقلتيك وقبل الفجر اليدا
والأقحوان غدا بثغرك كالعقود منضدا
والأحمر العناب حام على الشفاه وأخلدا
والبدر أقسم أن يثوب إلى حماك ويسجدا
والغصن تيمه قوامك فاستحى وتأودا
والحارسان الصارخان توثبا وترصدا
فغدوت كالمخمور أسكره الجمال فعربدا[١]

ومن أدباء هذا الجيل:

أبو تراب الظاهري:

وهذا هو اسمه العلمي الذي اشتهر به، وهو ابن عالم جليل، فوالده هو الشيخ عبد الحق الهاشمي، أحد علماء المسجد الحرام بمكة

---

(١) مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٨٧٠.

(رحمه الله) والظاهري نسبة للمذهب الذي يتبعه أما اسمه فهو «عبد الجميل».

ولد أبو تراب في سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م وتتلمذ على يدي والده بالحرم المكي الشريف، وفي حلقات الدرس، ثم التحق بدار العلوم في دلهي بالهند، وحصل على إجازتها النهائية في سنة ١٣٦٦هـ.

وعمل أبو تراب الظاهري في الصحافة مصححاً ومحرراً في جريدة «البلاد السعودية» حينما كانت تصدر في مكة، فكان يتعقب الكتّاب ويبين أخطاءهم اللغوية، والفنية، والعلمية. وقد جمع بعض استدراكاته ونشرها في كتاب عنوانه «أوهام الكتاب» صدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة في سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م ثم انتقل أبو تراب من الصحافة إلى الإذاعة مراقباً لغويًا بإذاعة جدة. كما قال الشعر، فهو متعدد الجوانب.

ومن أمثلة كتاباته، ما ننقله هنا عن كتاب «أوهام الكتاب» بعنوان «المستدرك على السرحان»:

«قال أبو تراب: واقتعد كرسي الكتابة وقد قوي عوده واشتد على ساقه فهو لها أهل وهي به مخطومة، لأن هذا الإهاب محشو ثقافة وأدباً، وهذا المعين مستعذب رياً ودفقاً، فأولى بمثله أن يُرى مالئاً شدقيه وكأنه حادر والغ في النجيع أو وبر تحدر من ضال.

وامتشق القلم امتشاقاً كما يمتشق الكمي حسامه، فجعلت رسائله تأتينا مواكبة، وأخذت مقالاته ترد علينا غابقة صابحة رافدة ناسفة، فرب

قول فيه المتعة، ورب لفظة فيها النضج، وقد حق أنه رب البيان ورب القريض يلز في قرن من أدبائنا.

ذلكم هو الأديب الفكه، راوي العيمة بالغيمة، الأستاذ الصديق العزيز الفاضل الحسين بن السرحان، أدام الله فضله، ما ذر شارق أو كر الملوان.

وكتب، ولست بدار ما كتب مع طول العهد وانفصام التذكر، وعلق بالخاطر ما علق إذ حيث استغلق عليه وكان في جزمه هميعاً، وكان ثمة مني تعقب جرى ذكره في مجلس ضمنا به، ولما عرضت عليه الإستدراك، فإذا به يلبي دعوة البحث والنقب عن صدق لهجة وحسن طوية هو بهما معروف لدى صحبه الذين لا ينسون له فضلاً، ولا يجحدون له طولاً على أني لا أعفيه ـ وأنا أقلهم عنده حظاً ـ من عتاب على صرم جبل الزورة كرة بعد مرة منشداً قول الحريري:

له مني المدح الذي طاب نشره   ولي منه طي الودن بعد نشره

قال ـ جدد الله به الأيام ـ في بعض افتتاحات صفحة الأدب المرونقة يستعيد ذكريات عفى الزمان عليها ولم يصوح زهرها.

إنه كان في إحدى مدارس التعليم يتلقن الإملاء والخط ويزاول صنعة الكتابة على أشياخها. وكانوا يسمون الطريقة التي رسموها لهم في المنهج ـ المشك ـ وجمعه ـ أمشاك ـ.

قال: ولم أعرف على امتداد الزمان معنى هذه الكلمة، ولعلها ـ تركية ـ نزحت إلينا مع حكم الأتراك إبان ذاك.

واستدركت على الصديق فيما توهم بأن قلت: الكلمة بالقاف وهي عربية فصيحة وإنما انقلبت قافها كافاً بعامل ورودها على لسان الأعاجم، ولم تزل تستعمل بمعناها في لغة أهل الهند على أصلها وبنائها بالقاف.

والمشق هو الكتاب الممدودة السريعة المجذوبة إلى حروفها أو ما يؤدي إلى معنى التمرن عليها.

ويؤخذ من استقراء كلام العلماء في معاجم اللغة أن معاني لفظة المشق في الكتابة تدور حول:

١ ـ الجذب للمد والتطويل.

٢ ـ والسرعة مع الخفة.

٣ ـ والنزع والتجريد.

وهذه كلها فيما يتعلق بالإشتقاق منها للكتابة فقط، وإلا فإن من معانيها ما هو غير هذا مما لا يمت بصلة إلى موضوعنا.

فأكثر اللغويين بني مشق الكتابة على معنى السرعة، واشتقه ابن دريد ومن تبعه كالمجد من المد والجذب ولا أستبعد أن يكون من النزع والتجريد والإستدلال، لأن اليراع يحتاج إلى ذلك في البري وغيره.

غير أن الزمخشري اشتقه من السرعة والخفة وهو حجة وجعله من المجاز الذي يطلب في العربية، كذلك فعل ابن فارس.

ولم ينبه أحد غير الزبيدي على أن فعله من باب نصر إذا كان في غير الكتابة ومن باب ضرب إذا كان فيها دون غيرها»[1].

---

(١) «أوهام الكتاب»، تأليف أبو تراب الظاهري، ص ١٢٨، ١٣٠، النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

والأديب أبو تراب الظاهري شاعر يقول الشعر على طريقة القدامى من أمثال الحريري وغيره.

ومن الأدباء المشاهير في الأدب والفن الأستاذ:

مطلق مخلد الذيابي[1]:

واسمه الفني «سمير الوادي» وهو مطلق بن مخلد بن حبيب الله الذيابي الروقي، وهو من قبيلة عتيبة، إحدى القبائل الكبرى المنتشرة في المملكة وبلاد العرب كلها.

ولد مطلق في مدينة عمان عاصمة الأردن في سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م فقد كان والده (يرحمه الله) من رجال الديوان الملكي الهاشمي في عمان في عهد الملك عبد الله بن الحسين، وبعد موته (رحمه الله) انتقل والد مطلق إلى وطنه الأصلي في المملكة، وتبعه مطلق، ومعه الأسرة كلها، فاستقر بهم المقام في مكة.

عمل الأستاذ مطلق الذيابي في السلك العسكري والمدني وهو في الأردن، ثم عمل في وظائف حكومية عدة في المملكة بعد عودته إليها إلى أن استقر به المقام في الإذاعة، التي ظل يقدم عبرها عطاءه الفني والأدبي بحماس وعنفوان إلى أن فارق الحياة وانتقل إلى جوار ربه في ظهر يوم الخميس الثالث من شهر صفر ١٤٠٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٨٢م ودفن جثمانه في مكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) وردت ترجمة وافية لحياته في كتاب خاص به هو: «الذيابي، تاريخ وذكريات، صفحات من تاريخ الأديب الشاعر الموسيقار الراحل مطلق مخلد الذيابي»، تأليف الشريف منصور بن سلطان، النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

ومطلق مخلد الذيابي أديب وفنان من طراز خاص فهو متعدد الجوانب، كانت المواهب الأدبية والفنية تتنافس في ذاته، فهو شاعر، وكاتب، ومثال فريد للمذيع القدير، وهو عازف عود، وملحن، وطالما أشجى الناس بصوته وألحانه وكلماته في وحدة كاملة من الفن الرفيع. وهذه المواهب الفنية والأدبية تفتحت في نفس مطلق مخلد الذيابي منذ صباه اليافع وهو في الأردن.

وفقد مطلق أمه وهو شاب، وحينما عاد إلى مكة، ظل يتذكر امه والأرض التي ضمت ثراها في الأردن فقال فيها:

يسافر الفكر.. صوب «السلط» ينقلني	إلى ربوع السنا من تراب أوطاني
تلك التي راقني ثوب الشباب بها	مرابع العز، ظلت ملء وجداني
بلاد خير.. رعى الخلاّق.. ساحتها	ورد عنها.. بلاء الطامع الجاني
وإن لي في ثرى الأردن «جوهرة»	سقى الإله ثراها.. غيث هتان[1]

وظل مطلق يحن لذكرى أمه (رحمها الله) التي كانت أغلى إنسانة في حياته، كما ظل يحن لمراتع طفولته وصباه.

ومطلق الذيابي المذيع رائد فذ، فهو أول من أسس برنامجاً للبادية في الإذاعات العربية كلها، وقدمه سنوات طويلة من إذاعة مكة، وجدة بعد أن انتقلت إليها. ومن هذا البرنامج ذاع اسم مطلق في العالم العربي كله، مذيعاً وشاعراً، وفناناً ملحناً يشدو بأعذب الألحان من موسيقاه. وكانت برامجه الأدبية مثل «خاطرة»، و«ثمرات الأوراق» و«سهرة الأربعاء» أمثلة فريدة من الأدب العالي والذوق الرفيع. وقد صدر للشاعر

---

(١) «الذيابي تاريخ وذكريات»، ص ١٤.

مطلق مخلد الذيابي في حياته ديوان شعره الأول وهو ديوان «أطياف العذارى»[١] وبعد موته جمع صديقه الشريف منصور بن سلطان الفعر مجموعة أخرى من شعر مطلق الذيابي وأصدرها عن النادي الأدبي الثقافي بجدة أيضاً بعنوان «غناء الشادي»[٢] وكل ما في هذين الديوانين من شعر هو في الحب السامي النبيل بأرق عبارة وأجمل تصوير فني في جو شاعري حالم، أكثره من الشعر العمودي الموزون المقفى، وبعضه من الشعر الحر، وبعضه شعر منثور. وفي شعره يقول مطلق الذيابي إن الحب هو الذي صيره شاعراً وفناناً وأنطقه بأحلى الكلام وأعذب الألحان، فقد قال (رحمه الله) بعنوان «نغم الهوى»:

الحب.. صيرك الأديب.. الشاعرا
وغدوت في دنياه.. طرفاً ساهرا
ابعث غناءك.. إن في أصدائه
نغم الهوى.. نشوان.. لحناً.. باهرا
واغمس يراعك.. في مداد جراحه
فبغير جرح الحب.. يغدو.. فاترا
ما كل شعر.. يستبيك إذا شدا
إن لم يكن بجوى الأحبة.. فائرا
يا قلب، ضن عليك من جهل الهوى
بحنانه.. وغدا بحبك.. غادرا
لكن أخذت تنوح.. من إعراضه

(١) «أطياف العذارى»، شعر مطلق مخلد الذيابي، نادي جدة الأدبي الثقافي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٢) «غناء الشادي»، شعر مطلق مخلد الذيابي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

وتبث شكوى الروح . . قلباً . . ناكرا
لا بأس يا قلبي . . فرو على الأسى
شعراً يردد في المجالس . . زاهرا . .[1]

رحم الله الأديب الفذ والفنان العظيم الإنسان النبيل مطلق مخلد الذيابي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ومن أدباء هذا الجيل الأستاذ:

يحيى توفيق[2]:

واسمه بالكامل هو: يحيى توفيق حسن جاد الله، وهو من مواليد مدينة جدة في ١٥ رمضان ١٣٤٩هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٣١م تلقى تعليمه حتى نهاية المرحلة الثانوية في مدرسة (الفلاح) تعلم اللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، ولكنه واصل دراسته في اللغة الإنجليزية إلى درجة التمكن والإتقان الأدبي والعلمي. وكان يقوم برحلات علمية لهذا الغرض، في عصامية نادرة المثال، ذكر بعض ملامحها في ديوانه، إذ كتب بعنوان «حكايتي» قائلاً: «عندما بدأت أرى الحياة حولي، وأبحث عن طريقي في دروبها . . كان أبي قد هده المرض نائماً في فراشه شهوراً . . وشهوراً هجر أخي الأكبر دراسته ليواجه عبء الحياة بمفرده . . رفض المعاونة . . أصر على أن أكمل دراستي الثانوية، فلم يكن في الدار جامعة . . قلة فقط تبعثهم الدولة، أو ذووهم للدراسة في الخارج.

---

(١) «أطياف العذارى»، ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) وردت ترجمته في حديث صحفي له أجراه معه محرر جريدة «البلاد» بجدة، العدد٧٩٢٢، السنة٥٤، الأحد ١٧ رجب ١٤٠٥هـ ـ ٧ أبريل ١٩٨٥م، ص١٠ «أدب وثقافة».

كان الألم يصهرني والحيرة تعذبني.. ثم ما لبثت أن تغلبت على حيرتي. قررت قطع دراستي رغم احتجاج أخي.. التحقت بعمل كي أساعده.. واصلت دراستي.. واصلت تحصيلي للعلم ليلاً.. لم أترك مدرسة ليلية إلا طرقت أبوابها.

تعلمت الإنجليزية.. بعضاً من الفرنسية، ثم آثرت أن أركز على دراسة اللغة الإنجليزية، لأنها تساعدني في طبيعة وظيفتي وتسهل لي ظروف عملي.. حتى في إجازاتي كنت أدرس.. أذكر أنني أكملت في القاهرة دراسة قصة الكاتبة الأمريكية (المشهورة) مرغريت متشل (ذهب مع الريح).. على يد أستاذ جامعي»[1].

بدأ الأستاذ يحيى توفيق ممارسة هوايته الأدبية بكتابة القصة القصيرة ونشرها منذ سن مبكرة في سنة ١٣٦٨هـ، ولكنه يأسف لأنه لم يحتفظ بشيء من نتاجه الأدبي المبكر ذلك، كما ذكر في مقابلة صحفية أجريت معه ونشرت في جريدة «البلاد»[2] أما ذيوع شهرته التي تخطت حدود بلاده إلى جميع أنحاء العالم العربي فكانت من خلال قصيدة غنتها له إحدى المطربات الشهيرات في لبنان وتجاوبت مع أحاسيس الجماهير العربية في كل مكان، وحينما جمع الأستاذ يحيى توفيق شعره ونشره في ديوان جعل تلك القصيدة، التي كانت سبباً في شهرته، فاتحة لديوانه، وهي بعنوان «سمراء» وفيها قال:

سمراء رقي للعليل الباكي   وترفقي بفتى مناه رضاك

---

(١) ديوان «أودية الضياع» شعر يحيى توفيق حسن، جدة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مطابع دار العلم.

(٢) جريدة «البلاد» العدد ٧٩٢٢، السنة ٥٤، ص ١٠.

مـا نـام مـنـذ رآك لـيـلـة عـيـده وسقـتـه مـن نـبـع الـهـوى عـينـاك
أضـنـاه وجـد دائـم وصـبـابـة وتـسـهـد وتـرسـم لـخـطـاك[1]

ثم ناجى محبوبته «سمراء» بقوله:

يا منية القلب المعذب رحمة بالمستجير من الجوى بحماك
أحلامه دوماً لقاؤك خلسة عند الغدير وعينه ترعاك
ترضيه منك إشارة أو بسمة أو همسة تشدو بها شفتاك[2]

ثم أنهى قصته مع «سمراء» في تلك القصيدة الشهيرة بقوله:

وتساءلت عيناك بعد تغيبي أنسيت عهدي أيها المتباك
لا والذي فطر القلوب على الهوى أنا ما نسيت ولا سلوت هواك
لكن قلبي والفؤاد ومهجتي أسرى لديك فأكرمي أسراك
سأظل في محراب حبك ناسكا متبتلاً مستسلماً لقضاك[3]

وقصيدة «سمراء» الشهيرة هذه تحمل عناصر قصة شعرية في وحدة فنية، ويبدو أنها رمز تجربة حب حقيقي لهذا الشاعر، ظل يخلدها في شعره، فهي قد تردد ذكرها في أكثر من قصيدة، وظلت «ليلة عيده» التي ذكر أنه رآها فيها للمرة الأولى تتردد في قصائده، ففي قصيدة عنوانها «العيد والحب» قال:

اليوم عيد فهل في العيد ألقاك يا منية القلب إن العيد لقياك
الناس قد فرحوا بالعيد وابتهجوا وبت تؤرقني في العيد ذكراك
يا حلوة الثغر والعينين يا أملي لولاك لم أحتفل بالعيد لولاك[4]

---

(١) «أودية الضياع»، ص ٧، ٨، ٩، ١٠.
(٢) «أودية الضياع»، ص ٧، ٨، ٩، ١٠.
(٣) «أودية الضياع»، ص ٧، ٨، ٩، ١٠.
(٤) «أودية الضياع»، ص ٢٥.

وأفصح الشاعر العاشق يحيى توفيق عن بعض سر جمال محبوبته، فأشاد بأوصافها التي بهرته في جمالها، إذ قال عنها:

خطرت أمامي في الغروب الساحر   سمراء ترفل في جمال سافر
عذراء في عمر الورود رقيقة   كحلاء كالريم المدل النافر
لمياء تغري بالهوى وشجونه   حوراء تسبي بالدلال الآسر[1]

ثم واصل تحديد ملامح الجمال فيها، فقال:

وسدت رأسي فوق صدر ناهد   يحنو على خصر رهيف ضامر
ودفنت في الشعر الغزير أناملي   ورويته ثغري من لماك العاطر
وشربت من عينيك نخب سعادتي   وسكبت شوقي في صباك الثائر[2]

وفي تأمله في محبوبته «سمراء» استخلص الشاعر العاشق الولهان حكمة عميقة من تجربة الحب، فقال:

وإذا الكوارث أحكمت حلقاتها   فالصبر أجدى للفؤاد العاثر
قد يدفن الولهان في رنق الصبا   ويعيش خالي القلب بين مخاطر
لا ينبع الإلهام من قلب الفتى   حتى يعاني صد إلف غادر[3]

وهكذا استخلص شاعر العشق والهيام حكمته الصافية من تجربة حبه، وفي قصيدة عنوانها «حكاية»[4] روى قصة حبه الذي انتهى بتحول

---

(١) «أودية الضياع»، ص ٢٩، ٣٠، ٣١.
(٢) «أودية الضياع»، ص ٢٩، ٣٠، ٣١.
(٣) «أودية الضياع»، ص ٣٢ ـ ٣٦.
(٤) «أودية الضياع»، ص ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩.

محبوبته إلى جار وسيم، ولكنه رضي بشقوته لكي تسعد محبوبته، في إيثار المحب الذي سمت نفسه عفة، فرضي لمحبوبته أن تسعد بشقائه، وصور ذلك في قصة شعرية طويلة. وأكثر شعر يحيى توفيق جاء في قالب قصصي أجاد حبكته الفنية في مهارة، يبدو أنه تدرب عليها منذ بداية نشأته الأدبية التي كانت بكتابة القصة، ثم أصلتها تجربة حبه الذي خلده في شعره في قصص تذوب كلماتها رقة، وتأججت أجواؤها بنار الشوق ولوعة الأسى وخيبة أمل المحب، الذي استخلص الحكمة الصافية من التجربة القاسية في دروب الحياة، أو «أودية الضياع» كما أسماها في قصيدة رائعة له بهذا العنوان، ضمنها كثيراً من الحكمة الصافية، فقال فيها:

ولما بدا لي أن حبك قاتلي ... وأن هواك اليوم أصبح دائيا
تصبرت بالحرمان، علّي من الجوى ... ألاقي دواء أو أجد لي شافيا
فعشت طويلاً يشعل الوجد لوعتي ... ويسحق آمالي ويضني شبابيا
أحن لمن حالي شبيه بحاله ... وأرثى لمن بلواه صنو بلائيا[1]

إلى أن قال:

فكلي عيون لا تنام ترقبا ... وما خط في الأقدار لا بد آتيا
ولا ينفع المرء التهيب إنما ... تميط يد الأحداث ما كان خافيا
ويسهل أمر ضاق ذرعاً به الفتى ... ويمسي قريباً كل ما كان قاصيا
أنا مهجة حيرى تذوب صبابة ... يكبلها عقل يبيح عذابيا
إذا كدت أروي غلتب ضج رادعا ... وألزمني ترك الهوى والتصابيا
أنا شمعة تذوي لترسل حولها ... شعاع الحجى يهدي القلوب الصواديا

(١) «أودية الضياع»، ص ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩.

أبات وهم الناس همي كأنني | سقيم وتغتال الهموم مناميا
وقد صهرت قلبي الشجون بنارها | وصاغت صروف الدهر مني الحكاويا

وقال في الحكمة، في هذه القصيدة كذلك:

وأهون مفقود على المرء ماله | إذا كان ماء الوجه والعرض باقيا
ترق عيون الدهر للخامل الذي | ينام بلا هم ويأبى المعاليا
وتقسو على مضنى ينوء بهمه | فتبلوه بالأحداث تلو المآسيا
فمالي تداجيني الليالي فأنتشي | وتختلني حيناً فتدمي فؤاديا
أكابد في الدنيا كأني مخلد | وأعلم أني سوف أصبح فانيا
وأسلب من دهري فتات سعادتي | وتسلبني الأيام أحلى الأمانيا(1)

وشاعر الحكمة يحيى توفيق صديق وفيٌّ يفرح لأصدقائه وسجل ذلك في كثير من شعره، كما يحزن لفراق الأحبة وله شعر مؤثر في المراثي. وهو شاعر مؤمن له شعر ابتهالات يفيض رقة وخشوعاً، تضرع به إلى الله عز وجل، ومن شعره في الإبتهال إلى الله قوله:

يا سيدي أين الطريق تشعبت | سبل الضلال وغرني الخلطاء
مهما ابتعدت، إليك أرجع نادما | أبكي وتثقل روحي الأخطاء
مولاي لا شكوى فإنك عالم | تدري بما فعلت بي الأرزاء
حزن يحيط بمهجتي ويلفني | وشدائد لا تنقضي وعناء(2)

ويحيى توفيق هو ابن جدة البار تردد ذكرها في كثير من شعره

---

(1) «أودية الضياع»، ص ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩.
(2) «أودية الضياع»، ص ١٧٨.

مرتبطاً بكل معاني الحب والإكبار والشوق والحنين ومن أجمل شعر يحيى توفيق في جدة قوله:

أنت حبي وذكريات شبابي | وصباي الغرير بعض صباك
إيه (جدة) إن غربتني الليالي | ففؤادي يهيم فوق ثراك
يا عروس الحجاز ليلك سحر | وجمال الوجود في رؤياك
إيه (جدة) كم عذبتني شجوني | وشكى القلب غربتي وحنيني[1]

وفي قصيدة أخرى عن (جدة) قال:

البحر والصحراء فيك تعانقا | والزهر غاف في تلالك مونق
والطير شاد في الخمائل صادح | والموج في حضن الربى يتدفق[2]

وشعر يحيى توفيق كله يجمع بين قوة السبك ورقة الألفاظ وجمال المعاني وتجدد الصور التي يتفنن في إبداعها في إطار قصصي في حبكة فنية محكمة تارة، وفي مناجاة شجية تارة أخرى، في شعر عربي موزون مقفى طوعه لخدمة أغراضه الفنية المتعددة بمهارة وتمكن ومزاوجة بين الأصالة والتجديد.

---
(١) «أودية الضياع»، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.
(٢) «أودية الضياع»، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

وأما أدب القصة والرواية فإن أشهر رواده وأبرزهم إبداعاً فيه من أدباء هذا الجيل فهو الأستاذ:

حامد دمنهوري(١):

واسمه بالكامل هو حامد حسين جابر دمنهوري، وقد ولد بمكة سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، وبها نشأ وتلقى تعليمه، حتى أنهى دراسته الثانوية في المعهد العلمي السعودي، ثم ابتعث إلى مصر فدرس في كلية دار العلوم بالقاهرة وحصل على «دبلومها» كما درس في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية (فاروق الأول آنذاك) وحصل على شهادتها الجامعية (الليسانس/ أي البكالوريوس) في الآداب.

وبعد تخرجه عاد إلى الوطن، فالتحق بسلك الوظائف فبدأ حياته العملية مدرساً في المدرسة الثانوية الوحيدة آنذاك بمكة (تحضير البعثات)، ثم تنقل بعد ذلك في وظائف عدة بين وزارتي المعارف والداخلية، إلى أن وصل إلى درجة وكيل وزارة المعارف للشؤون الثقافية، ثم خطفه الموت وهو في قمة نشاطه وعطائه ولما يتجاوز الخامسة والأربعين من عمره في سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م (رحمه الله) وأسكنه فسيح جناته. وحامد دمنهوري كان أديباً فذاً متعدد الجوانب، بدأ حياته الأدبية شاعراً، وله شعر شارك به في كتاب «شعراء الحجاز في

---

(١) وردت ترجمته في «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص ٢١٩، وفي مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٤٦، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٢، ص٢٣، وفي «ثمن التضحية»، نصوص أدبية من المملكة العربية السعودية ١، نبذة عن حامد دمنهوري، بقلم يحيى ساعاتي، ص٧-٨، النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص١٩٤.

العصر الحديث» يدل على تمكن وموهبة ومقدرة على الإبداع والتفنن، وقد شارك بشعره في مناسبات وطنية في مصر أثناء دراسته مثل (يوم الجلاء) الذي قال فيه:

إن يوم الجَلاء أشرق في الوا دي فسيروا على هداه صحابا
جل ما تطلبون للوطن الغا لي وجل ما تطرقون للعز بابا[1]

وهي قصيدة طويلة ألقاها في مجتمع من مجتمعات الطلبة بجامعة الإسكندرية (فاروق الأول) عام ١٩٤٦م ونشرها بعد ذلك مع غيرها في كتاب «شعراء الحجاز في العصر الحديث». وله شعر وجداني في التأمل يفيض عاطفة ورقة ويلتهب شعوراً ومنه قوله في قصيدة عنوانها «عودة الماضي».

ماذا ذكرت؟ فقد نسيت على النوى أمسى وإني قد نسيت ولم أعي
أذكرت آمالاً غرست غصونها وتركتها بيديك لم تتفرع
أم زورقي الولهان يسري حالما يحتاطه موج رخي المنبع
ينساب وهنان الخطى متمهلا إن أدركته يد الزوابع يسرع[2]

أما الدور الريادي الذي قام به حامد دمنهوري في الأدب السعودي فهو كتابة الرواية التسجيلية الطويلة التي سجل فيها ملامح حقبة هامة من تاريخ مكة في أدق التفاصيل، في حبكة فنية مكتملة النضج، وفي حوار فريد سخره لخدمة الغرض التسجيلي بالمزاوجة بين لغة الحوار الأصلي عند عامة الناس في مكة في الفترة التي قصد تسجيل ملامحها، وبين لغة الحوار في العربية الفصحى، دون هدم أو إخلال، وفي براعة توفيقية

(١) «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص ٢٢١.
(٢) «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، ص ٢٢٠.

نادرة المثال. وله روايتان تسجيليتان للحياة والأحياء وهمومهم وسعادتهم في مكة في أوائل القرن الهجري الرابع عشر، الأولى منهما هي (ثمن التضحية)، والثانية هي (ومرت الأيام).

وتعتبر رواية (ثمن التضحية) الرواية الأولى في الأدب السعودي التي جاءت مكتملة النضج الفني والأداء. وقد شبهها الدكتور منصور الحازمي في مكانتها هذه بمكانة رواية (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل في الأدب العربي الحديث في مصر. فقال عنها: (وما أشبه رواية «ثمن التضحية» برواية «زينب» لمحمد حسين هيكل، فقد ظهرت سنة ١٩١٤م واعتبرت أول رواية عربية على الرغم من المحاولات القصصية الكثيرة التي سبقتها، وما ذلك إلا لأن رواية «زينب» قد توفر لها من الجوانب الفنية ما لم يتوفر في جميع المحاولات القصصية الأولى. وما أجدر رواية المرحوم حامد دمنهوري بهذه المكانة، إذا ما أردنا أن نؤرخ للرواية في الأدب السعودي الحديث»[١]. و«ثمن التضحية» رواية عاطفية في خيطها العام الذي يربط بين قلبي بطليها «أحمد»، و«فاطمة» إلا أنها تسجيلية لمرحلة تاريخية حدث فيها تحول إجتماعي هام في الحياة في الحجاز، وفي المملكة كلها. وسخّر حامد دمنهوري أحداث الرواية وما طرأ على شخصياتها للتعبير عن حقيقة ذلك التحول وما حدث خلاله من صراع، كان حاداً، في بعض المواقف، بين الأجيال، كما يحدث عادة في التحولات الإجتماعية الكبرى، ولكن حامد دمنهوري قدم هذا التسجيل الوصفي في إطار فني تفوّق فيه على كل من سبقه في هذا المضمار من أدباء بلاده، وعمد في كثير من المواقف إلى أسلوب التحليل النفسي لشخصيات القصة دون أن يجعل هذا التغلغل في العمق

---

(١) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الثانية، بقلم الدكتور منصور الحازمي، ص ٩ ـ ١٠.

يبعده عن الأحداث الخارجية التي جعل تلك المحطات الباطنية تفسيراً عميقاً لها بالوقوف على دوافعها السلوكية ومؤثرات التراكمات الوراثية في إحداث قوة جذب للماضي في مرحلة التطور نحو المستقبل.

وكتبَ الأستاذ عبد الله عبد الجبار مقدمة الطبعة الأولى من «ثمن التضحية»، واعتبرها: من قصص «الشخصيات» وإن عني المؤلف عناية فائقة بالحوادث التي وفق في تسلسلها وتتابعها إلى حد بعيد، وكان لهذا التوفيق أثره في توضيح معالم شخصية البطل وسائر الشخصيات الأخرى»[1].

والخيط العاطفي العام الذي تدور حوله أحداث الرواية بين بطليها (أحمد) و(فاطمة) يتلخص في ارتباطهما قبل سفر (أحمد) للدراسة في الخارج، ثم دخول أحمد في صراع نفسي مع عواطفه بعد تعرفه في مصر على (فائزة) الفتاة المثقفة التي تحولت علاقته بها من إعجاب ومودة زمالة إلى حب عنيف يقهره في النهاية بعقله عائداً إلى ابنة وطنه (فاطمة) وحول هذا الخيط العام دارت جميع أحداث الرواية التي حصرها الدكتور منصور الحازمي في: (ثلاث مسائل رئيسية):

الأولى: تصوير البيئة الحجازية.

الثانية: انبثاق الوعي وبدء ظهور الطبقة المتوسطة المتعلمة المثقفة.

الثالثة: مشكلة تعليم الفتاة ومشكلة الزواج»[2].

(١) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الأولى، بقلم الأستاذ عبد الله عبد الجبار، ص٣٠ (ط١).

(٢) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الثانية، بقلم الدكتور منصور الحازمي، ص١٠.

وكان الأستاذ حامد دمنهوري (رحمه الله) بارعاً في استخلاص الحكمة من مجريات أحداث القصة، وصياغتها على ألسنة شخصياتها. فعندما مرض (أحمد) وقلق الجميع عليه تذكرت (صفية) زوجة عمه (عبد الرحيم) وأم (فاطمة) ما أصاب والده (عبد الرحمن) من قبل بوفاة إخوة لأحمد، فانتابها القلق وأوصلها إلى استخلاص حكمة عميقة، ثم:
«قالت «صفية» في لهجة تنم عن أساها، في نبرة توحي بقلقها، فقد خرج صوتها غير واضح، وكأنما قد غص حلقها بحشرجة بكاء:

- كفى ما عانى أخوك من موت ابنيه اللذين سبقا «أحمد».

وتوقفت عن الكلام فجأة، فقد أحست باختناق صوتها، وعبرة انسابت على خدها، وشعرت بعجزها عن مواصلة الحديث الذي بدأته، وعن التعبير بما جال في نفسها آنذاك: (إن الجروح لا تندمل كما نتصور، لا بد من ندبة أو أثر، إن الزمن بأحداثه، وانفعالاتنا مع تلك الأحداث، يلقي على عاتق جروحنا طبقة رقيقة تحجبها عن أعين الناس، ولكن الجريح نفسه يحس بآلامه، ويعيش معها في صمته وأوقات وحدته).

وتنهدت في عمق كأنما تنفث في زفرة كل آلامها، وهواجسها، وقلقها»[1].

ولاحظ الدكتور منصور الحازمي أن: «الشاعر الغنائي الذي تحول كاتباً قصصياً (. . .) يأبى إلا أن يكمن أحياناً بين سطور هذه الرواية، ثم

---

(١) «ثمن التضحية»، ص ١٠٨، (ط٢).

لا يلبث أن يختفي عندما تبرز مرة أخرى قضايا المجتمع وملامح الوصف الموضوعي»[1] وأشار إلى وجود أمثلة شبيهة في الأدب الإنجليزي. كما فسر قوة أسلوب حامد دمنهوري وسلاسته في انطلاقته من ثقافة عميقة الجذور في اللغة العربية، وقال إن ملامح شخصية بطل الرواية (أحمد) تشبه ملامح حامد دمنهوري، «ورواية ثمن التضحية» صورة طبق الأصل لشخصيته، إنها أقرب إلى السيرة الذاتية»[2].

أما الرواية الثانية للأستاذ حامد دمنهوري (رحمه الله) فهي رواية «ومرت الأيام» فهي تشبه «ثمن التضحية» من حيث التسجيل والقيمة التاريخية، أما من الناحية الفنية فقد لاحظ الدكتور منصور الحازمي على الروايتين، رغم مكانتهما الريادية، أنهما كانا في حاجة إلى قوة تشويقية أكثر فقد اعتراهما بعض الضعف في: «بساطة الحادثة وبطء الحركة، وضعف عنصر التشويق»[3]، بل إن الدكتور الحازمي يرى في رواية «ومرت الأيام»: إنتكاسة.. بالنسبة للتطور المنتظر في فنه القصصي»[4].

ومهما يكن فإن الأستاذ حامد دمنهوري هو الرائد الأول في الإبداع الفني الحقيقي في الفن القصصي في جنس (الرواية) في الأدب السعودي الحديث. وقد ترجمت روايته الأولى إلى الإنجليزية والروسية. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

أما القصة المترجمة من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية الفصحى

---

(١) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الثانية، بقلم الدكتور منصور الحازمي، ص٢٤، ص٢٦.

(٢) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الثانية، بقلم الدكتور منصور الحازمي، ص٢٤، ص٢٦.

(٣) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الثانية، بقلم الدكتور منصور الحازمي، ص٢٥.

(٤) «ثمن التضحية»، مقدمة الطبعة الثانية، بقلم الدكتور منصور الحازمي، ص٢٥.

في الأدب السعودي الحديث فإن رائدها الأول من أبناء هذا الجيل هو الأستاذ:

محمد علي قطب[1]:

ولد بمكة سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، وبها نشأ فتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح، ثم في مدرسة (تحضير البعثات) وتخرج منها، ثم اشتغل مدرساً، ثم مديراً بمدرسة (دار الأيتام) بمكة، انتقل إلى وزارة الصحة بمكة مترجماً للغتين: الإنجليزية، والفرنسية. ثم انتقل إلى جدة وعمل في الترجمة في بنك الرياض، ثم انتقل إلى مؤسسة الخطوط السعودية.

والأستاذ محمد علي قطب قال الشعر، وكتب المقالة، وأفاد كثيراً من معرفته للغتين: الإنجليزية، والفرنسية، حيث اطلع على روائع الأدب فيهما، واستهوته القصة بصفة خاصة فنقل كثيراً منها إلى اللغة العربية، ونشر معظمها في مجلة «المنهل»، وصحف أخرى، كما نشر بعضها في كتب مستقلة.

ومن شعر محمد علي قطب قوله بعنوان «نداء»:

غص الفؤاد بحبه فدعاك ... يرجو اللقاء ويحتمي برضاك
قاسى العذاب ولم يذق من حبه ... غير السهاد لفرط طول نواك
يروي إلى الليل البهيم غرامه ... وإلى الفراقد في ذرى الأفلاك
يروي لها في حسرة مشوبة ... ما قد عراه من الأسى بجفاك[2]

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٨٧٨، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٦٥.

(٢) «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٦٥.

ولم يقف الأستاذ محمد علي قطب في ترجمته في القصة عند حد، بل كان ينقل كل ما يعجبه ويرى أنه يفيد المثقفين في بلاده من القصص التي يطلع عليها في اللغتين الإنجليزية والفرنسية وما قد يكون سبق أن ترجم إليهما من لغات أخرى كالألمانية والهولندية والهندية وغيرها «لتكون أحفل بالمتعة والتسلية ويجد القارىء العربي فيها صوراً جذابة مختلفة من الأدب العالمي الحديث»[1] وإلى جانب القصة القصيرة ترجم محمد علي قطب مسرحيات كثيرة.

ومن القصص القصيرة التي ترجمها محمد علي قطب عن الإنجليزية قصة جعل عنوانها: «من المعدة إلى القلب» لجيمس روبرت.. ونصها هو: «كانت فترة تناول وجبة الغداء، وكان المطعم ممتلئاً يكاد أن ينفجر بالوافدين.. كانوا جالسين إلى طاولاتهم في انتظار تقديم ما طلبوا من أصناف الطعام.

قررت «جوليا» وكانت هي أيضاً في انتظار ما يقدم لها من طعام أن تطلب طبقاً من المكرونة بالبيض، وطبقاً من المحشي وكأساً من عصير الفراولة. وأخذت ترقب سالي التي كانت تجهز الطعام وهي تبتسم من وراء الطاولة العريضة وتمزح مع رواد المطعم من الزبائن. ولقد كانت سالي فتاة تمتلىء بالحيوية جميلة ساحرة وكانت جوليا حسناء كذلك إلا أنها كانت فتاة خجولاً بل إن بإمكاننا أن نقول أنها كانت مثل صديقتها سالي لا ينقصها إلا ما كانت تتمتع به سالي من شجاعة وجرأة فائقة..
هتفت «سالي» فجأة بصوتها المرح قائلة:

ماذا يا جوليا ألم تظهر بعد العلامات التي تتوقعينها»؟!

---

(١) «من القصص العالمي الحديث، كانتفرستان وقصص أخرى»، محمد علي قطب، المقدمة، ص٥، الناشر منشورات دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

وكانت سالي تشير بذلك مازحة إلى حديث سابق بينهما، حيث قالت «جوليا ذات يوم إن لها علامات خاصة تستطيع أن تميز الشخص الجدير بأن يكون شريكاً لحياتها. . فردت «جوليا» عليها باسمة بقولها:

كلا. . لم يظهر شيء بعد ولكنني سوف أنتظر وأنتظر حتى تظهر. . .

تناولت «جوليا» طبق المكرونة الشهي وجلست إلى طاولة في ركن من القاعة ولم تكد تتناول أول لقمة حتى أبصرت «جيمس ستيوارت» مقبلاً. .

لم يكن ذلك الرجل جيمس ستيوارت بالفعل، نجم السينما المعروف. . ولكن هكذا كان في نظر جوليا عندما رأته. . لقد كان يشبهه في كل شيء تقريباً. . وكان يأتي كل يوم لتناول الغداء بنفس المطعم وفي الساعة التي تأتي إليه جوليا بالذات. وكان كل منهما يرقب الآخر في صمت دون أن يتحدث أحدهما للآخر بكلمة. . أبصرته بطرف عينها وهو يحمل طبقه باحثاً عن مكان يجلس به، ومر بطاولتها وتوقف قليلاً ثم تراجع للوراء، وقال في صوت رقيق وقد علت محياه حمرة خفيفة من الخجل:

ـ هل يمكن أن أجلس إلى جانبك يا آنسة؟

فردت جوليا وهي تخلي له مكاناً إلى جانب الطاولة:

ـ طبعاً. . . طبعاً تفضل اجلس.

يأخذ مقعده في أدب بالقرب منها قائلاً:

ـ شكراً لك يا سيدتي.

أخذت «جوليا» بخجله البالغ وعكفت على تناول طعامها لا تجسر على رفع بصرها عن الطبق الذي أمامها أو التحدث إليه بشيء. وبعد أن أتت على ما في الطبق مدت يدها إلى صحن المحشي في اللحظة التي مد فيها الشاب يده إلى الطبق، فتلامست يداهما.. وتمتمت جوليا معتذرة بقولها:

- آسفة يا سيدي.. لقد ظننت أن هذا طبقي!!

- كلا.. إنها غلطتي أنا، فذلك الطبق هو طبقي!!

فرمقته جوليا للمرة الأولى منذ أن جلس إلى جانبها فرأت وجهه قد تغير واحمر من الخجل لهذا الحدث التافه بدون شك.. فقد كان جيمس ستيوارت لا يقل خجلاً عنها.. كما لاحظت في نفس الوقت طبق المكرونة بالبيض وصحن المحشي وكأس عصير الفراولة التي أمامه مثلها فهل كانت هذه العلامات التي تتطلع إليها؟!!

ظل هذا الحدث يملأ تفكيرها طوال المساء إلى حد أنها قصرت في أداء العمل الذي كانت مكلفة به.. ولما حان وقت الغداء من اليوم التالي جلست إلى طاولتها كالعادة في المطعم فلم تمض خمس دقائق على جلوسها حتى رأته يقف أمامها وبنفس اللهجة الرقيقة التي خاطبها بها في اليوم السابق طلب إليها أن تسمح له بمشاركتها في طاولتها فأدهشها أن ترى أمامه نفس الطلبات التي طلبتها وهي: طبق المكرونة بالبيض وصحن الكريمة وكأس عصير الأناناس!

فقال لها باسماً:

- يبدو أن ذوق كل منا لا يختلف عن الآخر في شيء.

قال ذلك وحرك يده يشير إلى ما أمامه من طلبات فلم ينتبه لسوء

الحظ لكأس العصير الذي إلى جانبها الذي انقلب بكامله على فستان جوليا. . !!

بلغ الإضطراب والأسف بجيمس ستيوارت حداً لا يوصف. . فمضى يعتذر إليها آناً، وينحي باللائمة على نفسه لما ارتكب من سوء التصرف آناً آخر. . فأخذت «جوليا» من جانبها تهدىء من قلقه على ما حدث قائلة إن ثوبها من النيلون ولن يلبث أن يجف دون أن يترك أثراً. .

وبينما كانا ينتظران أن يجف الفستان ليطمئن هو على ما ارتكب من حماقة عرفت أن اسمه هو «هنري بارتون». . موظف في مصنع للمعلبات لا يبعد كثيراً عن المطعم. .

أصبحا من ذلك اليوم يتناولان طعام الغداء معاً بانتظام. . وقد سألتها سالي ذات يوم كعادتها «هل ظهرت لك العلامات التي تتوقعينها في شريك الحياة «فردّت عليها بالإيجاب وعيناها تشعان بفيض من السرور والحب».

استجمع «هنري بارتون» شجاعته ذات يوم وبسط يديه لجوليا يدعوها إلى تناول طعام العشاء في ذلك المساء فردت الفتاة: إن مما يسرها أن تجيبه إلى طلبه.

في الساعة الثامنة تماماً في تلك الليلة مر «هنري» بسيارته بمنزلها وأخذها إلى المطعم الذي اختاره ثم أمسك بيديها في يديه بعد أن أمر بالطعام قائلاً:

ـ لقد عرفت من أول يوم رأيتك فيه أن كل واحد منا خلق للآخر.

فردت «جوليا» موافقة بقولها:

ـ هذا ما رأيته أنا أيضاً. . !

ـ اسمحي لي أن أعترف لك يا جوليا . . بالنسبة إلى توافق ذوقينا في الإختيار كانت سالي تساعدني في ذلك لتقرب كلامنا للآخر ولا دخل لي شخصياً فيما حدث، عدا أنني أحبك إلى حد الجنون!

ـ لقد فطنت لهذه الحيلة في المرة الثالثة من مقابلتنا، فقد خامرتني الظنون في أن يكون إتفاقنا في الأذواق بمجرد المصادفة والإتفاق، ولكنني لم أعر الموضوع أدنى اهتمام . . هل لديك شيء آخر تريد أن تقوله عن سالي؟

ـ كلا . . ليس لدي ما أقول سوى أن سالي هي شقيقتي . . ألا تعرفين هذا؟»[1].

لقد فتح الأستاذ محمد علي قطب بما ترجمه من قصص ومسرحيات أبواب الأدب العالمي أمام أدباء بلاده فاطلعوا على كثير من القصص الجميلة التي أوحت لهم بأفكار جديدة تلاقحت مع ما قرأوه فيها من أفكار . . ومحمد علي قطب بسيط في تعبيره الذي يختاره للترجمة بلا تعقيد حتى يسهل على القارىء فهم الأدب الغريب الذي ينقله له بسهولة.

ومن أبرز كتّاب القصة من أبناء هذا الجيل الأستاذان حمزة محمد بوقري، وغالب حمزة أبو الفرج، وله روايات وقصص كثيرة ينشرها بلا انقطاع في جريدة «المدينة المنورة» وملحق «الأربعاء» الذي لا يخلو عدد من أعداده من قصة له. ومن أشهر رواياته السياسية الطويلة رواية «الشياطين الحمر».

ومن الأجناس الأدبية الشعرية التي عرفها أدباء هذا الجيل جنس

---

(١) «من القصص العالمي الحديث، كانتفرستان وقصص أخرى»، ص ٨٠ـ٨٣.

(الزجل) في مزاوجة بين الفصحى والعامية وأبرز رواده بلا منازع هو: الدكتور حسن نصيف[1] الذي كان وزيراً للصحة وهو من مواليد جدة سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م.

ومن الأجناس الأدبية الجديدة كذلك جنس «التمثيلة الإذاعية» المسموعة والمرئية، ومن أبرز كتابها من أبناء هذا الجيل الأستاذ عبد الله بوقس[2] وهو من مواليد مكة سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وهو كاتب قدير كتب إلى جانب التمثيلية القصة والمقالة.

أما أبرز كتّاب المسرحية من أبناء هذا الجيل بلا منازع فهو الدكتور:

عصام خوقير[3]:

وهو من مواليد مكة المكرمة سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وبها نشأ وتلقى تعليمه حتى نهاية المرحلة الثانوية ثم ابتعث إلى مصر فدرس طب الأسنان بكلية طب القصر العيني بجامعة القاهرة، ولكن ميوله للأدب جعلته يشتهر بمقالاته الإجتماعية ذات النكهة المرحة الساخرة، ثم اتجه

---

(١) وردت ترجمته في كتاب «تسالي»، تأليف الدكتور حسن يوسف نصيف، ص الغلاف الأخيرة مطبوعات تهامة، جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٢) وردت ترجمته في كتاب «خدعتني بحبها»، مجموعة قصصية، تأليف عبد الله بوقس، الكتاب العربي السعودي رقم٤٣، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) وردت ترجمته في كتاب «الدوامة»، تأليف د.عصام خوقير، الكتاب العربي السعودي، رقم٧، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

لكتابة القصة، والمسرحية بجميع أنواعها، فأصبح أبرز كتابها في جيله بلا منازع. ومن مسرحياته المطبوعة مسرحية «السعد وعد»، التي صدرت في سلسلة الكتاب العربي السعودي عن تهامة بجدة سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

أما الجيل التالي، أي من مواليد الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري، فإن من أبرز الأدباء من كتّاب القصة فيه الأستاذ:

محمد عبد الله مليباري[(١)]:

وهو صحفي وأديب قدير من مواليد مكة سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م وهو صحفي لامع بدأ محرراً في جريدة «البلاد السعودية» بمكة في عهد عبد الله عريف، (رحمه الله)، ثم اختاره الأستاذ أحمد السباعي (رحمه الله) كبيراً للمحررين حينما أسس جريدة «الندوة» ثم مجلة «قريش» بمكة في السبعينات من القرن الهجري الرابع عشر، ومحمد عبد الله مليباري ناقد أدبي متمكن، خاض معارك أدبية كثيرة، آخرها معركته مع «الحداثة ودعاتها» وحقق محمد عبد الله مليباري كتباً من التراث، وكتب في موضوعات شتى، إلا أن أبرز ميادين إبداعه الفني كانت في كتابة القصة القصيرة التي صدرت له فيها عدة مجموعات قصصية بعضها عن النادي الأدبي الثقافي بمكة. كما اشترك الأستاذ محمد مليباري بفعالية كبيرة في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي عقد بمكة سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م وشارك في الإشراف على نشرته اليومية مع مؤلف هذا الكتاب والأستاذ محمد مليباري شاعر وفنان، ولو تفرغ للقصة والنقد الموضوعي المحض لكان أجدى فهذه هي مجالاته الفنية الحقيقية.

والمليباري هو أول من أسس جريدة سعودية خاصة بالرياضة كان

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص ٩٠٠.

يصدرها بمكة في الثمانينات من القرن الهجري الرابع عشر، بالإشتراك مع الأستاذ فؤاد عنقاوي.

وتوفى في سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م رحمه الله.

ومن أبرز كتّاب القصة القصيرة من جيل الخمسينات كذلك الأستاذ إبراهيم الناصر. ومن أشهر كتاب القصة والتأمل، والحوار الفني من جيل الخمسينات الأستاذ:

عبد الله عبد الرحمن جفري(١):

وهو من مواليد مكة في سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

الجفري فنان كلمة يتلاعب بالألفاظ ويتفنن في الحوار كما لاحظ ذلك الدكتور غازي القصيبي فكتب عنه قائلاً: «إن الجرأة اللغوية ذاتها تدفع الجفري في بعض الأحيان إلى اهتمام بالغ بالألفاظ والتشبيهات والصور، يكاد يدير رأس القارىء، ويكاد ينسى في زحمة هذا الخضم الرهيب من الصور والتشبيهات والتجسيدات اعترافه بأن وراء هذا كله مجرد نداء يوجهه صديق إلى صديقه»(٢).

ومن نماذج الحوار الذي يتفنن فيه الجفري، ومن كتاب «حوار في الحزن الدافىء» الذي فاز فيه بجائزة الإبداع العربي، هذا الحوار عن «الوطن والحب» والذي قال فيه:

كانت الأصداء ترتفع مرددة: يا حبيبي.. أيها الوطن!

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة، ص٩٠٦، وفي «الموسوعة الأدبية»، ج٣، ص١٣٥، وفي «الظمأ»، مجموعة قصصية، تأليف عبد الله عبد الرحمن جفري، الكتاب العربي السعودي رقم٦، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) من كلمة بقلم الدكتور غازي القصيبي، ص الغلاف الأخير من كتاب «جزء من حلم»، تأليف عبد الله عبد الرحمن الجفري، الكتاب العربي السعودي رقم ١٠٥، تهامة، جدة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

هل كان الحبيب غائباً.. أم أن الحب هو الذي غاب؟!

وما هو الوطن: الحبيب أم الحب؟!

الخوف لا يتمثل في غياب الحبيب.. فما دام «حبيباً» فلا بد أن يعود..

الخوف كله أن يغيب الحب، فتفرى الأحقاد أكباد البشر، وتضيع هوية الحبيب والمحب!

كنا في زمان.. ولا نملك الزمان!!

كان الزمان يأخذ منا ولا يعطينا. في امتداد ظله فقدنا مساحات جديدة من الأرض، ومساحات غالية من الثقة داخل صدورنا.

- (كفي عن الذهور يا امرأة)!!

زجرة الصوت الأجش.. من حنجرة رجل ترك سلاحه داخل سيناء، وفوق الجولان، وعاد كسيحاً تجرجره هزيمة حزيران الأسود!

- (أبعد نظراتك عن وجهي أيها الطفل)!

رجاء الأب المخذول، وهو يهم بمداعبة طفله.. فيشعر بالشلل في وجدانه، فقد كان كل أب.. كل رجل مصاباً بالشلل في عواطفه ومداركه بعد التقهقر الذي كان على الأرض المسلوبة!!

من بعد ذلك التاريخ الغابر!![1]

وفي هذا الحوار أيضاً كتب عبد الله الجفري قائلاً:

«سألوا الجندي المتقهقر من أرض المعركة: ما الذي هزمكم؟!

---

(١) «حوار.. في الحزن الدافىء»، تأليف عبد الله عبد الرحمن الجفري، الكتاب العربي السعودي رقم٧١، ص٢٤، ص٢٦، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ـ قال: الفرقة. الإرتجال. الصعود والهبوط في المساحات المفرغة من كل شيء!

سألوا الأرض المسلوبة: ما الذي أضاعك!

ـ قالت: نسوني حينما كانوا يتذكرون أمجادهم الذاتية!!

كل وجه.. كان حزني!!
كل الوجوه.. تأكل الحب وتسوس
كل الوجوه.. فقدان رهيب يفتش عن اليقين.. عن الحقيقة.. عن الإيمان!!
الإيمان يعيد الأمان!![1]

ومن شعراء جيل الخمسين الدكتور:

غازي القصيبي[2]:

واسمه بالكامل هو: غازي عبد الرحمن القصيبي، وهو من مواليد الاحساء سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م وانتقل طفلاً مع أسرته إلى البحرين فنشأ بها حتى أتم دراسته الثانوية فيها، ثم سافر إلى مصر فالتحق فيها بكلية الحقوق بجامعة القاهرة وحصل على شهادتها الجامعية (الليسانس)، ثم حصل من جامعة جنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية على ماجستير العلاقات الدولية ومن جامعة لندن حصل على الدكتوراه في

---

(١) «حوار.. في الحزن الدافىء»، تأليف عبد الله عبد الرحمن الجفري، الكتاب العربي السعودي رقم٧١، ص٢٤، ص٢٦، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) وردت ترجمته في «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٦٢، وفي كتاب «التنمية وجهاً لوجه»، تأليف الدكتور غازي القصيبي، الكتاب العربي السعودي رقم٢٣، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

العلاقات الدولية، والتحق بسلك التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض، ثم عين مديراً عاماً لمصلحة السكك الحديدية، ثم وزيراً للصناعة والكهرباء، ثم وزيراً للصحة، ثم سفيراً في البحرين ثم في بريطانيا.

والدكتور غازي القصيبي كاتب فنان، وشاعر مبدع عميق الفكرة، متأنق الألفاظ، له شعر عمودي، وشعر حر، وشعر مترجم، يميل إلى الرمز الفلسفي في بعض شعره. وهو يحترق عاطفة في حب بلاده ووطنه العربي الكبير. فهو في قصيدة له في ديوان «الحمى» قال:

نهيم خلف سلام عز مطلبه
ومل من وعده الممطال عرقوب
عشنا مع الذل حتى عاف صحبتنا
نمنا على الصبر حتى ضج أيوب
أكلما قام فيهم من يذبحنا
قلنا: السلام على العلات مطلوب
وكلما استأسد العدوان باركه
منا جبان إلى الإذعان مجذوب

* * *

لا ترجع الأرض إلا حين يغسلها
بالجرح والنار يوم الفتح شؤبوب[1]

---

(١) «الحمى»، شعر الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، الكتاب العربي السعودي رقم٥٣، ص٣٧، ٣٨، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

وفي قصيدة أخرى قال في هذا المعنى أيضاً:

قل لمن طار به الوهم اتئد!

ليس للظامىء في الأوهام ورد

أي سلم ترتجي من رجل

يده بالخنجر الدامي تمد

أي سلم ترتجي من رجل

ضج في أعماقه الحقد الألد

دير ياسين على راحته

لعنة تتبعه أيان يغدو

سترى إذ تنجلي عنك الرؤى

إنه للحرب لا السلم يعد

إن ما ضيع في ساح الوغى

في سوى ساحتها لا يسترد[1]

والشاعر غازي القصيبي الذي كتب الشعر العمودي والشعر الحر وكتب في موضوعات شتى، كتب شعراً بالإنجليزية وله فيها ديوان كما له دواوين عربية كثيرة في شعر التفعيلة والشعر المتوارث. وهو كاتب مقال في عبارة واضحة، جمع بعض مقالاته التي نشرها في الصحف وأصدرها في كتاب، كما جمع بعض محاضراته العامة كذلك ونشرها في كتاب. وله كتابات في القصة وفي السيرة الذاتية منها «شقة الحريّة».

---

(١) «الحمى»، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

ومن شعراء جيل الخمسين الأستاذ:

إبراهيم خليل العلاف[1]:

من مواليد مكة في ١/١/١٣٥٠هـ/ ١٩/٥/١٩٣١م وبها نشأ فتلقى تعليمه بمدارسها حتى نهاية مرحلة الدراسة الثانوية، ثم ابتعث إلى مصر، فالتحق فيها بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وبعد تخرجه عاد إلى مكة فعمل مدرساً في التعليم الثانوي، ثم مفتشاً، ثم انتقل إلى الإذاعة بمكة، وجدة، ثم انتقل إلى وزارة الحج والأوقاف ولا يزال بها مسؤولاً ثقافياً. وقد وافته المنية في سنة ١٤١١هـ.

والأستاذ العلاف هو ابن أخت الشاعر المخضرم الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي (رحمه الله) وربما تأثر به في شاعريته. فهو شاعر له دواوين عدة، وكان ينشر شعره من وقت لآخر في الصحف، وله شعر رقيق قوي السبك في موضوعات كثيرة ولكنه ملتزم فيه كل الإلتزام بنظام البحر وتنسيق التفعيلات، وأعلن رأيه في هذا الإلتزام وهو يقدم لأحد دواوينه، فكتب قائلاً: «إن التكرار هو أساس موسيقى الشعر، وهو تكرار أفقي للتفعيلة منتظم في مدى الشطر الذي يتألف البيت من تضاعفه، وتكرار عمودي منتظم في بعض أحرف القافية.

ولا بد لهذا التكرار الأفقي أن يتواتر طبقياً بنفس التفعيلة على الأقل مرتين، وبتواتر هذه النسب طبقياً يحفظ للقافية موقعها، وبذلك ينتقل

---

(١) وردت ترجمته في مجلة «المنهل»، العدد الخاص بتراجم وأدب أدباء المملكة ص٩٠٣، وفي ديوان «جلنار»، شعر إبراهيم خليل علاف، ص٣-٥، مكة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٢٢٤.

القارىء والسامع في أجزاء القصيدة بانتظام ومسايرة وتوقع وطرب (. . .)، ولهذا فإن تركيب الشعر القديم، وتدخل تحته الموشحات، تام النظام وأغنى بالموسيقى.

والتفعيلة إذا جاءت بدلاً من الشطر المركب، وكانت انكماشاً له، فإنها تفقد التكرار المنتظم أفقياً، وفي فقدانه ضياع الجمال (. . .) ومبدأ التفعيلة الواحدة بالنظر لما يعتريه من زيادة متذبذبة يفقد التكرار العمودي المنتظم أيضاً والمتمثل في القافية»[1].

ومن شعر إبراهيم علاف قوله عن «الجمال»:

جلاء الغم والضر ... وزاد القلب والشعر
لروحي في تشوفها ... ربيع مطلق السحر
ومنذ طفولتي علقت ... به نفسي مدى العمر
فكنت أراه في شفق ... وفي نجم وفي البدر
وفي برق وفي مطر ... وفي برد وفي زهر
وفي مرو وفي ماء ... وانشقه مع العطر
وألمسه لدى ثوب ... جديد أملس الصدر
وأعشقه بألحان ... ترنحني من السكر
وألحظه مع الحلوى ... وفي التحنان والبشر
وفي وجه صباحته ... تلاطفني على طهر
وقد أدركت أعمقه ... بوجه الحق والخير
وفي الأخلاق راقية ... وفي الإيمان والفكر[2]

(١) «جلنار»، ص٦، ٧.

(٢) «جلنار»، ص ٨٦.

والعلاف أجاد وصف الطبيعة في جمالها وعبوسها، وفي لحظاتها التي كان يصورها في دقة وبمهارة، مثل قوله في «ميلاد نهار»:

تنفس الصبح لما أغمض السحر ... واستيقظ الطير، والأدياك تفتخر
والريف ودع أحمالاً مصنفة ... إلى المدينة، فيها استبشر الزهر

* * *

شبابه من جديد عاد منطلقا ... منه النجوم توارت، واستحى القمر
وللتوهج سحر فضة ذهب ... والشمس بؤرته، كالبدر تبتدر

* * *

هو الشجاعة للأطفال تحفزهم ... إلى الحراك، ولعب بات ينتظر
هو الربيع لإحساس وتبصرة ... أما الضحى فحياة خافها الضجر
يسري إلى الكون في عمق وفي سعة ... مزاوجاً فإذا الطاقات تنتشر
ما أروع النشء في إقباله نشطا ... إلى المدارس، والأفكار تنصهر[1]

ومن شعراء جيل الخمسين كذلك الأستاذ:

حمد الحجي[2]:

وهو من مواليد بلدة (مرات) من إقليم الوشم بنجد سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م درس بالمعهد العلمي وفي كلية الشريعة بالرياض. وقال الشعر منذ أن كان طالباً، ولكنه أصيب بمرض عقلي قضى على توهجه وهو في قمة عطائه الشعري.

(١) «جلنار»، ص ٥٥، ٥٦.
(٢) وردت ترجمته في «شعراء نجد المعاصرون»، ص ٢٠١، وفي «شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب»، ج١، ص٦٣.

وحمد الحجي شاعر عاطفي، رقيق، ووطني اشتعل حماساً، وهو قوي الديباجة لتمكنه من أساليب اللغة العربية وثروتها اللفظية، ولولا مرضه الطويل لكان له شأن عظيم. ومن شعره قوله:

كم تمنيت أنني بسمة في ... خاطر البائس القنوط الكابي
أو منام يمحو سهاد الثكالى ... واليتامى والمبتلى باكتئاب
أو ضياء ينير (للشعب) سبل الخـ ... ـير يدعو إلى ارتكاب الصعاب(1)

وفي قصيدة أخرى قال:

إن نظرت الجمال غضاً طريا ... يتجلى في المنظر الخلاب
لاح لي أسود المصير كمسو ... د الليالي مكشر الأنياب
فرأيت الجمال يطوي بأكفان ... ويبلى ممزق الأسلاب(2)

وفي جبل الخمسين برزت أديبات كثيرات، منهن من قالت الشعر فأجادت، ومن كتبت القصة، والمقالة، ولكنه من الصعب، بل ويكاد يكون من المستحيل الحصول على ترجمة وافية دقيقة لإحداهن. وهذا أمر مؤسف كدت أتراجع بسببه عن إخراج هذا الكتاب لكي لا أتهم بالقصور. ولكنني أكتفي بذكر الأسماء للأديبات البارزات ونماذج لبعض ما يمكن أن يلقي الضوء على مكانتهن الأدبية ودورهن. ومن أوائلهن الشاعرة الأستاذة ثريا قابل، التي تولّت منذ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م رئاسة تحرير مجلة نسائية عربية تصدر في باريس بفرنسا هي مجلة «زينة».

---

(١) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ٢٠٣.

(٢) «شعراء نجد المعاصرون»، ص ٢٠٢.

وثريا قابل من مواليد مدينة جدة في سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، كما ذكر عبد السلام الساسي في الجزء الأول من «الموسوعة الأدبية». وقد كانت واحدة من أوائل بنات المملكة اللاتي تلقين تعليماً عالياً خارج المملكة، فقد درست في الكلية الأهلية في بيروت، ثم أقامت سنوات طويلة في القاهرة، وكانت تراسل الصحف وتنشر فيها خواطرها وأفكارها في مقالات وشعر خفيف، بعض منه من الشعر العمودي، وبعض منه غير مقيد بوزن، وأصدرت في سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ديوان شعر عنوانه «الأوزان الباكية» وقد جعلت من قضايا الوطن العربي الكبير وتحريره متنفساً للتعبير عن أفكارها، وحينما سمعت باحتمال إصابة المجاهدة جميلة بوحيرد بالعمى كتبت تقول:

ألا إن عميت وغاض الضياء
أنارت بلادي شموع البهاء
وعود لأرضي.. لنفسي عزاء
وعز لقومي.. لعيني رضاء
ألا إن عميت وشح الرجاء
بضوء عيوني فان السناء
نسيم بلادي نقي الصفاء
حياة لخلدي.. لقهر الفناء(١)

وتسهم ثريا قابل في إحياء الأمسيات الشعرية مع غيرها مثل

---

(١) «الموسوعة الأدبية»، ج١، ص٣٤٩.

الشاعرة سلطانة السديري، وتقوم «الجمعيات الخيرية النسائية» مقام النوادي الأدبية في احتواء النشاط الأدبي النسائي ونشر الوعي الفني بين سيدات المجتمع وفتياته.

ومن شاعرات جيل الخمسين الشاعرة رقية ناظر التي تكتب الشعر المعبر عن واقع الحياة، كما تنشر مقالات في الصحف ومن شعرها قصيدة كتبتها بعنوان «سدت السبل» قالت فيها:

بدت أسبابها تجلو   جفاها الزوج والأهل
فصاحت بعدما ندمت   لماذا الهجر يا سهل
أصاب الدهر أفئدة   وآمالاً بها تسلو
وجف الدمع من مقل   بأهداب لها تحلو
فقال الزوج في عجب   أحان الحزن والوجل
أتلك الريم في قلق   لماذا يدبر الكهل
فقالت كيف يمكنني   أعيش وقد دنا الأجل
فبعدك زاد أشجاني   يشيب لبعدك الطفل
فقال الزوج يا سلوى   غرورك زاده الجهل
فأنت الذات لو تدرين   أنت بخافقي الأصل
ففاض الدمع منحدرا   وقالت سدت السبل
متى يا سهل أيامي   بربك يصبح الوصل؟[1]

ومن الكاتبات الصحفيات برزت خيرية السقاف، وجهير المساعيد في كتابة المقال الأدبي، والتأملات.

---

(١) جريدة «الندوة»، العدد رقم ٧٨٨٧، السنة ٢٧، الاثنين ٢١ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ، ١١/٢/١٩٨٥م، ص١٦.

أما الأديبات «الأكاديميات» فإن من أشهرهن الدكتورة فاتنة شاكر التي ولدت بمدينة جدة في سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م وبها نشأت وتلقت تعليمها الأولى، عشقت الصحافة ومارست الكتابة الأدبية والإجتماعية في الصحف المحلية منذ سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، كما كانت أول صوت نسائي ينطلق من إذاعة جدة من خلال برنامج «البيت السعيد»(١).

ودرست فاتنة شاكر بجامعة القاهرة كلية التجارة التي حصلت على شهادتها الجامعية (البكالوريوس) سنة ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ ثم سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمواصلة دراستها العليا فيها فحصلت منها على درجتي الماجستير والدكتوراه في الدراسات الإجتماعية، والتحقت بسلك التدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. بعد عودتها للوطن، كما عادت فاتنة شاكر لممارسة هوايتها القديمة فكتبت المقالات الصحفية في الصحف في الداخل والخارج، وحينما أسست «الشركة السعودية للأبحاث والتسويق» مجلة «سيدتي» النسائية في لندن ببريطانيا، كانت فاتنة شاكر أول من وقع عليها الإختيار لرئاسة تحريرها في سنة ١٩٨٠م/ ١٤٠٠هـ، فأعيرت خدماتها لها من الجامعة لمدة سنة، عادت بعدها لحياتها الجامعية.

وقد جمعت فاتنة شاكر مجموعة من مقالاتها التي سبق أن نشرتها في الصحف وأصدرتها في سلسلة «الكتاب العربي السعودي» عن مؤسسة تهامة بجدة بعنوان نبت الأرض. وهي شديدة الحماس للمرأة السعودية

---

(١) «نبت الأرض»، تأليف الدكتورة فاتنة أمين شكر، الكتاب العربي السعودي رقم٣٥، ص الغلاف الأخير، تهامة، جدة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

وتعبر في كتاباتها عن فخرها بمنجزاتها، كما كتبت في مقالة بعنوان «لا تخافوا على نسائنا» قائلة: «إنني أشعر بفخر غير قليل بالمرأة السعودية واعترافي هذا قد يكون بمثابة المفاجأة لمن يعرفونني. فهم يعرفون في حكمي «القسوة» على المرأة السعودية، طالبة، وزميلة، وعليها أيضاً كذات. وقسوتي في الحكم تنتج من حجم تطلعاتي وتوقعاتي منها. إنني أتوقع منها الكثير تجاه نفسها وتجاه مجتمعها، لأنه قد ضاع علينا ـ النساء ـ وعلى مجتمعنا الكثير ونحن نرزح تحت وطأة الجهل بحقوقنا وإمكاناتنا الفكرية والنفسية.

وبالرغم من إحساسي بأنه ما زال أمام المرأة السعودية شوط كبير لاعتلاء قمة الجدية والإحساس بالمسؤولية الوطنية، سواء كان ذلك في دورها داخل نطاق أسرتها أو خارجه في نطاق مجتمعها الكبير، إلا أنني أشعر بالإعتزاز لما استطاعت أن تحققه، آخذة في الإعتبار حدود الإمكانات المادية والمعنوية المتاحة لها»[1].

وبعد أن عددت منجزات المرأة السعودية في الحياة العامة، قالت: «إن ما تحتاجه المرأة السعودية اليوم ليس سياسة القمع لجهودها أو الحجر على فكرها. لن تؤدي هذه المحاولات إلا إلى الشطط والإنحراف. إن المرأة السعودية تتوق اليوم بصدق إلى الإحساس بكيانها إسلامياً، ليس فقط من الناحية النظرية، وإنما عملاً وواقعاً. إن إمكاناتها الفكرية والعلمية تضج فيها رغبة في العطاء والمشاركة في إطار إسلامي سليم، يقوم على النظرة السليمة المتكاملة التي تتعامل معها كإنسان له مثل ما عليه. إن ما تحتاجه المرأة السعودية اليوم هو أن نكف عن التعامل

(١) «نبت الأرض»، ص ٩٩.

معها كأنثى فقط، كفرية مستهدفة دائماً من قبل «الرجل الذئب» ومن ثم الإعتقاد بوجوب الحفاظ عليها في قمقم»[1].

ومن الشاعرات «الأكاديميات» الدكتورة مريم البغدادي وهي تحمل درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس بفرنسا، ومتخصصة في الأدب، ولها دراسات ومقالات كثيرة فيه، كما لها أكثر من كتاب في الأدب بين مؤلف ومترجم. ولها شعر كثير، وصدر لها ديوان عن تهامة بعنوان «عواطف إنسانية» وشعرها عمودي محافظ في نظامه الموسيقي، تأملي وجداني في موضوعاته التي يشغل ابنها وفراقه أكبر حيز منه، في شفافية في التعبير عن الإحساس بالألم والأمل، والفرحة والحزم، والشقاء والسعادة. وهي تنوع في القوافي، وتنظم القصيدة في مقاطع، وتلجأ إلى أسلوب القصة، والرمز في بعض شعرها الذي يلتهب بعواطفها وأشواقها الحارة.

ومن شعرها ذلك قولها بعنوان «براني الوجد»:

سألت عليك يا أملي ... وكان الشوق كاللهب
يحرق جل أركاني ... ولا أشكو من النصب
شرحت لكم ضنى كبدي ... وما ألقى من التعب[2]

وقالت بعنوان «رفقاً بفؤادي»:

يتلظى قلبي بغرامي ... وكؤوسي فرغت من مائي
أرفيقي رفقاً بفؤادي ... هدمت سروري وهنائي
ناديت بقلبي وعيوني ... أتراك ستسمع أصدائي

---

(١) «نبت الأرض»، ص ١٠٠.

(٢) «عواطف إنسانية»، شعر دكتورة مريم البغدادي، الكتاب العربي السعودي، رقم١٥، ص١٥، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

تتعثر خطواتي حيرى يمنعني خوفي وحيائي

* * *

ملء الآفاق أشاهد كا في كل خيال ألقاه
في ملء السمع وفي بصري في عمق الصمت وأصداه
ويردد قلبي نبضاتي: إني يا ربي أهواه
ما كنت لأرضى بالدنيا ما عشت حياتي لولاه

* * *

من ظلمك طالت أناتي زادت آهاتي ولهيبي
يا جمرة حب ملتهب وضياء طريقي ودروبي
يا نبع حنيني وحناني يا أصل دموعي ونحيبي
هل أنت عدو أكرهه أم أنت عيوني وحبيبي(١)

وعن مقدم ابنها «عدنان» كتبت قائلة:

عدنان أهلاً قد أزهرت وادينا قد جئت نوراً في الأركان يهدينا
يا من ملأت علينا البيت يا ولدي ما عاد شيء يا عدنان يبكينا(٢)

وأما كتابة القصة والرواية فقد برزت فيها بصورة مفاجئة الدكتورة أمل محمد شطا، وهي طبيبة سعودية من بنات مكة ومن أسرها العريقة، درست الطب في جامعة القاهرة بمصر، ولم تشتهر بالكتابة، رغم أنها نشرت في الصحف بعض القصص من وقت لآخر، ولكنها ظهرت بصورة مفاجئة برواية قصصية إجتماعية طويلة عنوانها «غداً أنسى»(٣)

---

(١) «عواطف إنسانية»، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) «عواطف إنسانية»، ص ١٠٠.

(٣) «غداً أنسى»، تأليف د. أمل محمد شطا، الكتاب العربي السعودي رقم٨، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص الغلاف الأخير.

وهي رواية تحكي قصة عجيبة لأم من (جاوه) حرمها زوجها المكي من بنتها الوحيدة، وبعد خمس عشرة سنة من الحرمان قدمت الأم بصورة مفاجئة إلى مكة، والتقت ببنتها الوحيدة في مدرستها، ثم أخذت تحكي لها قصتها وقصة أمها وأبيها في (جاوه) في تشابك في الأحداث، وقصور في الربط الفني، ونقص في التمهيد للأحداث وتفسيرها، مثل بداية الرواية التي لم يتبين منها كيف وصلت هذه الأم الفقيرة المعدمة إلى مكة من أقاصي جُزُر أندونيسيا، ولا كيف عرفت المدرسة التي تدرس بها بنتها. ثم تتداخل الأحداث في ارتباك في بعض الأحيان. إلا أنها أجادت استخدام الحوار في عرض الأحداث التي دار القسم الأكبر منها في (جاوه) وليس في مكة كما يتوقع القارىء من إشارة الناشر على صفحة الغلاف الخارجي والتي جاء فيها أن المؤلفة تلقى في هذه الرواية «الضوء على جانب من صور حياتنا الإجتماعية»[1]. أما عزيز ضياء الذي قال عنه الناشر إنه «الناقد الكبير»، فإنه لم يلتزم بما كلف به في تقديم هذه الرواية، بل اكتفى بالإشادة بها، واعتبارها «مفاجأة» واعتبارها أول رواية بقلم كاتب في هذه المملكة يتوفر فيها الكثير من عناصر العمل الروائي الأصيل[2]. . وبدل أن يفند عزيز ضياء الأسس التي بنى عليها حكمه هذا على ضوء ما يستخلصه من الرواية من العناصر الفنية التي قال إن الكاتبة قد تفوقت في استخدامها، خرج عن ذلك ولم يقدم حتى ملخصاً للقصة يؤكد أنه قرأها قراءة الناقد الجاد الواعي بأصول النقد الأمين وإظهار مواطن الجمال والقصور على قواعد نقدية سليمة ومناهج واضحة، ولكنه بدل ذلك قدم (مقالاً) طويلاً عن العمل القصصي في الأدب استعرض فيه

---

(١) «غداً أنسى»، تأليف د. أمل محمد شطا، الكتاب العربي السعودي رقم٨، تهامة، جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) «غداً أنسى»، تقديم بقلم الأستاذ عزيز ضياء، ص١١.

معلوماته عن القصة في آداب اللغات الحديثة في أوروبا وروسيا والحديث عن الجذور الأولى للفن القصصي في الشعر الملحمي الإغريقي القديم وأوائل من كتبوا القصة من أدباء المملكة، فنسي - في زحمة هذا الإستعراض - أن يحلل الرواية التي كلف بكتابته مقدمتها، وأن يبين بالدليل المستخلص منها ما يدعم وصفه لها بالمفاجأة السارة - و - بالتفوق فنياً على كل ما سبقها من محاولات[1].

لقد أصبح جنس القصة، القصيرة، والطويلة، من أهم الأجناس الأدبية التي استهوت أدباء الأجيال اللاحقة من بعد جيل الخمسينات الهجرية من القرن الرابع عشر. وقد برزت عشرات الأسماء والمحاولات. ولكنني قد خططت لكتابي هذا أن يحمل تاريخاً للمراحل التي استكملت كل ملامحها وسماتها في الأدب السعودي، فلا يدخل في نطاق هذا التخطيط التعرض لما جد بعد جيل الخمسينات من القرن الهجري الرابع عشر الذي جعلته حداً أقف عنده، ولكنني أذكر أن من أبرز الأسماء التي صدرت لها كتب ومجموعات مطبوعة في القصة والرواية الأساتذة: فؤاد عنقاوي، ومحمد علي قدس، وحسين علي حسين، والدكتور عبد الله باقازي وظهر شعراء كثيرون وكتّاب مقال، وكتاب مسرحية وتمثيلية، لا يزال بعضهم في دور التفاعل وتكوين الملامح والسمات الخاصة. كما أن النشاط الأدبي بصفة عامة يتميز بحماس لم يكن معهوداً قبل عهد قريب، وسوف تكون له نتائج طيبة، إن شاء الله، في النهوض بالأدب العربي السعودي الحديث.

---

(١) كما جاء في كلمة «تقديم»، بقلم عزيز ضياء، في مستهل رواية «غداً أنسى»، ص٩-١٦.

خاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً كثيراً لا يحصى على عونه وحسن توفيقه لي في إنجاز هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم عز وجل، خدمةً لبلادي العزيزة، وتسجيلاً لتاريخها في أكثر وجوهه إشراقاً، وهو الأدب وما يتصل به من ثقافة عامة وعلوم وفنون.

وقد أقمت منهجي في تأليف كتابي هذا على أسس الإستقراء والجمع، ثم الوصف العام، والتحليل الخاص.

فمع أن هذا الكتاب يحمل تاريخاً، إلا أنني تدخلت في كثير من المواقف بالرأي، والإستنتاج، والتحليل النقدي، أو بالإستشهاد بآراء موضوعية لنقاد ومؤرخين سابقين، جلاء للحقيقة واستكمالاً لجوانب هذا التاريخ.

وإنني هنا أسجل اعترافي بفضل كل من سبقوني في محاولة جمع شتات تاريخ أدبنا السعودي، من الذين كان لهم فضل في جمع شتات تاريخ الأدب العربي في هذه البلاد في أي جانب من جوانبه، أو موضوعاته، أو شخصياته.

أما الذي أرى أنه يميّز كتابي هذا عن الكتب التي سبقته أنه:

١ ـ شامل لتاريخ الأدب في شعره ونثره وفي كل جنس من أجناسه الأدبية

الفنية . . فلا يقتصر على الشعر، ولا على النثر، ولا على تيار من التيارات، بل هو شامل لكل ما يوضح حقائق تاريخ الأدب في جميع جوانبه، مع التعريف بأهم أعلامه الذين تركوا بصماتهم واضحة فيه، من الرجال والنساء، على السواء، مع ملاحظة أن دور النساء الفعال في الأدب لم يبدأ إلا مع بداية عطاء الجيل الذي ولد في الخمسينات الهجرية من القرن الماضي الرابع عشر.

٢ ـ لا يخرج هذا الكتاب في استطرادات جانبية، كالبحث في تاريخ الطباعة، أو التعليم، أو الصحافة، إلا بما تقتضيه الضرورة، وفي إيجاز دقيق مع الشمول والوضوح.

٣ ـ يحمل هذا الكتاب تقسيماً مرحلياً واضحاً لتاريخ الأدب العربي السعودي منذ نشأة فكرة هذا المسمى (السعودي) وتبلوره سياسياً حتى أصبح يدل على كل ما له صلة بهذا المجتمع . . كما تم تقسيم الأدباء إلى أجيال، تفصل بين كل جيل وجيل آخر عشر سنوات من الميلاد، أي من الحقب، في إطار المراحل التاريخية، بدءاً من القرن الثالث عشر الهجري وانتهاء بأدباء الجيل الذين كان مولدهم في الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري، على اعتبار أن من جاؤوا بعد ذلك لا زال معظمهم في طور التفاعل والتكوين، وهذا رأيي أنا، وقد يوجد من يخالفه.

٤ ـ في اختيار الأسماء تمت مراعاة الشمول الإقليمي لكل منطقة من مناطق هذه المملكة في كل مرحلة من المراحل التاريخية التي ورد ذكرها في هذا الكتاب.

٥ ـ يحمل هذا الكتاب نصوصاً أصلية كثيرة للأدباء ـ شعراً، ونثراً ـ لإعطاء تصور مباشر عنهم.

٦ ـ تم توثيق المعلومات في أماكنها على أدق أصول التوثيق العلمي، والأمانة التاريخية. بالإضافة إلى ثبت المراجع المستقل في هذا الكتاب.

٧ ـ تمت مراعاة عناصر التسلسل والتشويق الموضوعي فجاء الكتاب كأنه أحداث رواية تاريخية طويلة مع وقفات متأنية مع شخصياتها وما قدمته كل شخصية في إثراء هذا التاريخ الأدبي الحافل.

ويعلم الله ويشهد أنني كنت شديد الحرص على الدقة والأمانة وقد طال بي الزمن كثيراً في الجمع والتوثيق ولم أيأس، والحمد لله الكريم الذي أتم فضله، فلم أكن متفرغاً، لا علمياً، ولا وظيفياً لتأليف هذا الكتاب، بل قمت بإعداده في زحمة عملي الوظيفي في التدريس والتصحيح والإشراف على رسالة ماجستير أعدتها الأستاذة شفاء زيني عقيل، بالإضافة إلى قيامي بأعباء ومسؤوليات إعداد برامج إذاعية لإذاعتي نداء الإسلام والبرنامج الثاني من جدة. وأسأل الله أن يسامحني على تقصيري مع أسرتي وأبنائي وجزاهم الله عني بخير ما يجزي به الصابرين على صبرهم عليّ في أداء الواجب وخدمة العلم وطلابه وخدمة الوطن الغالي العزيز بتسجيل جانب من أهم جوانب تاريخه المشرق.

والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد معلم الإنسانية الأعظم وهاديها بإذن ربها إلى سواء السبيل.

عمر الطيب الساسي

جدة في يوم الاثنين ٢١ صفر ١٤٠٦هـ

الموافق ٤ نوفمبر ١٩٨٥م

المصادر والمراجع

أولاً: في التاريخ العام:

١ ـ الأخبار النجدية، تأليف محمد بن عمر الفاخري، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الله بن يوسف الشبل، نشر لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض بدون ذكر سنة الصدور.

٢ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠هـ، تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى، أشرف على طبعه حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٣ ـ تاريخ الدولة السعودية، تأليف أمين سعيد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض، بدون ذكر سنة الصدور (ط٢) دار الشروق بجدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤ ـ تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، تأليف مديحة أحمد درويش.

٥ ـ تاريخ المملكة العربية السعودية، تأليف أمين سعيد، بيروت ١٩٦٤م.

٦ ـ تاريخ المملكة العربية السعودية، تأليف حسن سليمان محمود وآخرين، القاهرة ١٩٦٠م.

٧ ـ تاريخ المملكة العربية السعودية، ماضيها وحاضرها، تأليف صلاح الدين المختار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٨ ـ تاريخ نجد الحديث وملحقاته، تأليف أمين الريحاني، (ط٢) بيروت ١٩٥٤م.

٩ ـ تاريخ نجد، تأليف حسين بن غنام، تحقيق ناصر الدين الأسد، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

١٠ ـ تاريخ نجد، تأليف محمود شكري الألوسي، القاهرة ١٣٤٧هـ.

١١ ـ الدولة السعودية الأولى، تأليف عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، (ط٢) القاهرة، ١٩٧٦م.

١٢ ـ الدولة السعودية الثانية تأليف عبد الفتاح أبو علية، الرياض ١٩٧٤م.

١٣ ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، تأليف خير الدين الزركلي، القاهرة ١٩٧٠م.

١٤ ـ صقر الجزيرة، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، جدة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٥ ـ قيام الدولة العربية السعودية، تأليف عبد الكريم الغرابية، القاهرة ١٩٧٧م.

ثانياً: في قوائم المؤلفات (ببليوجرافيا):

١ ـ الأدب العربي في المملكة العربي السعودية، ببليوجرافيا، دار العلوم، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م.

٢ ـ حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية من ١٣٩٠ـ١٣٩٩هـ تأليف يحيى محمود ساعاتي، النادي الأدبي بالرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣ ـ مؤلفات ومراجع عن المملكة العربية السعودية، وضع يحيى محمود ساعاتي وعبد الله سالم القحطاني، مطابع الجزيرة، الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٤ ـ معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية، ١ـ صحيفة (أم القرى) من سنة ١٣٤٣ـ١٣٦٥هـ/ ١٩٢٤ـ١٩٤٥م، تأليف منصور إبراهيم الحازمي، جامعة الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥ ـ معجم المطبوعات السعودية: مسح مبدئي لما صدر منها حتى بداية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، تأليف شكري العناني، وزارة المعارف، الرياض ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٦ ـ المملكة العربية السعودية، دراسة ببليوجرافية، تأليف شكري العناني، دار العلوم، الرياض ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ثالثاً: في التراجم والنصوص المختارة:

١ ـ أدب الحجاز أو صفحة من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً، جمع وترتيب محمد سرور الصبان، المكتبة الحجازية بمكة ١٣٤٤هـ.

٢ ـ أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان، تأليف محمد بن أحمد العقيلي، منشورات نادي مكة الثقافي، مكة ١٤٠٠هـ.

٣ ـ تاريخ الشعر العربي الحديث، تأليف أحمد قبش، دمشق ١٩٧١م/ ١٣٩١هـ.

٤ ـ خالد الفرج، حياته وآثاره، تأليف خالد سعود الزيد، المطبعة العصرية، الكويت ١٩٦٩م.

٥ ـ الذيابي، تاريخ وذكريات، تأليف الشريف منصور بن سلطان، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٦ ـ سيَر وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، تأليف عمر عبد الجبار، (ط٢) مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٧ ـ الشجرة ذات السياج الشوكي، تأليف رشاد سروجي، مكتب المعارف. الطائف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٨ ـ الشعراء الثلاثة في الحجاز، محمد حسن عواد، حمزة شحاتة، أحمد قنديل، جمع وترتيب عبد السلام طاهر الساسي، مكة المكرمة ١٣٦٨هـ (مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة).

٩ ـ شعراء الجنوب، تأليف محمد بن علي السنوسي، ومحمد بن أحمد العقيلي، مطبعة الكمال، عدن بدون ذكر سنة الصدور.

١٠ ـ شعراء الحجاز في العصر الحديث، تأليف عبد السلام طاهر الساسي، يطلب من مكتبة الثقافة بمكة ١٣٧٠هـ (مطبعة دار الكتاب العربي) القاهرة ١٩٥١م.

١١ ـ شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب، تأليف عبد الكريم بن حمد بن إبراهيم الحقيل، مطابع الفرزدق، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٢ ـ شعراء نجد المعاصرون، تأليف عبد الله بن إدريس، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٠م/ ١٣٨٠هـ.

١٣ ـ شعراء هجر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، تأليف عبد الفتاح حلو، مكتبة الاحساء، الاحساء ١٩٥٩م.

١٤ ـ المعرض، أو آراء شبان الحجاز في اللغة العربية، جمع وترتيب محمد سرور الصبان، المكتبة الحجازية مكة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

١٥ ـ مجلة «المنهل» الجزء السابع المجلد ٢٧ عدد خاص بتراجم وأدب أدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين، جدة، رجب ١٣٨٦هـ/ نوفمبر ١٩٦٦م.

١٦ ـ الموسوعة الأدبية (ثلاثة أجزاء) تأليف عبد السلام طاهر الساسي، (ج١) دار قريش للطباعة والصحافة والنشر بمكة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، (ج٢) مطابع دار الثقافة، مكة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، (ج٣) نادي الطائف الأدبي، الطائف ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٧ ـ نفثات من أقلام الشباب الحجازي، جمع هاشم يوسف الزواوي وعلي حسن فدعق وعبد السلام طاهر الساسي، المكتبة العزيزية ومطبعتها، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

١٨ ـ وحي الصحراء، صفحة من الأدب العصري في الحجاز، جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بخير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

رابعاً: في الدراسات الأدبية:

١ ـ الأدب الحجازي في النهضة الحديثة، تأليف أحمد أبو بكر إبراهيم، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٤٨م.

٢ ـ الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، تأليف إبراهيم فوزان الفوزان، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، طبع بمطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣ ـ الأدب الحديث في نجد، تأليف محمد بن سعد بن حسين، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٧١م/ ١٣٩١هـ.

٤ ـ الأدب في الخليج العربي، تأليف محمد عبد الرحمن العبيد، مطبعة الإنشاء، دمشق ١٩٥٧م.

٥ ـ الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية، القسم الأول: الشعر في شرقي الجزيرة، تأليف عبد الله آل المبارك، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٣م/ ١٣٩٣هـ.

٦ ـ أدب النثر المعاصر في شرق الجزيرة العربية، تأليف عبد الله آل مبارك، مطبعة الجبلاوي، القاهرة ١٩٧٠م/ ١٣٩٠هـ.

٧ ـ ألوان، تأليف طه حسين، دار المعارف بمصر، القاهرة بدون ذكر سنة الصدور.

٨ ـ بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين (٥ مجلدات)، جامعة الملك عبد العزيز، جدة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٩ ـ تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية (جزءان)، تأليف عثمان حافظ، (ج١) شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، بدون ذكر سنة الصدور، (ج٢) شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٠ ـ التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب، تأليف عبد الله عبد الجبار، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٥٩م.

١١ ـ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، تأليف بكري شيخ أمين، دار صادر، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٢ ـ الحياة الأدبية في جزيرة العرب، تأليف طه حسين، مكتبة النشر العربي، دمشق ١٩٣٥م.

١٣ ـ دراسات في الأدب العربي على مر العصور مع بحث خاص بالأدب العربي السعودي، تأليف عمر الطيب الساسي، دار الشروق، جدة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٤ ـ ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي، تأليف محمد سعيد المسلم، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٢م.

١٥ ـ الشعر والتجديد، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي، رابطة الأدب الحديث، القاهرة ١٩٥٧م.

١٦ ـ الشعر الحديث في الحجاز (١٩١٦ـ١٩٤٨م)، تأليف عبد الرحيم أبو بكر، المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة.

١٧ ـ شعراء السعودية المعاصرون، التاريخ والواقع، تأليف أحمد كمال زكي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٨ ـ شعراء من أرض عبقر، تأليف محمد العيد الخطراوي، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٩ الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر، تأليف أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مؤسسة دار الأصالة المعاصرة للطباعة والنشر، طبع بمطابع الإشعاع، الرياض بدون ذكر سنة الصدور.

٢٠ ـ الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب، تأليف عبد الله حامد الحامد، (كتاب الشهر)، النادي الأدبي، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧م.

٢١ ـ الصحافة في الحجاز (١٩٠٨ـ١٩٤١م) دراسة ونصوص، تأليف محمد عبد الرحمن الشامخ، دار الأمانة، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٢ ـ ظاهرة الهروب في أغاريد الصحراء لطاهر زمخشري، تأليف عبد الرحمن الطيب الأنصاري، دار الفهد، الرياض ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٢٣ ـ قمة عرفت ولم تكتشف (حمزة شحاتة) تأليف عزيز ضياء، المكتبة الصغيرة، مطابع اليمامة، الرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٤ ـ النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية (١٩٠٠ـ١٩٤٥م)، تأليف محمد عبد الرحمن الشامخ، مطابع نجد التجارية، الرياض ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٤م.

٢٥ ـ النهضة الأدبية في نجد، تأليف حسن محمد محمود الشنقيطي، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

خامساً: مقالات وبحوث ومحاضرات مستقلة:

١ ـ أبحاث أدبية من جنوب الجزيرة بقلم محمد بن أحمد عيسى العقيلي، مجلة «العرب»، بيروت، شعبان ١٣٨٧هـ.

٢ ـ الأدب السعودي في المنطقة الشرقية، بقلم محمد سعيد ذو الفقار، مجلة «المنهل»، جدة، إعداد ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، وشوال ١٣٨١هـ.

٣ ـ الأدب القصصي في الحجاز، بقلم محمد سعيد العامودي، مجلة «المنهل» المدينة المنورة، ربيع الأول ١٣٥٦هـ.

٤ ـ أدبنا المعاصر، بقلم أحمد عبد الغفور عطار، مجلة المنهل، مكة، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٦٧هـ.

٥ ـ أصول الرمز في الشعر الحديث، محاضرة كتبها أبو عبد الرحمن محمد بن عقيل الظاهري، المكتب الرئيسي لرعاية الشباب، حائل ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٦ ـ بداية النهضة المعاصرة (دراسات في الأدب المحلي)، بقلم عبد الله حامد الحامد، مجلة «اليمامة»، الرياض، عدد ٤٩١، الجمعة، ربيع الثاني ١٣٩٨هـ.

٧ ـ تأملات في الأدب والحياة، فصول وأبحاث متفرقة كتبت من سنة ١٣٥١هـ إلى سنة ١٣٥٥هـ، بقلم محمد حسن عواد، مطبعة العالم العربي، القاهرة رجب ١٣٦٩هـ/ أبريل ١٩٥٠م.

٨ ـ تطور الحياة الأدبية في شرقي جزيرة العرب، بقلم عبد الله آل المبارك، «مجلة كلية الآداب» الرياض ١٣٩١هـ/ ١٣٩٢هـ.

٩ ـ التطورات التي سبقت نشوء الأدب في الحجاز، بقلم محمد عمر عرب، مجلة «المنهل» مكة ربيع الثاني ١٣٦٥هـ.

١٠ ـ الحياة الأدبية في المملكة العربية السعودية في مدى نصف قرن، بقلم محمد سعيد المسلم، مجلة «الأديب» بيروت، يونيو ١٩٥١م.

١١ ـ دراسة الشخصيات في قصة ثمن التضحية، بقلم منصور محمد الخريجي، «مجلة الجامعة»، الرياض ١٣٧٩هـ.

١٢ ـ رحلة شعرنا المحلي المعاصر من التقليد إلى التجديد، دراسات في

أدب الجزيرة العربية، بقلم عبد الله حامد الحامد، مجلة «اليمامة»، الرياض، ٢١ رمضان ١٣٩٨هـ.
١٣ ـ سمات أدبنا الحديث بقلم أحمد بن إبراهيم الغزاوي، مجلة «المنهل»، مكة، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٦٩هـ.
١٤ ـ الشعر الحجازي المعاصر بين التقليد والمحافظة، بقلم عبد الرحيم أبو بكر، مجلة «الدارة»، الرياض، ربيع الأول ١٣٩٦هـ.
١٥ ـ شعرنا خلال الثلاثين سنة الأخيرة، بقلم عبد الله بن إدريس، «ملف اليمامة الثقافي» الرياض، جمادى الثانية ١٣٩٤هـ.
١٦ ـ الفن القصصي في أدبنا المحلي، دراسات في أدب الجزيرة العربية، بقلم إبراهيم الفوزان، مجلة «اليمامة»، الرياض، ٢ شوال ١٣٩٨هـ، ٢٧ شوال ١٣٩٨هـ.
١٧ ـ قراءة في ديوان الشعر السعودي، بقلم يوسف حسن نوفل، «كتاب الشهر رقم ٣٥» من منشورات نادي الرياض الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٨ ـ المرصاد، بقلم إبراهيم هاشم فلالي، «كتاب الشهر رقم ٢٣» (ط٣)، النادي الأدبي، الرياض، ذو القعدة ١٤٠٠هـ/ أكتوبر ١٩٨٠م.
١٩ ـ مرصاد المرصاد، بقلم عبد الله عبد الجبار، مع «المرصاد» كسابقه.
٢٠ ـ المسرحية في الأدب السعودي، بقلم عبد الله الماجد، مجلة «قافلة الزيت» الظهران، شعبان ١٣٩٠هـ.
٢١ ـ معالم الشعر السعودي، بقلم عبد الله بن إدريس، مجلة «الدارة»، الرياض، شوال ١٣٩٨هـ.

٢٢ ـ ملامح التجديد في الأدب السعودي بين الحربين العالميتين بقلم منصور إبراهيم الحازمي، منشور ضمن كتاب «ملامح الحركة الأدبية في الخليج العربي والجزيرة العربية»، نشر مركز دراسات الخليج، شعبة الدراسات اللغوية والأدبية، السلسلة الخامسة، جامعة البصرة.

٢٣ ـ نقد المرصاد، بقلم حسن عبد الله القرشي، مع «المرصاد» و«مرصاد المرصاد» في «كتاب الشهر رقم ٢٣»، النادي الأدبي، الرياض، ذو القعدة ١٤٠٠هـ/ أكتوبر ١٩٨٠م.

سادساً: رسائل علمية:

١ ـ الرومانسية عند بعض الشعراء السعوديين، رسالة ماجستير، إعداد: الشفاء عبد الله زيني عقيل، كلية التربية التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات بجدة، قسم اللغة العربية، جدة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢ ـ عبد الله الفيصل، حياته وشعره، رسالة ماجستير بالفرنسية، ثم ترجمت إلى العربية. إعداد: منيرة العجلاني، كتبت لجامعة السوربون بباريس وطبعت بدون ذكر مكان وسنة الصدور.

سابعاً: أعمال أصلية:

جميع مؤلفات الأدباء ودواوين شعرهم وقصصهم ورواياتهم، وقد ذكر ما استخدم منها في مكانه في الهوامش.

الفهرس